سهام ترجمان

جبل الشيخ في بيتي



في بيتي

الإشراف الفني . وليد كلسلي
الإشراف الضوئي : قاسم قنبر
التنضيد الضوئي · محمد عباس
الطبع الحرفي رفعت حريري
طباعة الأوفست بسام الرتا
التجليد الفني محمد صالح قلاجو

الطبعة الأولى : دمشق ١٩٨٦ .
مطابع الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة .
مطابع إدارة المساحة العسكرية في الجيش العربي السوري .
الجمهورية العربية السورية :

الغلاف الأول : بريشة الفنان عزيز اسماعيل . أنطاكية
الغلاف الأخير : بكاميرا الفنان زياد الجندي . دمشق
الخطوط : بريشة الفنان رمزي حج مصطفى . حلب
التصوير : الفنان محمد وحيد الدقاق . حلب
الروتوش والمونتاج : عدنان علبي . دمشق

سهام ترجمان

جبل الشيخ في بيتي

مجموعة مقالات وخواطر وجدانية

في حرب ٦ تشرين الأول ١٩٧٣م
الموافق ١٠ رمضان ١٣٩٣

-

الإهداء

إلى شهداء الوطن والحرّيّة...

إلى رجالات الوطن وثوّاره ومحرّريه...

إلى أبناء الوطن وأبطاله وعشّاقه وأبنائه...

إلى أطفال الوطن رجال الغد الآتي...

إلى حُماة الدّيار الأحبّة ولهم الصّدارة...

إلى أهلي العرب النّاطقين بالضّاد...

إلى...

بلاد العرب أوطاني

من الشّام لبغدان

ومن نجد إلى يمن

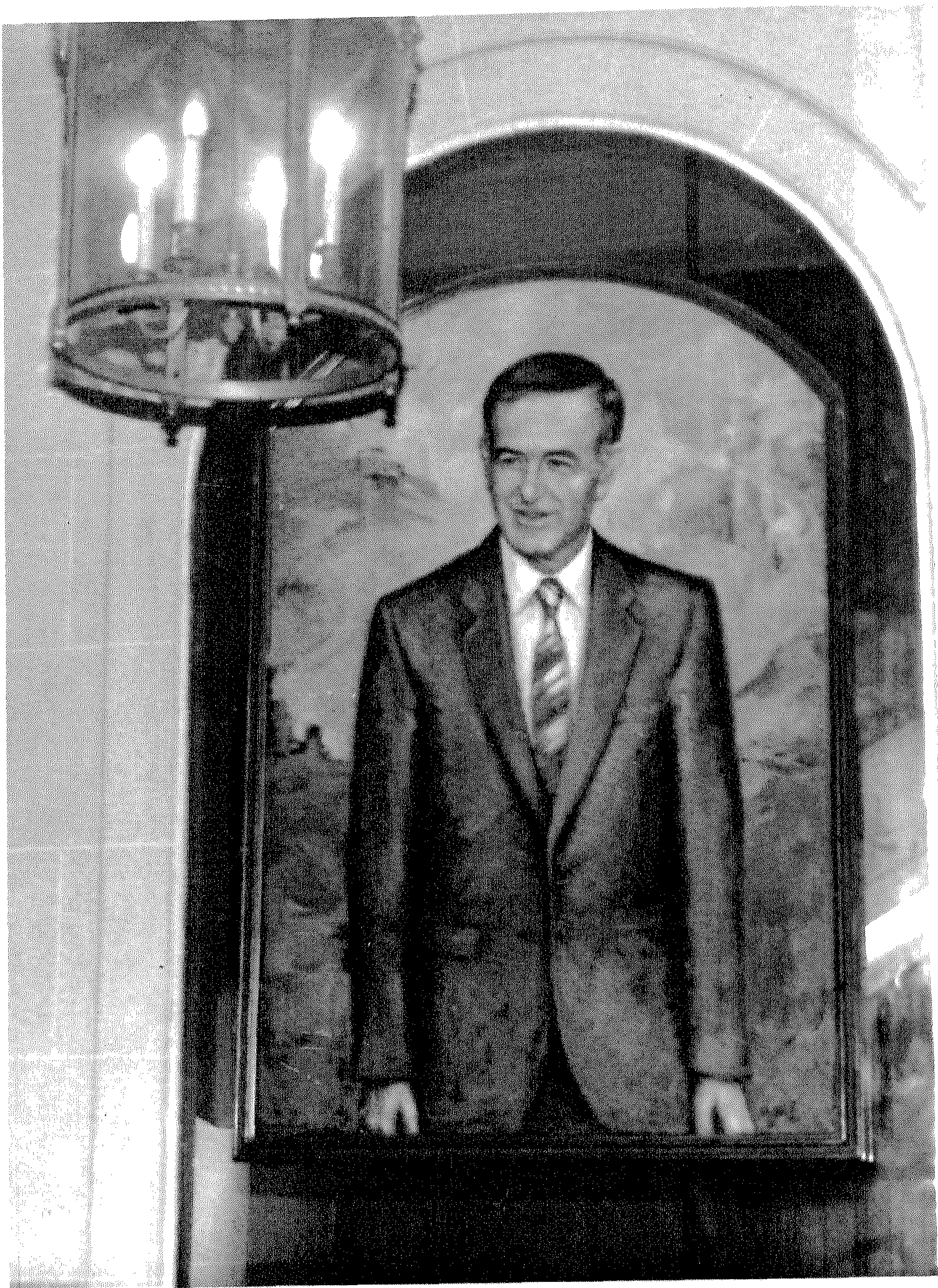
إلى مصر فتطوان

هديّة من قلبي العاشق للنّور الإلهي.. للوطن والحرّيّة

كلمة شكر وحب

أرفع تحية شكر عميق واحترام كلي إلى
سيادة الرئيس حافظ الأسد رئيس
الجمهورية العربية السورية، القائد العام للجيش
والقوات المسلحة، قائد معارك تشرين التحريرية،
وإلى سيادة العماد مصطفى طلاس نائب القائد
العام للجيش والقوات المسلحة، نائب رئيس مجلس
الوزراء وزير الدفاع، على الثقة العالية التي
كرمتني موظفة في وزارة الدفاع، إعلامية في
ميدان الإعلام العسكري، وكاتبة ذات نفس
نقدي بناء، فانطلق قلمي ليكون في خدمة الأهداف
القومية الكبرى، منبراً حراً، وحصاناً جامحاً،
ومرآة صافية تعكس الروح العسكرية العربية العالية ضد
العدو الصهيوني، وقد اشتعلت ناراً ونوراً في حرب
تشرين التحريرية، وانتشرت في تاريخ العرب المعاصر،
فكانت كتاباتي الوطنية الوجدانية الصادقة المخلصة،
وكانت كتابي في عشق الوطن وتمجيد صمود الأمة
وولد "جبل الشيخ في بيتي" الذي يعلن فخاري:
"إنه وطني على صدره دائماً"، والذي يسجل وقفتي باحترام
كبير ترحيب أمام المنعطف التاريخي الهام في حياة
أمتنا العربية.

دمشق ٦ تشرين الأول ١٩٨٥ — سلام — حنان



لوحة الرئيس حافظ الأسد في بهو السفارة السورية في باريز .
للفنان عبد القادر النائب ــ حلب ــ أريحا
كاميرا سهام ترجمان ــ دمشق



قال المسيح عليه السلام :
« إجهدوا للدخول من الباب الضيق » .
عربية سورية مسلمة أنا ، مؤمنة بالنبي العربي المسيحي عيسى بن مريم ، الفادي العربي الأول .
صوفية العشق أنا . أعشق الذات الالهية . أعشق الأنبياء موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم .
أعشق الوطن ، وأعشق أمي الروحية ، دمشق ـ الشام ، قلب الحرية ، الخط الأول لحرية العرب .
أنحني وأدخل الى المستقبل العربي من الباب الضيق .

سهام ترجمان

أنا.. بنت أبي

أنا ... بنت أبي .

أبي ... بجهده المتواضع وحسّه العربي الوطني الفطري الشعبي العظيم ، تمكّن من مشاركة رفاقه من رجال الثورة العربية الكبرى ، في تحرير بلاد الشام من الحكم العثماني الطويل ، في حرب «السفربرلك» أثناء الحرب العامة الاولى . ودخل أبي الضابط والمقاتل والثائر العربي فهمي بن مصطفى آغا الترجمان مع نخبة من رجال الجيش العربي بقيادة الملك فيصل الاول فاتحا دمشق .

أنا مثل أبي أعشق الحرية والوطن وأعشق دمشق ، قلب الحرية ، أحاول بجهدي الفكري الادبي المتواضع أن أفتح بالقلم مع بقية الاقلام العربية المعاصرة الجادة ، بوابة الارض العربية المحتلة ، ننطلق بأسلحتنا من الخط الاول لجبهـة التحرير ، نتحرك باتجـاه الهـدف ، ضمن استراتيجية فكرية عربية ثابتة ، نتحرك نحن ، أقلام المعركة ضد العدو الاسرائيلي ، من دمشق ، خط الحرية الاول ، كي نحرر القدس وحيفا ويافـا ..



وزير الحربية السورية الشهيد البطل يوسف العظمة ٢٤ تموز ١٩٢٠
الفنان جورج درزي ـــ دمشق

أنا •• من جيل «بلاد العرب أوطاني» ، أغنيه نشيداً أبديا عربيا ، نشيداً وحدويا ، مع الشاعر والمناضل العربي السوري الوطني الوحدوي الأول فخري البارودي •

وأنــا من جيــل « حماة الديار عليكم سلام » أغنيه نشيدا وطنياً عربيا سوريا خالدا مع الشاعر العربي السوري القومي خليل مردم بك • أغني والسنون تمر ولا أنسى الرواد ، رواد الحرية وصانعي الاستقلال، ومفجري الثورات الشعبية ، وصانعي مجد الوطن ، قولا وفعلا ، شعرا وكفاحــا ••

أنا •• من جيل عانى قهر الاستعمار بعــد الفتح العربي ، ووعى مؤامراته ضد القضية العربية وضد الارض العربية سلبا ونهبا • فحفظ جيلي عن ظهر قلب تاريــخ الثورات السورية والثورات العربية حتى الاستقلال • ودخل الامتحان • ونجح في امتحان التاريخ •

أنا من جيل أفاق على المظاهرات الشعبية الوطنية في الثلاثينات والاربعينات ، واشترك مع الصبيان والبنات تلاميذ المرحلة الابتدائية ، طلاب المرحلة الثانوية ، مع النساء والرجال والاطفال ، مع الشيوخ من رجال الدين ، مــع التجار الكبار والباعة الصغار ، مع رجــال الشرطة ورجال الدرك ، مع رجال القلم ورجال السياسة ، مع ثوار الجبال وقادة حركات التحرير ، مع طليعة الوطن كنا نمضي بحس عفوي وغريزة وطنية ساكنة في النخاع الشوكي من أبنــاء الشعب ، نضرب عدونــا في قلب وطننا • ضربناهم جنود الاحتلال بالرصاص ، بالعصي ، بالحجــارة ، بالخطابات على المنابر ، بقصائد الشعر ، برثاء شهدائنا في ساحة المرجة ــ ساحة الشهداء تحت أراجيح الابطال ، ولحظة الدفن في المقابر •

أنا ابنة مدينة ذات كبرياء • أنا ابنة دمشق عاصمة الوطن ، انتمي الى رجل وطني ذي كبرياء • لست من « عائلة العظمة » ، لكني أعلن

انتمائي الى البطل الشهيد يوسف العظمة، هذا الرجل الذي يجسد كبرياء سورية في العشرينات • يوسف العظمة وزير الحربية زمن الملك فيصل الاول ، تعامل مع الاستعمار بشكل مختلف •

آثر الموت بشرف على الحياة بذل •

أعلن كلمته التاريخية في وجه الطغيان العسكري الفرنسي المحتل ، وقال : « لا » لن تمروا الى دمشق بسهولة •


آثر كلمة « لا » على دخول قوات الاحتلال الفرنسي عن طريق لبنان المحتل الى سورية هدف الاحتلال الثاني ، تحت وطأة الخضوع والذل والنعم سيدي • فأعلن للتاريخ من ميسلون بوابة الشام : لا •• لن تدخلوا دمشق الا على جثتي ، وليسجل التاريخ أن أهل الشام قالوا لا للغزاة المحتلين ، استشهادا وذروة كرامة وطنية • يوسف العظمة اكتشف عظمة « اللا » وسقوط « النعم » •

أنا من جيل يتذكر التاريخ جيدا ولم يفقد ذاكرته بعد رغم تراكم السنين والاحداث •

قال الملك فيصل الاول لوزير حربيته الفذ يوسف العظمة : هل تريد أن تنتحر أنت ورجالك ؟ عدتكم وعددكم قليل ، والجيش الفرنسي القادم يعد بالآلاف عدة ورجالا ، هل ستقابل الدبابات بالبنادق والرصاص وأجساد جند الوطن وهم قلة ؟

رد البطل يوسف العظمة بأن الشهادة شرف معركة ميسلون ، ويكفي أنها ستعلم فرنسا المستعمرة أن الشعوب الحرة ستختار واحدة من اثنتين الشهادة أو الحرية •

أنا من مدينة ذات كبرياء ••• أنا من وطن ذي كبرياء •• أنا أنتمي



ساحة المرجة في دمشق في العشرينات ــ لفنان مجهول

الى يوسف العظمة • أعاني وقد أموت ولكن بكبرياء • والموت بكبرياء مسألة مختلفة • انه قيمة • انه بكلمة واحدة ، ولادة جديدة وحرية متدفقة •

أنا من جيل عانى وجع الهلع والرعب من النار تتساقط فوق بيوت الشام وأهلها وأسواقها وأحيائها وبرلمانها وقلعتها عام /١٩٤٥/ • كنا نسمع صوت انفجار القنابل ونبكي هلعا نخفي وجوهنا في أحضان أمهاتنا •

وأنا أنا نفسي من جيل عرف الفرح بعد القهر ، والأمان بعد الرعب ، والسلام بعد الحرب ، والحرية بعد الاحتلال ، جيل سهر حتى الفجر مع الأجداد والأحفاد والآباء والأمهات ، يرقص ويغني في عرس الوطن « عرس الجلاء » والاستقلال في ساحة المرجة ساحة شهداء السادس من أيار • وكان السابع عشر من نيسان ربيع عام /١٩٤٥/ ، منعطفا ضاويا الى مستقبل جيلي الذي يعرف تماما معنى عشق الوطن •

أنا من جيل الوحدة بعد الحرية •

حلم جيلنا بالوحدة بعد الحرية ، وعاشها محققة ووعاها حقيقة وخارطة وعلما • فرح بها جمهورية عربية متحدة ، وحدة عربية أولى بين سورية ومصر في تاريخنا العربي المعاصر ، وبكاها انفصالا بين سورية ومصر ، وحلما متناثرا وخارطة ممزقة ، وصدمة موجعة وقهرا ساكنا ورفضا دائما ، وحلما مستقبليا شاملا •

أنا من جيل شهد حرب النكسة ـ الهزيمة ـ الفاجعة في الخامس من حزيران عام /١٩٦٧/ • رأى وسمع ما لم يتوقع ، وصدم حتى العظم بوجوه أبنائه الأعزاء من المقاتلين العرب على الجبهات الثلاث مع العدو ، تحترق بفعل قنابل النابالم في الصحارى والبراري والجبال ،

وصدى أصوات الاذاعات العربية يلعلع في الأجواء العربية المهزومة ، يردد بأننا أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط !!! واننا لولا دهاء العدو وتجسس « ليبرتي » الأمريكية على هواتف القادة ، ولولا الخيانة وضرب الطائرات المصرية ، ولولا مساعدة أمريكا لاسرائيل عسكريا ، ما انهزمنا !!! وان ما حدث ليس هزيمة ولكنه نكسة !! وبدأت عملية اختراع التسميات الجديدة لتغطية الخسارة الكبرى في الأرض والرجال والكرامة . ورفض جيلي التبريرات ، وبدأ يعيد النظر في كل ما يسمع ويرى ويقرأ على الساحة العربية ، ولجأ الى الصمت بعد الكلام والى السكون بعد الحركة ، والى الانتظار بعد الانفعال ، وصارت أمنية أن تغلق الاذاعات العربية أبوابها حتى اشعار آخر ، وتفتح الكليات العسكرية العربية صفوفها ، حتى التحرير .

أفاق جيلنا على الخيانة ، خيانة العرب لأنفسهم أولا ، لاستغراقهم الكلي في اعجابهم بأنفسهم ونومهم على حرير الكلمات يطلقونها هم مدحا بأنفسهم ، تسكرهم الجمل العاطفية الرنانة ، يطلقون الكلمة ويسكرون بها وينتشون ، كمن يشرب الحشيش ليخدر وعيه أملا في نسيان الواقع المؤلم ، واقع العدو الأقوى ، واقع الاحتلال ، دون أدنى محاولة للخروج من دائرة الذات الضيقة ، يقهرها تفوق الغرب العلمي، وقدرة العدو على الضرب بلا رحمة أولا ، والقدرة على معرفة أبعاد قوتنا العربية ثانيا، والاستعداد الدائم لاعلان ساعة الصفر بقوة مدروسة مدمرة ثالثا ، تقف الى جانبه أمريكا بكل ثقلها رابعا .

أفاق جيلنا على الصدمة . أيقظه العدو قبل الصديق . ويبدو أنه كان لا بد من عدو كي نستيقظ وتتحد ونستعد وندخل معركة تحرير الشرف العربي أولا والكرامة العربية ثانيا ، والأرض العربية ثالثا .

فالأرض الحرة بحاجة الى نفس أبية حرة أولا . الأرض تأخذ

قيمتها من الانسان ، والانسان يأخذ معناه من الأرض • وكان لابد من تصحيح هذه المعادلة بعد هزيمة حزيران •

أنا أنا نفسي من جيل فقد ايمانه بالكلام في هزيمة حزيران ١٩٦٧ واستعاد ايمانه بالعمل في حرب تشرين ١٩٧٣ • فقدت ايماني بأي نوع من أنواع الكلام والدعايات فآثرت لنفسي ولغيري الصمت على الكلام، كنت أتمنى على قادتنا العرب أن يؤثروا العمل بصمت ، وتجلت لي الحكمة العربية الشعبية، «اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب» ، وتمنيت أمنية ذهبية أكاد أجزم أنها مستحيلة على العرب ، وصرت أبحث عمن يحقق لي أمنيتي في عصر الكلام والصور المتحركة ، وأنادي مع المنادي : من يحقق لي أمنيتي ويأمر فورا وحتى اشعار آخر باغلاق الاذاعات والتلفزيونات والصحف والمجلات ومنابر الخطابات العربية جميعا ويحرق الصور والشعارات العربية المتناقضة ، ويمنع الكلام دون الفعل الجاد منعا باتا تحت طائلة عقوبة الاعدام ••؟ من ••؟ من يحقق لي أمنيتي ويلبي لي طلبي ، ويعيد خارطة الوطن العربي الى أصولها ، وحدوية واحدة موحدة لا عدو لها الا العدو الاسرائيلي أمامها •••!؟ من ••• من هو البطل العربي المعاصر الذي سيحقق المعجزة ، فيعود بالذات العربية الى صوابها ، يعدّها لطريق التحرير والوحدة ، يعلمها أبجدية عصر القوة والذرة والتكنولوجيا المعاصرة وحرب النجوم كيف تكون ، علها تلك الذات العربية ، تحرق المراحل وتعوض التقصير الكبير ، فلا يعود أبناء الأجيال العربية القادمة يخرجون في المظاهرات والمسيرات يلوحون بأيديهم يطلقون الشعارات ضد الامبريالية والاستعمار والحرب الصليبية المعاصرة على يد الصهيونية العالمية ، يشاركون في جنازات وتشييع الشهداء وهم يبتسمون لعدسات التصوير وكاميرات التلفزيون ، يتدافعون بالمناكب كي تظهر رؤوسهم ووجوههم وابتساماتهم وذواتهم الضعيفة على الشاشة الفضية في نشرات الأخبار

المسائية، ويتحقق هدف التحرير ، ويصبحون نجوما تلفزيونيةسينمائية لامعة ، وتظهر أسنان مخترعي التكنولوجيا ومصدري أجهزة الفيديو الى دول العالم الثالث ، ويضحك سن اسرائيل الذهبي مـن سـذاجة العـرب !!٠

أنادي ٠٠ من ينادي معي ٠٠ حتى نعثر على من يصدر أمرا باغلاق دور تقوية الحس النرجسي العربي أمام مرآة نبع الحياة العربية ، هل من يسمع ؟ هل من يقرأ ؟ هل من يرد ؟ هل من يفهم ؟ هل من يفعل ؟

أنا أنا نفسي من جيل شهد المظاهرات الوطنية ضد الاحتلال قبل الحرب العالمية الثانية ، جيل عاقد الحاجبين ، وها أنا أنا نفسي أشهد جيل المظاهرات العربية لشباب يبتسم لكاميرا التاريخ مع أنه يخرج الى الشارع العربي تعبيرا عن الغضب وأي غضب !! لست ضد التكنولوجيا، لكني هنا ضدها ، لأنها قد خربت من الداخل انسجام الذات العربية مع ذاتها ، أريده غضبا حقيقيا جادا في لحظة الغضب ، وأريده فرحا حقيقيا خالصا في لحظة الرضى ٠

أنا من جيل أكل الضربة في حزيران ، وثأر لشهداء وجرحى وأسرى ونازحي ومنكوبي الخامس من حزيران، وقد كانوا بحجم المأساة يبكون بلا دموع بيتا ضائعا يحنون الى أرض محتلة ، يتحفزون لتطهير أرض مدنسة ، يتحرقون لاسترداد كرامة مهدورة وشفاء بشرة محترقة وروح محترقة وقلب مجروح ، بعقل مفتوح لن تتلاعب ولن تلعب به بعـد حزيران مايكروفونات الاذاعات العربية ٠

أنا ٠٠ ومن أنا ٠٠؟

أنا شاهدة على عصري ٠

أنا من جيل تعمد بنار الثأر ، بنار اللحظة التاريخية ٠



العماد مصطفى طلاس نائب القائد العام للجيش والقوات المسلحة ، وزير الدفاع ، في مكتبه .
كاميرا الفنان حسن مرشد ـــ السويداء

أنا من جيل شهد في تمام الساعة الثانية والثلث بعد ظهر يوم السبت السادس من تشرين الأول عام /١٩٧٣/ م يوم العاشر من شهر رمضان عام / ١٣٩٣ / هـ ثأر العرب الأشراف لكل العرب الأحياء منهم والشهداء •

وتحققت أمنيتي رقم /١/ ، وتفجرت ساعة الصفر العربية وردت الروح • وردت للعربي في الوطن الأم ، كرامته ، وردت الروح للعربي في المغترب على سطح العالم •

وتحققت أمنيتي رقم /٢/ بشكل جزئي لا كلي ، وكان حجم الاعلان عن الخسائر العربية والأرباح العربية في المعارك ، بحجم الحقيقة سلبا وايجابا • وخف التهويل والزعيق والبعيق والاستعراضات العضلية في الاذاعات العربية •

وصرت أنا من جيل ركب العربة ذات الحصانين العربيين ، وعبر المنعطف الخطر في حرب تشرين باتجاه المستقبل الأفضل • وردت الروح لي • وخرج قلمي المتواضع من ظلمة الروح ••• يخربش خربشات طفلة تحاول أن تعبر عن أفراحها وأحزانها في زمن الحرب ، وبعد مرور أكثر من ذكرى على الحرب ، تارة تغرق في نشوة النصر سكرى بفعل الثأر من العدو ، وتارة تطفو على سطح الحقيقة العلمية ، تقول الحقيقة ولو كانت مرة ، وتسجل الرأي ولو كان مناقضا لآراء الآخرين ممن هم أكبر منها وأقوى وأشد علما وسلطة ووضوح رؤيا ، يلومونها لو قالت أن نصر تشرين نصر مبدئي ، وانها تريده نقطة مضيئة على درب التحرير ، لا محطة نهائية تراوح عندها قطارات الفرح وتصفر احتفالا كل عام وكأنها آخر معارك العرب • بعضهم الآخر يؤيدها يثني على كلامها ، يقف معها والى جانبها داعيا الى احترام نظرتها المستقبلية الموضوعية •

أنا في كتابي « جبل الشيخ في بيتي » لست الا شـاهدة على عصري • ولا أدعي أني قلت الحقيقة كل الحقيقة والحقيقة مثل الليرة الذهبية بوجهين ، ولا أحد يرى الوجهين معا • والحرب التشرينية مثل الليرة الذهبية بوجهين أحدهما لا يلغي الآخر ، وطالما أننا اعترفنا أنها معركة النفس الطويل ، فما علينا الا أن نستدرك ما فاتنا منها ، بمـا سيأتي لاحقا بها نابعا منها مكملا لها ، محققا أهدافها الكبرى •

والحلقة الأخيرة من سلسلة الحرب اللبنانية ، الحلقة التي انطلقت من الجنوب اللبناني تعلن للعالم هبوب « الريح الالهية العربية » ضد العدو الاسرائيلي ، نارا مشتعلة وفداء ليس بعده فداء تقدمه نخبـة طليعية من شابات وشبان المقاومة العربية اللبنانية ، ما هي الا ثمرة من ثمار حرب تشرين التحريرية التي أعلنت ولادة الكرامة العربية في القرن العشريـن •

أنا في كتابي ، لست الا شاهدة على عصري ، ولا أدعي أبدا أنني أضفت جديدا • مهمتي كما راق لي أن تكون ، هي مهمة تسجيلية لعواطف وأفكار وانطباعات وتفاعلات وتأمـلات فردية بحتة ، ترصد أفراحي وأحزاني واستنتاجاتي في أيام حرب تشرين والسنوات التي تلت تلك الحرب ، كما هيأت لي ظروفي المتواضعة انسانة عربية سورية من الطبقة الشعبية ، واحدة من المواطنين البسطاء ، رقم حزين ــ متفائل ، ساكن ــ متفاعل ، ميزتي عـن بعض المواطنين التي هيأت لي أدوات القدرة على التعبير عن نفسي وعن الرأي الشعبي العام ، هي أني كاتبة أولا ، أرملة ضابط عربي سوري شهيد ثانيا ، موظفة في الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة في مجال الاعلام والثقافة العسكرية ثالثا ، مما وضعني في الصورة بشـكل أفضل وهيأ لي التفاعل والحوار مع المقاتلين العرب السوريين والمصريين على خطوط الجبهتين في الجولان وجبل الشيخ وخط بارليف وسيناء ، بشكل أكثر صميمية وحـرارة

ومباشرة • وكان قلبي قبل قلمي وعقلي هو الكاميرا رقم واحد • وسجل أدق التفاصيل وأقل الكلمات وأشرف البطولات في الحرب • ومن هنا بدأت ولادة « جبل الشيخ في بيتي » •

عشت أيام الحرب ولياليها ، لحظة لحظة وكتبت عنها في ضوء كاز أو في ظل شمعة •

عشتها بدءا من اعلان ساعة الصفر وحتى اليوم ، حربا ذات بعد هام ، منعطفا بين تاريخين معاصرين جدا ، الماضي القريب والمستقبل القريب • وأهم ما في حرب تشرين في رأيي الشخصي ساعة الصفر ، ساعة الغفلة • تلك الساعة التي أعلن فيها العرب للمرة الأولى ، الحرب على اسرائيل بعد هزيمتهم الساحقة في حزيران ، فقضوا على عقدة اسرائيل التي بهرت العالم الغربي ، عقدة تفوق الثكنة العسكرية الاسطورية، الدولة الصغيرة التي غلبت الدول العربية مجتمعة• وشهق الغرب للأسطورة المعجزة وللطفلة المدللة التي انتقمت أخيرا من النازيين فهزمت العرب وبنت وطنا لها في قلبهم • الحرب قضت على عقدة اسرائيل في نفوس العرب أولا وفي نفوس من يمجد اسرائيل ثانيا •

وأعتقد أن هذا الانجاز وحده لحرب تشرين يكفيني ، لأنه باب عريض فتح أمام جيلي والأجيال اللاحقة آفاق المستقبل عبر دخول عربة حرب التحرير الشعبية العربية الى جانب الحرب التقليدية النظامية المبرمجة سياسيا وديبلوماسيا وعسكريا •

وبعد عودة الكرامة ، لا بد أن تعود فلسطين العزيزة ، لا بد أن تعود القدس • لا بد أن تعود طبريا والحمة وفيق وبانياس ، لا بد أن تعود سيناء من معسكر كامب ديفيد •

اني أسمع صدى حرب تشرين عام /١٩٧٣/ ، في الأجواء العربية،

وعلى رؤوس جبال لبنان وفي أعماق وديانه وعلى امتداد سهوله • وكأني بلحظة تحرير الأراضي العربية المحتلة قادمة من الجنوب اللبناني •

اني أسمع هدير شلال الدم العربي الشاب ، اني ألمح ألسنة النار تهب من فوهات الشرايين العربية الصاخبة الثائرة الممتلئة بمشاعر الكرامة، اني أسمي حرب تشرين عـام ١٩٧٣ ، بوابـة الكرامة على المستقبل العربي • وأنا لست كاتبة على المستوى الستراتيجي مثل المفكر الفرنسي جورج بوي ، كي أقيم الحرب ونتائجها العسكرية ايجابا مع العرب وسلبا ضد اسرائيل على المدى الطويل • أنا لا أملك أن أقرر في كتابي أنها معركة المعارك مثل حطين• ان حطين عربية قادمة سوف تأتي وتكون السيف الفاصل بين الآراء كل الآراء والنظريات • لا أجرؤ أن أقول عنها الا أنها نقطة مضيئة في خط نام نحو الهدف ، التحرير الكامل •

لن أقول أننا بها انتصرنا على العدو وقضينا عليه والعدو ما زال يحتل جزءا من سورية وجزءا من الاردن وجزءا من مصر وجزءا من لبنان وفلسطين العزيزة كل فلسطين العزيزة • وأيضا لن أقول أننا في تشرين راوحنا في مكاننا ، بل حققنا بعض الانتصارات العسـكرية وبعض الانتصارات المعنوية ، وخسرنا كثيرا من الأرض وكثيرا مـن الرجال وكثيرا من الأحلام ، وربحنا أنفسنا •

كتاباتي أثناء الحرب وبعدها كان فيها شيء كثير من طيبة القلب العربي وسذاجة المشاعر العربية وحلاوة الحلـم فيها ، وكانت مرآة لذاتي وذوات من هم على شاكلتي من أبناء شعبنا العربي ، وفي طليعتهم قادته وعسكريوه وديبلوماسيوه وسياسيوه ومثقفوه واعلاميوه ومفكرو الستراتيجية فيه • وكنت وكانت كتاباتي الوجدانية عن الوطن في زمن الحرب والسنوات التي تلت مرآة تعكس المد والجزر ، بين حالتنا ونحن نسكر نشوة بانجازاتنا الصغيرة ونقف عندها نراوح فوقها كجندي غر



العلم العربي السوري على بوابة السفارة السورية ــ باريز
كاميرا سهام ترجمان ــ دمشق

أعجبته لعبة المراوحة ، وبين حالتنا ونحن نصحو من سكرة الانتصار الجزئي سعيا وراء عمل نستعد به لأية مفاجأة محتملة من عدو لئيم لا ينام ، يريد أن يحقق حلمه الأسطوري بأرض الميعاد فوق أرضنا من الفرات الى النيل ، يركب صاروخ التطور التكنولوجي العسكري ، يعد لنا مفاجأة جديدة قد تسحب البساط العربي الأخضر تحت أقدامنا قطعة قطعة ، بينما نحن ما زلنا نقول مع الفنان دريد لحام كاسك يا وطن !!! ونصفق بأكف لاهبة في احتفالات ذكرى جديدة لوقائع حرب السادس من تشرين عام /١٩٧٣/ عندما استرد جيشنا العربي قمة جبل الشيخ واحتل المرصد الاسرائيلي ، وعبر القناة وكسر خط بارليف ودخل سيناء .

هي محاولة جديدة مني لرصد الماضي . فعلاقتي بالماضي عاطفة تلفها رعشة الرهبة يدق فيها نبض التقديس ، تضمها تعانقها يدا الحب والمجد . حيوية اللحظة الماضية لا تموت في ذاكرتي الحية ، ترفد لحظتي الحاضرة كالنهر تسقي لحظتي المقبلة كما المطر واعدة اياها بمزيد من ماء الحياة وكثير من ديمة الأمل .

مؤمنة أنا جدا بجدلية التاريخ وأهميتها . الماضي ضرورة الحاضر ، والحاضر حتمية المستقبل . والتاريخ هو أستاذ الأساتذة . ولا نجاح لخطط المستقبل ان لم نعتمد أخطاء الماضي ونوظف انتصاراته .

جملة شعبية سمعتها عرضا لا أحلى ولا أكثر بلاغة تختصر حالتنا عربا بلا هوية الا هوية عروبتنا ، كانت هي الجواب الفطري على سؤال نقدي غير فطري ... ماذا أعطتنا حرب تشرين ؟ الجواب الشعبي : ردت لنا الروح . اكتفيت بها وحملتها مشعلا مضيئا في ليل المستقبل الغامض .

السؤال الحتمي أتوقع ولادته اثـر كتاباتي العاطفية عن حرب تشرين :

وبعد !!؟ تخرجين بكتاب يحمل يومياتك وانطباعاتك وتفاعلاتك وحواراتك مع العسكر بدءا من هزيمة الخامس من حزيران ، انتهاء بحرب السادس من تشرين الأول ، التي حررت جزءا من أراضيناالعربية المحتلة ، وعجزت عن رد ما تبقى ، بالاضافة الى سقوط جبهة مصر في مصيدة كامب ديفيد ولعبة السلام مع العدو •!! فما هو بالضبط الذي أوصلتنا اليه هذه الحرب التي نحتفل تمجيدا لها كل عام ، وها أنت تطلعين علينا بكتاب يجمع مقالاتك حولها ويكرسها قمة لمعارك العرب مع العدو ، وكأننا بها دخلنا فلسطين !!؟ ما الجديد في كتابك ؟ لم نعد قادرين على احتمال اجترار أمجاد ماضينا العربي لا البعيد ولا القريب • ما هي نظرتك المستقبلية لقضيتنا العربية الكبرى مع اسرائيل ؟ هـل عندك من جديد ؟ كنا زمن الحرب حزمة واحدة ضد عدو واحد ، تماما كمـا كانت تقول جـداتنا العربيات في الصحارى والجبال والبراري والحقول والشواطىء والقرى والمدن ، على ضفاف الأنهار والينابيع وعلى شواطىء البحار والبحيرات •

صرنا في هذا الزمن وقد مضى على الحرب اثنتا عشرة سنة ، كل عصا في واد ، وهناك على قمة جبل الفرقة العربية ينتصب العسـكري الاسرائيلي الصهيوني يقهقه ضاحكا مثل شمشون الجبار ، من سذاجة الاخوة العرب وقـد سقطوا في اللعبة الاستعمارية الجديدة ، يرقص طربا من ملامح إنهيار أخلاق أولاد العم في القبيلة العربية الواحدة !؟•

البساط العربي الأخضر ينسحب « بحيث رقة » كما يقول عامة العرب من المحيط الأطلسي الى الخليج العربي ، وعلى امتداد خارطة

حلم الرواد الأوائل الذين غنوا من سورية « الوحدة العربية » نشيدا قوميا خالدا ، فرددوا وردد معهم التاريخ :

بــلاد العــرب أوطــاني مــن الشــــام لبغــدان

ومــن نجــد الــى يمــن الــى مصــــر فتطــوان

ونحن العرب ، تتدحرج وكؤوس الويسكي في أيدينا كالهنود الحمر ، الى الوراء الى عمق الصحراء والتصحر ، نسلم السجادةالنفيسة التي حاكها الأجداد العرب أيام المسيح العربي عليه السلام ضد اليونان والرومان ، وأيام النبي العربي محمد عليه السلام والصحابة من قــادة الفتح الاسلامي ضد المستعمر البيزنطي ، وأيام من جــاء بعدهم مــن ثوار الوطن وقادته ورجالاته خلال سني الاحتلال والاستعمار • سنعود الى الصحراء ، ولن نعود بدواً أصلاء حقيقيين مثل أجدادنا رعاة غنم وشعراء وفرسانا وبناة حضارة ، بعد أن زحلقتنا«قشرة موز» الحضارة الغربية ــ الصهيونية ، وتعودنا ركب المرسيدس بدل الجمال ، ولعب القمار بدل صناعة السيوف ، والسكن في بيت من حديد واسمنت بدل بيت الطين وخيمة الشعر ، والتنفس عبر مكيف الهواء بدل النســمة العليلة القادمة من رحمة السماء ، والتفرج على أفلام الاثارة الجنسية عبر الفيديو بدل البكاء شعرا على أطلال الحبيبة الراحلة •

أعرف السؤال ، الى أين وصلت بنا حرب تشرين ؟

وأتساءل : هل الخطأ في الحرب أم فينا نحن العرب ، وهل تفرز الحروب كل الحروب عسلا دون العلقم ؟ وأعرف شيئا آخر أيضا هو أن نكون صادقين مع أنفسنا ونعترف : وهل يعني شيئا أن نكتب اليوم تمجيدا لحرب مضت ، أما شبعنا غناء بأمجاد ماضينا القريب في حرب هي بــين النصر والهزيمة • هي بــين الكر والفر ، هي بــين الهجوم

والانســحاب ، هي بين الربح والخسارة ؟ والناس في الغرب يقرؤون ويكتبون عن صدمة المستقبل ؟؟

لست أدعي قدرة على تقييم أبعاد الحرب ، والمراقبون السياسيون والمفكرون الاستراتيجيون والديبلوماسيون والمثقفون عربا وأجانب قد أشبعوها قدحا ومدحا ، تحليلا وتركيبا ، انما المسألة في أعماقي لاتنام ، والقضية في ذاكرتي لا تنسى ·

لست أدعي الأستذة رغم ما مر في كتاباتي عن حرب تشرين من جمل انشائية ساذجة تقرر في تلك السنوات ، سنوات الحرب ، ما هو كائن ، وتنادي بما يجب أن يكون ، ترسم الصور الخاطئة بدقة ،وتطرز ملامح الصواب بمهارة ، وتدق الأجراس منذرة بالويلات ان نامت أعين العرب يوما عن نصر صغير أحرزوه في موقعة ما ، في أرض ما ، في موقف ما ، في زمن ما · أدق الأجراس لأوقظ النيام في عصر الصحو المطلق على كنوز الأرض العربية في عقل الغرب الذي لا ينام ·

نهم غربي معاصر ، يكمل جدلية التاريخ الغربي الذيبدأ باحتلال اليونان والرومان والبيزنطيين لأراضينا العربية وبحيرتنا العربية الكبرى ــ البحر الأبيض المتوسط ــ ، ويزول الاستعمار الأوروبي الروماني ليعيد الكرة في استعمار أوروبا لأرضنا العربية عبر الحروب الصليبية ، واستمرت جدلية التاريخ ، وعادت أوروبا في أوائل القرن العشريــن لاحتلال أرضنا للمرة الثالثة عبر حصان طروادة ممثلا باسرائيل ·

نهم غربي أبدي وطمــع غربي لاينتهي بكنوز أرضنا العربية ، مدعوم بتكنولوجيا غربية ، تحارب فينا في كل عصر وزمان تمسكنا نحن العرب ، بالارض والســماء ، بالارث العربي المادي والروحي ، تفرحنا في العصر الراهن بعلبة البيرة والســيارة وأفلام العهر ، تغرقنا

بعسل المتعة الجسدية الآنية دون المسرة الروحية الانسانية ، تبهرنا بتطورها العمراني البرجي والكمبيوتري والفضائي ، توسع المسافة بين طموحاتنا وأهدافنا ، نسير خطوة باتجاه التقدم التكنولوجي ، فتسبقنا وتسبق بقية الشعوب الناهضة في العالم بأميال الى الفضاء الخارجي ، تهددنا بالابادة وحرب النجوم ، تدمّر مدينتي هيروشيما وناغازاكي في الحرب العالمية الثانية انتقاما من بطولة وهجوم طياري الكاميكاز « الريح الالهية » في اليابان على حاملات طائراتها التي كانت تهدد اليابان والفيلبين والشرق الاقصى كله ، تلوح لنا بالعصا ، ترعبنا بنتائج الحرب الذرية ، كي تربينا ، ولكي تضمن سلوك الصغار الضعفاء العاقلين . نحرك دبابة من مكان سري فيأرضنا الى مكان آخر ، فتشعرنا أن أقمارها الصناعية ترصدحركاتنا وسكناتنا كما رصد نابليونبونابرت حركة النمل . لكن نابليون تعلّم من النمل سر العمل ، والغرب الاستعماري المعاصر لم يتعلّم بعد سر حركة النمل العربي المعاصر الصاعد حتما الى الوحدة الشاملة . تأكد لي بالدليل القاطع ، ان اكثر أجيال الغرب المعاصر تجهل جهلا كليا موقع خارطتنا العربية ومعنى كلمة وطن عربي . يندهش الغرب ان رأى بعضنا يرتدي ملابس العصر ويأكل بالشوكة والسكين ، ويتقن لغة غير لغته الأم ، ويحفظ عن ظهر قلب تاريخ بقية الشعوب ، ويعرف تفاصيل خارطة أوطانها نهرا نهرا .. جبلا جبلا . يندهش الغرب ولا يصدق عندما نحاوره بمنطق العلم وفلسفة أرسطو وابن رشد ، بالاتقان نفسه الذي نقود به طائرة حربية أو جامبو جيت وبالمهارة نفسها التي ننقذ بها رجلا أوروبيا بترت يده في مصنع عربي يقع في قلب الصحراء العربية ، يعيدها للحياة ، مبضع جرّاح عربي عبقري سافر من البادية الى الغرب وعاد من الغرب الى البادية ليسهم في خدمة الانسان في وطنه عربيا كان أو أجنبيا . الغرب لايدرك حجم المستقبل العربي ، مازال يعتبرنا بدواً يسيرون خلف الجمال تسير وراءهم ووراء الجمال قافلة الحريم ، المفاجأة للغرب سوف تأتيه من العرب رغم

محاولاته للقضاء على قوتهم الكامنة في وحدتهم ، وثرواتهم وحضارتهم. الغرب له مهمة كبيرة في وطننا هي مهمة « فرّق تسد » . ان حربه المعاصرة حرب تعتمد الدهاء ، تعتمد بث الفرقة الطائفية بين أبناء العم بين الاخوة في البيت الواحد ، بين أبناء المجتمع العربي الواحد ، وبعث الطائفية السياسية في الوطن الواحد ، والشاطر من يكشف اللعبة ويكشف بطلها الامريكي اليهودي الأصل الذكي جدا الخبيث جدا ، وزير الخارجية الامريكية السابق هنري كيسنجر. تحاول لعبة كيسنجر الخطرة جدا المعقدة جدا البسيطة جدا أن تقضي على العرب بأيد عربية صرفة !! دون أن تدفع قرشا واحدا ، فتنقذ اسرائيل نتيجة الاقتتال الطائفي العربي !! وتستقر اسرائيل وتنام على الحرير دون أن تطلق رصاصة . انتهت اللعبة . لم تربح اللعبة الا ربحا مرحليا . وبدأت يقظة عربية جديدة . وهبت الريح الالهية ، وفوجىء كيسنجر وفوجئت اسرائيل بنتائج لم يتوقعها الحاسب الاليكتروني ـ الكمبيوتر الامريكي.

وهرّ زهر الليمون والبرتقال والنارنج ، وتساقط زهر الدفلى وزهر الياسمين وزهر اللوتس، وتساقط الشبان من كل قرية ومدينة، من كل دين وجنس ، من كل حزب سياسي في اليمين العربي او في اليسار العربي ، وتفجر ديناميت العرب بكل أديانهم وطوائفهم وفئاتهم واتجاهاتهم وطبقاتهم وأعمارهم في وجه العدو ، وسقطت لعبة الطائفية . شكرا لله. وكل شاب من شبابنا وكل شابة من شاباتنا وردة لاتقل قدسية وعطرا وانتماء عربيا وطنيا قوميا عن الأخرى . شكرا للريح الالهية العربية المعاصرة تهب من الشرايين لتحمي سماء الوطن .

أين نحن من أهداف حرب التحرير العربية الشعبية ؟ هل قامت لتفرقنا أم لتجمعنا ؟ وهل تمكن العدو الصهيوني الذئب المعاصر من

افتراس « ليلى العربية » بعد أن سارت أشواطا في ليل غابة الاستعمار وكشفت سر الغابة وخدعة النظارات والقبعة ؟

هل أنا المسؤولة وحدي عن الاجابة ؟

هل أنا قادرة على الاجابة ؟

وهل فرحي الشعبي القطري الصغير بانتصار الكرامة العربية ، أمام أعين العالم كله في حرب تشرين ، يبرر كتاباتي عن حرب لم تفرز حتى الآن سوى شعور موضوعي بارتداد جزء من الكرامة العربية ، وبعضا من أراض عربية كبيرة مازالت محتلة ، وكثيرا من المآسي الانسانية لمواطنين عرب على الجبهات العربية في سورية ومصر والاردن ولبنان ، صاروا نازحين في الوطن بدل مواطنين ؟

وهل أنا قادرة بكتاباتي العفوية ، كاتبة تحارب العدو بالقلم وتحارب الحرب بالأمل ، وتحارب الشر بابتسامة ، وتحارب الامس بالغد ، وتحارب الغدر بالحب ، هل أنا قادرة وحدي على ردّ القضاء والقدر ، وايقاظ العرب من نوم جميل في فندق الاحلام والرومانسية ، ومن الغيبوبة الكلية في مفاتن الغرب ؟

وهل من مبرر لكتابي وكتاباتي عن حرب ماضية ؟ وهل هي الاّ رصد للماضي ومراوحة في الزمان الغابر ، وبكاء على الاطلال وانشاد الأناشيد واطلاق أشعار المديح للسلطان العربي ؟ وهل أنا الاّ كاتبة أو شاعرة تغني وآلة العود في يدها تعزف لحن المديح على أعتاب « القصر الملكي » أملاً في كيس الذهب ؟ حتى يظل السلطان يجتر أمجاده وينظر الى نفسه في المرآة ، فأصبح أنا شاعرة القصر ، ومن أنا الاّ شاعرة توقع السلطان في فخ الاعجاب بالذات ، تسهم في سقوطه ، وعصرنا

بحاجة الى كتّاب مخلصين جادين ، الى شاعر ، والى كاتبة تحفز « السلطان » على تجاوز ذاته ونرجسيته ، وتجاوز انتصاراته الى انتصارات أكبر !! تحترمه تحبه تنبهه الى أخطائه قبل مزاياه •

لا ••• لست أنا •

المسألة أخطر بكثير •

كيس الذهب لي ، لن يرجع الأرض لأمتي •

وبيت من الاسمنت في « المزة » في دمشق الجديدة ، لايعيد لي شهيدي ولا سعادتي ولا أطفالي الشهداء الضائعين في معركتي مع الحزن الطويل • وشهداء الوطن العربي في معاركه الماضية لن يكونوا ضحية جشعي الفردي لمزيد من ترف الحياة والشهرة عبر جائزة الكتاب « قصيدة المديح » للسلطة والسلطان •

لا ••• لست أنا •

حرب تشرين التحريرية تستحق وقفة تفكير واحترام ، يستحق أبطالها من يشهد لهم بالبطولة ، من يسجل أسماءهم بمداد الذهب •

مهمتي هي الانصاف •

حرب تشرين التحريرية ان لم تعط العرب حتى الآن الا" فورة دم الكرامة العربية في شرايين الشابات والشبان العرب في الاقطار العربية بدءا من فلسطين مروراً بسورية انتهاء بالجنوب اللبناني • لكفاها مجدا ، ولما انتظرت فردا عربيا مثلي ليكتب •

وليشهد التاريخ ، آثارها ، حرب تشرين الاول عام / ١٩٧٣ / ، مع مطلع عام / ١٩٨٥ / ، ثورة عربية لا أعظم ولا أنبل ، استشهادا

عربيا شابا يذهل الكون ويحير العقول الالكترونية في مصانع الموت الغربية لافناء البشرية : المعركة أعطت القيم التالية :

الفرد هو الاهم وليس الآلة .

الحق أولا وليس القهر بالقوة .

العدل أولا وليس السلم بالمؤتمرات ــ المؤامرات ــ الاتفاقيات .

هل أقول من جديد ؟

هل آتي بجديد يلقي ضوءا على مستقبلنا ؟

هل أنا الا" قلم يسجل لحظة مضيئة لشرق عربي ، لقنديل عربي جديد سوف يقلب الموازين في المنطقة ؟ نور هذا القنديل سوف يرد الروح الى الصدور العمياء ، ويبعث الامل في القلوب الصابرة . زيته هو دم الشباب العربي النقي ، بعد أن ردم شبابنا التراب يأسا من استعمال زيت آبار البترول العربي ، سبب المشكلة اصلا .

في مطلع حياتي الادبية ، وفي الايام الاولى من علاقتي الثنائية مع القلم والقارىء ، وفي شهر ايار منعام / ١٩٥٦/بعد تخرجي منجامعة دمشق ــ قسم الفلسفة وعلم النفس ، وتعييني موظفة في وزارة الدفاع، محررة ومذيعة في الفرع الثقافي العسكري ، كان لابد أن أكتب للجنود قر"اء « مجلة الجندي » مقالي الاول . فماذا أكتب لهم ...؟ دلتني قريحتي على الموضوع رقم واحد بالنسبة لهم . كانت غايتي ارضاءهم . ودون أية خلفية ثقافية عسكرية أو غير عسكرية الا" ثقافة كتب الفلسفة، تفلسفت ... وكتبت لهم عن الحرب ، متسائلة هل نحن على أبواب حرب عالمية جديدة ؟

تلك البداية كانت هي المفتاح الذي فتحت به بوابة «جبل الشيخ» بطل هذا الكتاب . أقدم مفتاح بوابة جبل الشيخ الى وطني الى «حبيبي» الذي علمني بتضحيته في حرب تشرين عند أعتاب جبل الشيخ كيف يولد الرجال وكيف يصير الحبيب وطنا وكيف يصير الوطن عشقا ولا عشق أكبر ، وصارت قضيتي المستقبلية ، ان احمل الوطن في ضلوعي وامضي ، تماما كما كنت طفلة صغيرة أحمل الوطن في قلبي وأحبو .

دمشق ـــ ١ ايـــلول ١٩٨٥

★ ★ ★

الفصل الأول

نشيد بلاد العرب أوطاني

نشيد الوحدة العربية

الشعر : فخري البارودي ١٩٣١
الألحان : الأخوان فليفل
الغناء : المجموعة
النوتة : أمين الخياط

بلادُ العُربِ أوطاني
ومن نجدٍ إلى يَمَنٍ
فلا حدٌّ يباعدُنا
لسانُ الضادِ يجمعُنا
لنا مدنيّةٌ سَلَفَتْ
ولو في وجهنا وقفتْ
فهبّوا يا بني قومي
وغنّوا يا بني أمّي

من الشّامِ لبغدانِ
إلى مصرَ فتطوانِ
ولا دينٌ يفرّقنا
بغسّانٍ وعدنانِ
سنحييها وإنْ دُثرتْ
دُهاةُ الإنسِ والجانِ
إلى العلياءِ بالعلمِ
بلادُ العُربِ أوطاني



الفنان عزيز اسماعيل ـــ انطاكية



دمشق في الثلاثينات — لرسام اجنبي . عن مجلة البوق Clarion

نشيد حماة الديار

النشيد الوطني العربي السوري

الشعر : خليل مردم بك ١٩٣٢
الألحان : الأخوان فليفل
الغناء : المجموعة
النوتة : أمين الخياط

حُماةَ الدِّيارِ عليكم سلامْ — أبَتْ أنْ تَذِلَّ النُّفوسُ الكِرامْ
عَرينُ العُروبةِ بيتٌ حَرامْ — وعَرْشُ الشُّموسِ حِمىً لا يُضامْ
رُبوعُ الشآمِ بُروجُ العَلاءْ — تُحاكي السَّماءَ بعالي السَّناءْ
فأرضٌ زَهَتْ بالشُّموسِ الوِضاءْ — سَماءٌ لَعَمْرُكَ أو كالسَّماءْ

★ ★ ★

رَفيفُ الأماني وخَفْقُ الفُؤادْ — على عَلَمٍ ضَمَّ شَمْلَ البلادْ
أما فيهِ من كلِّ عينٍ سَوادْ — ومِنْ دَمِ كلِّ شهيدٍ مِدادْ

★ ★ ★

نُفوسٌ أُباةٌ وماضٍ مجيدْ — ورُوحُ الأضاحي رقيبٌ عتيدْ
فمِنّا الوليدُ ومِنّا الرَّشيدْ — فلِمْ لا نَسودُ ولِمْ لا نَشيدْ



الفنان عزيز اسماعيل ـــ أنطاكية

الفصل الثاني

هل نحن على أبواب حرب جديدة !؟

اثر تخرجي من جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم الفلسفة ، تقدمت لمسابقة وزارة الدفاع ، وعينت حسب ميولي الادبية ورغبتي في الفرع الثقافي العسكري ، محررة مبتدئة في « مجلة الجندي » .

وفكرت طويلا ، والرهبة تلفني ماذا أكتب « للعسكر » ؟ وأنا لا أتقن الا فلسفة سقراط وافلاطون وأرسطو ، والجملة الفلسفية التاريخية أعرف نفسك !!

ماذا أكتب لهم ... وهم من يتقن صناعة الموت من أجل الحياة !!

وتفتقت « عبقريتي » آنذاك وفطرتي لشدة انتباه القراء الى القلم الناعم الجديد الذي نزل من الفلسفة الى عالم الصحافة صاحبة الجلالة، عن مقال هام بعنوان « هل نحن على ابواب حرب جديدة » ، نشر في مجلة الجندي في العدد ٢٥٧ السنة العاشرة تاريخ ١٣ شوال ١٣٧٥ ٢٤ مايس ١٩٥٦ .



الفنان منذر قلعجي ـــ دمشق

وقد تـم تعييني موظفة في وزارة الدفاع في نيسان ١٩٥٦ ، بعد شهر واحد من الدوام على الوظيفة ـ الحلم ، كانت أولى كتاباتي في مسيرة الحرف التي كرست حياتي لهـا ، وكانت علاقتي الجدلية مـع الوطن والحرية • وكان هذا المقال الذي يسعدني أن أثبته فيهذا الكتاب الذي يمجد حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣ التي ردت كرامة العرب في القرن العشرين اثر نكسة حزيران ١٩٦٧ •

بدأ مقالي دعوة للسلام وكأني معلمة تلاميذها قراؤها • يا لبساطتي وعفويتي وبراءتي عام ١٩٥٦ :

« لا أريد من القارىء •• أن يفهم من هذا الموضوع الذي أعالجه من الناحية الانسانية الواسعة ، بأني في دعوتي فيه للسلام ، كأنني أدعو الى كراهية الحرب كحرب تحررية ، بل أنا مواطنة عربية سورية أدعو اليها ، وأحترم الفكرة التي تقوم عليها ، هذه الحرب التحريرية التي تناضل في ميدانها الاقطار العربية في سبيل حريتها ، في سبيل استرجاع فلسطين العزيزة ، الحرب التي يعانيها شعب المغرب العربي في الجزائر في سبيل تحرره من نير المستعبد •

ان هذه الحرب التحررية حرب بناءة ، وهي تعني حرب الضعيف على القوي ، حرب المستعبَد على المستعبِد ،وهي ترمي الى نيل الحرية والاستقلال كاملين غير منقوصين •

أما تلك الحرب التي أناهضها وأقف ضدها ، فهي تلـك الحرب الهدامة حرب القوي للضعيف ، للنيل من حريته وسلبه استقلالـه ، ونهبه ثرواتـه •

فان كنت في مقالتي هذه أدعو الى السلام ، فأنا أدعو اليه لأنه يحد من شر الحرب الاستعمارية ويميتها ، أدعو اليه ، انسانة تحب

السلام ما دام هذا السلام يحقق سعادة الانسانية بكاملها • ولكنني لا أريد من هذا السلام ، أن يميت تلك الحرب التحررية ، ما دمت مواطنة عربية تؤيد الحرب ، حربا تحقق أهدافنا وتثأر لكرامتنا عربا أحرارا نسعى لتحرير جزء عزيز من الوطن العربي ••• انه فلسطين العزيزة •

هل نحن على أبواب حرب جديدة !؟

سؤال رهيب تتلقاه النفوس بحيرة وقلق وشعور مشوب بالتشاؤم والخوف ، والتساؤل والتلهف لمعرفة ما تكنه الايام القادمة في جعبتها الزاخرة بكثير من الحوادث والمفاجآت ، ونتساءل نحن بدورنا فيما نتساءل ، هل ستنكشف ستارة المستقبل عن مهزلة من مهازل القدر ؟ عن مأساة مسرحية واقعية تكون نهايتها نهاية العالم ؟

هل ستطل علينا من شق ستارة المسرح حرب مخيفة ذرية تحطم البشرية جمعاء ؟ أم أنها ستنكشف عن سلام وسعادة يغمران النفوس ويتقدمان بها نحو حياة أفضل ؟

ننتظر الغد ونتطلع اليه بشوق وقلق ، علنا نستشم من تلك الحوادث السياسية والاقتصادية والاجتماعية ما يجعلنا نتكهن جوابا لسؤالنا هذا •

نحن نسأل وننتظر • لم ؟ لأن نفوسنا قلقة تريد أن تستقر وتعيش بهدوء وطمأنينة ، ولكن هل نملك حيلة في تغيير دفة القارب ؟ أنساير الركب ونسير معه الى حيث يسير ؟

أم نبذل ما نستطيع من قوة لكي ننجو به الى شاطىء السعادة والسلامة ، قبل أن يغور في أعماق الحرب وويلاتها ؟

سنتكلم وتتكلم ، سننادي ونطالب ونضم أصواتنا الى كل صوت انساني يعلو مناديا في سبيل الفكرة التي نريدها نحن • هذه الفكرة النبيلة هي السلام • ومن منا لا يحب السلام ؟ هو الحياة الحقة ، وهو السعادة اللانهائية والامل الانساني المنشود •

يحدثنا أهلونا عن الحرب وويلاتها ، وتحدثنا كتب التاريخ عن مشاكلها ونكباتها ، ويحدثنا بعض الفلاسفة والمفكرين عن منافعها وفوائدها • فهل صحيح أن الحرب نافعة ؟ وان الحرب سبيل التطور ؟

انه ولا شك خير للبشرية أن ترقى ببطء ونحو الافضل من أن ترقى بسرعة ذرية ونحو الفناء •

خير للعلم أن يتقدم بهدوء في سبيل الخير من أن يتقدم بعجلة في سبيل الشر •

أعلم بأن التقدم العلمي لا بد أن تغذيه الحاجة ، فالحاجة أم الاختراع ، والحرب مادة جيدة ومجال واسع تنمو فيه الحاجات ، وتولد المشاكل التي تحتاج الى حل مبدع يتقدم به فكر أحد الفريقين عن الآخر ، فيكون بهذا قد تقدم خطوات جديدة كل الجدة ، تمكنه من القضاء بها على خصمه وعدوه •

الا أن حاجات الانسان في حالة السلم ، في سبيل المعرفة والوصول الى الحقيقة • يكفينا مثلا حيا على هذا ، تلك الاختراعات الطبية الحديثة يتوصل اليها مكتشفوها في أيامنا هذه أيام السلام ••!!

ان النفس البشرية خيرة وشريرة في آن واحد ، وما على كل من الطرفين ، الفرد خاصة والمجتمع عامة ، الا تنمية عنصر الخير في النفس الانسانية والقضاء على عنصر الشر •

فالمحبة والتسامح والاخاء ، كلها قوى طيبة كامنة في نفوسنا ؛ وما علينا الا أن تتسلح بها ضد تلك القوى الشريرة المقابلة لها في كل نفس ، قد تضعف أو تقوى حسب طبيعة كل انسان • القوى الطيبة فينا يجب أن نتسلح بها ونقويها ونرويها دائما بأسمى المعاني وأرفعها ليكون في هذا سبيلنا الوحيد للوصول الى سعادتنا ، مهوى نفوسنا ، ومن اليها تهفو أرواحنا •

لا شك أن الانسان مخلوق يجمع في نفسه المتناقضات • فيه غريزة قوية تدفعه للتنازع والنضال من أجل البقاء من أجل الحياة ، وقد يؤدي به هذا الاندفاع من أجل الحياة ، حياته هو دون غيره ، الى أن يقضي على الآخرين في سبيل الوصول الى غرائزه وأهدافه وأغراضه الانانية ، وهذه الغريزة الحيوانية انما هي غريزة بدائية ، يمكننا أن نتعالى عليها ونتسامى منها الى كل ما هو أرفع منزلة ، وذلك بغرس « روح المحبة » في النفوس، والحث على التعاون والتضامن في المجتمع•

وهذا يعني أن في نفسنا البشرية أيضا فضيلة وحكمة ومحبة تقابل تلك وتفوقها وتتعالى عليها لما لها من معنى أخلاقي سرمدي تزول أمامه كل فكرة فردية وكل غريزة أنانية شريرة • أما تلك القوة التي سلمنا بوجودها في النفس البشرية ، هذه القوة الكامنة في النفوس والأجساد من حب للقتال والنضال والصراع ، فيمكننا أن نحولها الى ميادين أخرى ، أرفع مكانة من ميدان الحرب واراقة الدماء ، الى ميادين الفن والادب والرياضة حيث تتلاقى وتتنافس فكرتان ساميتان لا جسمان وغريزتان ، حيث تعم روح رياضية متسامحة ، يرتفع فيها الانسان من مرتبة الحيوان الى مرتبة عالية من الفكر والمثالية الانسانية الحقة ، حين ننسى حب سفك الدماء لنذكر دائما بأننا أناس خلقنا ، نتميز بعقل وعاطفة وارادة ، قبل أن نتميز بأجسامنا كمادة ، وبغرائزنا كقوة تدفع تلك المادة لتتحقق بكليتها كيفما كان السبيل الى ذلك •

لنتذكر دائما وأبدا أن علينا أن نترفع عن عالم المادة والمحسوس لنرقى الى عالم المثل والأفكار العالية ، عالم كله حق وخير وجمال •

الحـــــرب ••• !!

ما أكره هذه الكلمة ، وما أقسى ما تتركه في النفس من شعور قلق مليء بالرهبة والفزع •

وان كنا نريد أن نتلمس آثار الحرب في النفوس البشرية فما علينا الا أن نتقدم بالسؤال عن ميزات الحرب في سبيل التقدم البشري ، من أحد الافراد الاوروبيين ، فلا نلبث أن نراه قد أخذ يعبر بقسمات وجهه قبل أن يعبر بلسانه عن معاني الأسى العميقة التي تركتها الحروب في النفوس من أثر المجاعات والكوارث التي لاقاها الشعب الاوروبي ، واثر الصدمات التي عاناها بفقد الاهل والاحبة والشباب والاوطان •

وأما نحن ، الشرقيين ، وخاصة أبناء البلاد العربية ، أبناء هذا الجيل ، فلا نذكر من آلام الحرب الا الشيء القليل ، سمعناه من آبائنا وأجدادنا في سبيل التحرر من الاستعمار عبر العصور •

لكن طفولتنا كانت مليئة بالمخاوف والاهوال ، وكم تمنينا أن يخيم السكون ويعم الهدوء ليالينا المرعبة ، لنعـــود الى نومنا ، الى أحلامنا الناعمة •

ومرت الأيام وحكى لنا آباؤنا عما قاسوه في حروبهم الطويلة المخيفة ، وها نحن اليوم في عصر الذرة الرهيب نسمع عن أنباء الذرة الحربية ما نسمع ، ونعيش في عالم من أحلام ملؤها الأمل والرجاء في أن تستخدم هذه القدرات الجبارة الذرية ، والتي تدل على عظمـــة

الفكر الانساني ، في سبيل خير الانسان وتقدمه ، لا في سبيل تحطيمه والقضاء عليـــه .

عشنا في طفولتنا ، وعاش أجدادنا وآباؤنا مـــن قبلنا ، ونعيش اليوم ربيع أيامنا ، عشنا ونعيش كلنا ، نحب أن نخلـــد الى الاستقرار والطمأنينة في ظل حياة حرة سعيدة ناعمة . هذا هو عيشنا كما نحب أن يكون ، ولكننا اليوم ، نحيا في حاضر قلق ، بين أمل ويأس ، بين تفاؤل وتشاؤم ، ونحمل مع هذا في أعماق ذواتنا ، في نفوسنا الانسانية الطيبة الخيرة ، حب الحياة وحب السعادة وحب الخير وحب السلام ، وعسى أن يحب البشر معنا ما أحببنا وما نحب ، لنعيش كلنا أجمـــل حيـــاة .

انه حنين الماضي ، وشوق الحاضر ، وأمل المستقبل .

سهام ترجمان

مجلة الجندي ــ دمشق ــ ٢٤ مايس ١٩٥٦

★ ★ ★

الفصل الثالث

يوميات فتاة دمشقية

حزيران ١٩٦٧

لي صديقة ضاعت مني في ليل المعركة .. كما ضاع مني كل النـاس .

ومرت الأيام السود .. والتقيت بصديقتي . كان فكري عندها ، كنت أتوقع حالتها ، كنت أموت رعبا من فكرة تداهمني . ماذا لو خطفت منها المعركة خطيبها الضابط ، الرجل الذي تحبه فوق الحب ، وترتبط به ارتباطها بالحياة .. !!!

مددت يدي أصافحها ، ونظرت في وجهها الباهت وصمتها المريب وسألتها بلهفة : ما الاخبار .. كيف حالك .. ما أخباره ...!!؟

وفتحت درج مكتبها .. وأخرجت مجموعة من الاوراق ..وقالت لي بهدوء وصوت مبحوح :

ـ لا أملك القدرة على الكلام بعد .. فهل تملكين القدرة على القراءة ...!!؟ اليك يومياتي .. كتبتها على نور شمعة بخط يرتجف كقلبي .



الفنان غازي الخالدي ـــ دمشق

الاثنين ٥ حزيران ١٩٦٧ :

دخل علينا أحد الزملاء ملهوفا وقال بسرعة : افتحوا الراديـو افتحوا الراديو ، بدأت المعركة ، الطائرات الاسرائيلية تغير على القاهرة، والقوات المصرية بدأت تقصف اسرائيل من سيناء •

رأيت من نافذتي بعد مرور فترة على الخبر عددا كبيرا من طائراتنا « الميج » يندفع بسرعة مجنونة نحو خط الجبهة في الجنوب •

فرحت بمظاهرة طائراتنا في السماء وتيقنت من أنها ذاهبة لتضرب العدو الذي يضرب الشقيقة مصر ، وخفت • بكيت من الخوف والفرح• قرأت للطيارين « آيـة الكرسى » ونفختها في السـماء خلف سرب الطائرات •

بقيت في مكتبي أحدق في الافق البعيد كأنني أنتظر طيرا يحمل لي بشرى النصر في لمح البصر ، وكنت أدرك أن غارتنا الجوية عـلى اسرائيل سوف ترتد الينا من طائرات العدو فورا •

ضرب زمور الخطر بعد بدء الغارة الجوية الاولى مع الاسف •

دمشق بعد الثانية ظهرا ، والطائرات الاسرائيلية تقصفها ، والمدافع المضادة للطائرات تهز أركان مدينتي وسماءها هزا مرعبا • بدأت أتصرف بذكاء مع نفسي وأميز صورة أقرب الى الصحة بين أصوات إنفجارات قنابل المدفعية المضادة للطائرات وقنابل العدو فأخفف عن نفسي وعمن حولي هول اللحظات المرعبة لاي انسان مهما كان شجاعا •

تكررت الغارات ، ومن نافذة القبو الذي هربنا اليه مع الجيران في الحي ، كنت أسمع صراخ الشنباب في الحارة وتصفيقهم بعد مشاهدة

سقوط طائرة اسرائيلية تحترق • لم يهرب الشبان الى المخابىء • الناس كلهم قد اندمجوا في المعركة وأصبحت مشاعرهم متوحدة ضد عدو خطير واحد • هذا يؤكد أن الناس في المعركة الحقيقية الكبرى تجاه العدو الخارجي ينسون أحقادهم •

جاءني أحد أبناء اختي يؤكد لي صعود عامود من الدخان قريبا منا • وأصبت برجفة رعب هائل تسري في جسمي وتشله عن القدرة على الوقوف أو الحركة أو المشي •

كلهم خائفون من صوت الانفجارات التي لم تنقطع الا أنا •• فقد كان الخوف عليه يكتسح كياني وتفكيري ويبتلع صوتي وكلامي العالي ، يبتلع حتى خوفي على نفسي • يقولون : الروح غالية • وأنا أقول : روح من نحبه هي الغالية •

ولم أعد أطيق الانتظار • صعدت من القبو لارى من أية منطقة في دمشق يتصاعد اللهب كي أقدر مكانه ، ولكنني لم أر شيئا وعدت أكثر قلقا ورعبا •

ما قيمتي في الحياة من غيره •••!! يا ربي أنا لا أريد غيره • نمنا في القبو الليلة • وأنا مجبرة على النوم مع أهلي أينما حل أهلي ، ولكن قلبي معه • وقبل أن يحل الليل المطبق فوق دمشق ، ذهبت بسرعة الى بيتنا العالي ، وطلبته هاتفيا ولم يرد أحد وشعرت باطمئنان ، فما دام هاتفه يرن فهذا يعني ان غرفته لم تصب والا لكان الهاتف قد قطع • وطلبت رقم بيت أهله حتى أسمع صوت أحدهم يقول « الو » وأغلق السماعة بهدوء بعد أن أطمئن من لهجته العادية الحيادية على أن رجلي الحبيب ، ابنهم الطيب ، بخير •

يجب أن أفكر وأتصرف بعقل أمام أهلي •

الثلاثاء ٦ حزيران ١٩٦٧ :

اليوم الثاني للمعركة • كانت ليلة أمس أصعب ليلة عرفتها في حياتي كلها • نمت على الاخبار وصحوت باكرا أسأل أمي ما الاخبار • عطشي للاخبار لا يرتوي •

لم أذهب للعمل بقيت في المنزل ، تضايقت وأحسست أنني سجينة وأنا في البيت بلا عمل بلا حركة • مشلولة في زاوية الغرفة كالكرسي ، واكتشفت ان المرأة التي تخاف من الحرب مصيبة وحجر عثرة في طريق المحاربين • وأدركت أن أقل عمل يجب أن تقوم به المرأة بلا خوف أن تقدم شريانها وتتبرع بدمها لجريح قد ينزف الآن أو غدا •

طلبته بعد الظهر وهاتفه يرن بلا جواب • ما أتعسني وأنا بعيدة عنه لا أعرف كيف ينام وكيف يصحو وماذا يعمل وأين يقيم !! أعرف انني الآن بالنسبة اليه لا شيء •• لا شيء •• المعركة أهم شيء في حاضره ومستقبله •

بدأت كلماته تنتشر في رأسي ، وبدأت تدوي في رأسي كلمة قالها مرة :

« سأقاتل في الشوارع ضد العدو الصهيوني » • بدأت أخاف • نعم أنا أخاف عليه لانني فتاة تحب ، والحب ضد الموت ، الحب هو الحياة ، الحب هو الطفل الذي يغلي في عروقنا ، الطفل هو استمرار الحيـاة •

من محطة الى محطة •• أنا ألتصق بالراديو الذي غدا أعز شيء في البيت •

ابنة اختي الصغيرة « هلا » وعمرها سنة ونصف ، أخذت تنتقل في العتمة الموحشة من حضن الى حضن • تقبل بشفتيها الصغيرتين كل حضن وكل ركبة تصل اليها وكل يد تلامس وجهها في الظلام المطبق ، ثم تعود الصغيرة الى الراديو وتتساءل بغيرة من المنافس الجديد الغامض : دادو ••؟!! دادو؟!! وكأنها تسألنا لماذا تحبون « الراديو » كلكم أكثر مني ؟ ثم لماذا تجلسون في الظلام ؟ أين وجوهكم وعيونكم المحبة ؟ لا أرى من عواطفكم الا الكلمات الحلوة واللمسات الطيبة الحنون •

وهدرت غارة مفاجئة ، ودوى صوت القنابل في أنحاء المدينة ، وعرفت الطفلة الصغيرة أننا في خطر بحسها الفطري ، وأخذت تبكي من هول القنابل المتفجرة وتقول وهي تلتصق بأمها : ماما •• هوا ••• هوا ••• ماما هوا ••!!!

الاناشيد الحماسية من دمشق وبغداد وعمان والقاهرة تدلني على المحطات الاذاعية العربية • لكل عاصمة عربية تقاتل العدو المشترك « اسرائيل » ، أناشيد حماسية خاصة • أثر بي من القاهرة نشيد عبد الحليم حافظ « اضرب » ، وهزني من دمشق تكبير صباح فخري على صوت طبول الحرب ، وهللت « لعراضة » على الطريقة الحماسية الدمشقية القديمة •

بدأت أصوات المذيعين تفقد حماستها وجنونها • ما الذي يجري؟! كان المذيع في المحطات العربية يقفز الى ملايين المستمعين العرب حسب ما لديه من أخبار جديدة هامة ••• الاعصاب متوترة والناس يتلهفون للخبر • ولكن ما الذي جرى لجبهاتنا الثلاث •

سمعت الخبر المروع : ضربت مطاراتنا السورية • وطائرات العدو قد ضربت أيضا مطارات مصر والاردن والعراق !!

تقول محطات الاذاعة ان مجلس الامن بالاتفاق مع روسيا قد قرر وقف اطلاق النار في المنطقة .

سمعت من أحد ضباطنا اليوم أن العرب لن يتوقفوا عن القتال وستسمى الحرب الآن حرب التحرير الشعبية . وفرحت . ورغم خوفي من الحرب أن تأخذ مني من أحب ، فقد رفضت أعماقي كانسانة عربية أن ننكسر وتعود قواتنا الى قواعدها بلا انتصارات .

جرحت حتى القلب لخبر انتصار اسرائيل في احتلال القدس العتيقة . هل تسمعين معي يا فيروز .. لقد أخذوا قدسنا العتيقة !!

الاربعاء ٧ حزيران ١٩٦٧ :

اليوم الثالث للمعركة . دمشق في الليل . دمشق قطعة ليل فاحم بلا نجوم .. حتى النجوم ارتدت حللا زرقاء خوفا علينا من قنابل العدو ، ماذا جرى لدمشق الطيبة !..

دمشق في الليل قطعة من الهم والترقب ، ودمشق في النهار قطعة ملتهبة من الانتظار والتوق المتأجج لاخبار الانتصارات العربية في المعركة .أجهزة الراديو فيالبيوت ودكاكين الخضار والبقاليات والافران مفتوحة على آخرها تثير الحماسة والقلق معا .

قبل الظهر طلبته عدة مرات وهاتفه لا يرحمني . وبعد الظهر حاولت أن أسمع صوته فخاب أملي .

سألني اليوم أخي : ما بك ..؟

ونفيت شك أخي الذكي ، واخفيت ما في أعماقي من خوف على من أحب ، وعزوت لون وجهي الباهت الى مرضي وخوفي من الغارات.

أما أخي الطيب فقد كان يسألني وهو متأكد مما يجول في قلبي ، ربما أخبر « أخي صديقي » وأرتاح • أما بقية أخواتي واخوتي فقد ظنوا أنني مريضة •

حاولت أن أضع على وجهي حمرة الشفاه والكحل لأغير منظري المخيف •

زارنا أحد الاقارب وقال جملة أعجبتني • كان كلامه عن المعركة منطقيا وعلميا ، قال :

« ليس أصعب على الانسان من أن يكون مزدوج الشخصية يقول ما لا يؤمن به ويصدق ما لا يصدقه فعلا » •

أعجبني أن تكون فرنسا على الحياد • في الليل وقفت عند تعليق سياسي على مستوى عال سمعته من راديو بيروت أذكر منه هذه الكلمات :

ــ ان معركة البترول ستؤثر على الغرب في المدى الطويل •

ــ يجب أن يعرف الغرب ان دوام الظلم يسبب انفجار الحرب •

جننت فرحا بخبر تبرع الكويت والسودان للقيادة العربية المشتركة بمبالغ كبيرة • وسرتني دعوة الباكستان ، الدولة المسلمة ، للعرب ، بأن يطلبوا من الباكستان كل ما يحتاجون اليه في معركتهم مع اسرائيل•

الخميس ٨ حزيران ١٩٦٧ :

من القاهرة استمعت للمرة الخمسين لاقوى نشيد في معركة العرب مع العدو لبساطة كلماته وسرعة تأثيره وقوته :

لاجل الصغار

لاجل الكبار

لاجل النهار

لاجل البلاد

لاجل العباد

لاجل الولاد

لاجل البنات والامهات

لاجل النبات

لاجل الربيع

لاجل الجميع

لاجل الورود

لاجل الوجود

لاجل السلام والابتسام

اضرب كمان واخلق أمان

لاجل الحياة ولاجل عشاق الحياة

لاجل الحياة ولاجل صناع الحياة

خبر عظيم يؤكد وصول قوات الجزائر الى الجبهة المصرية التي يقولون أنها سقطت في يد العدو . وخبر هام يؤكد تطوع ألف رجل من الصومال الى جانبنا .

رأيت أمس حلما غريبا . رأيت ان قوات المغاوير العدوة تركض آخذة أماكنها في الشوارع . وصلوا الى شارعنا رأيتهم من النوافذ المنخفضة للقبو اشتد الرعب في نفسي وأفقت في قلب الليـــل المطبـــق وصدري يعلو ويهبط ، وحلقي يطقطق .

ذهبت صباح اليوم الى عملي ، الجنود في كل مكان ما يزالون يعبئون الاكياس بالتراب والرمل ويوزعونها على نوافذ البيوت . جدار عال من أكياس الرمل أمام نوافذ البناء الكبير . سلمت على المجند « الحرس » بيدي وابتسمت فرحة به وبخوذته الحديدية وبندقيته التي يحرس بها باب البناء .

قالت لي صديقتي امتثال زوجة أحد الضباط على الهاتف وهي تشرق بدموعها من شدة قلقها على زوجها الحبيب الغائب قبل بدءالمعركة بأيام في قطعته ولا تعرف في أي مكان يحارب :

ـ والله أتمنى لو يعود لي حيا حتى لو قطعت يداه ورجلاه .

هزتني كلماتها وبكينا معا على الهاتف .

سمعت من اذاعة دمشق تعليقا صغيرا أعجبني لانه كان كلامـــا علميا وليس صراخا في الهواء :

كل أسلحتنا في المعركة : البترول ، قناة السويس ، عمال الموانىء مقاطعة أمريكا وانكلترا ، ضرباتنا المتلاحقة .

دمعت عيني وخنقتني الدمعة • كان الاقبال على بنك الدم منقطع النظير • يقولون للمتبرع دورك بعد غد • طلبوا من الناس في الراديو أن يتوقفوا عن التبرعات بدمائهم لفترة • أرسلوا ألفي زجاجة الى الاردن وألفي زجاجة لجرحى جبهتنا السورية •

هل هناك وحدة أكبر وأعظم من وحدة دمائنا العربية ••؟!

خبر هام قرأته في نشرة ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي اليومية :

فتاة صغيرة تدعي سنا اكبر من سنها ليسمح لها بالتبرع بدمها • عندما اكتشفوا من هويتها «الكذبة البيضاء» رفضوا طلبها وشكروها• أخذت تبكي بحرقة وظلت واقفة عند باب بنك الدم تبكي لانهم منعوها من تأدية واجبها في المعركة •

ليلة الجمعة ٩ حزيران ١٩٦٧ :

حلمت اني عدت طفلة صغيرة تحكي لي جدتي « ام عزيزة » هذه الحكاية المثيرة :

« كان ياما كان يا قديم الزمان لحتى كان • كان في معزاية وعندها تلت ولاد صغار حلوين كتير • قامت اجت هالمعزاية قالتلن لولادها •• ياولاد •• ياولاد انا رايحة جيبلكن اكل لاتفتحوا الباب لحدا ! اصحكن تفتحوا الباب « للغول » ••!! قالولها لأ ياامي ما منفتحلوا •

راحت امهن عالبرية اكلت الحشيش وشربت المي وصاروا بزازها كلهن حليب • وقامت رجعت هالمعزاية عالبيت ودقت الباب •• دق دق دق •• قالولها : مين ؟ قالتلهن : فتحولي يا وليداتي والحشيش بقريناتي

والحليب بزيزاتي • فتحولها الباب حطت ولادها وطعمتهن ورضعتهن ونــاموا •

قامت تاني يوم ، قالتلهن لاتفتحوا الباب لحدا بغيابي ، وراحت لحتى تجيبلهن اكل • مين شافها • شافها الغول خلاها لراحت واجا دق البــاب •

قالولو المعزايات الصغار مين عم يدق الباب قاللهن بصوتو التخين : فتحولي يا وليداتي والحشيش بقريناتي والحليب بزيزاتي • قالولو روح انت غول مالك أمنا ، أمنا صوتها رفيع انت صوتك تخين • راح هالغول لعند النجار قاللو نجرلي صوتي • نجرلو صوتو وعطاه سكر نبات حتى صار صوتو رفيع متــل صوت المعزاية ورجــع دق الباب وقاللهن : فتحولي يا وليداتي والحشيش بقريناتي والحليب بزيزاتي •• متل أمهن • قاموا حسبوه أمهن وفتحولو الباب ، أجا خطفهن وأخدهن معو عالمغارة وحطهن بالمغارة لانو كان شبعان قال لحالو بكرة باكلهن • اجت أمهن المعزاية تطلعت لقت الباب مفتــوح ، فاتت دورت دورت ما لقت ولادهــا • تطلعت بالارض لقت دعســات « الغول » لحقت الدعسة لوصلت لبيتو عالمغارة • وطلعت على اسطوح بيتو وصارت تدبك • كان الغول تعبان ونايم قام فاق قال : مين دبك على سطحي رمى الطراب على طبخي رمى الحجر كسر مخي ؟!! قالتلو : أنا العنزة عنيزية أم قرون حديدية واللي أكل ولادي يلحقني عالبرية •

قاللها الغول : بايش بدي غالبك انا ما عندي قرون ، قالتلومابعرف روح ساوي قرون وتعا غالبني • راح جبل قرون من طين وحط قرن من هون وقرن من هون وقعد بالشمس حتى نشفو قرونو ووقف بالساحة بالبرية قدام المعزاية قاللها يا الله تعي اضربي !! قالتلو لأ انت ضروب بالاول • راح لبعيد تحمى تحمى وركد وضربها بقرونو على بطنها قاموا

انكسروا قرونو • قاللها يا الله اضربي •• قالتلو : يا لله •••!! راحت لبعيد واتحمت اتحمت وضربتو بقرونها قام انشق بطنو وطق ومات •

وراحت عالمغارة اخدت ولادها وقالتلهن :

يا وليداتي يا حبيباتي ما قلتلكن لاتفتحوا البابلحدا ! شفتو شلون اجا « الغول » وخطفكن !!

قالولها : خلص يامي ماعدنا نفتح الباب لحدا • توتة توتة خلصت الحدوتة •••

وتلاشى طيف جدتي •

صحوت في الليل مذعورة ••• وجدت امي مستيقظة قلت لها :

ــ رأيت ستي الله يرحمها بالمنام تحكي لي حكاية « الغول » •••!!

ــ خير ان شاء الله يا بنتي •

ــ قديش الساعة ياترى •••؟

ــ لسه ما اذن الصبح نامي •

ــ وانت ••• ؟

ــ مو جاييني نوم يابنتي • راحت ايام النوم !!

الجمعة ٩ حزيران ١٩٦٧ :

الخبر الذي هز العالم العربي خبر تخلي الرئيس جمال عبد الناصر عن الحكم •

السبت ١٠ حزيران ١٩٦٧ :

تراجع رئيس الجمهورية العربية المتحدة الرئيس جمال عبد الناصر عن قراره تحت ضغط الجماهير العربية في شوارع القاهرة وفي العواصم العربية ليلة الأمس .

سمعت من لندن صدفة نبأ احتلال رجال المظلات الاسرائيليين للقنيطرة في الجبهة السورية .

اعلن راديو دمشق نبأ احتلال العدو للقنيطرة وبدا على دمشق ذعر لامثيل له . اذن فالصهاينة يتقدمون نحو دمشق ..!!؟

وبدأ خوف هائل يمزقني . بدأت كلماته تكبر في نفسي وعلا طنينها في أذني : سوف اقاتل العدو في الشوارع لو حاول ان يحتل الشام ، لن يأخذ جندي اسرائيلي مكاني قبل ان اموت .

دقت بابنا بلهفة فتاتان من الاتحاد النسائي العام بلباس الفتوة الخاكي تطلبان برجاء ولطف من السكان شراشف بيضاء نظيفة وقمصان رجالية وبيجامات للمستشفيات العسكرية !!

وركضت الى امي والى غرفة ابي . اعطتني امي الشراشف واخذت من أبي القمصان النظيفة البيضاء وبيجاما من بيجاماته الجديدة ، اعطاني أبي ملابسه ودموعه دموع الرجل العجوز الذي دخل اكثر من حرب ، تنحدر فوق الملابس وحبست دموعي أمامه وانا اتظاهر بالسرعة .

اخذت الفتاتان الشجاعتان الملابس بفرح ، اغلقت الباب وعدت الى الكرسي وانفجرت ببكاء عال وصل حتى درجة الشهيق الحاد . سقطت مني ارادتي نهائيا . بكيت امام اهلي بشدة ، فانا اضعف بكثير من أن احتمل بعد ، او ان امثل امامهم بانني قوية وشجاعة . لست قوية

أنا ضعيفة جدا •• انا خائفة عليه •• لي رجل يحارب بين الرجال واخاف بل وأموت عليه خوفا • من يدري ربما يكون جريحا الآن في احـدى المستشفيات ••!؟

لاحظ أهلي بكائي • دهشوا • وصمتوا •

على المائدة التي لم تجمعنا منذ ايـام ، اقترح احدهم ان نغادر دمشق الى ضاحية من ضواحي دمشق قبل أن يدخلها الصهاينة • قلت : اذهبوا كلكم انا لن اغادر دمشق ، سأموت في بيتي ، اذهبوا واتركوني• حياتي ليست غالية علي الى درجة الهرب ، لست متمسكة بحياتي مادام الصهاينة سيأخذون مدينتي ويقتلون أبناء وطني وحبيبي • ولـم اكن اتظاهر بالوطنية ، كان « هو » الوطن بأسره ، لن اهرب واتركه وسط المعركة التي قد تحدث في دمشق •

وبدأت اتساءل :

ـ لماذا نخاف العدو • ؟ لماذا نهرب من مدينتنا ••؟

الى أين نهرب ••؟ الى الوراء •••؟ ليأخـذ العدو أرضنا • • ؟ لنعيش في الخيام تحت العراء ••؟ من يحب مدينته يجب أن يدافع عنها حتى الموت • لن أهرب لن تأخذ صهيونية بيتي ومدينتي وملاعب طفولتي، سوف أقاتل من النوافذ في الحارات في الشوارع • غريب بدأت اقتنع بكلماته واعتنقها لا لانها كلماته بل لانها كلمات الانسان الحقيقي الذي كبر في نفسي تحت الخطر •

بعد الغداء رن الهاتف •• وركضت كالمجنونة • فقدت اتزاني في البيت وحيائي •• ليعرفوا جميعهم الحقيقة •• نعم أنا أحبه بجنون • لا سر بعـد اليوم في بيتنا • السر فضحته ملامحي ودموعي ولهفتي •

وكان صوته الحبيب • قلت : الو ••• بتحفز وامل وشوق وقـال : مرحبا • ولكنها كانت جافة تطقطق حروفها في حلقه تحمل لي الخجل والاسى كل الاسى والاخفاق والخيبة والجرح والموت الذي اصاب رجال جيشنا •

اذكر المخابرة :

قلت :

ـ أهلين وسهلين أين انت من اين تتكلم ؟

ـ وصلت الآن فقط •

ـ من أين تتكلم ؟

ـ من البيت وصلت الآن ••

وسكت لا أعرف ما أقول !! وقال :

ـ مع السلامة •

فرحت بكلماته على قلتها وعدت اليهم اكررها لهم وانا اشعر بالزهو والفرح امامهم ، بينما الالم يعتصر قلبي من اجل خسارته في المعركـة كرجل يمتلىء كبرياء ولم يكن يتوقـع هذه الخسارة العربية الفادحة فالموت عليه اهون من هذه النكسة •

الفرح أيضا كان اقوى هذه المرة من ارادتي كالالم تماما • لـم استطع أن أخفيه • شعرت بقوة خارقة تمنعني من تمثيل الدور الحيادي• ابتسامتي في طرف شفتي وفي عيني كانت خبرا عظيما لكل من يريد ان يعرف الحقيقة • لقد عاد لي حيا •

الجمعة ١٦ حزيران ١٩٦٧ :

زرت جرحى النابالم في المستشفى العسكري في المــزة ٠ بكيت بحرقة من أجل جنودنا المصابين المشوهين المتألمين من الجروح الرهيبة البالغــة ٠

كتل من الفحم في الاسرة البيضاء ٠

ليتني أمزق الطيار الاسرائيلي الذي قذف القنابل المحرقة بأظافري٠ طائراتهم الحديثة تقودها وحوش كاسرة ويقولون للعالم بكل مسكنة بأنهم دعاة سلام في المنطقة ٠ يقتلون العرب ويعلنون للغرب ان العرب سيرمونهم في البحر !!

جرحى النابالم لاينامون وانا لا أنام ٠ احترقت جلودهم وتلونت بلون الفحم واحترق شعوري وتلون بلون الفحم ٠ انا مصابة بالنابالم وليسوا هم ٠

ليتهم يعلمون اني لم أنم حتى الفجر وانا اتصورهم ، ربما يكون في هذا شيء يبرد قلوبهم ٠

احترقوا ٠٠ ولم تعد لنا فلسطين ٠٠٠ وهذا حرق بليغ يكوي قلبي وعقلي ومن صميم الجرح اثــور لا أقبل بهذه النتيجة لانقبلها كلنا ، وسنفعل حتما في المستقبل ما يعوض خسارتنا ٠

السبت ١٧ حزيران ١٩٦٧ :

قبل وجــه الصبح افقت مذعورة على حلم يكاد يخنقني بصوره المرعبة :

رأيت ان ليل دمشق المطبق قد امتلأت سماؤه بالصواريخ • وبالقنابل الحمر والزرق • وقيل لي ان هؤلاء هم رجال المظلات الاسرائيليين يهبطون بشكل سري على دمشق • وكان منظرا مرعبا المظلي والمظلة مختفيان في الظلام •

ونظرت الى الشوارع فرأيت الجنود الاسرائيليين الذين وصلوا الى الارض يحملون بايديهم الفوانيس الحمر والزرق ويركضون بخطوات غير مسموعة نحو مبنى قيادة جيشنا • خفت وركضت الى الهاتف اطلب رقم القيادة لاخبرهم بما رأيت حتى يستعدوا للعدو الزاحف كالافاعي ، ولم تجب الارقام • لا أحد يرد • لا احد يرد • وفهمت ، الجنود والضباط في مراكزهم لا احد في مكتبه ، لن يغدر الصهاينة بقواتنا لن تنجح الخطة ، ستصطادهم قواتنا كالفئران •••

وأفقت مذعورة •• مرت لحظات وصدري يعلو ويهبط وانفاسي متقطعة وانا احمد الله انه كابوس •

شربت كأس ماء ونمت •

الاثنين ١٩ حزيران ١٩٦٧ :

قررت ان اكتب علني ارتاح :

في لهيب المعركة انصهرت الشوائب وظهرت الحقيقة بلون واحد • في خلية النحل ضاعت الملكة ، وتحولت كل نحلة الى ملكة ، وتحولت الملكة الى نحلة عاملة نشيطة •

تحت صوت القنابل سكتت اصواتنا وارتفعت الاعمال العربية الى مستوى القمة •

في عتمة ليل المعركة المطبق انطفأ لهب نور الشمعة وانكسر القلم في يدي وجف الريق في حلقي ولجأت الى سكون السكوت المطلق اقرأ ما يكتب في أعماقي .

قرأت سطورا كثيرة ...

سطر ابيض يتبعه سطر اسود يتبعه سطر احمر يتبعه سطر اخضر، وكان لابد ان تكتب المعركة بهـذه الالوان التي تشرب حقيقتها مـن جذورها السعيدة والمتألمة المجروحة والمتفائلة .

هذه الالوان كانت تنسكب كشلال على قلوبنا وعلى حدودنـا العربية المتلاحمة مع العدو .

في عتمة ليل الغارة المحرقة لمنجزاتنا خلال عشرين سنة كنت أخاف الهزيمة وأتوق الى النصر .

وكانت النتيجة هزيمة في معركة الحديد ، ونصرا في معركة الالوان الاربعة معركة العلم العربي مع فكرة العدوان والاستعمار .

اسرائيل .. لنقل هذه الكلمة بشجاعة ، استعمار قديم ندم على رحيله من بلادنا الخضراء التي تسبح فوق بحيرة من الذهب الاسود ، وتعانقها البحار ولا تفارقها الشمس وتنام فيها عيون الرسل والانبياء ، فقرر العودة .

ولكن العودة بالاسماء القديمة الرومانية والصليبية والعثمانيـة والفرنسية والانكليزية وحتى الامريكية امر يدعو للخجل ..!! وتـم اختراع جديد انطلق كصاروخ من النار الى ارضنا واستقر في قاعـدة رسمت عليها نجمة اسرائيل .

كنا نعرف أننا سنحارب امريكا وانكلترا قبل المعركة ، وكنا نعلن هذه المعرفة على الدنيا كلها . ووقعت المعركة وتمت مساعدة امريكا وانكلترا لاسرائيل ضد العرب .

تأكدت الحقيقة اثناء المعركة وبعدها ، على خطوط النار امس ، وغدا في مجلس الامن وفي هيئة الامم المتحدة .

وتوقف العدوان بقوة الكلمة لا بقوة الحديد .

كان جوابنا على الهزيمة العسكرية في المعركة غير المتكافئة مثلا شعبيا بسيطا : « عين ما بتقاوم مخرز » .

وكان جوابنا في معركة الحق : كلمة تطحن دبابة وحق يسقط « ميراج » .

اكتب الآن مع انني خرجت من التجربة بدرس عظيم :

« ان اسكت استعدادا للمعركة خير من ان اتكلم كثيرا بلا استعداد » .

ان اطالب منذ اليوم بتعلم قيادة دبابة وطائرة وحقن ابرة وطبخ لقمة ، خير من ان أجلس وراء مكتب ألقي الاوامر وانفخ الكلمات الرنانة بالونا كبيرا سرعان ما ينفجر في الهواء .

في معركة العرب من أجل استعادة فلسطين سنة ١٩٤٧ كنا صغارا، ولم يكن لنا حق المطالبة بحمل مسؤولية معركة ستقع بعد عشرين سنة لاسترداد فلسطين .

واليوم .. نشعر بأن علينا أن نشترك في حمل المسؤولية للمعركة المقبلة . مسؤولية اعداد أنفسنا من جديد ومسؤولية اعداد الصغار

بطريقة علمية تغلب فيها صورة المعادلة الرياضية على صوت النشيد الحماسي الساذج ينطلق من حنجرة المطرب بلا رصيد .

٣٠ حزيــران ١٩٦٧ :

قال أحد جنودنا البدو العائدين من أرض المعركة لمن حوله يشرح هول المعركة بلهجته البدوية العفوية الطيبة عندما سألوه ماذا رأيت :

« تحل علي أمي ، شفت بالسما شي أحمر وأخضر وأصفر ما ندري الا والسما طيارات » .

تضايقت من الحادثة رغم عفويتها وبساطتها . تألمت . لماذا صعق جنودنا بمفاجآت الغارات الجوية الكثيرة ؟ لماذا لايعد الجندي كما يعد الضابط لمعرفة وتوقع أسلحة العدو ؟ ألم جديد فوق آلامي .

السبت ٢١ تشرين الاول ١٩٦٧ الساعة ٣٠ر٥ مساء :

أغرقت القوات البحرية العربية المصرية المدمرة الاسرائيلية الكبيرة « ايلات » وهي تحاول اختراق المياه الاقليمية للجمهورية العربيــة المتحــدة .

خبر عظيم قامت له البلاد العربية وقعدت . التهاني في كل مكان . النصر لكل الوطن العربي . العالم كــله يتحدث عن اغراق المــدمرة الاسرائيلية ايلات . أكثر بحارتها غرقوا . يا سلام على هذا الخبر انه يبرد القلوب في هذا الصيف الحار الحافل بالاحداث الساخنة .

سمع الناس اذاعة اسرائيل تجري مقابلة مع قبطان المدمرة الذي نجا بأعجوبة . قال في مقابلة صحفية واذاعية ما معناه :

« لا أدري ••• رأينا شيئا أخضر اللون ، نراه لاول مرة في عمرنا، يندفع نحو المدمرة بجنون ويشطرها الى نصفين ويغرقها في ثوان !! » •

كم أنت كريم يا رب •• كم ضحكت من هذا القبطان الاسرائيلي وكم فرحت لما حدث له ولمدمرته ، انه في دهشة ••• انه في ذعر من هذا الشيء الاخضر المجهول الذي اغتال مدمرته في لحظات ••• !!

كم أنت كريم يا رب •• لقد ثأرت هذه الحادثة العظيمة في معركتنا المستمرة مع العدو ، لجندينا السوري البدوي الذي فوجىء بألوان الطائرات الاسرائيلية الحمراء والصفراء والخضراء •

أنا متأكدة •• لقد بدأت اسرائيل « تلحمس » على رأسها !!

وسوف نحـــرر الاراضي العربية المغتصبة ونسترجـــع فلسطين الخضراء ، ولن يطأ اليهود أرض الشام •

الخميس ٢١ آذار ١٩٦٨ :

في عيـــد الام ••

قبلت أمي في الصباح ، وابتلعت كلمات التهنئة مع الدموع وهربت بسرعة الى عملي •

في عيد الام •• العدو الاسرائيلي يضرب الاردن •

في عيد الام •• موشي دايان في خطر الموت بين لحظة وأخرى في المستشفى ، قالوا أصابه حجر وهو يبحث عن الآثار !!!

وقلبي يضحك ، لان موشي دايان أصيب حقا بضربة فدائي عربي فلسطيني ، هكذا يقول قلبي الواعي •

في هذه اللحظات الوطن العربي كله عين وأذن على العدو ، وقلب على الام العربية الطيبة التي تضع الهدية الجميلة الى جانبها وتتمتم بالدعاء وتبتهل الى الله :

•

« الله يوفقكم •• الله ينصرنا على العدو •• الله يخليلي ياكم » •

احب كلمات الامهات ، وهي قوة دافعة جبارة لأقـوى رجل • « الله يرضى عليك يا ابني » هي اصبع ديناميت تتفجر من يد ابننا العربي في صدر العدو الصهيوني المتحفز كالذئب الكاسر في وجـه « الضاد العربية » •

العدو غايته عندنا الضاد العربية ، الارض العربية ، الانســان العربي • هذا أمر أصبحنا نعرفه جيدا • يعرفه الطفل عندنا الذي يقرأ الالف والباء وتعرفه الام العامية •

أتأرجح •• أنوس بين أمي وأمتي • منهما أتيت ، اليهما أنتمي ، وعنهما سوف أرد الخطة الجهنمية مهما كانت قوتي ضعيفة • لن يأخذوا الفرات ولن يأخذوا النيل •

ان كنت أجهل عملية حقن الابرة في عرق جندي ، فسوف أساعد في حمل علب المؤونة • ان كنت مقعدة فسوف أخيط قميصا رجاليا بالابرة والخيط • ان كنت أرتعد من صوت الرصاص ، فسوف أحضر نفسي لسماعه ، فتخف الصدمة وتنتفي المفاجأة • وبشدة الحذر والوعي وكامل الانتظار والترقب سوف اغتال كل حادثة سيئة ممكنة محتملة •

عيني على أمي الحبيبة وعيني على خط الحدود ، على خط الحياة أو الموت ، خط الوجود واللاوجود •

كل لحظة بالنسبة لي لحظة ترقب لعدوان مفاجىء ، وساعة الصفر عند العدو ليست ساعة سرية ، لانني في كل ساعة أتوقع العدوان . في كل لحظة أنا في حالة استنفار دائم يشير الى مئة بالمئة .

وأنا لست أنا . أنا .. أنتم .. أنا الضاد العربية .

وأمي ليست أمي .. أمي هي أمتي .

وبيتنا ليس بيتنا .. انه خريطة الوطن العربي .

وعيد الأم يمر على ديارنا العربية هذا العام الذي يلي نكسة الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، ليشهد ولادة حرية جديدة يصنعها مقابل حياته فدائي عـــربي .

ويأكـــل الخوف والذعر قلب الاسرائيلي الصهيوني الذي أحس بأن الارض تحته تهتز بعنف ، يهزها زلزال عربي معاصر يزمجر من باطن الارض العربية ، من المائع الناري العربي الهادر الطالع من قلب الارض العربية الفلسطينية ليكتسح في طريقه كل فنون الصهاينة النابالمية .

ويتصايح الصهاينة ... الزلزال ... الزلزال ... ويتراكضون هربا من الزلزال العربيالذي لم يحسب له جغرافيوالاستعمار الحديث حسابا علميا دقيقا ، لانه خارج توقعات العلم .

لا فائدة ... فلسطين ليست لكم ...

هذه كلمة نهائية .. يقولها كل فدائي عربي وهو على استعداد لان يحققها مقابل حياته .

لا فائدة من المماطلة والانتظار ...

الزلزال العربي انتشر ... الزلزال هو الحل .

المائع الناري العربي يتفجر من كل مكان عربي ، ويسيل نحو العدو نهرا ناريا محرقا يبتلع كل ما في طريقه من نجمات سداسية .

لا فائدة من مقاومة الزلزال العربي الفدائي .. لا فائدة من حواجز واهية يخترعها العلماء الصهاينة في مخابر الاستعمار الحديث .

★ ★ ★

حوار حضاري بين امرأة ورجل

هي : ان خبر انتخاب جولدامائير رئيسة لمجلس وزراء اسرائيل قد أثارني وأكد لي دور المرأة الاسرائيلية ، الدور الكبير الخطير في التخطيط والتنفيذ للقضاء على العـرب واحتلال الأرض العربيـة •••• !!

هي : أراك لا تتكلم !؟

هو : توقفت عن الكلام منذ زمن طويل بعـد أن كفرت بجدوى الكـلام •• !!!

هي : ان صمتك ادانة واصبع اتهام يشير الى المرأة العربية المعاصرة•!

هو : ••••

هي : ولكن المرأة العربية تعيش بظروف تختلف عن ظروف المرأة اليهوديـة الاسرائيلية مـن حيث القيم الاجتماعية والتقاليد والتخلف التاريخي الطويل •



الفنان عزيز اسماعيل ـــ أنطاكية

تصور أن المرأة العربية تقف أمام المرأة اليهودية الأوروبية التي احتلت فلسطين ••• !! فهي ليست زوجة « يهودي عتق للبيع » ••• !!!

هو : ••••

هي : الرجل العربي هو الذي يتهم المرأة العربية بالقصور والتخلف والاهتمام بالزينة والقشور ، وينسى أنه يشدها الى مقاعد الكسل والتخلف بعقليته الشرقية التي تقتل في روح المرأة بذرة التطور •!!

هو : ••••

هي : أعتقد أننا بحاجة ماسة الى « مدرسة عربية » تعلم فيها الفئة الواعية من النساء والرجال الفئة المتخلفة من النساء والرجال•!! يجب أن نعيد بناء الرجل كما نعيد بناء المرأة تماما ، وربما أكثر • !!!

هو : ••••

هي : لماذا لا تتكلم •!؟ قل أي شيء •!! فالحوار من جانب واحد لا يؤدي الى شيء •• فكر معي بصوت عال •• أنا أفهم صمتك وأحترمه ، ولكنني بحاجة للحوار معك أنت المثقف بالذات حتى لا أسقط في هوة الثرثرة • !!!

ومهما ارتقى عقلي ، أظل بحاجة لصوت عقلك ، ومن جمع قوة الصوتين معا تتمكن من الوصول الى نقطة لبدء العمل • نقطة لا تجرح أيدينا وأقدامنا وضمائرنا فيها ، الأسلاك الشائكة التي توارثناها عبر الأجيال •

هو : ••••

هي : انني أغلي أثور •• أتحرق شوقا الى المرحلة التي تتخلى فيها عن عقدنا نحن الرجال والنساء ، كي تتمكن من العمل في أرض المعركة أمام عدو لئيم قد تخلى فيه الرجال عن كل عقدهم ، وسلموا مقاليد أمورهم لامرأة مسنةخبيرة بالشؤون والأساليب الاسرائيلية الصهيونيــة اللئيمة لتحقيق حلم الصهيونية مــن الفرات الى النيل ••!!

هذا الخبربنظري خبر خطير ولهمدلولاتخطيرةيجب أن نفتح أعيننا نحن العرب عليها ، الرجال فينا قبل النساء ، فالرجل الذي ينتخب امرأة لتحكمه ، رجل خطير جدا وأخطر بكثير من تلك المرأة التي انتخبها ••• !! أليس كذلك ••!!؟

هو : كلامك جيد ••• ويدفعني للكلام •

لن يستفيد العدو شيئا ، والخطة في عقول وأيدي نسائه ورجاله لن تتحقــق •

لقد تحركت المرأةالعربية كما يتحرك الرجل العربي ضد «ثكنة» الصهيونية التي اسمها اسرائيل ، وعلى مستوى واحد مــن القدرة على التخطيط والتنفيذ والشعور بالمسؤولية • ولاأكون مبالغا اذا قلت بان حجم العمل النسائي العربي لا يقل عن حجم عمل الرجل العربي ، وعمل الفدائية العربية « أمينة دحبور » مع زملائها الفــدائيين في مطار زيوريــخ ضد طائرة العال الاسرائيلية ، خبر هز العالم • ويعتبر هذا العمل في نظــري « قمة » لتعاون المرأة العربيةمع الرجل العربي في حمل مسؤولية الدفاع عن الأرض المحتلة حتى درجة الموت •

ان عمل « أمينة دحبور » الجريء يؤكد أن النضال العربي لاستعادة الأرض المحتلة يتفجر بالصحة والعافية في قلوب رجالنا ونسائنا ، وينفض عن أكتافنا بعنف غبار عقد مئات السنين المتخلفة .

ولكن أمينة دحبور واحدة لا تكفي ، وشادية أبو غزالة واحدة لا تكفي ، ومع علمنا بأن مئات الأخوات العربيات الفدائيات المجهولات يعملن بصمت، ومئات بل آلاف الأخوات العربيات في الوطن العربي يكافحن بالكلمة والمظاهرات والعمل لدعم العمل الفدائي ، الا أننا بحاجة لمزيد من نضال المرأة العربية ومشاركتها . ويجب أن نعترف بأن جولدامائير صهيونية خطيرة ، وان كل صهيونية في اسرائيل لا تقل عنها خطرا وعملا، وان على كل فرد منا أن يتسلح بقوة ، بعقله وبعمله وبسلاحه ، ليقابل فردا شرسا عنيدا يتمرن يوميا في الأرض المحتلة ليكون قادرا على القتل والتدمير واحتلال مزيد من الاراضي العربية.

كل فرد منهم ، مقاتل عسكري ، ولا يوجد في اسرائيل مدنيون مسالمون ، كلهم « جيش العدوان » .

ويجب أن نكون كلنا على استعداد تام لمقابلة هذا العدوان ورده والقضاء عليه ، بأن نتحول كلنا الى جيش قوي .

تقولين : كيف ؟؟

وأقول :

بالعلم والعمل ، بالقول والفعل ، بالمرأة والرجل ، بالانسان العربي الجديد .

هي : أقول لك بصراحة انني لا أقبل منطق الأرقام البشرية ، وأرفض فكرة أننا مئة مليون عربي مقابل ثلاثةملايين اسرائيلي •فالفرد العربي لا يقف أمام الفرد الصهيوني رقما مقابل رقم ، يعادله كتابة وحجما وقوة اعداد • لا • لذا فنحن بحاجة لاعادة النظر في تقييمنا لأنفسنا وتقييمنا للعدو • يجب أن نقتل عدونا بمعرفتنا لحقيقته ، واعترافنا بها أولا ، ثم للاستعداد لمواجهتها ثانيا •

هو : لا يهم ••• ومع حساب أسوأ الاحتمالات ، ولو اعتبرنا الفرد منهم يعادل العشرة منا، ولو قتل عشرة أفراد منا مقابل اسرائيلي واحد ـ وهو أمر مستحيل ـ لانتصرت فلسطين والأرض العربية ، وعاش مئة مليون عربي براحة كبيرة • تأكدي أنني في كل الأحوال متفائل • فالربح لنا لأن الحق معنا •

هي : شكرا يا أخي • وأنا أيضا متفائلة • ومتفائلة جدا • وروح النضال هي الريح العربية المعاصرة يجب أن تجتاح جيلناالعربي المعاصر ، وبها سنسود • وستعود فلسطين عربية ، وتتمتع بشمس الأصيل الفلسطيني معاً •

دمشق ـ ا نيسان ١٩٦٩



الفصل الرابع

فارس ومحنة

كان يكلمني وصوته المبحوح المجروح يختنق بدموع الرجولـة تتردد بين موقف الشجاعة وموقف الانهيار الكلي :

ـ والله وبأولادي ••• عندما نظرت الى السماء ورأيت الرف عائدا بثلاث طائرات أحسست أن قلبي قد سقط ، وأدركت أنه هو •

والغريب أنني كنت مسافرا ، ولما عدت قالوا لي في المكتب اتصل بك عدة مرات • كلمته هاتفيا وتواعدنا على اللقاء في اليوم التالي ،ويوم المعركة قررت أن أتصل به في القاعدة ولكنني قلت لنفسي انهم مشغولون اليوم ، غدا أتصـــل •

وفي الليل اختنقت بدخان الهواجس والقلق ورفعت السماعة ، وفوجئت بأن هاتف بيتنا معطل !! غريبة هي الامور لا أفهم كيف جرت وتجـــري •••!!

وفي اليوم التالي ، وأنا في الطريق قرأت على عمود الكهرباء نعوة « الشهيد الطيار فائز منصور » ، ودارت بي الدنيا • كنت في طريقي



الفنان عزيز اسماعيل ـــ أنطاكية

لادفع ثمن ساعة الكهرباء ودخلت مكتب أحد الاصدقاء في الشركة ، وفرطت • قلت له اعذرني أنا غير طبيعي وأجهشت بالبكاء •

كل من رأيته يوم الجنازة ، رفاقه ، أهله ، زوجته ، أطفاله ،الناس من كل مكان من يعرفه ومن لايعرفه، كلهم كانوا يبكونه ، ولكنهم ليسوا مثلي • انه يخصني وحدي أنا أحبه أكثر منهم • أنا أفهمه أكثر منهم كلهم ، أنا فقدته أكثر منهم كلهم ، موته فوق مستوى البطولة • خط حياته كله بطولة تنبع منها بطولة ، كل ما فيه كان يوحي لي أنه ابن الموت وابن الشهادة •

انه يعادل عندي مدنا وتقاليد وأخلاقا • انه عصارة تاريخ أمة بكاملها ، موته أكبر ولع بهذا الوطن • يا الله كم هو ولوع هذا الرجل بوطننا • اني واثق أنه طار الى هدفه بشجاعة لا مثيل لها • مات من أجل الدفاع عن أرض لبنان العربية ، من أجل القضية الكبيرة في حياتنا• هل هناك بطولة أكبر وهل هناك سبب للشهادة أكبر !!

انه أخي ورفيقي وحبيبي •• فايز منصور رجل حقيقي فقدناه •

صداقتي له !؟ منذ شهرين فقط ، لكني أعتبره من أكبر أصدقائي• لقد تجاوز بطبيعته وعفويته كل حدود الزمن • انه رجل طيب صاف غير معقد مثلنا • أية مهمة مهما كانت خطيرة وعاجلة فهو على رأسها حتما • كان يحب أولاده ويخاف عليهم • قال لأحد المسؤولين القادة الكبار مرة : نحن نخرج من البيت ولا نعرف متى نعود• قد نعود وقد لانعود• لا يهمني الا أن أطمئن على هؤلاء الاطفال •

نظرت الى ولعه بأطفاله مرة وأخفيت دموعي • انه مثلي • حبه لأولاده كحبي لأولادي ولكن حبه لوطنه أكبر أكبر أكبر •

لست أنسى كيف اتصل مرة بالقاعدة من معركة « الهامة »الجوية

مع العدو قائلا : حضروا طائرة ، طائرتي أصيبت • وعاد الى القاعدة وطار منها الى المعركة فورا بطائرة جديدة وصد العدوان •

ان الطيارين بنظري هم فرسان العصر وخيولهم هي الطائـــرات المقاتلة ، والسماء هي صحراؤنا الجديدة ، وميدان صولاتنا وجولاتنا المعاصرة •

أنا أدرك تماما قلق الانسان وهو مقبل على ركوب طائرة مسافرة، نزوله من سلمها في ميناء جوي آخر ولادة جديدة لا شك •

وأدرك أيضا توتر الناس الخفي في مطارات الوداع والاستقبال • توتر يختفي بين مشاعر المرح الكاذب ، ومشاعر الذعر الحقيقي ، على هذا الطائر الحديدي سنسافر ، قد نعود وقد لا نعود ، الطائرة ريشة في مهب الريح • ونحن نغامر ونركب هذه الريشة مقابل الحياة دفعة واحدة ، لتحقيق آمالنا الجريئة ، متجاوزيـــن بالطائرة عجـــز الزمن والمسافة ، وركوب الطائرة يستلزم الشجاعة •

هذا أعرفه أدركه • لكن شجاعة هؤلاء الطيارين المقاتلين عندي فوق مستوى التحديد والادراك • أنـــا أحبهم أتلاشى أمـــام عظمتهم وبساطتهم • كلمة نسور لا تكفيني ، وكلمة أبطال لا تكفيني ، في نفسي لهم كلمات أكبر وأعمق لم تكتشفها نفسي بعد بين حـــروف اللغة • الطيار رجل أحب أن أطعمه قلبي •

أعترف أنا أحب الطيران • عمري كله قضيته وأقضيه بحرقة لانني لم أحقق أمنياتي ، الطيار هو أنا • ولكنه طيار حقيقي وأنا طيار عاجز ، عجزت الظروف عن تحقيق أملي بأن أكون طيارا ولكنني أحب الطيران والطيارين • وأحب أن أكون معهم أبحث عن فرصة للقائهم والتحدث

اليهم وزيارتهم في قاعدتهم ، أرى فيهم كل أمنياتي وقد تحققت • فايز منصور صورتي التي لم تتحقق •

أمامي الآن مفكرة المكتب • هذه ورقة كتبت عليها العبارة التالية: اتصل بك المقدم فايز منصور • وهذه ورقة ثانية : اتصل بالمقــدم فايز منصور •

لم يبق لي منه الا ابتسامته الصافية التي لا تفارقني وهاتــان الورقتــان •

ولم يعد يسأل عني فايز منصور •

هناك قصة تروى عن بدوي له ابن وحيد فارس شجاع • وعادت المهرة يوما من عمق الصحراء تخب الرمال وحدهــا • نظر اليها الأب البدوي من بعيد وقال : ابني قتل •

وبأولادي ••• عندما شاهدت رف الطائرات السورية ذلك اليوم عائدا من الحدود اللبنانية ، الا طائرة ، أدركت أنه فايز منصور •

فايز منصورأعطانا معنى جديدا للمواطنة ومعنى جديدا للفروسية•

صديق فايز منصور الطيار الشهيد ، هو الفنان خضر الشعار ، الابن البار لمدينة السلمية ، المواطن العربي السوري الانسان •

دمشق ـــ ٢٦ ايار ١٩٧٠

★ ★ ★

أبو فهد مع الحكومة

لحامنا أبو فهد رجل طيب جداً، مؤمن بالله، يحب عمله والناس، متفائل تضحك سنه الذهبية ببراءة الاطفال والسكين الحادة في يده . عندما تصبحه يرد والبشر يملأ ملامحه :

يسعد هالصباح يا عيوني .. أهلين وسهلين : أمر !!؟

وفي لمح البصر تكون لحمتك جاهزة كالزهرة ملفوفة في ورق من الجيلاتين الشفاف النظيف . يودعك : الله معك عيوني ان شاء الله بالهنا، يستقبل غيرك : ميت أهلين وسهلين أمور !! ويفتح الدفتر ويأخذ القلم من خلف أذنه ويسجل : وقيتين لحمة كبة ووقية مفرومة ووقية دهنة . على راسي وعيني هلأ بيصيروا بالبيت ، روح على شغلك الله معك . ويرن هاتف أبو فهد من جديد منذ السابعة صباحا يبدأ الرنين وصوت أبو فهد يرد : « يسعدلي هالصباح أمر .!! حاضر خانم ، دقيقتين بتكون اللحمة عندك . تعا يا ولد .!! خود « اللحمة بالصحن » للفرن وقوللو أبو فهد بيسلم عليك وبقولك بدك تعطيلي بالك الساعة تنتين بدها تكون خالصة ، حاكم زبوناتي غاليين علي » .



الفنان الدكتور مروان مسلماني ـــ دمشق

أبو فهد لحام حارتنا في حي السبكي ، ليس بعيدا عن سوق الشعلان الشعبي ، هو شخصية شعبية محببة للقلب جدا وهو لحام طيب ولا يغش .

منذ اسبوعين بدأت ألاحظ تطورات غريبة على حالة أبو فهد ، ابتسامته الذهبية انطفأت . كان ينتهي من بيع خروفه قبل الثانية عشرة ظهرا . وأصبحت أعود في الثانية والنصف من عملي لاجده مازال فاتحا دكانه المطل على حديقة السبكي الكائن بين شارعي عمر الجزائري وجورج حداد ! وتغيرت « الاهلا والسهلا » في فمه . وجوم وسخط زبائنه ، لايقل عن وجومه وسخطه .

وقبل أن اسمع بالخبر الذي هز المدينة هزا ، وقفت عنده لاحاسبه وقال بخجل : عفوا يا اختي الحساب غلط لان سعر اللحمة ارتفع هاليومين وصارت الوقية بـ ١٧٥ قرش ، عند غيري الله وكيلك وصلت لليرتين . ! !

ـ ليش يا ابو فهد ارتفع سعر اللحمة ..!؟

ـ رجع اللحم للتجار .

ـ اي المفروض تنزل الاسعار ...!!

ـ والله شي بمخول العقل ، شلون المسكين الفقير بدو يعيش ..! لك شو جنوا التجار ، مالي فهمان ..!!؟

فوجئت . أصابتني الهزة ككل الناس . بل أصابني رعب شديد . اذا كان هذا هو حاضر الاسعار . فما هو المستقبل ياترى !؟

كنت أظن أني أعاني مشاعر الضيق وحدي ، لانني واحدة من

أبناء الشعب المستهلكين ، واذا بي أكتشف أن اللحام أبو فهد ، وهو لحام فرد ، ويمثل عددا كبيرا جدا من اللحامين الافراد ، يشاركني هذا الشعور ، ابو فهد انسان نبيل يستحق أن أقف عنده وقفـــة طويلة لا لاشتري اللحم ، فأبو فهد ظاهرة صحية في حياتنا الجديدة ، بل لاجري معه حوارا حول همومنا •

أبو فهد البائع ، وأنا المشترية نعاني شعورا واحدا هو شعور الحقد على تجار الغنم • كنا نتصور أن الحكومة عندما رفعت يدها عن تأميم اللحوم فسوف تنخفض الاسعار ويعم الخير والرخص • وتزدهر اطباق اللحم اللذيذة على سفرة أسرتنا العربية الشعبية الفقيرة •

وأكلنا صدمة كبيرة • وجــاءت التجربة لتردنـــا الى الصواب • وكانت ظاهرة حريق أسعار اللحوم بعد أن عادت قطعان الغنم الى ايدي التجار ، علامة فارقة جدا جدا ، انتبه لها الشعب ، الفقير منه والمتوسط والغني ، المثقف والامي ، الموظف والعامل •

لا فائدة ، التاجر الكبير المستغل هو التاجر الذي كنا نعرفه من زمان ، يستغل المواطن سواء كان مستهلكا أو تاجرا صغيرا • لم يتغير فيه شيء • لم تعلمه الحياة القاسية شيئا ولم تحرك عقله ولا ضميره ، لم ترهبـــه عصـــا الثـــورة الشعبيـــة •

لم يستفد من آلام تجربة التأميم • لم تعلمه يد الاشتراكية الرادعة كيف يستيقظ مـــن سكرة الارباح • لم يرحم غيره • وكان مثله مثل الزواحف تختبىء شتاء قاسيا بطولـــه ، لتعود للحياة عندمـــا يشرف ، الصيف ، أكثر لؤما وسما •

خسر التاجر هذه المرة نهائيا قلوب الناس • وعندما نادى الشعب وامعتصماه •••!! عادت الحكومة لتمسك بيد العدل ميزان اللحوم •

ارتفعت اسهم الحكم والحركة التصحيحية وكبر التأميم في عيون الناس . هذه المرة حصلوا على القناعة بأنفسهم ، ولم يأخذوها برشامة أو جرعة أو زرقة عن طريق صحيفة أو كتـاب أو راديو أو خطـاب . الدرس الاشتراكي العملي الجديد كان أستاذه هذه المرة تاجرا رأسماليا.

وكم هي خطيئة تاريخية غبية خطيئة التجار ، تجـار الغنم هـذه المرة ...!!! لن ينساها الشعب البسيط والذكي لهم . وكم أتمنى أن يكون الحـادث عبرة لكل التجـار .

أنا لست وزيرة ، أنا لست حزبية ، لست بعثية ، أنا مواطنة عادية تماما . صوتي ينبع من ذاتي ومن قناعاتي .

وابو فهد ليس وزيرا ، ليس حزبيا ، وليس بعثيا ، ولم يقرأ شيئا عن الاشتراكية والماركسية ، لم يقرأ الا القرآن الكريم . الا أننا أبوفهد وأنا ، نعاني شعورا واحدا الآن ، هو شعور الفرح بعودة أسعار اللحوم الى حالتها المعقولة ، وهو شعور تنطبق عليه كلمة أخجل من استعمالها : الشماتة بالتجـار . اللهـم لا شماتة .

وأنا وأبو فهد مع الحكومة .

دمشق ـ نيسان ١٩٧٢

★ ★ ★

رسالة إلى الطيار الإسرائيلي الذي قتل زوجي

التاسعة صباحا .. يوم الاثنين ..

وفي اليوم الثامن من شهر كانون الثاني من عام ١٩٧٣ ، استشهد زوجي النقيب فؤاد محفوظ وهو يؤدي واجبه العسكري في الخطوط الامامية من الجبهة العربية السورية ، بينما كان يلقي محاضرة عسكرية علمية على رفاقه في السلاح .

سبع سنوات ... ولم أكتب عن شهيدي الغالي فؤاد . وقد منعني حياء المرأة العربية في رثاء زوجها ، من رثاء زوجي ، بينما رثاه عدد من أصدقائه ورفاقه بكلمات حقيقية تخلد استشهاده كما تخلد حياته ، وكان رثاء قريبه وأحد أبناء قريته الشاعر ممدوح عدوان من أبلغ ماكتب وهو محفور في ذاكرتي وذاكرة الايام ، وقد قال بصدق وحرارة ، كل مايمكن أن يقال عن حياة فؤاد محفوظ وملامح شخصيته الانسانية المتميزة منذ الطفولة حتى سن الشباب والرجولة والعطاء للوطن . وأعدت قلمي الى مكانه ، واستسلمت لاحزاني وصمتي ، وأخفيت أوراقي التي سجلت فورة الحزن والغضب والثورة الملتهبة



الفنان عزيز اسماعيل ـــ أنطاكية

على الظلم الذي حل بي ، على يد القدر الاسود كان وراء رحيل فؤاد الخاطف .

سبــع سنوات ... ولــم أكتب عن شهيدي وفي كــل ذكرى لاستشهاده ، تسافر اليه مني وعني زهرة تعانق قبره هناك في الشمال ، على حضن جبل مقابل قريته « دير ماما » الام الاولى التي أنجبته لهذا الوطن . ولا أذهب أنا ، لانني لا أستطيع أن أذهب .

وفي كل عيد من أعياد الشهداء في السادس من أيار من كل عام ، كنت أهرب الى جزيرة الصمت وأتوقف عن الكتابة .

وهذا العام ... كان لابد أن أحتفل بذكرى شهداء الوطن على طريقتي ، فأهجم على النعامة التي تطمر رأسها في الرمال ، وأبعث فيها روح الشجاعة كي تواجه حقائق الحياة بجرأة ، تحقق الممكن وتعايش المستحيل . ومن أعظم حقائق الحياة الموت . فان كان الموت حقــا ، فلنواجهه بقوة الحياة ، وان كان الاستشهاد شرفا فلنكتب عنه بمداد الخلود .

الانسان يحب الحياة ويكره الموت ، وهذه حقيقة انسانية لايمكن نكرانها ، الا ان الايمان في القلب بالقضاء والقدر ، والتمسك بمنطق التاريخ ، بأن أقدار الامم يصنعها الابطال من رجالات الوطن وشهدائه ، والبحث عن المعاني السامية لمعنى الشهادة وعن الآثار الانسانية التي يتركها الشهيد لمن هم بعده ، علامــة على المستقبل ، ومنــارة تضيء للمراكب في بحر الحياة ، شواطىء السلامة ، هذا كله يجعلنا ندرس ظاهرة الشهادة في سبيل الوطن ، على انها ظاهرة ايجابية ، بناءة مضيئة في مستقبل وطننا .

وما دموع الحزن على من استشهدوا الا قطرات من المطر الانساني

على أرض الواقع الواعي العاقل ، بأن رحيل انسان هام في حياة الوطن والامة ، انما هو حقد يتغلغل في نفوسنا على أعدائنا ، انما هو ثـورة مشتعلة لا ينطفىء لهبهـا لأخذ الثـأر واستعادة الأرض والحق ، ولا ينتهي زيتها • هي دموع تؤكد سر عظمة من رحل فجأة ، في أوج تألقه العسكري والوطني والفكري والعاطفي والثقافي ، هي دموع تثبت خسارة الوطن بأحد رجاله ممن كانت حياته ، لو استمرت من الشباب حتى الشيخوخة ، بركان عطاء انساني كبير • وأطفىء البركان بلحظة ، بأطنان من قنابل الحقد الصهيوني عبر طائرات فانتوم امريكية •

بعد سبع سنوات ••• كان لابد أن تخرج رسالتي الى النـور ، وكنت قد كتبتها بحرقة شديدة في الايام الاولى للكارثة التي حلت بنا ، فؤاد وأنا ، وحلت ببيتنا وسعادتنـا وزلزلت كياني وافقدتني اتزاني بفعـل رحيل زوجي المفاجىء غدرا ولـم تمض على سعادتنا الروحية والفكرية الزوجية سنة ونصف السنة •

هي رسالة كتبتهـا الى الطيار الاسرائيلي الـذي قتل زوجي ، وخبأتها بحرص شديد بين أوراقي ، علّها تشهد النور وتترجم الـى اللغات الاجنبية ليقرأها الناس في الغرب ويسمعوا صوت امرأة عربية سورية تحولت بفعل اسرائيـل الصهيونية الى أرملة تمشي ويمشي الحزن داخلهـا • ليقرأ الغرب الذي يدعم اسرائيل أفكار ومشاعـر أرملة عربية تمكنت بالصدفة ، لكونها كاتبة لاينفصل عندها العقل عن القلب ، ولا يمنعها البكاء بحزن عن الكتابة بمنطق ، تمكنت من التقاط صورة البيت العربي المفجوع بفعل النازية المعاصرة للصهاينة الذين احتلوا أرض فلسطين وأجزاء من الاراضي العربية المحيطة بها ، دموع التماسيح يذرفونها على موائـد الاعلام الغربي ، يدعـون ان العرب سيرمون بهم في البحر •!!

الرسالة ستنشر كلها في كتابي المقبل ، وهو يضم قصة تفاعلي مع الوطن في السلم وفي الحرب ، وكل انفعالاتي أثناء وبعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ .

أكتب عن شهيدي الضابط النقيب فؤاد محفوظ في عيد الشهداء ٦ أيـار ١٩٨٠ وأنا أحس بمسؤولية التعبير عن آلام وأحزان الوطن وأحزان آباء وامهات وزوجات وابناء وأصدقاء الشهداء ، عبر آلامي وأحزاني ، فالشهيد واحد ، والحزن على الشهيد في القلوب واحد ، وفخر الوطن بالشهداء جميعا واحد وكل لايتجزأ .

أكتب الآن بعقل وهدوء ، وأنقـل الى الناس ما كنت قد كتبته عام ١٩٧٣ بانفعال وبكاء وثورة حتى على الموت نفسه وعلى الشهادة نفسهـا .

وأسمح لنفسي بنشر مقاطع من الرسالة التي وجهتها الى عدوي الذي لا اعرف اسمه ولا وجهه ، الطيار الاسرائيلي الذي قتل فؤاد محفوظ زوجي .

أكتب اليك بالعربية لا بالعبرية .. وسيترجمون لك كلماتي ... ان كنت لازلت حيا،وأشك أن تظل حيا ، ورفاق فؤاد فيسلاح الطيران والدفاع الجوي في أعلى درجات اليقظة والشعور بالمسؤولية والسهر لحماية خط الجبهة من أي عدوان وأي تسلل للطيران المعادي .

لايهم أين أنت ... المهم أنت .

لي رغبة انسانية حارة يصاعد لهبها من جهنم الروح الحزينـة أن أحكي لك قصتي معك ، كانسان يهودي عربي أو أوروبي أو أمريكي ، لا كمقاتل صهيوني حاقد .

قصة انسانة عربية سورية وكاتبة كانت زوجة ضابط عربي سوري ، جعلت منها أرملة تعيسة .

أكتب لك وأنا أرتدي الاسود من رأسي حتى قدمي حتى النخاع الشوكي في العمق من العظام ، الاسود الاسود الاسود .

ان اللون الاسود يغطي جسمي ووجودي وتفكيري ، ويلتصق ببشرتي البيضاء ويطلي كياني وجوهري بطلاء لاصق حارق .

هذا لايهم . المهم أنت وأنا .

أنت لا تعرف من أنا . وأنا لا أعرف من أنت ، ومع ذلك تربطنا علاقة جدلية بقدر أسود ومصير صعب .

ربما أنت يهودي عربي شرقي ، أو يهودي أوروبي أو أمريكي . ربما أنت طيار أشقر أو أسمر ، جميل وسيم ، أو دميم بشع ، طيار عامل ، أو مقاتل مرتزق ، ربما أنت رجل ينتمي الى اسرة ، أو أنت مخلوق مشرد لا اصل له ولا جذور ، ربما أنت انسان محب محبوب ، وربما أنت شاب من فصيلة الخنافس ضائع معقد لايحب أحدا ولم يحبه أحد ، اليك جانبا من قصتي .

بعد عدوانك الآثم بطائرة الفانتوم على قريتي نوى وداعل جنوب سورية ، استشهد بعض العسكريين وكان زوجي بينهم . مرّ النهار... ومرّ الليل ... ولم يعد فارسي الى بيته . قتلتني عندما قتلته . في الواقع مات هو وبقيت أنا . وفي الحقيقة عاش هو ومت أنا . والفرق بيني وبينه أنه يجهل موتي ، وأعي حياته وحجم الخسارة برحيله ومعنى خلوده عبر استشهاده .

كنت أنا ليلة أعددت نفسك لتنفيذ العدوان صباح الاثنين الثامن من كانون الثاني عام ١٩٧٣ ، أحضر لزوجي فؤاد طوال السهرة وحتى منتصف الليل ، لونا من الطعام الدمشقي يحبه ويشتهيه •

كنت في تلك الليلة الباردة العربية أجلس في غرفتنا الدافئة الاثيرة ، غرفة المعيشة والاستقبال والمكتبة معا ، ساهرة تارة أنظر الى حوادث فيلم اجنبي مثير من أفلام الدول الاشتراكية عن الحرب العالمية الثانية ، وكان بعنوان « اسطورة » تشدني أحداث المأساة الانسانية لرجل وامرأة فرقت بينهما الحرب • وتارة كنت أعود فأتابع العمل اليدوي ، وأفرد العجينة « بالشوبك » الخشبي ، على الطاولة وأرققها وأحشوها باللحم وأجمعها وأتفنن بأشكالها ، أعدها أحضرها للغد ، حتى أعود من عملي في الثانية والنصف بعد الظهر وأتم طهو العجينة باللبن ، لتكون أكلة « الشيش برك » جاهزة على الغداء ، موعد حضور السيارة العسكرية التي ستعود بالضباط وبينهم زوجي النقيب فؤاد محفوظ من الخطوط الامامية ، بعد غياب ثلاثة ايام عن بيته •

أتعرف ما الذي كان يقوله زوجي ؟

كان يقول لي انه يحب كل أكلة مطبوخة باللبن الرائب ، لانه يشعر عندما يأكل اللبن أن جسمه كله يضحك •••!!

هل سمعت في حياتك تعبيرا بهذا الجمال لانسان ، عندما يتحدث عن علاقة الطعام بجسم الانسان •

كعادتي •• كل شيء في البيت أنيق نظيف مرتب مشرق مزدهر بالفن والجمال ينتظر عودته بفرح •

أعددت مائدة الطعام ، والنار الخافتة تحفظ لالوان الطعام

نضارتها ، حتى زهر الشتاء في الشام كان على المائدة ينتظره بحب بشوق مثلـــي •

ومرت الثواني والدقائق والساعات ولم تحضر سيارته ولم يحضر فؤاد • كنت أعرف صوت سيارته عن بعد ، كنت أميز صوت محركها وزقزقة وقفتها المفاجئة وصوت اغلاق بابها بيده •

كان يقفز مـــن سيارته الى بيتنـــا قفزا سعيدا متلهفـــا على بيته كالاطفال • وليس أعظم من الكبار عندما يحتفظون بفرح الاطفال ونقاء سريرتهم ، ويتفجرون بحب الحياة رغم بدء اشتعال الفكر بالثورة مـــن أجل انسانية الانسان وحريته ، ورغم اشتعال الرأس ببعض من خيوط المشيب •

لا أعرف كيف كان يقفز الدرجات الى بيتنا في لمح البصر • كـــان المفتاح في يده يزغرد ويغني في قفل باب بيتنا السعيد ، ويغني في قلبي وعقلي وروحي وضميري •

هذه المرة ••• لم يزغرد المفتاح في باب بيتنا أتعرف لمـــاذا ••• ؟

لان المفتاح قـــد ضاع ، ولان زوجي قـــد ضاع ، ولان العلاقـــة الانسانية العاطفية العظيمة بين المفتاح وبين زوجي ، وبين بـــاب بيتنا وبيني ، قد دمرت بأطنان القنابل التي ألقيتها علينا من طائرتك ، وضاعت مع الريح ، وانطمرت في عمق الارض •

ألقيت عليه هدايا رأس السنة من اسرائيل للعرب ، أطنانا مـــن القنابل ، مع أنه لم يسهر ليلة رأس السنة عام ١٩٧٣ لا في بيته ولا مع أصدقائه في مكان عام ، كان يستقبل العام الجديد في خندق العيـــون الساهرة في الجبهة لحراسة الوطن ، كان يطالع كتابا في حجرته العسكرية

المتواضعة ، على سريره العسكري المتواضع ، يغطي نفسه بحرام صوفي خاكي متواضع ، يدفىء نفسه بكأس من الشاي الساخن ، يمني النفس بأن يأتي دوره في النزول الى الشام ، لكي يقول لزوجته ، أم طفله المقبل الحبيب ، بعد دخول السنة الجديدة :

« كل سنة وأنت سالمة .... »

رميته بتلك الهدية النارية المحرقة في الايام الاولى من العام الجديد ، وكنت في قمة الكرم وقمة اللؤم الصهيوني .

وضاع فؤاد الانسان العسكري المواطن العربي السوري الطيب المثقف اللامع الشهم المحب السعيد الانيق الوسيم المتفائل ، المقبل على المستقبل الاخضر بعد أن تجاوز الماضي الاسود .

ضاع مني وضاع من الوطن ، وضاع من الانسانية ، انسان متميز عظيم ورجل عصامي فقير بنى نفسه حجرا حجرا ، حتى بدأ الآخرون يلمحون بدهشة أعمدة وجدران البناء العظيم وهي تقف قوية شامخة فتية تعلن ولادة كيان جديد لانسان جديد ، التهم كتب المكتبة الانسانية ليزداد غنى في الروح وقوة في الفكر وسموا في الهدف ووعيا لاهمية الحياة ومسؤولية العطاء .

كان زوجي المثقف الضابط النقيب فؤاد محفوظ ، قد اختار في الكاتبة زوجة له لأنه مثقف حقيقي ، يفهم الزواج زواج العقل والروح قبل الجسد . كان يشركني الرأي وأشركه الرأي في كتاباتنا واتتاجنا الفكـــري .

هو يؤلف كتابا بعنوان : « صفات القائد » يؤرخ للقادة العظام في تاريخ جيوش العالم منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد وحتى عصرنا

الحاضر ، ويكاد أن ينتهي منه ويقدمه خلاصة لمطالعاته الواسعة ، ليضعه في خدمة قواتنا المسلحة ، وأنا أؤلف كتابا أدبيا ، أقرأ عليه بعض صفحاته ، أستشف انطباعاته الانسانية عن تفاعلي مع الحياة والحب والانسان والطبيعة .

وضاع فؤاد .. وحضنت أوراقه ، ولن يضيع فكر فؤاد الثاقب ، ولن تموت روحه الوثابة وأعماله الفكرية العسكرية وسأحمل مسؤولية اتمام مشروعه وظهور كتابه تماما كما كان يخطط ويعمل . وستعيش أفكاره خالدة تقهر موت الجسد وتعلن مجد الشهيد الذي انطفأ مبكرا .

وضاع انسان عاش عمره كله متألما فقيرا محروما حتى من حنان الاب ، باكيا على شقاء الام مع الارض ومع الحياة ، وتواقا لسكينة النفس في صدر امرأة يحبها وتحبه سوف تمنحه طفلا جميلا يحلم أن ينام بينهما ، لا في سرير وحده ، وبسلام .

لم يعرف كرها لاحد ، أحب الناس كل الناس ، أحب الفقراء والطيبين والمرضى والمساكين والضعفاء ، ولم يسمع بمريض الا وهب واقفا كالنمر مسرعا كالبرق الى أكثر الاطباء شهرة وأفضل المستشفيات العسكرية مستوى وعناية ، ليقدم المساعدة والعون .

أتعرف لماذا ... أيها الطيار الاسرائيلي المجرم ... ؟

لان أم فؤاد الطيبة الفقيرة المقهورة قد ماتت على يديه وهو لايملك قرشا واحدا ثمن دواء لها .

قال لي في مخابرته الهاتفية الاخيرة من الجبهة انه عائد قريبا الى البيت في اجازة طويلة . ما زلت أسمع صوته العبقري الطيب الحنون يسألني بلهفة وبأدب وبلغة الجمع :

« نازل ... بدكن شي !! »

أين اختفى زوجي أيها الطيار الاسرائيلي ؟ هل صهرته بالـنار الجهنمية العلمية المدمرة التي تحملها أحشاء طائرتك الامريكية المقاتلة المعاصرة ؟

هل فتتت جسده الجميل ووجهه الضاحك ، وقلبه العاشق ، وعقله المشع الى ذرات من تراب الوطن المقدس يطير مع رياح الشتاء عائدا من جنوب سورية الى الشمال ، الى الجبال ، الى قريته الفقيرة الجميلة النائمة في حضن الجبل الاخضر قرب مصياف وحماه الى « دير ماما » الفخورة به ، والتي تحمل باسمها سرها ، سر حنان الامومة ، وقدسية أمومة مريم لابنها يسوع ... الفادي الاول الذي راح شهيد أمته على يد اليهودي النذل الاول ...؟

عاد فؤاد الى أمه .. الى قبر يجاور قبر أمه لينام بسلام .

ومجّده وطنه ، وسمى ثكنة عسكرية هامة في دمشق باسمه ، ومجدته الروح العلمية الثقافية في وطنه وأطلقت اسمه على ثانويـة مصياف ، ولم يمت فؤاد أبدا .

لا بد من الثأر يوما لشهيدي وشهيد الوطن ورفاقه في كل معارك التحرير التي خاضها الوطن . لا بد ، والعربي يأخذ ثأره ولو بعد أربعين سـنة .

أما أنا فانني مطلية الروح والجسد بالاسود بلون الفحم ، تفحم قلبي وتفحم ثوبي الاحمر الذي كان فؤاد يحبه .

حتى هذا الكلام ، فأنا أكتبه لك في عز الليل الحالك ، ودموعي على زوجي الحبيب وجنيني الذي ضاع حزنا معي ومع جسدي الحزين

على موت أبيه ، دموعي لا يوقفها أي كلام يقوله لي المعزون من الاهل والاصدقاء حولي .

عشرات من رفاق السلاح والكتاب والمثقفين من أصدقائنا ، فؤاد وأنا ، فقدت أمامهم قدرتي على التماسك والتوازن الفكري والنفسي ، يخاطبونني بلغة ترقى الى مستوى فكر الكاتبة ووعيها القومي وحسها الوطني العالي ، يمطرونني بالمشاعر الوطنية الكبرى ، ينتظرون مني تجاوزا وتفوقا على أحزان المرأة الزوجة الثكلى ، الاحزان الانانيةالفردية الضيقة المحدودة بحدود العاطفة الانثوية ، الى المرأة العربية السورية المفكرة الشجاعة المنطقية المؤمنة بقضاء الله وقدره ، الكريمة النفس التي ترفع رأسها كالخنساء وتحمد الله أن فؤادا قد شرفها باستشهاده في ساحة المعركة والحرب مع العدو من أجل حرية الوطن واستعادة فلسطين السليبة : بكبرياء من أعطت شهيدا للوطن في قافلةالشهداء منذ ٦ أيار حتى عصرنا الحاضر ، أرفع رأسا منكسرة وعقلا مهزوزا وقلبا متصدعا وعينين حمراوين قرحهما البكاء المر ، وتجيبهم من الضلوع ، المرأة الأمية فيّ ، البسيطة المحروقة اليائسة من رد الحادثة :

أرفض كلمة بطل ... خذوا كلمة شهيد .. وأعيدوا لي « فؤاد » ....!!؟

موت فؤاد ظلم له ولي وفي هذه المرحلة من العمر ، لن أنسى فؤاد ولن يخفف شيء من حجم الكارثة .

ولكن ...

هل أنت انسان ينام ؟

أما أنا ... فلا أنام .

لان زوجي الضابط السوري الشجاع لن يتكرر في الحياة مره ثانية • قد تبتسم عيني ويفتر ثغري عن ابتسامة وتظل روحي تبكيه دموعا ناشفة غير مرئية • لكل أحزانه في الحياة ، وعليّ أن أخفي حزني العظيم عن الآخــرين ، وأن أعود الى شـــارع الحياة لأعيش وأعمل وأعطي •

أيها الطيار الاسرائيلي •• أبناء وطني من رفاق شهيدي سوف يثأرون له ولرفاقه من شهداء الوطن • شقيقاه الضابطان الشابان منذر ونضال سوف يثأران لي ولفؤاد وللوطن الذي فقد الشهيد فؤادمحفوظ •

أدرك بعقلي الحزين ، أن أحزاني الشخصية وأحزان مثيلاتي ، سوف تتفتح ابتسامات وضحكات رنانة في مستقبلنا العربي المقبل في كل بيوت الوطن • » •

كتبت في دمشق ـــ ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٣

سهـــام ترجمان

نشرت في دمشق ١٥ ايار ١٩٨٠ بمناسبة
عيد شهداء ٦ ايـــار

★ ★ ★

شكر على تعزية

من أرملة الشهيد النقيب فؤاد محفوظ
السيدة سهام ترجمان
في مجلة جيش الشعب العدد ١٠٧٥

آل محفوظ وآل الترجمان يعجزون عن رفع كلمتي شكر وتقدير عظيمتين تعادلان ما لمسوه وما تلقوه من المسؤولين والاهل والاصدقاء والزملاء من لهفة كبيرة وجهد عظيم ودموع حقيقية وأكاليل زهر حزينة وبرقيات وكلمات تدمع أسى ولوعة ومشاركة عميقة بحزنهم الكبير على شهيدهم الغالي النقيب فؤاد راجي محفوظ ٠

ولن ينسوا يوما العطف الكبير الذي غمرهم به السيد الرئيس حافظ الاسد رئيس الجمهورية القائد العام للجيش والقوات المسلحة ، والسيد اللواء مصطفى طلاس نائب القائد العام للجيش والقوات المسلحة وزير الدفاع ، والسيد اللواء عبد الغني ابراهيم مدير الادارة السياسية، وجميع ضباط وموظفي وموظفات الادارة ، وكل من واساهم من ضباط القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة ، وجميع رفاق السلاح ورفاق العمر ٠

وأملنا بالله كبير أن لا يخيم الحزن المفجع يوما على بيت من بيوتهم وأن يحفظ للوطن أبناءه ٠

دمشق – ١١ محرم ١٣٩٣ هـ
١٢ شباط ١٩٧٣ م

قصيدة خاصة جداً

مهداة إلى المرأة السيف

إلى سهام ترجمان الباسمة في حزن

استقراء لنفس امرأة يسكنها الأسى

شعر: مجيب السوسي

إضحكي.. إضحكي، صميمك حزنٌ ... لا يُغطّي طعمَ الحريقِ العبيرُ
يقرأ الناسُ في محيّاكِ دنيا ... من حبورٍ، يغارُ منه الحبورُ
يرفضُ الحزنُ موطناً في التعزّي ... لو علمتم ماذا تُكنُّ الصدورُ
دفنتْ همّها حَبِيّ بحزنكِ حتّى ... ساومتني على شجاكِ الطيورُ
يا التي حزنها تلثّمَ.. مهلاً ... يعرفُ الرعدُ وقتهُ فيثورُ
كابري.. كابري الرسومَ تخفي ... آخرَ الليلِ، والدموعُ تنيرُ
عادَ تشرينُ.. منذُ سبعِ سنينٍ ... خيلُهُ البيضُ ما تزالُ تغيرُ
وتغنّتْ بمجدِهِ نافلاتٌ ... من صبايا ونشوةٌ ونسورُ
يُشرقُ السروُ في العيونِ ويعلو ... وعلى مقلتيكِ يصحو الهديرُ (١)
رُبّما عادَ باذخاً وسيماً ... أوما آنَ يا فؤادُ تزورُ؟!!
كتبتْ زوجةُ الشهيدِ إلى النذلِ، ودوّتْ في الخافقينِ السطورُ (٢)
يُزهرُ الدمُ أيّها الوغدُ ثأراً ... لا تظنّنّ ثأرَنا سيغورُ
كانَ في صوتِها الثكالى جميعاً ... ونزيفٌ من الدماءِ غزيرُ



الفنان نعيم اسماعيل ـــ أنطاكية

عادَ وجهُ الشهيدِ يُشرقُ في عينيكِ.. ذكرى الشهيدِ عطورُ

يقرأُ التاريخُ وجهكِ حتّى   قالَ عنكِ الخنساءُ وهو فخورُ

يا التي تبسمينَ.. وجهكِ ريٌّ   غلّةَ النفسِ، وهجُهُ مستنيرُ

فيهِ تمشي الهمومُ غطّاهُ صفوٌ   رائقٌ يستريحُ فيهِ خُفورُ

طالعَ الحزنُ ربوةً فربيعٌ   دافئُ الشمسِ في الرُبى وغديرُ

وحزاني على شواطئِ جفنٍ   يستحمُّ الندى بهِ ويمورُ

أعذريني حزينةَ القلبِ شطّتْ   خيلُ قلبي فشفَّ فيهِ الشعورُ

ربحَ الحزنُ في السباقِ سلامًا   أيّها العمرُ قدْ يعودُ السرورُ

١- يصحو الهدير : إشارة إلى صوت السيّارة التي كانت تعود بفؤاد إلى البيت

٢- كتبت زوجة الشهيد إلى النذل : هي الرسالة التي وجّهتها إلى الطيار الاسرائيلي

العودة من جزيرة الصمت

أيام وأيام وأيام ...

أشهر وأشهر وأشهر ، مرت علي وأنا غائبة في جزيرة الصـــمت والحزن والسكون ، لا أملك القدرة على الكلام والفرح والحركة ، واكتشفت تعريفا جديدا للانسان . الانسان : هو الفرح . وعنـــدما ينطفىء فرح الروح تنطفىء جذوة العطاء عند الانسان .

أنا معلقة على شعرة كالصراط المستقيم بين عالم الاموات وعالم الأحياء بين جحيم الموت وجنة الحياة ، لا أدري ان كنت أنا التي ماتت، أم هم الذين ماتوا .

هم من أحببتهم حبا عظيما يعادل عمري . هم فرح الروح في صدري ، هم الذين رحلوا وخطفوا معهم فرحي كل فرحي ، انسانيتي كل انسانيتي .

أبي وأمي وزوجي وابني ، كلهم تركوني ورحلوا الرحلة الابدية خلال سنتين . وعلي الآن أن أعيش ، وأتابع رحلـــة الحياة دونهم ،



الفنان الدكتور مروان مسلماني ـــ دمشق

انسانة طبيعية هادئة متفائلة بالحيـــاة تعمل وتأكل وتنام وتقرأ وتكتب وتفرح وتلتقي بالآخرين وتبتسم للمستقبل وكأن شيئا لم يحدث • فليس ذنب الآخرين أن أفقد أنا من أحب • لا ذنب لهم في أن يتابعوا معي مصير التوغل الاسود في غابات جزيرة الحزن • لا ذنب لهم في أن يروا مزيدا من الدموع في عيني ، مزيدا من الاسى في قلبي ، مزيدا من الانطفاء في روحي ، مزيدا من السكون والموت في وجهي •

الآخرون يحبون ، يعشقون الحياة ، الحياة أمر دائم ، والموت أمر عارض • الحياة أقوى من الموت • لا شيء يقهر الموت كالحياة • وكل انسان يهرب بقوة من دائرة الموت يرمي نفسه بقوة في دائـــرة الحيـــاة •

« آه ما أكره العالم السفلي » !! •••• قالها الانسان منذ عصر جلجامش وأنكيدو • وكما قالت لي سيداتنا العجائـــز ليؤكـــدن لي حقيقة الموت :

« يا بنتي الموت قريب من الانسان ، وأقرب مـــن بياض العين للســـواد » •

صحيح • أن الخط الفاصل بين المـــوت والحياة ، كالخط بـــين سواد العين والبياض ، كالقشرة الارضية الفاصلة بين العالم العلوي والعالم السفلي• كنهر النيل الفاصل بين مدينة الاحياء ومدينة الاموات في الاقصر قرب أسوان •

ويقول الاصدقاء ويلحون بذكاء مدروس :

« اكتبي ••• أحسن دواء لك العمل والكتابة • اكتبي ••فالحزن تجربة كثيفة سوف تلهب قلمك الجامح بسياط العذاب ، وتمكنه من

احراز النصر في سباق الاقلام المثير •••!! » انهم يلغون المرأة في ، ويقفون عند الكاتبة !!!

شكرا للاصدقاء الطيبين ، لانهم يبحثون لي عن مخرج للنجاة ولكن •• !! أين أغمس القلم ، والدواة لم تعد نبعا •• ومعين الدواة قد نضب ، والسماء قد حبست عن قلبي حبات الفرح !!! ؟

ماذا أكتب ونفسي جامدة كالتمثال لا تتفاعل مع الحياة !!؟

من أحببتهم وأحبوني ماتوا فعادوا الى ذاتي أكثر حياة واشعاعا • والأنا التي تمتلك الحياة كل الحياة ، قد فقدت الاحساس بطعم الحياة، فأخذت مكانهم وأخذوا مكاني ، أنا « قبور ماشية » وهم بشر أحياء يتفجرون بثورة الحياة •

أن أعبر عن عاطفة فرح أو عاطفة غضب ، معنى هذا أني أتفاعل مع ظواهر الحياة اليومية ايجابا أو سلبا • انسانة بدائية أنا • لا تعرف الكلام فيجزيرة الصمتالموحشة ، تماما مثل انكيدو انسان الغابةفيعصر جلجامش ، الذي تعلم الكلام ودخل باب المعرفة عن طريق الحب • أنا حلزون جبان في قوقعة الخوف • خائفة من كل ما هو آت ، ربما يحمل لي مزيدا من أخبار الموت والحزن والغدر • أخاف على الآخرين أن يموتوا أو أن يموت لهم من يحبون ، ، أو يتخلى عنهم من يعبدون ، لا أخاف على نفسي من الموت ذاته أبدا • لم أعد تلك المتفائلة الطيبة المرحة التي ترى النصف المليء من الكأس • عيني الدامعة أبدا ، الحائرة بين الدمعة والابتسامة ، لا ترى الا النصف الفارغ •

للصمت نهاية اسمها الكلام ، وللخوف نهايـة اسمها الشجاعة • فقدت بالامس حاسة النطق الصحيح على صفحة الورق وعلى صفحة الهواء وعلى صفحة النفس البشرية ، وبدأت أستعيد القدرة على التعبير

المتوازن عندما بدأ عقلي يتداخل ويتفاعل مع صور الحياة اليومية • أكثر من صورة تناديني تغريني بالتعليق بالنقد الساخر أو بالاطراء العـذب •

الصورة أحيانا غير مريحة ولا تبعث الفرح • الصورة المنفرة تجعل الاخرس يتكلم يصرخ يرفض حتى عجز اللسان ولا يخاف حتى عقوبة الاعـدام •

ربما لا أكون وحدي التي تصرخ ثورة وغضبا ورفضا لبعض ما أراه وترونه معي ، ويفرض علينا وكأننا حشرات لا حق لها في المناقشة وابداء الرأي •

الصورة الاولى : التاكسي • تشير اليه ، يرمقك صاحبه باحتقار ويتابع المسير • السرفيس يمر ، يتجاهلك نهائيا ان كان في وجهك ربع ليرة • ويفتح لك البوابة بكل ترحاب ان كان في وجهك ليرتان • وتنفتح لك أبواب الجنة في عز الجحيم جحيم الانتظار والصيف ، وبلمحة تصبح أسعد انسان في المدينة لانك راكب محظوظ تتفرج على التعساء من نافذة الحظ ، تتركهم مكومين على أرصفة الانتظار والتعاسة ، تحمل راية النصر ويحملون عار الهزيمة • تكاد لشدة فرحك تقبل رأس سائق التكسي من الخلف •

الصورة الثانية : بناء مكتبة الآداب الجديد المطل على اوتوستراد المزة • يدير لك ، للطريق ، اليتيه كخروف قليل الذوق والادب ، وعليك أن تتخيل ملامح وجهه الحسن التي يتصبح بها يوميا طلاب الآداب داخل الكلية ، ويتمسون •

من هو المهندس الذي هندس هذا البناء العصري ؟ تابعت عملية

البناء من نافذتي منذ البدء وحتى الافتتاح ، ولم أفهم شيئا لاقبل ولا بعد ، من المهندس •• !! ؟

سألت عنه كثيرا لم يدلني على اسمه أحد • أريد أن أسأله ماذا يريد أن يقول بالضبط ، ماذا يقصد بالضبط ، لمَ يدير المبنى الحديث ظهره للناس خارج الكلية ؟ الناس كل الناس في السيارات ، والمشاة كل المشاة ، يتساءلون بتعجب ويسألون يوميا أسئلة عديدة حول هذا البناء العجيب كلما وقع نظرهم صدفة على أبشع منظر أقيم حديثا في مدخل اوتوستراد المزة الى جهة اليسار •

ما الفائدة من السؤال بعد أن انتهى المهندس من اعطاء الجواب • مع الأسف الشديد لا يمكن للخروف قليل الذوق و« الادب » أن يدير ظهره ويبتسم للعابرين في الاوتوستراد ، وللقاطنين في المدينة الجامعية••• أبدا • لأنه مصنوع من الاسمنت والحديد والحجر • والحجر لا يفهم ولا يتحرك ، وربما لأن وجهه أكثر بشاعة من اليتيه •

ان الضربة بالعصا على اليتيه ستكسر العصا ، ولن تعلم الخروف أصول الادب، مع انه « حامل » في جوفه طلاب الأدب والشعر والفن وعلم الجمال ، من طلبة جامعة دمشق • سقا الله أيام جامعة دمشق القديمة ثكنة الحميدية ، ما أعرقه من بناء !!

ليت المهندسين الشباب الذين يعمرون دمشق الحديثة العصرية ، يترفقون بأذواقنا نحن ابناء دمشق العتيقة الذين كحلوا عيونهم بفنون العمارة العربية القديمة ، وبفنون العمارة العصرية في المدن الحديثة في العالم الحديث •

ليتهم يخطفون « رجلهم » الى مدينة حلب العريقة بعمارتها الحجرية ، الاصيلة ، بأهلها المشبعين بالفن والذوق الرفيع ، ليتعلموا



الفنان الدكتور مروان مسلماني ـــ دمشق

منهم فن الحب !! نعم فن الحب حب المهندس لمدينته الام ، وفن حب المهندس للذوق المعماري الحديث المشبع بالروح العربية الشرقية •

ان جامعة حلب الحديثة آية من آيات الفن المعماري الحديث المشبع بالذوق والروح وتفرد الشخصية • فحتى لو أسهمت بالتصميم شركات أجنبية ، فأنا على يقين بأن ذوق بلدية حلب قد تدخل حتما ، وان ذوق مهندسي حلب الشيوخ والشبان ، قد أعطى الكلمة النهائية • ان الانسان الاصيل لاينفصل عن روح البيئة •

علم الهندسة ليس علم أحجار ، انه روح قومية • ان حلب اليوم هي بلا جدل أجمل مدينة في سورية وأكثر المدن السورية أناقة ، واتقانا في فن العمارة العربية المعاصرة •

وتهنئة حارة مني للمهندسين الحلبيين الشبان الذين يعمرون حلب الحديثة لتقف متوازنة مع عظمة حلب القديمة • وتهنئة لكم مني يا أهل حلب الشهباء بكل هذا التطور الحديث الذي تعشقه عين الشيخ قبل عين الشاب •

ان حلب محظوظة بمهندسيها الشبان ، ومسكينة هي دمشق • انها تعيسة الحظ من الناحية العمرانية بشكل لم يسبق له مثيل • ومع كل احترامي لشارع « الحمرا » الذي سيقام قريبا ، على غرار حمرا بيروت ، ولناطحات السحاب التي تقام بالقرب من سوق العتيق وسوق ساروجة والبحصة والعمارة القديمة وحي الميدان ، مؤكدة بشاعة فن العمارة الحديث وجمال فن العمارة العربية القديم الذي لم يتجاوز الطابقين ، أكتب كلمة للذكرى : ان نظام الابنية العالية التي تصنع جدرانها من البللور والألومنيوم قد وضع أصلا لجو أوروبا البارد الغائم المظلم ، ليسمح بمزيد من النور والشمس والدفء الى الغرف •

ونحن في الشرق العربي نملك مزيدا من الشمس وقليلا من المطر . حاجتنا العمرانية الاولى الى جدران سميكة من الحجر والطين والخشب والقرميد ، لترد عنا حر الصيف القائظ وصقيع الشتاء البارد .

أقترح نقل العاصمة الى حلب حتى لا نخجل أمام السواح من عاصمة بلا شخصية عمرانية عربية حديثة ، فحلب ما زالت تحتفظ بشخصيتها العربية وطابعها الشرقي بجزئيها القديم والحديث . حلب لم تتخل عن هويتها العربية ولا عن روح الشرق العربي .

أتمنى لو تقرأ نقابة المهندسين في دمشق كلمتي وتبدأ العمل الفوري لوضع خطة لانقاذ دمشق الحديثة من فوضى الذوق المعماري الحديث الدخيل البشع .

ابنوا دمشق الجديدة بروح قومية عربية أرجوكم .. ! وسوف تربحون الاموال الطائلة وكلمات الاطراء معا .

الصورة الثالثة : المطحنة التي احترقت قرب مبنى الاذاعة والتلفزيون ومبنى الجمارك العامة منذ سنتين ، ما زالت واقفة هيكلا عظميا مطليا بلون الحريق ، وما زال قلبي محروقا عليها وهي قابعة تستقبل زوار دمشق القادمين من مطار دمشق الدولي .. النازلين الى دمشق عبر أجمل ساحة هي ساحة الامويين .

المطحنة المحروقة قابعة مكانها بلا أية ألبسة جديدة وكأنها قلعة أثرية مفتوحة النوافذ والابواب على التاريخ الحديث للسياحة في بلدنا، مستعدة أبدا لاستقبال كاميرات السواح بابتسامة ودمعة .

أعتقد أن مبنى كلية الهندسة الشاب يبكي يوميا من منظر هذه الجارة التعيسة .

الصورة الرابعة : أرفع طلبين :

أرفع الطلب الاول الى السيد وزير الداخلية أرجوه فيه أن يعود الى بيته بعد انتهاء الدوام الرسمي مباشرة بواسطة الباص والسرفيس أو التاكسي لمدة أسبوع على الاقل . كما أرجوه أن يتصور بيته مرة في المهاجرين ومرة في الميدان ومرة في المزة ومرة في ركن الدين ومرة في الشيخ محي الدين ومرة في التجارة ومرة في القصاع ومرة في المخيم. فربما حدث تغير جذري في الحال الذي آلت اليه مواصلات العاصمة .

ان تجربة المرور الجديدة فاشلة كل الفشل مع الاسف . يظهر أن تطبيق النظام الشديد على السائقين قد كلف المواطنين ثمنا غاليا من كرامتهم ووقتهم بعد أن كان هدف المسؤولين من وضعه راحة المواطنين وصون كرامتهم .

المطلوب حل جديد مغاير ، فلا فائدة من الادب الجم مع السائقين الأباطرة الذين ابتلعوا وحدهم زيادة الليرات السورية الخمسين على رواتب الموظفين .

المطلوب حل جديد يؤمن الفائدة والراحة للطرفين السائق والراكب.

من يدري ؟ قد أتهم السائق وهو المظلوم ، فيكون مظلوما ، وقد أقف الى جانب الراكب وهو الظالم .

المدينة تنتظر نظاما جديدا منصفا .

والامل في حلول السيد وزير الداخلية المتسمة بالهدوء والموضوعية .

ارفع الطلب الثاني العاجل الى السيد وزير المواصلات راجية منه

بكل أمل أن يوافق على اقتراحي ويسافر بنفسه في الباصات والسيارات العمومية الى المحافظات كافة كأي مواطن عادي لايملك أن يركب سيارة خاصة أو سيارة للدولة • لاشك في أن السادة الوزراء يعلمون بكل صغيرة وكبيرة ولا أقول جديدا • ولكن معاناة المسؤولين لتجربة السفر المريرة مع المواطنين عبر مدن القطر وقراه من مراكز انطلاق السيارات أمر ضروري ويلقي أضواء كاشفة على المشكلة •

ان السفر ياسيادة الوزير هو الجحيم النفسي بعينه • سيارة الخمسة مثلا تحمل سبعة وربما أكثر من سبعة ، أقصد سبعة ركاب لا سبع ليرات • والمخفي أعظم •

لاشيء يخفف من حدة المشكلة الا اهتمام الوزير بالمشكلة بنفسه • والامل كبير بالسيد وزير المواصلات ، وبالسيد وزير الداخلية ان يتعاونا على حل مشاكل المسافرين والقادمين الى مطار دمشق الدولي الميناء الدولي الذي يعكس وجه الحضارة السورية المعاصرة •

أطالب السادة الوزراء بالتخفي وارتداء الاقنعة والتجول بين المواطنين حتى يضعوا أيديهم على وجع المواطن ويصفوا له الدواء الفعال • فهل يحق لي أن أطلب ؟

لم أطرح مشكلة مجهولة • ولم أطرح اقتراحات خارقة • لكني ارتحت لانني تكلمت ولست أغالي اذا تنبأت ونبهت :

على كل موظف في مطار دمشق الدولي وعلى كل سائق تاكسي أو باص أو سرفيس أن يتوقع وجود السيد وزير الداخلية أو السيد وزير المواصلات أمامه أو ربما داخل الطائرة قبل الاقلاع أو لحظة الوصول • وبين ركابه !!!••• أو ربما يفاجأ به واقفا على أرصفة الانتظار العارمة بالركاب •

دمشق ــ ٢٥ ايلول ١٩٧٣

الفصل الخامس

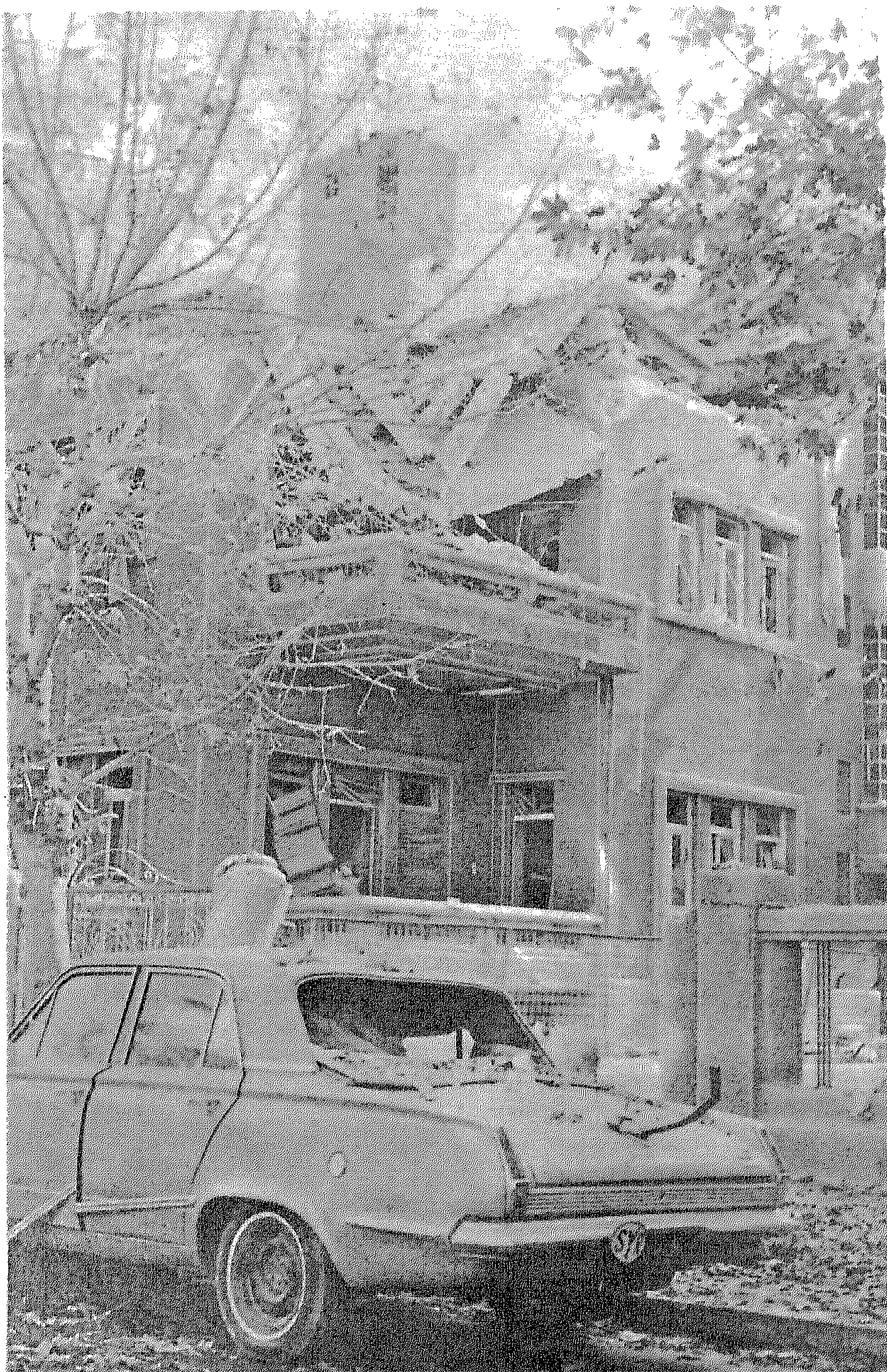
ساعة الصفر

أيها التاريخ ... أيها الاطفال العرب ....

هكذا بدأت الحرب . صرح ناطق عسكري بما يلي :

في الساعة الرابعة عشرة من بعد ظهر يوم السبت الواقع في ٦ تشرين الاول ١٩٧٣ بدأت قوات العدو بالاعتداء على مواقعنا الامامية على طول خط وقف اطلاق النار ، قامت قواتنا بالرد على مصادر النيران واسكاتها . كذلك حاولت مجموعات من طائرات العدو خرق مجالنا الجوي في القطاع الشمالي من الجبهة فتصدت لها مقـاتلاتنا ودارت معركة جوية حامية .

واستطاعت قواتنا أن تحرر عددا من المواقع المحتلة بعد أن نجحت في اقتحام نقاط الدفاع والتحصينات الامامية والحواجز الهندسيةللعدو، وانها احتلت عدة مراكز محصنة من دفاعاته في هضبة الجولان .



الغارة الاولى على حي السفارات في دمشق يوم السبت ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ .
الفنان منذر قلعجي ـــ دمشق .

بيان القائد الأسد

وجه القائد العام للجيش والقوات المسلحة في الجمهورية العربية السورية الفريق حافظ الاسد من راديو وتلفزيون دمشق ليلة ٧ تشرين الاول ١٩٧٣ الكلمة التالية الى الاخوة المواطنين وأفراد القوات المسلحة قال فيها :

« ايها الاخوة المواطنون » .

ياجنودنا ، وصف ضباطنا ، وضباطنا البواسل ،

يا ابناء شعبي الأبي :

مع تحيتي لكل فرد منكم ، اخاطب فيكم اليوم الروح العربية الاصيلة ، روح الشجاعة والبطولة ، روح البذل والعطاء .

أخاطب فيكم محبة الوطن ، التي فطرتم عليها ، والايمان بالقضية التي صممتم على الدفاع عنها .

منذ اسبوع ونيف ، والعدو يحشد ويعد ، وفي ظنه أنه سينال منا بضربة غادرة ، وكنا يقظين ساهرين ، نرصد حركاته وسكناته ، ونستعد



الفنان منذر قلعجي ــ دمشق

ونتأهب ، لنرد عدوانه الجديد المحتمل ، فلم نسمح له أن يأخذنا على حين غرة فاندفعت قواتنا المسلحة ترد عليه الرد المناسب • ولم يسمح له اخوتنا في مصر أن يأخذهم على حين غرة ، فاندفع جيش مصر العظيم يدافع عن كرامة مصر وكرامة الامة العربية • فتحية لجيشنا وشعبنا ، وتحية لجيش مصر وشعب مصر العربي العظيم •

ولا بد في هذه اللحظات الحاسمة من أن أوجه تحية أخرى من القلب الى هؤلاء العسكريين البواسل الذين جاؤوا الى قطرنا من المغرب الشقيق ليشاركوا في معركة العزة والكرامة ويقدموا الدم سخيا الى جانب اخوانهم في سورية ومصر فجسدوا بذلك وحدة الامة ووحدة المصير وقدسية الهدف •

اننا اليوم نخوض معركة الشرف والعزة ، دفاعا عن أرضنا الغالية ، عن تاريخنا المجيد ، عن تراث الآباء والاجداد • نخوض المعركة بايمان بالله وبأنفسنا ، وبعزيمة صلبة وتصميم قاطع على أن يكون النصر حليفنا فيها •

لقد بغت اسرائيل وأصابها الغرور ، وملأت الغطرسة رؤوس المسؤولين فيها ، فأوغلوا في الجريمة واستمرار اسلوب العدوان ، يملأ قلوبهم حقد أسود على شعبنا وعلى البشرية ، ويستبد بهم تعطش لسفك الدماء ، ويوجه خطاهم ، استخفافا بمبادىء البشرية ومثلها العليا وبالقوانين والقرارات الدولية •

مثل هؤلاء مثل من سبقهم من دعاة الحروب • لايقفون عند حد ولا يردعون اذا لم تردعهم الشعوب المؤمنة بحقها ، المكافحة في سبيل حريتها ووجودها •

واذ نؤدي واجبنا في الدفاع عن أرضنا وشرف أمتنا ، فاننا مستعدون لبذل كل تضحية وتقبل كل شدة ، في سبيل أن ينتصر الحق وتنتصر المبادىء ، وفي سبيل أن يسود السلام العادل •

أيها الاخوة المواطنون :

ان الشدائد هي محك لمعدن الشعوب ، وامتحان لاصالتها . وكلما ازدادت الازمة شدة ، كلما ظهر المعدن الصافي وتأكدت الاصالة الراسخة.

انكم أبناء أمة عرفت على مدى التاريخ بمواقف الرجولة والآباء بمواقف البطولة والفداء . أبناء أمة حملت رسالة النور والايمان الى اصقاع الارض وشهد لها العالم قاطبة بأسمى الصفات وأنبل الاخلاق .

فيا أحفاد أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم . يا أحفاد خالد ، وأبي عبيدة ، وعمرو ، وسعد ، وصلاح الدين .

ان ضمير أمتنا ينادينا وأرواح شهدائنا تستحثنا أن نتمثل معاني اليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت ، وان جماهير أمتنا من المحيط الى الخليج تشخص بعيونها وأفئدتها الى صمودنا العظيم وكلها أمل وثقة بأننا الى النصر سائرون .

يا جنودنا وصف ضباطنا وضباطنا البواسل .

نحن أصحاب حق وأصحاب قضية عادلة . والله ينصر من كان على حق وكان عن حقه ذائدا مدافعا . انكم اليوم تدافعون عن شرف الامة العربية وتصونون كرامتها وتحمون وجودها وتضحون كي تحيا الاجيال القادمة هانئة مطمئنة .

وتشاء ارادة العلي القدير أن يكون جهادكم في هذا اليوم من أيام الشهر الفضيل شهر رمضان ، شهر الجهاد ، شهر غزوة بدر ، شهر يوم الفتح ، شهر النصر ، صفحة ناصعة في تاريخ قواتنا المسلحة تضيفها الى العديد من صفحات البطولة والفداء التي سطرتها بدماء الشهداء الابرار في تاريخ قطرنا ووطننا .

لقد انتصر أجدادنا بالايمان بالتضحية ، بالتسابق على الشهادة دفاعا عن دين الله ورسالة الحق . وانكم اليوم ببطولاتكم وشجاعتكم انما تستلهمون هذه الروح وتحيونها وتحيون بها التقاليد العربية المجيدة .

سلاحكم بين أيديكم وديعة فأحسنوا استعماله . وشرف الجندي العربي في أعناقكم أمانة صونوا الامانة . ومستقبل شعبنا في عهدتكم فابذلوا المستحيل دفاعا عنه .

وان شعبنا الذي تعمر صدور أبنائه حماسة يقف وراءكم صفا واحدا يحمي خطوطكم الخلفية ويدعم جهادكم بكل ما يملك . ومن ورائه جماهير أمتنا العربية التي لا أخالها الا واقفة الموقف الذي يمليه الواجب القومي في هذه المرحلة الحاسمة وخلفها من بعد في العالم اصدقاء عديدون يؤازرون حقنا ويدعمون قضيتنا ويؤيدون نضالنا .

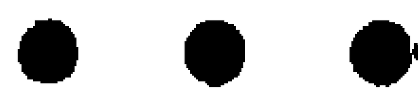
لسنا معتدين ولم نك قط معتدين ولكننا كنا وما نزال ندفع عن أنفسنا العدوان .

نحن لا نريد الموت لاحد ، وانما ندفع الموت عن شعبنا .

اننا نعشق الحرية ونريدها لنا ولغيرنا وندافع اليوم كي ينعم شعبنا بحريته .

نحن دعاة سلام ونعمل من اجل السلام لشعبنا ولكل شعوب العالم وندافع اليوم من أجل أن نعيش بسلام .

فسيروا على بركة الله وان ينصركم الله فلا غالب لكم والسلام عليكم » .



كلمة القائد للتاريخ

بعد بداية الحرب ... وفي ليلة من الليالي وأنا أشاهد التلفزيون بترقب ، وفي يوم الثلاثاء ١٦ تشرين الاول ١٩٧٣ ، استمعت بعمق لكلمة السيد رئيس الجمهورية العربية السورية القائد العام للجيش والقوات المسلحة الفريق حافظ الاسد .

تأثرت لشحوب وجهه ، تفاعلت مع اسلوبه في مخاطبة شعبه ، وحرصه على وضع أبناء الوطن في الصورة قائلا :

« أيها الاخوة المواطنون ، أيها الاخوة العسكريون ، يا أبناء الشعب العربي .

بكل فخر واعتزاز بكم وبصمودكم العظيم أخاطبكم اليوم من قلعة الصمود ، دمشق الخالدة ، دمشق التي أصبح صمودها البطولي أمام غارات العدو الهمجية رمزا لصمود وطننا العربي كله ومبعث اعتزاز أمتنا العربية بأجمعها . وستبقى هذه المدينة شامخة شموخ قاسيون في حمى أبنائها الذين يقابلون التحديات بالارادة القوية ويواجهون الصعاب مهما اشتدت بمزيد من التصميم والعزيمة الصلبة وبمزيد من الاصرار على النصر .



الفريق حافظ الأسد القائد العام للجيش والقوات المسلحة
يوجه كلمة الى الجيش والشعب في بداية حرب ٦ تشرين الأول التحريرية عام ١٩٧٣
من التلفزيون العربي السوري ــ دمشق
بريشة الفنان عزيز اسماعيل ــ أنطاكية

ان صمود دمشق من صمود أخواتها مدن هذا البلد المناضل ، من صمود حمص واللاذقية وطرطوس وبانياس ، وهو من صمود القاهرة وكل عاصمة ومدينة وقرية في الوطن العربي ، لان هـذا الصمـود في الاساس هو التعبير العملي عن ارادة شعبنا وعن تصميمه على أن يحيا الحياة الكريمة التي ينشدها وأن يبني المستقبل المشرق الذي يرجوه لنفسه ولكل شعوب العالم .

قبل عشرة أيام خاطبتكم في اليوم الذي كان نهاية مرحلة أراد منها العدو أن تكون اعتداءاته المتكررة تثبيتا لواقع الاحتـلال والتوسـع وتمهيدا لفرض ارادته على أمتنا .

واليوم أحدثكم وقد اتخذت المعركة شكلها الحقيقي ، شكل حرب تحرير كاملة كان أول انجازاتها تحرير الارادة العربية من عوامل الضغط عليها . وستكون خاتمتها باذن الله تحرير الارض التي طال شوقها الى ابنائها . في هذه الايام العشرة المجيدة من المعارك الطاحنة التي خاضتها قواتنا المسـلحة بكل أسلحتها وبمنتهى الرجولة والشـجاعة وبايمان بالنصر لا يتزعزع في تلك الايام من الصمود البطولي الرائع الذي تحلى به‌شعبنا مصححا مفاهيم وأفكار كثيرة خاطئة كادت أن تترسخ في العالم الخارجي عن أمتنا ، وأعدنا الى الانسان العربي ثقته بنفسه بعد أن ضمدنا جراح كرامته المطعونة وأثبتنا للعدو وللعالم كله أن شعبنا ليس تلك اللقمة السائغة التي توهم العدو أنه يسهل عليه ابتلاعها ، أثبتنا أن الموت الزؤام ينتظر كل من يحاول أن يذل شعبنا أو يدنس أي شبر من أرضنـا .

لقد أحييتم تقاليد أمتنا المجيدة ، تقاليد الآباء والأجداد وأرضيتم الله والوطن والضمير ، ورسمتم على ساحة النضال العربي بالـدم الطهور طريقا لن تتبدل بعد أن ضمدنا جراح كرامته المطعونة . كنتم

مع قضية أمتكم فهبت أمتكم تدعم صمودكم ، وكنتم مع قضية الحرية، فتسابق الاحرار في العالم للتعبير عن تأييدهم لوقفتكم الجبارة وقد عبروا عنه بأشكال متعددة ونلتم من الجميع الاحترام والتقدير والاعجاب . وكان أساس كل ذلك صمودنا مدنيين وعسكريين واستعدادنا لمقابلة الشدة بنكران الذات واصرارنا على السير نحو الهدف بثبات مهما غلت التضحية ومهما طالت الطريق . وفي هذه الايام العشرة أيضا كنت بكل ما أملك من طاقة واحساس مع كل فرد منكم ، كنت مع الجندي وصف الضابط والضابط يدك بدرعه دبابات العدو ، يقصف بمدفعه حشود المعتدين ، يصلي طائرات العدو نارا لا تخطىء فتتساقط حطاما على الارض ، كنت مع الطيار يحمي بطائرته سماء الوطن ويطارد طيران العدو ويحطم اسطورة السلاح الجوي الاسرائيلي الذي لا يقهر ، مع البحار يحمي بقطعته البحرية ومدفعه سواحلنا ويكتب صفحات جديدة من أمجاد العرب في البحار، كنت مع كل مواطن من أبناء شعبنا الاصيل، مع العامل في مصنعه يدير الآلة بيد ويحمل السلاح بالاخرى ، مع الفلاح يزرع الارض ويتنكب البندقية ، مع الموظف في مكتبه يؤدي واجبه تجاه مواطنيه على خير وجه وبروح المسؤولية مع رجل الأمن والدفاع المدني ينهض بأعماله بكل اخلاص وتفان ، مع الطبيب والممرض يقف دوما في أتم حال من الاستعداد والتأهب للواجب الانساني والوطني، مع التاجر في متجره يلبي احتياجات المواطنين بروح وطنية عالية ، مع ربات المنازل يرعين الأسرة والاطفال ، مع ذلك الجيش اللجب من المواطنين الاوفياء المخلصين على تعدد أعمالهم ينظمون حياة الوطن اليومية .

أيها الاخوة

قد تدور في أذهانكم تساؤلات لعلكم تنتظرون أن أجيب عليها أو لعلكم ترغبون في أن أتحدث عن النشاطات القومية والدولية ذات الصلة بالمعركة سواء ما كان منها ايجابيا أم سلبيا ، ولكنكم تدركون



الفريق حافظ الأسد والعماد مصطفى طلاس
في خندق معركة ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ .
كاميرا الفنان حسن مرشد ــ السويداء
المتحف الحربي ــ دمشق

أن للحرب ظروفها وضروراتها التي تفترض أن أبتعد عن الخوض في أي موضوع لا يعود بالنفع على المجهود الحربي ، ومع ذلك فاني في هذا المجال حريص علىأن أشير الى أن صمودنا في حرب التحرير أخذ يعطي شعار قومية المعركة معنى تطبيقيا فعليا ، وفي هذا الصدد فاني أعبـر باسمكم عن أعظم التقدير لدور القوات العراقية الشقيقة التي قاتل رجالها قتال الابطال ضد العدو ، وامتزجت دماؤهم بدماء اخوانهم في القوات السورية والقوة المغربية ، فكانت مشاركتهم في القتال تعبيرا حقيقيا عنقومية المعركة ، تحية لجيش العراق وتحية لشعبنا في العراق الشقيق . وسيأتي اليوم الذي تشارك فيه أيضا القوة السعودية والقوة الاردنية وتؤديان دورهما في المعركة القومية، كما أن الدولتينالشقيقتين الجزائر وليبيا بادرتا منذ اللحظة الاولى الى تقديم الدعم العملي والتأييد الفعلي بأشكال مختلفة ومدت يد العون أيضا دولة الامارات العربية المتحدة ودولة قطر . وان ما كان من هذا الدعم للجبهة الشمالية كان له مثيل للجبهة الغربية حيث تخوض قوات مصر العربية الباسلة معارك كبرى ضد العدو بعد أن حطمت غروره وهزمته هزيمة أوقعته في العديد من تناقض الاقوال وكشفته أمام العالم كله عندما عبرت قناة السويس ودمرت مواقعه الحصينة وتابعت تقدمها في سيناء بثبات وقوة وان دل هذا على شيء فانما يدل على حقيقة الوحدة العربية كما يدل على أن أمتنا أمة حية تظهر وحدتها وحيويتها بأروع مظهر في الشدائد والازمات وعلينا أن لا ننسى أن صمودنا هو العامل الرئيسي والاساس في كل الموقف ، على صخرته ستتحطم كل محاولات العدو وباستمراره يزداد التفاف الامة العربية من حولنـا ويتضاعف دعمهالنا وبه أيضا يتنامى تأييد الأصدقاء في العالم ودعمهم لقضيتنا .

لقد نقلت بلاغات الناطق العسكري لكم سير القتال في الايـام العشرة الماضية واذا كان لا بد من اضافة فأقول ان قواتنا وقفت المواقف

المشرفة في كل ميدان . أما في الجو فقد شاهدتم بأنفسكم ما حل بطيران العدو .

لقد رأى الكثيرون منكم طائراته تتساقط ورأوا طائراتنا تطاردها ووسائط دفاعنا الجوي تلاحقها وتقتنصها وتجعل منها كتلا من نار تلتهب في الجو أو كتلا من حديد تسقط على الارض وقبضتم على الكثيرين من طياري العدو الذين هبطوا بالمظلات طلبا للنجاة . ان ما فعله نسورنا ورجال دفاعنا الجوي البواسل كان خارقا وانهم لجديرون منا بكل الحب والتقدير والاعجاب . وأما في البحر فان سلاحنا البحري خاض معارك مشرفة وألحق بالعدو خسائر كبيرة في كل محاولة للأعتداء على سواحلنا وأدى واجبه خير أداء فاستحق كل تقدير واعجاب . وأما في البر فان ملاحم البطولة التي صنعها أبطال قواتنا المدرعة ومدفعيتنا ومشاتنا وقواتنا المحمولة وصنوف أسلحتنا البرية المختلفة مصدر فخر واعتزاز وسوف يسجلها التاريخ في سجل الملاحم الكبيرة التي عرفتها الحروب .

أبطالنا حولوا عدوان اسرائيل الى تقهقر لقوات العدو :

لقد حول أبطالنا عدوان اسرائيل منذ السادس من تشرين الاول الى تقهقر لقوات العدو ، وكما أعلمتكم في ذلك اليوم فان قواتنا اندفعت تصد العدوان وتجبر قوات الاحتلال على الانسحاب أمامها وواصلت تقدمها حتى طردت قوات العدو من جبل الشيخ والقنيطرة وجبين والخشنية والجوخدار والعال وتل الفرس والرفيد وغيرها من قرى الجولان ومواقعه ملحقة بالعدو هزائم هزت الكيان الصهيوني في داخله .

في ذلك الحين بينما كان العدو يخفي خسائره وهزائمه عن سكان

اسرائيل وعن العالم الخارجي وهو أسلوبه الذي لا يزال يتمسك به حتى الآن ، كنا بالمقابل نسكت عن انتصارات قواتنا ونرجىء الاعلان عنها • وبينما كانت أنباء العدو وبلاغاته تفضح نفسها بنفسها وتكشف يوما بعد يوم عن مزيد من تناقضاتها آثرنا التريث في اعلان ما حققناه الى أن يتم صد قوات العدو صدا نهائيا وتطهير الارض تطهيرا كاملا مع أنه كان بمقدورنا أن نعلن تحرير الجزء الأكبر من الجولان في اليوم الرابع من المعارك •

وبطولات جيشنا أرغمت العدو على الاعتراف بقوة المعركة •

ان ايمان قواتنا المسلحة بالله سبحانه وتعالى ، وثقتها بشـعبنا وحسن استخدامها للسلاح الجيد الذي تملكه وايمانها بالقضية التي تقاتل في سبيلها قد انعكس كله على سير القتال انتصارات حققتها قواتنا ولا تزال تحققها في كل ميدان وعلى كل مستوى •

ان جيشنا ببطولاته قد أرغم قادة العدو على الاعتراف بقسوة المعركة وشدة القتال ولم نكن من جانبنا ننتظر انتصارا سهلا ولا كنا نتوقع أن يسلم العدو بطرده من أرضنا المحتلة دون مقاومة ضارية • فنحن نعرف أطماعه التوسعية ونعرف أن هناك قوى تشجع هذه الاطماع وتدعم محاولات تحقيقها • ولقد سارع العدو اثر خسائره وهزائمه في الايام الاولى للقتال الى الاستعانة بهذه القوى يستمد منها العـون ويطلب امداده بأعداد كبيرة من الأجانب يعوض بهم خسائره بالرجال في مختلف الاسلحة وخاصة في سلاح الطيران ، كما يطلب عتادا جديدا يعوض به خسائره في العتاد • وبهذا المدد الذي جاءه سريعا والذي أضافه الى قوات الاحتياط المحشودة ، ركز العدو على قطاع واحد من جبهتنا تركيزا شديدا وأخذ يضغط بالقسم الأكبر من قواته ودباباته وطائراته فاستطاع أن يحقق خرقا محدودا في خطوطنا • بيد أن قواتنا

بادرت الى الرد السريع وخاضت من مواقع جديدة قتالا ضاريا استبسل فيه كل فرد من أفرادها فصدت هجوم العدو المعاكس وألحقت بدباباته وطائراته خسائر جسيمة وأرغمته على التراجع وهي ما تزال تلاحق بضرباتها وستظل تضرب قواته حتى نستعيد مواقعنا في أرضنا المحتلة ونمضي بعد ذلك حتى نحرر الارض كلها .

نحن نعلم أن لعدونا مصدرا يتزود منه ويعوض خسائره في الرجال والعتاد ، ولكننا واثقون من طاقات شعبنا وأمتنا ومصادر دعمنا . وأقول للذين يدعمون باطل اسرائيل وعدوانها ، ان عليهم أن يرجعوا الى أنفسهم وأن يفكروا بما سيجره موقفهم العدائي العدواني على مصالحهم الكثيرة في الارض العربية . انهم باستعدائهم لجماهير أمتنا يفجرون غضبها وحين تغضب الشعوب لا تستطيع قوة أن تقف في طريقها .

أيها الأخوة المواطنون ، أيها الاخوة العسكريون ان للحرية والكرامة ثمنا ، وثمنها ولا شك غال ولكنا مستعدون لدفعه في سبيل أن نصون الشرف وأن ندافع عن الحرية وان نحرر الارض وان نسترد الحقوق ، وفي سبيل أن نوفر للأجيال العربية المقبلة ما هو حقها ، ان نوفر لها العيش الرغيد والمستقبل الباسم المشرف ، المستقبل الذي تنعم فيه بالحرية والأمن والطمأنينة والسلام .

اننا ندق باب الحرية بسواعدنا وبكل قوة مدركين أن أعداء الشعوب لا يسلمون للشعوب بحريتها طوعا ، ومصممين على أن يكون تحرير الارض وتحقيق النصر في هذه الحرب هدفا كبيرا لا نحيد عنه ولن نحيد عنه باذن الله .

وفي سبيل الهدف الكبير تهون كل تضحية ويسهل كل جهد . وما دام هدفنا كبيرا وما دمنا مؤمنين بالهدف فان جهدنا وجهادنا سيكون

على قدر هدفنا وما دمنا أيضا مؤمنين بالهدف فان كل ما يبذله العدو من جهوده وما يفتن به من أساليب الحرب النفسية سيندحر ويفشل ولن يؤثر قط في معنويات شعبنا وقدرته على الصمود والمقاومة .

اننا شعب قادر في ساعة الجد على صنع المعجزات ولقد دقت ساعة الجد فلنوطن أنفسنا على المضي في حرب التحرير حتى نهايتها المظفرة نمضي فيها بنفس طويل مؤمنين بالله واثقين بأنفسنا واثقين بقدرتنا على أن نصنع النصر بأيدينا .

في الختام أوجه باسمكم تحية صادرة من القلب وملؤها الحب والتقدير الى جميع رجال قواتنا المسلحة ، أحيي فيهم الشجاعة أحيي فيهم الاقدام أحيي فيهم الكفاءة العالية ، أحيي فيهم الايمان الـذي لا يتزعزع بقضية وطنهم والقدرة الأكيدة على انتزاع النصر . وتحية من القلب الى كل جندي عربي يشارك في صنع النصر الأكيد في معركة التحرير ، وتحية الى كل فرد منكم ، ولنردد جميعا وفي كل وقت الشهادة أو النصـر .

دمشق ــ الثلاثاء ١٦ تشرين الاول ١٩٧٣



رسالتي إلى قائد معارك تشرين

تشكلت في دمشق بمبادرة ذاتية خلال أيام القتال « سرية المتطوعات في الجيش الشعبي » ليقمن بكل ما يطلب اليهن من أعمال الدفاع المدني والخدمات الاجتماعية والمساعدة في تنظيم أعمال أبناء الشعب الذين اندفعوا كلهم وبتماسك فريد لدعم قواتنا الباسلة وتعزيز صمودها الرائع في جبهة القتال .

وصبيحة العيد ، كانت هناك هدايا صغيرة ورسائل صادقة عفوية تتوجه الى المقاتلين عبر حب حقيقي من المواطن لحماة الديار ، وتبدي بعض ما اعتمل في النفوس من مشاعر الاكبار والتقدير لبطولات جيشنا .

ومع رسائل المحبة هذه ، كانت هديتي . هي رسالتي الى القائد البطل والمقاتل الاول في معركة الشرف ، القائد العام للجيش والقوات المسلحة الفريق حافظ الأسد ، كانت هديتي اليه كلمة حب صادقة حارة عفوية تفجرت من ظلمة النفس وظلام الليل تحت الغارات :

« بدأ العيد ينقر بأنامله الذهبية كوخنا المتواضع دقات موسيقية



الفنان عزيز اسماعيل ـــ انطاكية

سريعة تحمل لحن النصر ونشيد الفرح . وتفتح باب القلب الواجف له بفرح عظيم ، ونحن نرتدي ألبسة الكبرياء الجديدة اشتراها لنا أبونا الكبير القائد الوفي الكريم الذي أبى أن يمر العيد وأن نعيّد بالملابس العتيقة المهترئة المذلة التي ارتديناها في صيف عام ١٩٦٧ .

وكان شعورنا العربي الجديد المطرز بخيوط الكبرياء الذهبية ، هو الثوب التصق ببشرتنا ومنحنا وجوها متوردة ورؤوسا مرفوعة ، وسمح لنا أن تتنزه ونعيّد فيحدائقالعالم والانسانية وشوارعها ، بكل شرف وعزة وفخار .

اليك أيها القائد البطل .. نكتب .. أكتب .

اليك أنت المقاتل الاول في معركة الشرف الحقيقية ، أكتبرسالتي للتهنئة بهذا العيد الجديد على حياتنا . لانك أنت القائد المسؤول وقد أدار بيديه الذكيتين دفة القارب ليعبر البحر بنا بشجاعة باهرة وفن عظيم ومسؤولية تاريخية ، وليصل بركاب القارب السعداء الى جزيرة السلام والامان والعدل محاولا بكل ما يملك من حب لأفراد قواته المسلحة ولأبناء شعبه وللمقاتلين العرب الاعزاء من أبناء الامة العربية الواحدة ، تسجيل أكبر قدر ممكن من الخسائر للعدو ، وأكبر قدر ممكن من الأرباح للوطن وللقضية .

وليس هناك في التاريخ العربي الحديث وحدة أعظم من وحدة الدم العربي في هذه المعركة . لقد عبر أفراد القوات العربية الغالية شريط الحدود الوهمي الضعيف للدول العربية ، بدباباتهم وحماستهم، ليكرسوا تحت أمرتك وبقيادتك الحكيمة أعظم شكل من أشكال الوحدة العربية ، وتدفقوا نحو أرض الجولان في سبيل قتال مشرف لتحرير الارض ووحدتها .

اني أتصور البطل العربي الخالد صلاح الدين الايوبي يصحو من موته الطويل الهانىء على صوت الصواريخ المتفجرة وهدير الطائرات

في سماء دمشق • يسير بوقار الخالدين وهدوئهم لا نحو الملاجىء بل الى ساحة القتال للقاء الاحفاد الابطال ، باحثا بنفسه عن قائد هؤلاء الشجعان ، وهو يقف مع ضباطه الكبار يدير المعركة بارادة قائد ، لايهمه أولا وأخيرا الا أن تنتصر الفكرة وينتصر الرجال ، وهم أمانة في عنقه •

أيها القائد الحكيم •• في صباح العيد لك منا كلمة طيبة وزهرة ياسمين بيضاء ووردة شامية جورية هدية عيد ونصر في الحرب •

اليك أبعث بزهرة حمراء بلون الدم القاني •

أنت من منحنا هذه الزهرة التي شربت من الدم العربي حتى ارتوت فقررت أن تستحيل الى حفيدة زهرة عربية من زهرات « شقائق النعمان » • ويسعدنا أن نسمي هذه الازهار اليوم « شقائق الاسد » نسبة الى الرجل العربي الذي قاد معركة تحرير أزهار الوطن العربي من أقدام الاعداء الصهاينة •

هذا الرجل البطل هو أنت أيها القائد لمعركة الشرف العربي في السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ •

سيحفظ لك جيلنا والاجيال المقبلة كلها هذا العمل التاريخي بشكل لم يسبق له مثيل •

لقد صنعت من الحاضر العربي أنت وأبطالنا العرب على الجبهة السورية وجبهة سيناء شرفا عربيا معاصرا كالماضي العربي المشرف تماما • صنعت لأبنائنا في المستقبل « ماضيا عربيا مشرفا » يفخرون بالتباهي به بين الامم المتحضرة • حررت نفوسنا من الخوف والذل قبل أن تحرر الارض من أقدام الاعداء • وهذا هو النصر العربي العظيم كما أفهمه أنا ويدركه حتما الشعب معي •

لم تعد الامة العربية أمة تاريخ عربي غابر ، انها أمة مستقبل عربي قادم ، ستكون له مكانة عظيمة في مستقبل الكرة الارضية في عصر الوصول الى القمر وما بعده •

والوحدة العربية التي أعطت أعظم صورة متوقعة لها ، عن طريق امتزاج الدم العربي كله وانصبابه كالشلال الهادر فوق التراب العربي، ستأخذ صورتها النهائية الشكلية في المستقبل القريب حتما • ومن جديد سوف تنبع حضارات عربية جديدة تذهل العالم من شدة تماسك خريطتنا العربية الخضراء الواحدة • وأملنا بالله وبأنفسنا كبير •

أيها القائد البطل •• أحس بمشاعرك الآن • أكاد أسمع هدير ضميرك ، مع أنني مواطنة صغيرة في هذا الوطن الكبير الذي تقوده بعصاك السحرية نحو المعنى الحقيقي المجسد للحرية •

نصر ، هزيمة ، خسائر قليلة ، خسائر كثيرة !! لا يهم أيها القائد الطيب • لن يسحب أحد من شعبك بعد الآن شعور النصر • لن تعيدنا أية نتيجة للمعارك الضارية الى شعور الهزيمة السابق أبدا • فقد كان كل فرد من شعبك الواعي يحمل منظار الموضوعية ويقدر بهدوء عاطفي عظيم أننا دخلنا بحر المعركة الضارية • واننا كنا نتوقع كل احتمال ، واننا كنا في هذا البحر مع أبطالنا المقاتلين في صورة المد والجزر • نربح ونخسر ، نخسر ونربح • المهم أننا نركب البحر •

لا شيء بعد الآن يسحب منا « الشرف العربي المعاصر » الذي منحتنا اياه بقرار تاريخي مذهل بقبولك تحدي « قلعة البارود والفانتوم والنابالم والالكترون » •

لقد طار « عصفور النصر العربي » من قفص اسرائيل الحديدي ووصل سليما يرفرف بأجنحة الحياة والحرية في سماء عواصم العالم ، يزقزق « نشيد الفرح » على نوافذ بيوتها وعلى أغصان أشجار غاباتها وفي قلوب وعقول سكانها • وانتهت اسطورة « التنين الاسرائيلي » الذي لا يقهر • فأنت « الخضر المعاصر » الذي أتى ليقتل « التنين المعاصر » • ولكل عصر تنينه وخضره •

الفكرة المتواضعة كانت أن تقدم الاسر ويقدم الافراد في دمشق البطلة بالسرعة الكلية ما يحبون من هدايا ورسائل حب لجنودهم ، يبعثون بها الى أبطال المعركة وهم يقفون أيام العيد في الجبهة مستعدين لكل احتمال ، هدايا ورسائل تحمل عنهم التهنئة بعيدين عيد الفطر وعيد النصر • وتحمل عنهم الحب والتقديس لمن صنعوا تاريخنا المشرف الحديث بتضحياتهم • تحمل عنهم شعورهم العظيم نحو الجيش العربي السوري والجيوش العربية الاخرى الغالية التي ستجعلنا تضحياتها الاسطورية نعيّد عيدا حقيقيا للحرية والجلاء في ١٧ نيسان عام ١٩٧٤ ، فهو عيد وطني مقدس لسورية • وقد استعاد الآن جزءا من معناه الحقيقي •

أيها القائد الكبير •

الرسائل والهدايا الثمينة الحلوة في طريقها الى جنودك الابطال وستكون بين أيديهم صباح العيد •

فهل يعقل أن ننسى الجندي الاول والاكبر في وطننا وجيشنا من كلمة متواضعة نعبر فيها عن عظيم حبنا وتقديسنا لقائدنا الغالي الفريق حافظ الاسد !! ••

هل يمكننا أن نلجم عواطفنا الوطنية وأن نحبس الكلمات في صدورنا وهي تقاتلنا من الداخل بعنف تريد أن تصل الى الرجل الذي جعل « اسرائيل » تفقد أعصابها وتعرف معنى الارادة العربية • اختل توازن « اسرائيل » السياسي والعسكري ، واهتز اسلوبها الاعلامي الصبياني • وكنا نحن وراء أجهزة « الترانزيستور » وعلى ضوء الشموع نضحك • نضحك ونزداد قوة وكبرا ، ولا أنكر أننا مارسنا بقوة شعور الشماتة بـ « اسرائيل » •

وتأكد لي أن المواطن العربي قد اكتسب مناعة ضد حرب العدو الكلامية كما اكتسب مناعة ضد الذعر من طائرات الفانتوم بفعل أربع

نقاط أساسية برزت في موقفنا العسكري والسـياسي والديبلوماسي والاعلامي :

١ ــ المنطق العربي الديبلوماسي المتزن في الامم المتحدة ومجلس الامــن •

٢ ــ الاعلام العربي الرصين الهادىء البعيد عن الانفعال العاطفي مع النصر ايجابا ومع الهزيمة سلبا •

٣ ــ الصواريخ العربية التي تلاحق طائرة العدو ولا تتركها قبل أن تعضّها وتقضمها بين أسنانها مع طيارها كأنها جرادة •

٤ ــ استشهاد مجموعة من جنودنا وضباطنا وطيارينا في المعارك الضارية ثم تقدم مجموعة جديدة للانتقام والاستشهاد وتسجيل مزيد من خسائر العدو ومزيد من الانتصارات في جانبنا • ثم تقدم مجموعة ثالثة وهكــذا •

تضحيات بلا حدود وبطولات كالاساطير •

اليك منا أيها القائد الجندي الكبير تحية حب وتقديس وتقدير لكل ما أعطيت وتعطي وستعطي • ونحن نعرف أننا في معركة النفس الطويل • ويكفيك فخرا أنك أنت من ساعدنا على مسح عار ١٩٦٧ عن العرب كل العرب •

اني أكاد أرى طلابنا ومغتربينا العرب في أنحاء العالم ، وهــم يقفزون في الهواء قفزة العزة والكرامة والفرح • كل منهم يقولها بفخر : أنــا عــربي •

هذه رسالتي اليك أيها القائد أكتبها لك على ضوء شمعة ، فهي مني لتعبر عن صوت ضمير أهل وطني العربي الكبير وأهل وطني العربي الصغير سورية،أهل مدينتي دمشق التي تحبك الآن أضعافا مضاعفة ، وتجمع على شخصيتك العربية الفذة بين قادتنا العرب •

ليتك يا سيادة الرئيس القائد تدخل كل بيت من بيوتنا لتسمع من مكان خفي كيف تتحدث الاسر عنك وعن رجالك الابطال بكل فخر واعتزاز ، لأحببت نفسك كما نحبها وأكثر •

ليتك تركب سيارتك المكشوفة وتمشي في شوارع دمشق التي دمرتها الغارات والتي لم تدمرها الغارات ، لتعرف معنى النصر الذي منحته لشعبك ، النصر الحقيقي للفكرة كما أفهمه أنا • وسوف تمتلىء سيارتك بالورود وأكاليل الغار وسوف تبكي من شدة حب شعبك وروعة استقباله لك •

أكتب عن الكل في وطني ، وأكتب عن رفيقاتي السيدات اللواتي جمعن أنفسهن للعمل ووضعن أنفسهن تحت امرة الجيش الشعبي ، يحملن مسؤولية نقل عواطف الشعب نحو جيشه عبر هدية ورسالـــة ، ولتقديم واجب المشاركة في المعركة •

نعرف ونفتخر أيها القائد بأن جيشنا لم ينقصه ولا ولن ينقصه شيء في هذه المعركة بفضل سهرك الدائم على كل صغيرة وكبيرة • كل شيء على أكمل صورة • الرجال ، السلاح ، الذخيرة ، الطعام ،الملابس الهدايا • كل شيء كل شيء •

لكننا أحببنا أن نصنع شيئا صغيرا يعبر عن الحب الذي يتفجر في عروقنـــا نحو أفـــراد جيشنا بجميـــع رتبهم • ليتك تسمح لدباباتنا وصواريخنا ومدافعنا وطائراتنا أن تطير وتعبر سماء دمشق وشوارعها وباقي مدننا السورية البطلة ، وهي تحمل تراب المعركة دون أن تمسها يد التلميع ، لترى بعينيك كيف سيقفز أبناء الشعب نحو ضباط هذه الاسلحة وجنودنا وهـــم بلباسهم الميداني ، ليقبّلوا هـــؤلاء الابطال ويمطرونهم بكلمات التقديس وأزهار المحبة • ستسير أسلحتنا علـــى الورود والقلوب • سنبكي من فرحتنا بهم • اننا نحبهم جنودك ياسيادة الرئيس حتى درجة الدموع • نريد ان نلتقي بهم وهم عائدون مـــن

معركة الشرف لا في عرض عسكري مرتّب • نريد أن نحتفل بهم وغبار المعركة يتعشق ملابسهم •

نحن في نوافذ بيوتنا وفي الشوارع ننتظركم أن تمروا • فقد مرت قبلكم أفعالكم ، ارادتكم ارادة الرجــال ، واستولت على احترامنا • ونحن ننتظر الآن أن تمروا ، لاننا بحاجة لان نقبلّكم بعيوننا •

أما لقاؤنا الكبير معكم ، لقــاء الشعب والجيش فسوف يكون كعادتنا قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ ، على مرتفعات الجولان وفي القنيطرة وعند ينابيع الحمة ونهر بانياس •

أكتب باسم رئيسة الاتحاد العام النسائي الأخت سعاد عبد الله •

أكتب باسم الكل ، كل من عمل من أجل انجاح الفكرة ، فكرة العاطفة الوطنية فكرة الرسالة والهدية من المدني الى العسكري • ولا ادري كيف أسمح لنفسي باسم رفيقاتي في « سرية المتطوعات في الجيش الشعبي » ، أنا المواطنة الصغيرة ، ان أبعث برسالتي ، برسالتنا الى قائد معارك الشرف لتحمل له تحية العيد والوردة الدمشقية •

وكل عام وأنت بخير أيها القائد •

ومع كل الاحترام والتقديس لكل ضباطك وجنودك ، لكل فرسان خيول سمائنــا العربية المعاصرة ، وأرضنــا العربية الخضراء ، وبحرنا العربي العميق الازرق ، بحرنا الابيض المتوسط •

عن « سرية المتطوعات في الجيش الشعبي »

سهام ترجمان

دمشق ـــ ٢٣ رمضان ١٣٩٣ هـ

٢٠ تشرين الاول ١٩٧٣ م

الأميرة خولة أرسلان عند خط النار السوري

عند نقطة الحجر ..

على الحدود السورية اللبنانية ، والثلوج تغطي طـرفي الطريق والاشجار والجبال السورية واللبنانية ، كان وفـد الادارة السياسية المؤلف من العقيد حمد أسعد عمرو والموظفة الكاتبة سهام ترجمان ، وفتاتين من بنات الشهداء والمصور ، في انتظار وصول وفد عن سيدات « جمعية بيت اليتيم الدرزي » برئاسـة الاميرة خولة أرسلان زوجة الامير مجيد أرسلان وزير الدولة اللبناني حاليا ووزير الدفاع سابقا.[1]

وعند وصول سيارات الوفد، تقدمت فتاتان صغيرتان جميلتان من بنات الشهداء وهما نجوى تعيسان وسهام جبر وقدمتا باقة من الزنبق البلدي لرئيسة الوفد باسم بنات الشهداء وأبنائهم .

وعلى طول الطريق بين نقطة الحجر ودمشق ، تعرفت عن قرب على شخصية الاميرة خولة أرسلان ، واكتشفت أنها سيدة مثقفة واعية

---

(١) كتبت عام ١٩٧٣ قبل وفاة الامير مجيد أرسلان .



الفنان حسن مرشد ـــ السويداء

طيبة طبيعية في تصرفاتها رغم لقب الاميرة الذي تحمله ، ورغم انحدارها من أعرق الاسر العربية الدرزية • فهي كما حدثتني تكرس جزءا كبيرا من وقتها واهتمامها للجمعية التي ترأسها وهي جمعية بيت اليتيم الدرزي ومركزها « عبي » في قضاء « عاليه » • وتضم الجمعية /٢٤٠/ طفلا يتيما معوزا ، وقد أسستها عام ١٩٤٠ السيدة أمينة أرسلان • والجمعية ترعى الايتام والحالات الاجتماعية الصعبة • وتجمع أموالهـا لتغطية النفقات من الحفلات الخيرية السنوية ومن الشركات والبنوك • تساعد الدولة هذه اللجنة بثلثي الايتام • وفي الجمعية أطفال من مختلف الاعمار والطوائف ويتم التعليم فيها حتى البروفيه ـ الاعدادية •

وقد افتتحت الجمعية فروعا للصناعات اليدوية ، يتعلم الصبيان مثلا صناعة السنكري وتتعلم البنات فن الخياطة والتفصيل • كما يتدرب عدد من البنات والصبيان في مستشفى المقاصد على أعمال التمريض •

قال لي مرافق الوفد :

ان الاميرة سيدة متواضعة ولن تحدّث عن نفسها ، فهي بالاضافة الى اهتمامهـا بالجمعية تحمل جـزءا كبيرا مـن الواجب الاجتماعي والسياسي في لبنـان ، وذلك لانهـا تنحدر من بيت سياسي كبير ، ومتزوجة من بيت سياسي كبير •

وسألت الاميرة خولة عن النشاطات التي قامت بها زوجات الوزراء والمسؤولين في لبنان أيام المعركة ؟ فقالت :

اتصلت بي السيدة زوجة رئيس مجلس الوزراء ، وذهبنا كلنـا لمركز الصليب الاحمر وتبرعنا بالدم ، ثم بدأنا بالعمل ، كل في مجال ، ولم تكن النشاطـات جماعية بقـدر ما كانت افرادية وشخصية بـلا « بروتوكول » •

كانت المعركة شرفا كبيرا لنا نحن العرب • ومهما فعلنا نشعر أمامكم وأمام تضحياتكم بأننا مقصّرون ، ولا شيء نفعله ونقدمه يعادل بطولاتكم •

وهدية جمعيتنا للجيش العربي السوري هدية بسيطة متواضعة ، هي رمز لتقديسنا للابطال والشهداء •

وقد تبرعت كل سيدة بمبلغ واشترينا هدايا للمقاتلين العرب السوريين •

ومهما عملنا في لبنان على الصعيد الرسمي والشعبي فالشعور بالتقصير لايفارقنا بالنسبة لما قدّمه الشعب العربي في مصر وسورية من تضحيات •

بعد عام ١٩٦٧ « انكسرت معنوياتنا »• بعد حرب تشرين الاول، « رفعتم رؤوسنا » •

وفي مبنى الادارة السياسية كان في استقبال الاميرة خولة ارسلان والوفد المرافق لها اللواء عبد الغني ابراهيم مدير الادارة السياسية والسيدة حرم الدكتور مدني الخيمي وزير الصحة والسيدة حرم الشاعر السوري الكبير الاستاذ عمر أبو ريشة والسيدة سامية المدرس رئيسة جمعية بنات الشهداء •

وقد رحب السيد اللواء برئيسة الوفد وأعضائه بالزيارة • وتحدث اليهم عن المعركة بمنتهى الود والصراحة وقال :

« نحن في القطر العربي السوري لا نشعر الا اننا والشعب اللبناني شعب واحد • نحن نعتز أننا من أمة كريمة وأصيلة • ماقدمه الجيش

اللبناني والشعب اللبناني واجب نعتز به • والموقف تمليه القوة والاصالة•طبعا الجيش اللبناني والجيش السوري واحد وليس عندي قدرة على التفريق بين الجيش اللبناني والسوري • ونحن نشكر لكم زيارتكم • الفكرة قبل الهدية والمهم هو شعوركم معنا • ونحن سعداء بكل ماقدمه الشعب اللبناني والحكومة اللبنانية من مساعدات مادية ومعنوية لدعم المجهود الحربي في معركة العرب كل العرب • وأعود فأشكر لكم تشريفكم وأقول بأننا شعب واحد في سورية ولبنان ، والعربي السوري قريب جدا من العربي اللبناني ، ولنا في لبنان ولكم عندنا أخ وأخت وابن عم وابن خال ، وأهلا وسهلا بكم في بلدنا بلدكم•

والمقاتل عندنا عندما يراكم سترتفع معنوياته • وما قمنا به في المعركة واجب وطني وقومي • والجيش ابن هذا الشعب وتربية هذا الشعب ولحماية هذا الشعب وجد • وليس لنا مهمة الا أن ندافع عن الوطن » •

انتهت الزيارة •

وانطلقت السيارات برئيسة الوفد وأعضائه الى الخطوط الامامية على الجبهة السورية •

وكان اللقاء الاول في مكتب العقيد قائد أحد التشكيلات المدرعة التي قاتلت بضراوة في معركة تشرين الاول •

وقد رحب السيد العقيد بأعضاء الوفد اللبناني وقال في كلمته التي شرحت أهداف دخول قواته للحرب :

« في عام ١٩٦٧ حدثت النكسة ، وبعد الحركة التصحيحية التي أعادت الثقة لجماهير الشعب العربي ، عمل الرئيس الفريق حافظ الاسد

على رفع شأن القوات المسلحة وأخذ يعدّها اعدادا جديدا ، ويعطيها الاولوية في اهتمامه لدخول المعركة المقبلة ٠ وقد تم ذلك بالتنسيق بيننا وبين الشقيقة مصر ٠ وقد التزمنا بالمعركة ٠ وتماسكنا عن ايمان بالمبادىء والايمان المطلق بقيادة الرئيس حافظ الاسد الانسان الذي تحترمه فئات الشعب كلها ، ونكن له ، نحن رجال القوات المسلحة ، كل التقدير والاحترام ، ولو دفعنا للموت لما ترددنا لحظة واحدة في التنفيذ » ٠

وردّت رئيسة الوفد بكلمة صغيرة أكدت فيها ان مافعلته المعركة في النفس العربية لايمكن أن يوصف ٠ وقالت له :

« الله يحفظكم لنا ويقوّيكم ، لقد رفعتم معنوياتنا نحن العرب كل العرب ٠ وصار العربي في الخارج يفخر بأن يقول أنا عربي ٠ ومهما عملنا ومهما قدّمنا فهو قليل أمام التضحيات التي قدمها اخواننا العرب السوريون من أفراد الجيش والشعب ٠٠ » ٠

ثم أمر العقيد بأن يرافق عدد من الضباط سيدات الوفد للقاء المقاتلين في أحد الالوية ٠

ورحب المقدم الشاب المثقف قائد اللواء بالوفد النسائي اللبناني، وحدث السيدات حديث الضابط المتحمس الواعي لكل ظروف المعركة، ثم بعد أن تمت ضيافة القهوة العربية المرة رافقهم بنفسه للقاء المقاتلين الرابضين قرب مدرعاتهم الثقيلة العظيمة التي تمدهم بالثقة والقوة والشعور بالنصر ٠

وكان لقاء حارا عفويا ٠ فرحت السيدات بمصافحة الابطال والتحدث اليهم ، وفرح الابطال بلقاء الاخوات العربيات اللبنانيات ٠

وكان الحديث مؤثرا ، دفع دموع الفخر والاعتزاز الى عيون السيدات أكثر من مرة •

سألت الاميرة خولة أرسلان المساعد أسعد خطاب عن الانتصارات التي حققها في المعركة فقال لها :

« دمرت أربع دبابات وسيارتي استطلاع ورميت ٩ طلقات على تل أبي الندى وأنا مستعد الآن كامل الاستعداد ماديا ومعنويا لدخول المعركة في أية لحظة وأنا أقوى بكثير من السابق • وزيارتكم تسعدنا جدا وهداياكم تشكرون عليها فهي هدايا غالية من الاخت العربية للمقاتل العربي • ليس المهم الهدية ، المهم الفكرة المضيئة التي حققت الهدية ، وأهلا بكم في خط النار » •

وقفز أحد المقاتلين وهو يتميز بالحيوية والجرأة والمرح ، وهو سائق دبابة ضخمة وقال : لي طلب •••!؟

وقلنا له طلبك أمر •

قال :

« اريد صورة مع الحاجة سامية المدرس » ••!!

ولما وقفت الحاجة سامية الى جانبه قال :

« أريد ياحاجة صورة معك لانني أحترمك واقدر أعمالك من أجل رعاية بنات الشهداء وأبنائهم ، فأنت مسؤولة عن أولادي بعدي ، وأنت ستكونين لهم كل عون بعدي ، ووصيتي أن تعتني بأبنائي الثلاثة فواز وعمار وفراس لو استشهدت !! » •

والتفت الي وقال :

« أرجوك ياسيدة سهام ، اكتبي هذه الجملة في المجلة ليقرأها أولادي عندما يكبرون :

« وصيتي لكم يافؤاد وعمار وفراس أن تتابعوا الطريق من بعدي » .

وبكى كل من في الوفد وكل من يشارك في الزيارة حتى المصوّر الذي التقط صورة المقاتل مع « ام الجيش » الحاجة سامية المدرس ، وكتبت جملته على الدفتر وأنا أبكي من التأثر .

وقلت للمقاتل :

« أنت لن تموت ، ستقاتل وتنتصر وتعيش . فالذي يطلب الموت توهب له الحياة ، وسترى أولادك بنفسك باذن الله ، وستعدهم بنفسك كمقاتلين للمستقبل . فهذه الروح العالية في مقاتلي جيشنا هي التي كتبت له النصر في معركة تشرين الاول وحطمت اسطورة تفوق العدو .

وقدم لي زميله المقاتل الرقيب الاول صورة لابنته الحلوة الصغيرة ريمة كي أنشرها له في المجلة : وقلت له : حاضر ، وستكون ريمة العزيزة في قلوبنا لانها ابنة مقاتل ، قاتل بضراوة في معركة تشرين .

وبعد أن تناول الوفد طعام الغداء في نادي الضباط في دمشق بدأ الليل يهبط على دمشق ، ووعدت الاميرة خولة أرسلان بأنها ستزور دمشق ثانية لتقوم بزيارة خاصة لمدرسة بنات الشهداء التي تشرف عليها السيدة سامية المدرس ، لانها تدرك أهمية هذا العمل الانساني الكبير ، فهي تشارك في عمل مماثل في الاشراف على تربية الايتام في لبنان وتحس بأنها مشدودة لمشاهدة نتائج أي عمل يرعى مستقبل الاطفال .



الفنان حسن مرشد ــــ السويداء

وقالت لها الحاجة سامية المدرس :

« الله يخلّي الفريق فوق رأسنا . هو الذي يمدنا بالقوة وهو أب عظيم ولا يدع هؤلاء الصغار أبناء الشهداء وبناتهم يشعرون باليتم .

تصوري يا اميرة خولة أنه في عزّ المعركة وقصف دمشق كلمني على الهاتف ليطمئن على الاطفال في المدرسة ويتأكد ممّا اذا كان يلزمهم شيء أو أنهم يشعرون بالخوف من الغارات واصوات الانفجارات .

ان هذا الرجل الكبير هو القوة التي تدفعنا جميعـا لبذل كـل مانملك من قوة في سبيل الوطن » .

انتهت زيارة العربيات اللبنانيات للجبهة السورية .

وعاد وفد جمعية « بيت اليتيم الدرزي » الى لبنان وهو يحمل صورا واقعية حية عن معاني البطولة العربية .

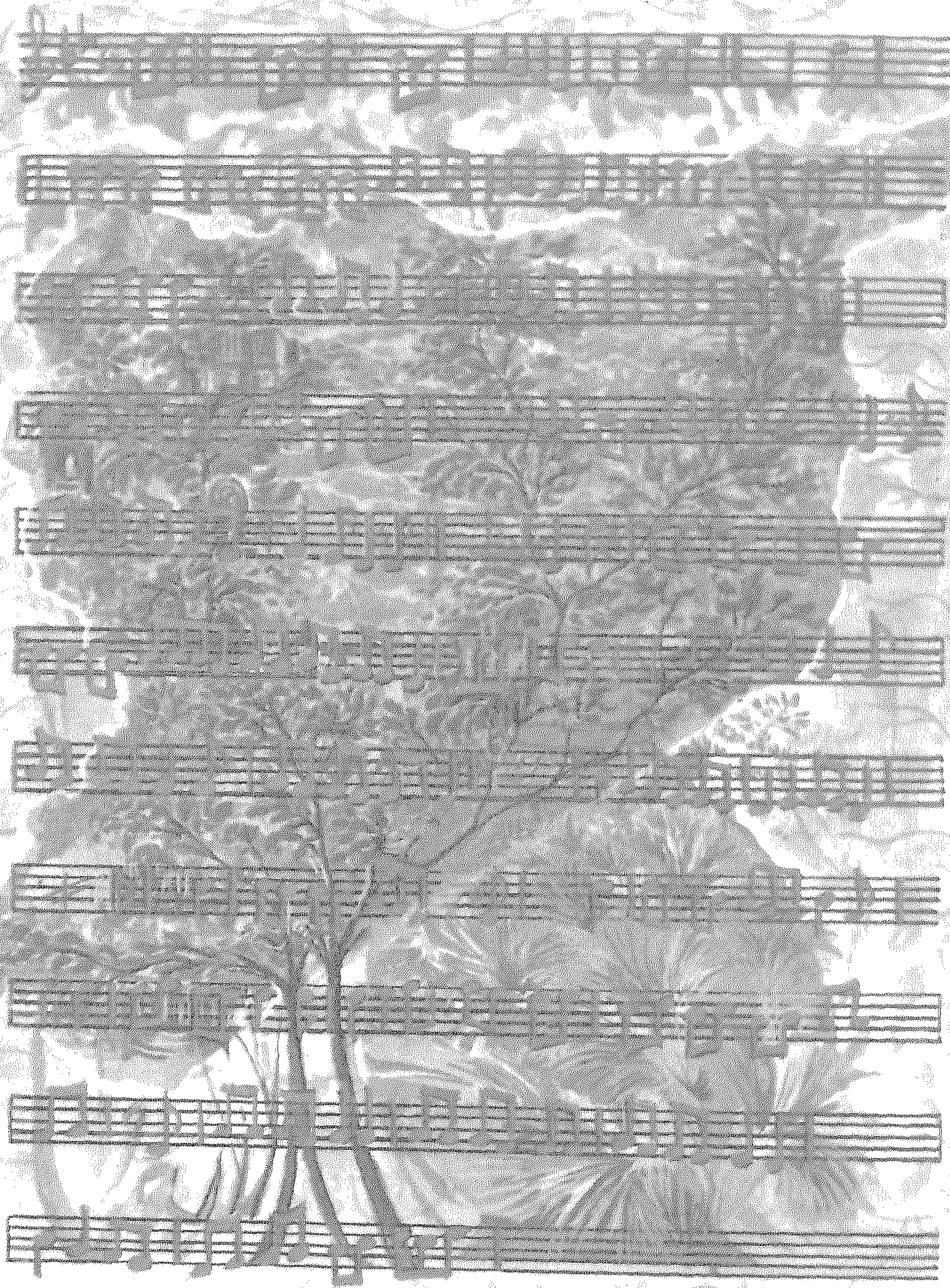
دمشق ــ ٤ كانون الاول ١٩٧٣

* * *

نشيد سوريا يا حبيبتي

الشعر: محمّد سلمان ١٩٧٣
الالحان: محمّد سلمان
الغناء: محمّد سلمان
محمّد جمال - نجاح سلام
النوتة: أمين الخيّاط

سوريا يا حبيبتي   أعدتِ لي كرامتي
أعدتِ لي هويّتي
بالحربِ والكفاحْ   وشُعلةِ الجراحْ
تنيرُ دربَ ثورتي   يا يا حبيبتي
قنالُنا جولانُنا   سماؤنا وأرضُنا
تفديهمُ دماؤنا   تحميهمُ أبطالُنا
وبعثُنا يسيرْ   بمجدِهِ الكبيرْ
مبشّراً بعودتي   ورافعاً كرامتي
مجدّداً هويّتي



الفنان عزيز اسماعيل ــ انطاكية

بالحرب والكفاح ... وشعلة الجراح
تنير درب ثورتي ... يا يا حبيبتي

الآن إني عربي ... يحقُّ لي إسم أبي
ومن أبي ؟ ... ومن أبي ؟
رصاص بندقيَّة ... تصنع الحريَّة
للأمَّة الأبيَّة

بالحرب والكفاح ... وشعلة الجراح
تنير درب ثورتي ... يا يا حبيبتي
سوريَّتي يا درب كلّ ثائر ... يا قلعة الأحرار والحرائر
صمودك العظيم كالبشّائر ... تزفّ للآمال والضّمائر
أعدت لي كرامتي ... أعدت لي حرّيّتي

أعدت لي هويّتي

بالحرب والكفاح ... وشعلة الجراح
تنير درب ثورتي ... يا يا حبيبتي

لم يلتئم المشوار يا عروبة … حتى تعود أرضنا السليبة
ففي الخيام طفلة المصيبة … تنادي يا سوريتي الحبيبة
أعيدي لي كرامتي … أعيدي لي حريتي
أعيدي لي هويتي
بالحرب والكفاح … وشعلة الجراح
تنير درب ثورتي … يا يا حبيبتي

تشرين الأول عام ١٩٧٣

الفصل السّادس

أنا... في جبهة سيناء
وعند خط بارليف

أكتب من الجبهة المصرية . وكنت واحدة من سيدات اعلاميات خمس تسمح لهن السلطات العربية المصرية بزيارة خط بارليف وجبهة سيناء . عبر مئات الصحفين والكتّاب العرب والاجانب قناة السويس، على الجسور نفسها التي تمّ عليها عبور القوات العربية المصرية الى سيناء لتحطيم خط بارليف . لم تسمح السلطات العسكرية للمرأة صحفية واذاعية وتلفزيونية بزيارة المنطقة بعد وقف اطلاق النار . أبديت رغبتي الشديدة بزيارة الجبهة المصرية بعد أن زرت الجبهة السورية بعد معركة رمضان .

رحب المتحدث الرسمي باسم جمهورية مصر العربية بالفكرة ، وأمر فورا بأن أكون واحدة من مجموعة الصحفيين العرب والاجانب الذين يتوافدون على القاهرة اسبوعيا طالبين زيارة الجبهة المصرية عند خطوط وقف اطلاق النار . قالوا لي ستكونين أول صحفية وسيدة عربية يسمح لها بالعبور حتى خط بارليف وآخر خط من خطوط الجبهة المصرية في صحراء سيناء . بعث هذا الكلام فيّ شعور الصحفي وهو



الفنان مصور وزارة الاعلام المصرية ــ القاهرة

يتمكن من النجاح في مهمة صحفية صعبة خطرة . فالاشتباكات بين الجانبين العربي المصري والاسرائيلي تقع بين يوم وآخر ولحظةواخرى، والصحف المصرية تطلع يوميا على المواطنين بأخبار الاشتباكات على طول خط الجبهة.وتلاشى نسبيا شعور الغرور بالشجاعة ، ألحّت عليّ بضرورة زيارة خط النار على الجبهة المصرية ، لكوني أول صحفية عربية سورية قادمة من الجبهة السورية يسمح لها بالسفر من القاهرة الى سيناء ، ولكونها مكلفة بمهمة صحفية من مجلة « جيش الشعب »، في الادارة السياسية للقوات المسلحة العربية السورية . تلاشى شعوري بالغرور عندما التقيت في السادسة صباحا في المركز الصحفي لوزارة الاعلام المصرية في مبنى هيئة الاذاعة والتلفزيون ، عددا كبيرا من زملاء الرحلة الخطرة الى سيناء من الصحفيين والاعلاميين العرب والاجانب، وكان بينهم أربع من السيدات الاعلاميات سمح لهن ايضا في الاشتراك للمرة الاولى بالرحلة وكنّ : السيدة « نعمت أمين » الموظفة في المركز الصحفي ، وتتقن لغات أجنبية ثلاثاً اتقانا مذهلا ، هي الفرنسية والانكليزية والالمانية ، والسيدة «ايريني بيسن» وهي صحفيةانكليزية ومراسلة «الاوبزرفر» اللندنية ، والآنسة «درية شرف الدين » المذيعة في اذاعة الشرق الاوسط ، والآنسة « لؤلؤة الرشيد » من بعثة التلفزيون الكويتي .

ابتدأت رحلتنا الى الجبهة المصرية في السادسة صباحا وانتهت في العاشرة ليلا . وعانينا طقس صحراء سيناء . الحرارة العالية فيالنهار والبرودة الشديدة في الليل . وكان بعض الغيوم والنسمات اللطيفة ، كل شيء في شتاء سيناء .

حددت السلطات المصرية الاعلامية رحلة مجموعتنا الصحفية هذا

الاسبوع الى منطقة الاسماعيلية « القنطرة ـ شرق » عبورا على الجسر الذي عبرت عليه الدبابات المصرية الى سيناء .

أربع عشرة سنة هي المسافة بين زيارتي الاولى لمنطقة قناة السويس وزيارتي الثانية . كانت زيارتي الاولى بدعوة من هيئة قناة السويس . زرت السويس والاسماعيلية وبور سعيد . وكانت المدن الثلاث رمزا للمدن السعيدة المزدهرة على القناة التي تمر فيها البواخر العالمية من المتوسط الى الاحمر فالمحيط الهندي .

كنت أضع يدي على قلبي من اللقاء الجديد . الاسماعيلية في ذهني ذكرى لاحلى مدينة عربية رأيتها في حياتي . الباص السياحي يتحرك بنا نحو الاسماعيلية ، والذكريات عن الاسماعيلية عام ١٩٥٩ تداعب مخيلتي ببيوتها الجميلة تعانقها الاشجار والازهار الحمراء ، وبشوارعها النظيفة ترحب بالضيوف ، وبسكانها الطيبين الكرماء ، وفيلاتها الانيقة تطل على مياه القناة بكل كبرياء ، وصورتي وأنا سعيدة أبتسم تلتقطها الكاميرا لي على ضفاف القناة العربية بعد التأميم التاريخي .

ووصلنا الاسماعيلية . ولم أبتسم . بكيت بصمت وابتلعت دموعي . المدينة الحلوة الانيقة قد دمّرت «اسرائيل» حلاوتهاوأناقتها، البيوت كلها مدّمرة ومصابة . الشوارع فارغة الا من المقاتلين والسيارات العسكرية . أين سكان الاسماعيلية ..؟ المدينة السعيدة في الماضي ، مهجورة ، تبكي مثلي بصمت شوقها لسكانها المهجرين الى الداخل ، تبكي بهجة الحياة . الابواب والنوافذ مفتوحة والبيوت خالية من أي أثاث تشوه حرمتها الكلاب الضالة . الدكاكين مغلقة ، الا قليل منها يبيع بعض السكان فيه الفواكه والخضار والخبز لافراد القوات المسلحة في المدينة التي تحولت الى جبهة . هؤلاء الباعة من



الكاتبة عند ضفة قناة السويس ـــ الاسماعيلية . زمن الوحدة بين سورية ومصر ١٩٥٩
للفنان نشأت التغلبي ـــ دمشق

أبناء الاسماعيلية هم في نظري صورة حقيقية لشجاعة بعض السكان والفلاحين في محافظة الشرقية . انهم جنبا الى جنب مع المقاتلين لايتركون الاسماعيلية مهما كانت الظروف . لفتت نظري بعض الجمل المكتوبة على جدران بيوت الاسماعيلية التي تصفّر فيها الريح ، ريح الحرب وريح الشتاء .

« النصر باذن الله » .

« الهزيمة لاسرائيل » .

« يا نور النبي » .

« يا رب سترك » .

« الله أكبر » .

ابتسمت من نافذة الباص للمعاني الانسانية والقومية التي كتبتها يد الشعب في الاسماعيلية البطلة على الجدران المثقوبة بقنابل العدو ورصاصه . وكانت ورود حدائق بيوت الاسماعيلية الحمراء تبتسم لشمس معركة تشرين وللمستقبل السعيد بعد التحرير في السويس والقنطرة والاسماعيلية شرقا وغربا .

وفي مكان ما من الجبهة غرب قناة السويس ، وفي مبنى نادي ضباط قيادة الجيش الثاني ، استقبلنا عدد من كبار ضباط الجيش . منهم اللواء صالح أمين المتحدث العسكري في الجيش الثاني والعميد علي غزي . ورحب اللواء صالح أمين بالصحفيين الذين تحلقوا حوله وتحدث اليهم باللغة الانكليزية وبالعربية ورد على اسئلتهم الجريئة كلها فقال :

« نحن نرحب بكم على أرض الجبهة المصرية ولنا الشرف بالنيابة عن قيادة الجيش باستقبالكم في الجبهة وسترون بأنفسكم على أرض سيناء آثار الامجاد والاعمال البطولية التي قامت بها قواتنا لاسترداد الارض. الدفاع على خط الدفاع الاسرائيلي كان قويا والمخاطرة محسوبة سلفا . وبايماننا بالله وبأسلحتنا وتدريبنا ومعنوياتنا انتصرنا ، والمعركة مستمرة ونحن جنود ورجال القوات المسلحة على استعداد كامل لكل احتمال . سنضحي بأنفسنا في سبيل عروبتنا . برنامج الزيارة اليوم لمنطقة « القنطرة شرق » احدى المدن المشهورة في أرض سيناء . وسيناء قطعة من أرضنا منذ فجر التاريخ . وسيناء أرض مصر منذ خمسة آلاف سنة . ستشاهدون رأس الجسر الى القنطرة . وضمن الزيارة سنريكم نقطة من احدى النقاط القوية من خط بارليف وكيف كانت مشرفة على القناة وتغطي القناة بالنيران . وأعلن لكم سرا عسكريا : أمر هذه النقطة كان صعبا وستلمسونه على الطبيعة . ستقابلون بعض الجنود وستلمسون المعنويات الكبيرة والروح العالية والعزيمة ومحبة الوطن كيف تجسدت في المقاتل العربي . وهي أمور ستستمر ، وكل مقاتل هنا وعلى الجبهة السورية وفي الدول العربية الاخرى رجل واحد . والمعركة متكاملة بين مصر وسورية والدول العربية كلها ، فهي معركة الدفاع عن الحق والارض . ويشرفنا هذا النهار أن يحضر معكم لزيارتنا السيد سفير دولة الامارات العربية المتحدة في ليبيا السيد سيف علي الجروان . » وختم اللواء كلمته بقوله : « الحقيقة عندما تقال نصر للجميع . ورجال الصحافة يلعبون دورا كبيرا في صنع الحقيقة وأنا متأكد أنهم رجال عدالة ، ونرحب بكم أكبر ترحيب بيننا » .

وحدث بين بعض الضباط همس وحركة بعد أن تناولنا الشاي

والمرطبات • وفهمت ان قائد الجيش الثاني سيحضر وسيرحب بنفسه بالصحفيين ويجيب على اسئلتهم •

وحضر اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثاني ، وتحدث أولاً بالانكليزية ثم بالعربية مرحباً معرّفا بنفسه :

باسم الله الرحمن الرحيم •• أنا اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثاني • أرجو أن تقضوا يوما جميلا بين قوات الجيش • أنا مستعد لاسئلتكم •

وتتالت الاسئلة بسرعة ، وأجاب عنها قائد الجيش الثاني بهدوء وابتسامات تدل على منتهى الثقة •

سؤال من صحفي أجنبي :

ــ هل تحصل اشتباكات على الجبهة الغربية بعد وقف اطلاق النار؟

ــ طالما هناك قوات متجابهة لابد أن تحصل الاشتباكات •

ــ هل وقف اطلاق النار واقع منفّذ هنا أم لا • ؟

ــ منفّذ ومسيطر عليه ، ولكن يحدث الخرق أحيانا لانها أرضنا ، يريدون التقدم ولا يمكن أن نسمح لهم بالتقدم • والاشتباكات تحدث على مستوى الرتب الصغيرة والجنود وتوقفها باشراف قوات الامم المتحدة •

سألت اللواء عبد المنعم خليل عن تكامل الدفاع العربي بين الجيشين المصري والسوري فقال بسعادة بالغة لفتت اهتمام الصحفيين الاجانب ، بعد أن عرفته بنفسي :

ـ يسعدني أن استقبل صحفية من مجلة القوات المسلحة السورية الشقيقة واحب ان اذكّرك بالمعنى الـذي تعلمنـاه من القرآن الكريم « لايقاتلونكم جميعا » ، فهذا معناه اننا اذا اجتمعنا سنكسب الحرب حتما • واحب ان أؤكد للصحافة العالمية والعربية ان التكامل بين الجبهتين والجيشين العربيين السوري والمصري على أتم صورة • والوحدة بين الجيشين شعرنا بها نحن رجال الجيشين بالقلب والعقـل وعلى أرض المعركة عمليا •

سألته :

ـ وقوة الجيشين اليوم ••؟

ـ القوة نوعان قوة روحية وقوة مادية • والقوتان أكبر بكثير من قوتينا في بداية المعركة •

وطلب محرر بعثة التلفزيون الامريكي المؤلفة من ثلاثة اشخاص : المراســل بيتر جانيس • ومهندس الصوت تشارلي كلاس • والمصور روبن فاسكمو روكيان ، من قائد الجيش الثاني أن يصور حقيقة مشاعره بالصوت والصورة في نور الشمس خارج مبنى نادي الضباط ، فلبّى الرجل طلب الصحفي الامريكي ، وأجابه بانكليزية سليمة : ألا ترى الجواب بنفسك ، فقال له المراسل الامريكي لتلفزيون الـ « A. B. C » أريد أن اسمعه بصوتك ! فقال له اللواء خليل : انظر في وجهي وستعرف الجواب وحدك •

وسيرى الامريكيون على شاشات التلفزيون ابتسامة ثقة وقوة على وجه الضابط المصري الكبير الذي يقف على الجبهة المصرية مع رجالـه مستعدا لكل احتمال في كل لحظة •

وطار بنا الباص السياحي الى القنطرة محاذيا القناة غربا والقناة الى يميننا شرقا ، الى أن وصلنا الى نقطة عسكرية هامة سننحدر منها الى رأس الجسر المعدني ـ الخشبي الذي ركّبه سلاح الهندسة وعبرت عليه القوات المصرية الى « القنطرة شرقا » في ست ساعات . ونزلنا بأمر الضباط المرافقين من الباص لنعبر الجسر مشيا على الاقدام . ولفتت نظري عند الضفة الغربية بعض الخيام العسكرية قرب الجسر وفيها يقرأ المقاتلون الصحف التي وصلتهم من القاهرة مع الصباح الباكر ، مع أن المسافة بين العاصمة والجبهة ليست بالمسافة القريبة أبدا . ان المقاتل العسكري في صورة الوضع السياسي مع تطوراته المتجددة ، وان الواقع العسكري واضح في ضمير وذهن رجل السياسة ورجل الشارع في جمهورية مصر العربية .

والمتحدث الرسمي لجمهورية مصر العربية الاستاذ أحمد أنيس على لقاء يومي مستمر مع المتحدث الرسمي للقوات المسلحة المصرية اللواء عز الدين مختار . وقد التقيت بالرجلين معا في اليوم التالي لزيارتي للجبهة المصرية في مكتب الاستاذ انيس في مبنى الاذاعة والتلفزيون . وكل منهما يقول للآخر أهلا بأخي وزميلي .

بدأ مرافقنا الى « القنطرة ـ شرق » العميد علي غزي يشرح لنا عملية العبور يوم ٦ تشرين الاول بفضل ضباط سلاح المهندسين في اللحظات الاولى وبفضل المشاة . لأن الدبابات لم تكن قادرة على العبور قبل ست ساعات . فالجسر الذي رأيناه قد تم بناؤه بعد وقف اطلاق النار . أما العبور فقد تم عن طريق « المعديات » فقد كانت هناك وسائل تبادلية ولم يعتمدوا على الجسور في الساعات الست الاولى .

كانت الصعوبة الاولى في كيفية فتح المهندسين للثغرة في خط بارليف تحت كل أنواع النيران الجنوبية من قبل الطائرات والدبابات والمدفعية. وبذل المهندسيون جهدا كبيرا خلال ٤٨ ساعة حتى تمكنت الدبابات من العبور . أما الثغرة الى نقطة خط بارليف المؤدية الى مدينة « القنطرة ـ شرق » . فقد تم فتحها بالبلدوزورات ، وكان علو جدار بارليف ٢٥ م وعمقه ٢٥ م . وهو عبارة عن جدار رملي مطل على القناة وتختفي خلفه واحدة من أهم سبع نقاط حصينة في خط بارليف في المنطقة التي تولى تحريرها الجيش الثاني . وهي موزعة كالتالي : ٤ نقاط عند القنطرة . ١ نقطة عند البلاح . ١ نقطة عند الكاب . ١ نقطة عند التينة بين القنطرة وبور سعيد .

كان على المقاتلين في الجيش الثاني أن يدمروا هذه النقاط السبع الحصينة من خط بارليف الممتد على طول القناة / ١٦٥ كم / وكان عليهم أن يعبروا المانع المائي وهو بعمق / ٣٦ قدما / تحت سيل من نيران العدو ، وتمكنت القوات المسلحة المصرية من العبور وكسر خط بارليف وتحرير الضفة الشرقية من سيناء حتى عمق يصل الى / ١٧ كم / .

وركع المقاتل المصري يقبل رمل سيناء ، ورفرف العلم المصري فوق أعلى سارية عسكرية في نقطة من نقاط بارليف الحصينة .

وعادت بي الذكريات الى الوراء .. الى الايام التي جلست فيها مع أبي العجوز رحمه الله السيد فهمي بن مصطفى آغا الترجمان لأسجل يومياته عن السفر برلك والتي سأنشرها في يوم من الايام كاملة . فقد عبرت القوات التركية بالمجندين العرب وبينهم أبي كضابط للمخابرات العسكرية اللاسلكية ، صحراء سيناء الى القناة مشيا على الاقدام ،

وحاولت عبور القناة من الشرق الى الغرب لا على « المعديات » بل على (الطنبازات) التي تم صنعها في دمشق والتدرب عليها في بحيرة العتيبة التي يصب فيها نهر بردى قرب دمشق •ويومها أحس الجيش الانكليزي بعملية العبور السرية للجيش التركي ليلا ، ورد على العملية بعنف ، وفشل العبور وأدى « السفر برلك » الى نهاية الحكم التركي على الارض العربية • وكأن سيناء العربية ترفض « الرجل الغريبة » •ويومها هرب المجندون العرب من الجيش التركي ليشكلوا طليعة الثورة العربية• والتحق أبي معهم بثورة الشريف حسين ودخل مع قوات الثورة العربية بقيادة الملك فيصل الاول محررا دمشق من الاستعمار التركي العثماني • واليوم اقتحم المقاتلون العرب الحصون المنيعة الحديثة عند خط بارليف لتحرير سيناء من « الرجل الغريبة » ، من العدو الصهيوني •

وأحسست وأنا أعبر الجسر على قدمي بشعور لامثيل له •وتذكرت أبي رحمه الله • وأحسست أن نصر العبور العربي اليوم قد شارك في صنعه الاجداد منذ أيام السفر برلك • ياللاقدار كيف تلعب بالاجيال العربية !!

مئات الصحفيين قد عبروا هذا الجسر منذ اطلاق النار حتى اليوم• فما الجديد الذي سأعود به من زيارتي لخط بارليف وقد نشرت الصحافة العربية والعالمية تفاصيل معركة رمضان على الجبهة المصرية كلها ؟!؟

كنت صحفية أبحث عن رؤية جديدة وقصة جديدة • كنت أبحث عن الصـورة المكملة فقد كانت زيارتي لقـواتنا المسلحة على الجبهة السورية بحاجة لزيارة مكملة للجبهة المصرية • ولقائي بضباطنا وجنودنا على جبهة الجولان يتطلب لقاء مماثلا بضباطنا وجنودنا على جبهة سيناء •

واكتملت الصورة • بارليف يكمل جبل الشيخ • بقي أن ألتقي

بالمقاتل العربي المصري وأسجل بعض القصص البطولية الواقعية التي لم تسجل بعد ، وأسمي المعارك والابطال •

وفي احدى حدائق بيوت مدينة القنطرة وتحت ظلال عريشة تهرب من بين أوراقها أشعة الشمس الى وجوهنا ، تحلق الصحفيون حول مائدة الحوار يشربون عصير « المنجة » الشراب المصري المفضل ، يسألون يسألون ، ويتلقون الاجابات من العميد عبد القوي عزت قائد (القنطرة ـ شرق) •

وكان موظف المركز الصحفي الاستاذ محمد عجمي يقوم بالترجمة الى الانكليزية ، وعدسات المصورين الصحفيين وكاميرات التلفزيون العالمي وميكروفونات الاذاعة العالمية تسجل كل كلمة مع الاقلام الصحفية السريعة •

قصة القنطرة شرق :

قال العميد عبد القوي عزت وعصاه في يده لا تفارقه :

« القنطرة شرق هي المدينة الوحيدة الكبيرة التي سقطت بفضل قواتنا أول يوم من أيام قتال ٦ اكتوبر • فمنذ فترة طويلة دأبت اسرائيل على احتلال أراضينا بالقوة ، وقد ضقنا ذرعا بجميع الوسائل السياسية والديبلوماسية للحصول على أرضنا العربية • وضربت اسرائيل عرض الحائط جميع قرارات هيئة الامم المتحدة وقامت باعتداءات متكررة على المواطنين المدنيين والعسكريين ليس على جمهورية مصر العربية وحدها ، وانما على جميع اخواننا العرب • وطالبت القوات المسلحة المصرية بضرورة ردع القوة الاسرائيلية • وقد وجدنا لدى اخواننا السوريين صدى كبيرا وقوة أكبر في سبيل التعاون معنا لرد العدوان الاسرائيلي ،

ثم وجدنا صدى لدى جميع الدول العربية في الاشتراك والمساهمة معنا في استرجاع أراضينا على الجبهات العربية والوصول بالدول العربية الى المكان اللائق بها في العالم. بهذا الدعم الكبير المؤيد من الله طالبنا بقوة بحقنا في المحافل الدولية ، وكان جواب اسرائيل أنها هي الاقوى وأن القوي لا بد أن يعيش في هذا العالم . وبعد أن نفد صبرنا صدرت الاوامر الى القوات المسلحة بردع اسرائيل . كان هذا الدرس الذي لقنّاه لاسرائيل قاسيا لدرجة أن رئيسة وزراء اسرائيل صرحت في لندن أن خسائرنا في ستة عشر يوما من القتال كانت تعادل بالنسبة لحجم شعبنا سبعة أمثال خسائر أمريكا في حرب فيتنام .

بهذا العزم وبهذا الايمان ابتدأنا حرب ٦ اكتوبر . وبحقنا أمكننا الوصول الى الاهداف المحددة لنا .

أتمنى أن تكونوا قد أعطيتم لنا الحق بأن نقود المعركة بشرف وأمانة لنحرر الارض ونستعيد الحرية » .

وانطلقت أسئلة الصحفيين رشا :

ــ لقد فقدتم الثقة بالديبلوماسية والسياسة فحاربتم .. فهل معنى هذا أنكم لو فقدتم الثقة بهما حاليا ستعودون الى الحرب ؟.

ــ الصراحة .. ان الرجال العسكريين عسكريون بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، ونحن مستعدون مرة أخرى لخوض غمار الحرب اذا لم ترتدع اسرائيل ولم تبادر للانسحاب من أرضنا . في هذه الحالة سنضطر لتحرير أرضنا بالقوة .

ــ هل وصلتم الى جميع الاهداف المحددة لكم ؟.

ــ المهام العسكرية تحدد على فترات • تحدد في وقت ما في مكان ما لغرض ما •

ــ هل وصلتم في ٢٢ اكتوبر الى ما تريدونه • ؟

ــ تحدد المهام للقوات بحيث تكون قادرة على الاستمرار والمتابعة لتدمير قوات العدو في كل مكان • يوم ٢٢ اكتوبر حدد لنا خط لنصل اليه ولكننا مستعدون للاندفاع شرقا اذا صدرت الأوامر •

ــ هل معنى هذا أن الخط الذي وصلتم اليه هو الخط المحدد لكـــم ؟

ــ كانت جمهورية مصر العربية مصممة على الوصول الى هذا الخط حتى هذا التاريخ وكانت لديها القدرة على الاستمرار في تطهير الارض لولا قرار وقف اطلاق النار • وسنتابع التطهير مرة أخرى اذا لم نصل الى حل مع اسرائيل •

ــ هل كانت أهدافكم أهداف حرب محدودة أم حرب شاملة •

ــ في مبادىء الحرب يقسم الهدف النهائي الى مراحل • وقدوصلنا الى المرحلة الاولى • ثم تدخلت الدولتان الكبيرتان روســيا وأمريكا وصدر الامر بوقف اطلاق النار بعد أن أتممنا المرحلة الاولى ولكــن أمامنا عدة مراحل لنصل الى الهدف النهائي •

ــ هل حدثت انتهاكات لوقف اطلاق النار داخل سيناء •؟

ــ جدا • هناك انتهاكات وتتدخل قوات الامم المتحدة لايقافها •

ـ ما دور قوات الامم المتحدة ؟.

ـ دورها المراقبة ولا تملك أية أسلحة .

ـ ما الاسلحة التي حاربتم بها ؟

ـ حاربنا بجميع أنواع الاسلحة وغير المحرمة دوليا .

ـ هل كانت القنطرة آهلة بسكانها عندما احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧ م وما عدد سكانها ؟

ـ كان عدد سكان القنطرة قبل الاحتلال في عام ١٩٦٧ /٢٠/ ألف نسمة وتم ترحيلهم عن المدينة من قبل القوات المعتدية وبقي فيها عدد غير قليل تم تحريرهم مع المدينة في حرب ٦ اكتوبر .

ـ ما هي طبيعة القوات الاسرائيلية عنـد خط الجبهة في سيناء حـاليا ؟

ـ طبيعة دفاع القوات الاسرائيلية حاليا بالنسبة الى خط بارليف تعتبر قشة يمكن أن نقصمها في لحظات .

ـ ما هي أنواع الدفاع الاسرائيلي ؟

ـ تجهيزات هندسية عادية محاطة بأسلاك وألغام ، وهي ضعيفة جدا بالنسبة لخط بارليف .

ـ لماذا حدثت الثغرة التي تسلل منها العدو عند خطوط الجيش الثالث بين الجيشين الثاني والثالث ؟.

ـ تعلمون الحرب سجال . لقد تمكن العدو من احداث الثغرة

بين الجيشين والدخول ، وأمكننا تدمير قواته وأصبحت منتهية يوم ٢٢ اكتوبر ، وقد استغل العدو فترة وقف اطلاق النار والتزامنا بها ، لأن تقاليدنا العربية وديننا يجبرنا على احترام الكلمة ، ودخل وأشاع أنه استولى على السويس ولكنها ما زالت في قبضتنا وسيطر العدو فقط على بعض عقد المواصلات •

ـ متى ستستعيدونها ؟ لها الآن أكثر من شهر !؟

ـ نحن نخضع للاوامر السياسية وسنستردها اذا لم تصل القيادة السياسية الى حلٍ •

ـ هل أنت متفائل أم متشائم من مؤتمر السلام في جنيف ؟

ـ أنا أؤمن بالسلام ، ولكن بالسلام الذي تدعمه القوة • لايوجد سلام بلا قوة ولا قوة بلا عزيمة • ان لم نصل بالسلام سنحارب •

انتقلنا الى خط بارليف المدمر • صعدنا الى النقطة التي كانت يوما حصينة ، هي الآن جبل من الحديد المتناثر وأكياس الرمل الممزقة و« الدشم » المحطمة ، نحن نقف عند أعلى نقطة مراقبة معدنية ، كانت كما يبدو برجا للمراقبة الاسرائيلية ، نفرح لعلم مصر العربية يرفرف مطلا على مياه القناة • وتفرّق الصحفيون كل يبحث عن جديد في النقطة التي شبعت تصويرا وكتابة •

وأنا ما زلت أبحث عن قصة جديدة • وتحدثت طويلا مع الرائد حلمي أحد الضباط الذين شاركوا في العبور • وأكد لي أنه خلال ٣٥ دقيقة من بدء المعارك تم حصار مدينة القنطرة وتم سقوط ثلاث نقاط من خط بارليف • وبالترتيبات التي وضعت والسرية التي أحيطت بها ساعة الصفر والتحضير الجيد ، تمكن المقاتلون من اذابة الصعوبات ،

لدرجة أن البيانات العملية السابقة للمعركة كانت تتميز بصعوبات أكثر من التنفيذ في المعركة ، ونسبة الخسائر البشرية والمادية في البيانات العملية كانت أكبر منها في المعركة . قوة الهجوم على هذه النقطة تقدر بسرية مشاة حوالي ٩٠ فردا والقوة المقابلة العدوة في النقطة كانت تقدّر بـ /٥٠/ مقاتلا بين ضابط وجندي اسرائيلي . تم الدفاع عن النقطة بكل أنواع الاسلحة وكانت لديهم محطة لاسلكي كاملة ، ولهم صلة بالبحرية والطيران والمدفعية وقيادة القوات . كان عندهم طعام يكفي لمدة شهر وذخيرة لمدة شهر ومياه لمدة شهر لو استمر الحصار شهرا .

كانت أماكن المبيت لجنودهم تحت الارض مجهزة بمهمات وقاية ولكل مقاتل جهاز في سريره (بمهمات وقاية) بشكل يقنع الجندي الاسرائيلي أنه لن يتأثر مهما تعرض للقصف .

ـ وأنت أين كنت لحظة العبور ؟

ـ أنا دخلت النقطة بعد العبور . كان موعد العبور الساعة ٢ وثلث . دخلنا الى النقطة بعد العبور لنجد على موائد الاكل بقايا الاكل والشرب تؤكد مدى المفاجأة . كانت مهمتي أن أجمع الاسرى وأسلمهم للقيادة . قبضت في قطاع المنطقة مع الزملاء على /٤٨/ أسير و/٨/ طيارين . تصوري ٨ طيارين سقطوا أسرى في حدود ٧ دقائق فوق مدينة القنطرة ـ شرق .

وحدثني الرائد حلمي وكان في حديثه وعي وثقافة وخبرة :

« في مفهوم أي عسكري من القائد العام الى مستوى العسكري « المجند » على خط المواجهة .. الحل العسكري في اتجاه والحل السياسي في اتجاه آخر . انهما خطان متكاملان ، ويلتقي الخطان لتحقيق الهدف وهو تحرير الارض . »

وقال :

« من ملاحظاتي ، كنت تشعرين بالايمان والتضحية عن عقيدة . وكان « الناس » يريدون أن يقاتلوا وينتهوا ونسترد كرامتنا . كانت كلمة « الله أكبر » تسمع على طول خط الجبهة من المقاتلين العرب لحظة العبور . كانت لحظة تقشعر لها الأبدان . طقم رشاش يصاب . وفورا طقم آخر يتقدم ليأخذ مكانه .

كنت في القيادة ، وقصفت القيادة . قصف متواصل من الصباح حتى السادسة مساء . أذاعت اسرائيل أن القيادة دمرت . كان الموقف مضحكا كنت في الحفرة ودمرت « شنطتي » فقط . وقتل عسكري واحد . ولم تنجح اسرائيل بحربها النفسية . »

قلت له :

ــ من كان قائد القنطرة في المعركة ؟

ــ العميد فؤاد عزيز .

ــ هل لك أن تعرفني ببعض المقاتلين من الضباط وصف الضباط والجنود ؟.

ــ طبعا . فهم فخر قواتنا المسلحة وهم أبطال حقيقيون ..

أقدم لك مثلا :

الملازم الاول عبد المقصود سيد عبد المقصود من الشرطة العسكرية . والعريف ابراهيم عبد الجواد .. والعريف محمد عبادي محمد سائق سيارة قائد القطاع منذ بداية المعركة حتى اليوم . كان على العريف

محمد عبادي أن يقود مركبة نوم ومكتب القائد للراحة بعد تركيب الجسر • فيوم العبور في اليوم الاول عبر القائد في القارب • ويومها لم ينم أحد • وركّب الجسر • وفي الوقت المحدد للعريف محمد بالضبط كسائق وكعسكري ملتزم ومسؤول ، وبالرغم من كل الغارات ، عبر القنال بعربة القائد ووصل الى القائد في الوقت المحدد • وكان بينه وبين زملائه صراع وتنافس على قيادة العربة الى القائد • أما العريف ابراهيم عبد الجواد من الشرطة العسكرية فكانت مهمته تنظيم المرور على المعبر ومراعاة فواصل العربات وتوصيلها الى أماكنها على الضفة الشرقية ، ثم تحديد الاتجاه بالنسبة للعربات والدبابات وتوصيلها الى مكانها المخصص لها • وكان قائد نقطة من أربعة أفراد • وعلى كل معبر كانت تقف نقطة عسكرية •

وقال لي قائد فصيلة المرور في الشرطة العسكرية الملازم عبد المقصود ردا على سؤالي :

ـ « كان من المقدّر أن تكون خسائرنا للعبور ٣٠ ـ ٤٠ بالمئة من عدد القوات العابرة ، الذي حدث بين ٦ ـ ٢٢ اكتوبر أن الخسائر في هذا القطاع لم تتجاوز ٥ ٪ بين جرحى وشهداء •

أما واجب الشرطة العسكرية في المعركة فقد انقسم الى قسمين :

١ ـ تحديد مكان القيادة •

٢ ـ تحديد أماكن القوات •

وصور التحديد تكون بأفراد وبعلامات الشرطة العسكرية في النهار ، وتزود في الليل بالفوانيس الميدانية للارشاد • وقوات الشرطة العسكرية في المعركة تعتبر كالشريان بالنسبة للقوات المسلحة • »

ونحن في طريق العودة لمغادرة مدينة القنطرة ، بدأ الصحفيون في تصوير آثار المعركة وبقايا دبابات وعربات العدو المحروقة ، وتسجيل صور الكنائس الكبيرة العدد المدمرة منذ عدوان ١٩٦٧ في مدينة القنطرة . ولاحظت أن الكنائس المدمرة ما زالت تحتفظ في أبراجها العالية بالصليب الذي يتحدى كفر بني اسرائيل . وأحد الصلبان الذي صوره مصور « وكالة فيزنيوز » الفرنسي نويل الكسندر (امه لبنانية) ، كان مصابا بالقصف وظل معلقا في برج الكنيسة الآرثوذكسية بشكل مائل . وصاح الصحفيون الاجانب بسائق الباص ، وتوقف ، وصوروا الوحشية الاسرائيلية ضد الأماكن المقدسة . وبعد خطوات وقف الباص ثانية لتصور العدسات الجامع الذي بقيت منه نصف مئذنة .

وعند مقبرة الشهداء ، الشهداء الذين حرروا القنطرة شرق في ٦ اكتوبر ، صورت العدسات أعظم صورة من الصور الوطنية ، صور الفداء والشهادة ، صورة قبر الشهيد المسلم الى جانب قبر الشهيد المسيحي ، أبطال القوات المسلحة في الجيش المصري . وتعانق أبناء مصر في الحياة وفي الموت في سبيل الوطن وتحرير الارض وفشلت أهداف اسرائيل في خلق الطائفية في الصف العربي .

وسجلت أنا بقلمي وسجلت الكاميرا بعض أسماء الشهداء أبطال التحرير في القنطرة . وقررت القيادة أن تكون مقبرتهم في القنطرة التي سيعاد بناؤها من جديد ، وسيقام لهم نصب تذكاري ضخم ومقبرة فخمة كي يظلوا أبدا رمزا لتحرير القنطرة :

الشهيد الملازم الاول الاحتياط مراد فرج سلامة .

الشهيد شحاتة فلفل حنا •

الشهيد الجندي عبد الرحمن عبد الواحد سليمان •

قرأ الصحفيون والصحفيات الفاتحة على أرواح شهدائنا على جبهة سيناء ، وانطلق الباص ليودع الجبهة المصرية في صحراء سيناء بآخر مشهد لمباراة بكرة القدم بين فريقين من المقاتلين في الجيش الثاني •

وكان هذا المشهد عندالغروب أعظم تجسيد للحرية•حرية الارض والانسان العربي • وحملنا الباص هذه المرة معه والسعادة تملأ الحنايا بالفخر والكبرياء •

وعبر جسر الحرية عائدا بنا الى أعماق الليل الذي تتخلله أصوات الانفجارات يمينا وشمالا • تدريب مستمر ، ويقظة دائمة •

وظلت عالقة بين عيني صورة المقاتلين الذين تجمعوا حول باص الصحفيين قبل لحظة العودة ، تحت النافذة التي أطل منها ، ليذكروني ثانية قبل أن أنسى بأنهم في جبهة سيناء في انتظار وشوق لوصول مجلة « جيش الشعب » السورية ليقرأوا بلهفة قصة البطولات التي سجلها المقاتلون في الجبهة العربية السورية •

وكل منهم يحمّلني أعمق التحية والحب للمقاتل السوري • وعبر هذه الرسالة يسعدني أن أنقل تحية وتقدير المقاتلين في الجيش الثاني من القائد حتى أصغر رتبة ، الى جميع ضباطنا وصف ضباطنا وجنودنا في الجـولان •

وتحرك الباص ولوحت الايدي السمراء بتحية الوداع ترسم

نارة النصر . وكانت مجموعة الصحفيين والصحفيات العرب تتجمع على المقاعد الخلفية في الباص وتشكل كتلة من المرح والفرح والحيوية.

وبدأت النكات المصرية تنطلق هنا وهناك ، والضحكات تغطي متاعب الرحلة التي استغرقت ١٦ ساعة .

أحد الزملاء المصريين كان اسمه « أحمد قطر » . و« القطر » في مصر هو القطار . وأخذ الزميل عبد الله محيلان أحد أعضاء بعثة تلفزيون الكويت المؤلفة من أربعة أشخاص هم: محمد عبد النبي ومحمد صادق ولؤلؤة الرشيد ، أخذ عبد الله يقود سفينة المرح في رحلةالعودة، ويظهر أنه قد تابع دراسته في جامعة القاهرة حتى أنه يتقن النكتة أكثر من المصريين أنفسهم . أخذت نكاته حول زميله أحمد قطر تنزل كالمطر .

ـ ازاي يا أخي تسمي نفسك قطر ...؟!

ـ حد في الدنيا يسمي نفسه قطر ..!!

ـ قطر يا أحمد قطر ..!! ده اسم ده !!.؟؟

ـ وردّت لؤلؤة على عبد الله :

ـ اذا كان أحمد .. قطر .. فأنت عبد الله كارو ... !!

ـ تصوروا عبد الله بيحمل اسم عبد الله فانتوم .

وعاد عبد الله محيلان يقول لأحمد وأحمد يضحك أكثر منا كلنا :

ـ أنت يا أحمد يا راجل مواصلات وسكة حديد .

ـ يا أحمد في في بيتكم صالونات درجة أولى ودرجة ثانية ..؟!

وضجّت مؤخرة الباص بالضحك .. وتعب الزملاء من الضحك. وكانت أغنية « الدلوعة » الكويتية كما يبدو هي الغالبة . اشتركت بغنائها حناجر الصحفيين العرب من الكويت وأبو ظبي ومصر ولبنان والعراق .

نام أكثر الصحفيين الاجانب .

ولم تنم الاغنية العربية ، وظلت ترافقنا على ضوء القمر وظلال النخيل على الترعة التي رافقتنا في طريق العودة الى القاهرة .

القاهرة ـــ كانون الاول ١٩٧٣

★ ★ ★

محمد أفندي رفعنا العلم

أطفال مصر في المدارس ودور الحضانة في القاهرة يردّدون في البيوت بصورة عفوية أهزوجة شعبية مصرية لطيفة تعبّر عن فرحة الشعب بالعبور ورفع العلم العربي المصري على النقاط الحصينة في خط بارليف . عنوان الاهزوجة « محمد أفندي رفعنا العلم » .

وبحثت عن رافع العلم « محمد » فوجدت أنه أكثر من انسان أكثر من محمد واحد وأكثر من مقاتل واحد . وقد ارتفع العلم العربي المصري فوق اكثر من نقطة وكان الابطال رافعو العلم هـم اسطورة العبور وكانت بطولاتهم أغنية الشعب المصري الاغنية الشعبية المعاصرة.

وكان البطـل الرقيب المجند « مصطفى محمد صالح » اكثرهم شهرة وبطولة لانه دفع ساقه ثمن بطولته وثمن رفع العلم .

وجلست الى جانب سريره في العنبر رقم /٩/ بعد أن قدمتني اليه رئيسة سيدات الهلال الاحمر المصري السيدة أليس أحمد زيدان المتطوعـة للعمل مـع زميلاتها منذ اليوم الاول للمعركـة في مشفى





الفنان مصور وزارة الاعلام المصرية ـــ القاهرة

« الحلمية » العسكري • قدمتني على انني صحفية سورية جاءت من دمشق لتزور جرحى المعركة في جبهة سيناء وتكتب قصص بطولاتهم •

وارتسمت على وجه البطل الجريح ابتسامة فرح وترحيب ، وبدأ يروي لي قصته بحماسة ونشاط والجرحى في أسرّتهم البيضاء يتجهون بأبصارهم الينا ، وكل منهم يتمنى أن يكون هو مركز شرف رفع العلم والشهرة والمجد • وكان العلم العربي المصري معلّقا فوق سرير البطل وقد قدمته له القيادة هدية وكتبت اسمه عليه ، عدا عشرات الاوسمة والشهادات والهدايا حوله • وقرب سريره وبلمسة ذوق ساحرة من لمسات سيدات الهلال كانت تطل على وجهه وردة حمراء واحدة نضرة تعبّر عن منتهى الحب •

وأخذت أكتب واتمسك بالقلم ليمنحني القوة حتى لا انهار امامه وابكي مما اسمع من العبارات الانسانية البطولية الحارة • قال رافع العلم الرقيب المجند مصطفى محمد صالح (أحد عمال شركة ايديال):

« كنت أحد رجال القوات الخاصة • قمنا بعمليات عبور عادية • كنا مكلفين بالهجوم على موقعين بعيون موسى • وتم أسر جميع أفراد الموقع الاول • والموقع الثاني تبادلنا فيه النيران والاشتباك بالسلاح الابيض • وأسرنا أربعة أفراد من الموقع الثاني وقتلنا جميع من كان في الموقع بعد أن احتلت كتيبة مشاة ، النقطتين القويتين عند خط بارليف• في الفجر كان القائد (الشهيد) شريف أحمد سامي قائد الوحدة ونحن، في قلب الموقع ، وكنت أقف حرسا في الفجر • ناداني قائدي : «يارقيب مصطفى خلّي بالك فيه دبابة جاية متسللة على بعد كيلو • قلتلّو : طقم يافندم ••؟ قاللي : لا يامصطفى الموقع ينكشف » • وفجأة سمعت صوت طلقة ، وسمعت صوت استغاثة من قائدي : الحقني يامصطفى•! خرجت من الموقع ووجدته قد أصيب ثم استشهد • زحفت بعيدا عن

الموقع مسافة ٣٠٠م ، وصعدت على الدبابة وكانت من طراز «سنتريون» وكان معي قنبلتان يدويتان ، فسقطت احداها داخل الدبابة من فوهة التهوية العليا ، وطبعا كنت مدربا على التعامل مع المدرعات ، وأنا فوق الدبابة جاءتني شظية من المدفعية وأحسست أن ذراعي شبه مشلولة وسقطت عن الدبابة • لما مالت الدبابة على الارض داست على رجلي فبترتها • وأنقذني زملائي بعيدا • ثم انفجرت الدبابة بعد ذلك • وحملني زملائي الى مستشفى السويس •

ـ اذن يا رقيب مصطفى أنت لم تصب عند رفع العلم ؟ •

ـ لا •• عندما تمّ الاستيلاء على النقطتين كنت أنا رقيب أول السرية وأقدم واحد فيها ، ورفعت العلم بيدي حوالي الساعة الثالثة قبل الفجر • وبعد ان تمّ العبور والاستيلاء على النقاط الحصينة ورفع العلم، حصل معي عند الفجر حادث الدبابة ففقدت ساقي •

ثم قال :

ـ انا لست حزينا على ما حصل لي • لست حزينا برغم البتر لاني ثأرت لنفسي ولقائدي ولزملائي ، أحسست أني فعلت شيئا وهذا هو عزائي • ولو تقطعت كل أطرافي فأنا فداء لوطني وأمتي • ولو ركبّوا لرجلي جهازا يساعدني على المشي فأنا على أتمّ استعداد لان أعود الى الجبهة ثانية • ولن أنسى أبدا تقدير الجيش والشعب لعملي فقد غمرتني القيادة بشهادات التقدير والهدايا ، وقد أثرت فيّ زيارة زملائي لي في المستشفى وعددهم ٣٦٠٠ عامل في شركة ايديال ، وأشكر مدير الشركة الذي قدم لي هدية ٥٠ جنيها • ولن أنسى مدى العمر رعاية أطباء المستشفى وممرضاته وسهر سيدات الهلال الاحمر المصري وحنانهن ، وكان شرفا كبيرا لي أن تقوم معهن على خدمتي وخدمة زملائي الجرحى سيدة سورية كريمة هي السيدة « ثريا عمري » زوجة رئيس مجلس

الوزراء الاتحادي الاستاذ أحمد الخطيب ، التي تطوعت مع السيدات المصريات لخدمتنا يوميا تاركة بيتها وأولادها في سبيل تأمين الشفـاء العاجل لنا • انها صورة مثالية للمرأة العربية السورية المتواضعة المثقفة التي تتفانى في ثوبها الابيض الملائكي في سبيل جرحى المعركة العربية المشرفة • لافرق بين جريح مصري وجريح سوري فوحـدة الهدف في المعركةقد وحّدت الجرحى وألهبت عواطف الانسان العربي من المحيط الى الخليج • اكتبي عن لساني :

« أنا لست حزينا لاني فقدت ساقي ، وقد صدر أمر بسفري الى فرنسا لتركيب رجل صناعية • وقلت لهم : اذا كانت تكاليف سفري تفيد جريحا آخر بحاجة للسفر أكثر مني فأرجوكم أن تعطوه دوري • لقـد فقدت ساقي ولكنني فقدتها بعد أن ثأرت لها • فقدتها وكان ثمنها عظيما العبور واسقاط خط بارليف واستعادة الضفةالشرقية•ولذا فأنا لا أحس بالخسارة • »

والى عنبر رقم ١١ في المستشفى أخذتني سيدات الهلال : الرئيسة السيدة أليس أحمد زيدان والسيدة مارسيل شاهين حرم اللواء مصطفى شاهين والسيدة ثريا أحمد الخطيب حرم رئيس الوزارةالاتحاديةوالسيدة ليلى العقاد حرم اللواء تيسير العقاد • وفي هذا العنبر التقيت بجرحـى المعركةفي سيناء وأكثرهم يتفجّرصحةونشاطاوسعادةوقد تماثل للشفاء منجروحه الخطيرة•وقد ناداني أحدهموأنا بين الاسرّة أسجلأسماءهم وطلباتهم ، وكان أشدهم اصابة يحرك شفتيه بصعوبة ، وطلب مني أن أكتب لمجلة « جيش الشعب » السورية مشاعره•فقلت له : حاضر • قال: أنا العسكري المجند أحمد ماهر أبو النجا خريج المعهد العالي للتربية الرياضية عام ١٩٧٢ • أصبت في منطقة الدفرسوار • اكتبي عن لساني: رغم جروحي وآلامي ، يوم العبور كانت رائحته حلوة ، وكانت الروح مرتفعة للتفريـغ بعد كبت ست سنوات ، والقادة كانوا معنا فيالصفوف الامامية ، لقد عشنا لحظات تاريخية لن ننساها واستعدنا كرامتنا •

وقال لي الجريح جلال محمد حلمي: « أصبت في الاسماعيلية •وفي مشفى «الحلمية» العسكري وجدت بسيدات الهلال أمهات وأخوات»•

وقفز أحد الجرحى من سريره وقدم لي « الاوتوجراف » لاقـرأ ماكتبه له مشاهير الزوار • وترك سريره جريح على وشك الخروج من المستشفى ، وقدم لي نسخة من رسالة طويلة عاطفية انسانية كتبها الى احدى سيدات الهلال السيدة شاهين•وكان الجرحى ينادونهاماماشاهين:

« الى ماما شاهين •••

الى النور ••

الى الامل ••

الى من تعيش من أجل راحتنا • الى من وهبونـا الحب والعطف والحنان في لحظات اليأس والمرض • الى من أثبتن أن المرأة لاتقل أهمية عن الرجل • الى سيدات الهلال الاحمر أسجل أسمى معانـي الحـب والاخلاص • أسجل شكري وتقديري وتحياتي وعرفاني بالجميل •

لن انسى تلك الايام التي صارت نورا بعد ان كانت ظلاما • ولولا وجوه ضاحكة وشفاه مبتسمة وأيد رحيمة لما ظهر النور وانقشع الليل •

اليكن يامن وهبتنّ قلوبكنّ لمصر وأبناء مصر أسجل كلمتي هذه لعلها تكون ذكرى•معاهدا الله وأعاهدكنّ على أن أكون كما أردتنّ• وأن أكون جنديا مخلصا وفيا لمصر مدافعا عنها وعن أراضيها وشرفها ملبّيا نداءهافيأية لحظة واضعا نصب عيني أنني أدافععنأطهر سيدات العالم » •

المقاتل حسين محمد اسماعيل برديس ــ مركز البلينا ــ سوهاج •
رسالة ثانية الى ماما شاهين من جريح آخر :

الى ماما شاهين :

أرجو أن تتقبلي من ابنك الذي غمرته بعطفك وحنانك في وقت كان أحوج مايكون فيه الى الكلمة التي تبعث فيه الامل وتشفي جراحه • أرجو أن تتقبّلي منّي أسمى آيات التقدير والعرفان بالجميل •

يوم ١١/١٢/١٩٧٣ •

ابنك المقاتل

محمد عبد المقصود علي

١٢ شارع الحرية ــ بساحل

روض الفرج

وفي مكتب رئيسة سيدات الهلال في المستشفى التقيت بالسيدة زيدان وبعض العضوات المتطوعات واستمعت الى قصة العمل الانساني العظيم الذي قدمته سيدات مصر للمعركة ، وكان جزءا هاما من عمل الجبهة الداخلية أثناء المعركة وبعدها وحتى هذه اللحظة •

قالت السيدة زيدان :

« طلب الجيش من الهلال الاحمر المصري توزيع عدد من السيدات المتطوعات على المستشفيات لمساعدة قوى المستشفى في التمريض • وكان عدد المتطوعات كبيرا يصل الى ٥٠٠ متطوعة • رئيسة جمعية الهلال الاحمر المصري ولجنة السيدات هي السيدة عليّة الفار،ورئيسة المستشفيات السيدة استقلال راضي ، وكل مستشفى لها مسؤولة ومعها عدد من المتطوعات حسب سعة المستشفى •

بدأنا العمل يوم ٩ اكتوبر • ووزعت المتطوعات الـ / ٨٤ / الى مجموعتي يوم ويوم • وأوكلت اليهن الاعمال حسب الخبرة والاستعداد:

ـ الاوفيس : مكان توزيع الاكل في العنابر • يستلمن الاكل من المطبخ للاوفيس ، ومنه يوزع للعنابر ، لأفواه الجرحى • والسيدات اللواتي يعملن في عنبر الجرحى يساعدن الجرحى في الاكل •

ـ مسؤولات عن نظافة العنبر •

ـ مسؤولات عن ملاحظة العلاج •

ـ مسؤولات عن كتابة الرسائل لمن لايعرف الكتابة ويقرأن له الصحف ، ويزيّن الورود ويكتبن الطلبات وصورة عن الحالة الاجتماعية لكل جريح •

ـ مسؤولات عن التعقيم وتحضير الشاش وتغيير الجروح •

ـ مسؤولات في المطبخ للاشراف على الغذاء والراتب الغذائي المعيّن للمحروقين من الجرحى •

ـ مسؤولات في المغسلة لاستلام الملابس القذرة وتنظيفها وخياطة أزرارها المقطوعة وكيّها واعدادها لتسليمها للجريح عند خروجه من المستشفى • وقد شكل الهلال الاحمر المصري عدّة لجان مختلفة في الحرب هي :

لجنة الاسعاف والتمريض • لجنة المستشفيات • لجنة الرسائل والاتصال بالجنود • لجنة الايواء والاسكان • لجنة المخازن والهدايا والتبرعات » •

وسألت السيدة ثريا العمري الخطيب عن العمل الذي تمارسه ، متطوعة مع سيدات الهلال في مشفى « الحلمية » العسكري فقالت :

« اعمل في العنبر رقم ١١ وهو أصعب عنبر للمحروقين من جرحى المعركة • وأنا أطعم الجرحى بيدي وألاحظهم وأؤمّن طلباتهم مهما كانت • وأراقب الممرضات وهنّ يغيّرن الجروح • ان مهمتنا هنا بالدرجة الاولى مراقبة الادوية والعلاج • أعصر لهم البرتقال والليمون بنفسي وأقدّمه للجريح وأنا سعيدة لانني أخدمه » •

ـ هل قمت بدورة اسعاف ودفاع مدني من قبل ؟

« انتسبت الى دورة دفاع مدني ومقاومة سنة ١٩٥٦ أيام حوادث بور سعيد في (مستشفى المجتهد) في دمشق » •

وقالت السيدة زيدان :

ـ أغلب السيدات مارسن دورات التمريض • والتي لم تمارس التمريض وتخاف من رؤية الجروح حولتها لاعمال ثانية كتحضير الشاش مثلا • ولم تمض فترة الا ونراها قد تشجعت واخذت تزور عنابر الجروح الصعبة لخدمة الجرحى بنفسها • كانت روح المتطوعات من سيدات وزوجات كبار المسؤولين وربّات البيوت وطالبات الجامعات ، عالية وعظيمة • وقد تعلّق الجرحى بهنّ بدرجة كبيرة لشدة عنايتهنّ بهم • ومثلا في العنبر رقم ١ أقام الجرحى حفلة تقدير للسيدة رفيقة جمال وقدّموا لها هدية طبقا من الفضة • ولو حاولنا تغيير السيدات حدثت ثورة بين الجرحى • مثلا : لا نريد الا ماما ثريا •!! لا نريد الا ماما شاهين •••!!

وأحب أن أسجل هنـا كرئيسة للجنة سيدات الهلال في هـذه المستشفى عظيم تقديري للسيدة ثريا حرم الاستاذ أحمد الخطيب على تفانيها بالعمل • فهي تداوم بانتظام ولا تتغيّب عن دوامها منذ التحاقها بالعمل معنا وتعمل بكل قلبهـا وروحها بتواضـع وتغسل للجرحى الكؤوس بيدها وتقرأ وتكتب لهم الرسائل بنفسها ، وتعطي مثلا عاليا على تفاني المرأة العربية السورية مع اخواتها العربيات لخدمة اهداف المعركة العربية الواحدة •

وتحدثت السيدة نـوال عبسي وهي برتبة رائـد ، والممرضات جميعهنّ برتب عسكرية تنحدر من رائد الى نقيب الى مـلازم أول ، ملازم ، رقيب اول ، رقيب ، عريف ، تحدثت الرائد نوال عن اعجابها بذوق سيدات الهلال وحماستهنّ ودقتهنّ وفنّهنّ في العمل ودعم جهود الممرضات برفع معنويات الجرحى وسجلت اعجابها بهؤلاء السيدات •

حتى الآذنـة ، الفرّاشة « ست اللزوم ابراهيم عفيفي » كـانت معجبة بذوق هؤلاء السيدات وبنظافتهنّ ونشاطهنّ • يعملن ليل نهار **بلا اجازات**، حتى انها رفضت ان تأخذ اجازة وتذهب لاولادها اسوة بهـنّ •

وكان بين المتطوعات في الهلال السيدة كوثر مخلوف والسيدة سهير حرم وزير الشباب كمال أبو المجد • والسيدة فوقية حرم وزير التعليم العالي •

ان عمل سيدات مصر في خدمة جرحى المعركة قد سجّل في قلوب الجرحى بماء الذهب •

القاهرة ـــ ١١ كانون الاول ١٩٧٣

الفصل السّابع

دعوة الى الحب

في زمن الحرب ... عندما يحلو للحياة ، كصبية جميلة أنيقة مغرورة أن تتزلج بسرعة هائلة ومهارة فائقة على جبال من الثلج الابيض، تنحدر كالصاعقة نحو شفا هاوية الموت الاسود ، هنا ... لا ادري لم أحس أن اقتراب لحظة الموت ، يبعث في النفس الانسانية المحاربة تأججا ووهجا وكثافة ، ويتضاعف فيها ومن أجلها احتمال الحياة ، فتحيا ولا تموت .

ويتبادل كل من الحياة والموت الاماكن بفعل الاستهتار بالموت . ويغدو من يندفع نحو الموت أكثر امتلاء بالحياة ، ويقترب من يرمي نفسه بتيار الحياة ، من لحظة السقوط في هوة العدم والنهاية .

كل انسان يحب الحياة ويكره الموت في زمن الحرب وفي زمن السلم . وليس المهم أن نحيا ، المهم كيف نحيا .

في كل انسان وكل حيوان وكل نبات غريزة حب البقاء ، وحفظ النوع ، وعن طريق الحب وحده يبقى الانسان والحيوان والنبات ، وبالحب وحده تستمر الحياة .



الفنان أدهم اسماعيل ـ أنطاكية

هناك ظاهرة طبيعية في زمـــن الحرب ، يعجز القلم عن تفسيرها ، تعوض بها الطبيعة خسارة الرجال ، ولا تلد النساء الا الصبيان بنسب عالية •

في زمن الحرب •• كما كتب مرة « انيس منصور » يحلل ــ رغبة الانسان الدفينة ــ بناء على مشاهد عديدة قرأ عنها لعشاق وأزواج ماتوا تحت الانقاض بفعل الغارات الجوية النازية في الحرب العالمية الثانية ، كان الموت يلف الزوجين أو العاشقين معـــا في كيـــان واحد ، متعانقين ملتصقين عاريين الا من حقيقة واحدة هي الحب ، حب الحياة •

الخوف الهائل من الموت قد خلق عندهما رغبـــة هائلة في العناق والحب والالتصاق الجسدي والروحي لمواجهة الفنـــاء بسلاح الحب • والحب هو الصورة الانسانية الراقية لغريزة الحياة القوية في الانسان لمحاربة الموت •

لن نقتل الموت الا بالحب • والحب هو الطفـــل • والطفـــل هو المستقبل وهو الغد وهو استمرار الحياة •

تعجبني جدا هذه الوقفة للكاتب العربي المصري أنيس منصور عند تلك الظاهرة الانسانية ، وأحب أن أشاركه وقفته وأثني عليها •

وسواء أكانت القنابل ، قنابل النازية تسقط « كحب العزيز »على الانسان الاوربي لتدمره وتفنيه وتهزم عنده القدرة على الحياةفيالحرب العالميةالثانية،أوكانت القنابل هي قنابل النازيةالاسرائيليةالجديدةتسقط فوق رأس الانسان العربي تريد أن تلغي وجوده وتسكت صوت الضاد عندهوتسلبهحقالنوم علىأرضه الطيبة بسلام، وتستلمنهارادةالمشاركة في التطور وبناء الحضارة الانسانية المعاصرة،غايتها أن تأخذ«كعزرائيل» روح الانسان العربي ، ومكانه ومستقبله وتسكبها في ذات « الشيء »

الذي اسمه « الاسرائيلي » !!! فلا يهم • لافـرق بين الحربين •• بين الصورتين ••بين العدوين •• نازية قديمة ••نازية جديدة • المهم الهدف وحياة الانسان سواء أكان عربيا أو أوربيا ، وسواء أكان الزمن ١٩٧٤ أو كان ١٩٤٤ •

ودائما يخفق الموت وتربح الحياة ، وتخفق الحرب ويربح السلام•

فاذا استطاع الحب أن يبعث الحياة من الدمار والخراب والعدم في أوروبا بأسرها بعد الحرب العالمية الثانية في الانسان الاوربي ، فان الحب في قلب « العربي » الانسان الذي فطر على الحب ورضعه حليبا من ثدي أمه ، هو أكثر قدرة على مقاومة الموت بفعل عاملين أساسيين في تركيب الانسان العربي ، العضوي والنفسي والتاريخي :

الاول : شجاعته كفارس عربي يندفع نحو الموت بلا أدنى خوف ، فتكتب له الحياة الحرة الكريمة •

الثاني : طاقاته ومواهبه ، وينابيع الحب والانسانية والعطاء في جوهره •

وهنا لابد أن أقف طويلا أمام الفارس في جميع مواقفه من الحياة والحرب والحب • الفارس العربي يظل عندي الرمز الاول لافضل القيم في الحياة • فهو الصورة المجسدة للشجاعة والرجولة والعطاء والخير والكرم والنجدة والعفة والاخلاص والقوة والتسامح والحب واغاثة الملهوف واغاثة الضعيف والنبل والشهامة والحمية والارادة •

وان كان «روبن هود» البطل الاسطوري الانكليزي قد احتل مكانة عالية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وعصر الملكة اليزابيت، وصور على انه آخر الساكسونيين باعتباره ساكسونيا يواجه الغزاة النورمانديين

في أواخر القرن الثاني عشر ، فانه كبطل اسطوري أو كفارس حقيقي له علاقة بالتاريخ الانكليزي ، اذ يرتبط اسمه باسم راندل وهو ايرل تشستر الثالث ، قد نال قسطا وافرا من اعجابنا • ان قصة روبن هود فارس القرون الوسطى ، فارس أحلامنا نحن رواد السينما الاطفال في الاربعينات ، لأنه شجاع يقف الى جانب فقراء الشعب ومظلومي السجون الملكية ، يحب المرأة في أعماق الغابات ويمنع الاعتداء عليها من قبل الاقطاعية الملكية الانكليزية لكونها جميلة وفقيرة وضعيفة ، فيعيد الحبيبة المخطوفة الى حبيبها الفقير ، ويرد الحق لاصحابه ، ويقضي على كل من يعتدي على حقوق الشعب بقوة السلاح والتآمر والمال والسلطة ، هي قصة لا تطال بحال قصص فرساننا العرب •

ان فارسنا العربي في العصور العربية المتتالية قد فاق روبن هود بمراحل عالية من الرقي والعظمة والسمعة الشريفة •

تقول الموسوعة البريطانية عن روبن هود :

« أهم ما في شخصية هود كونها عبرت عن الافكار الشعبية الدارجة في أواخر العصور الوسطى • وكان هو في ذلك الحين نموذجا شعبيا كما كان آرثر نموذج الطبقة العليا • كان هود نموذج الانسان العادي من عامة الشعب بينما كان آرثر الفارس المثالي •

قام هود باعادة توزيع الثروة حين كان يسرق الاغنياء ليعطي الفقراء • وهو متعبد مخلص للعذراء ، ولكنه في الوقت ذاته يكره الرهبان والرؤساء الدينيين • وهو رياضي ورامي قوس ومحب للطبيعة والحرية وشجاع ومغامر ومرح وكريم وحامي النساء • وتشهد أسماء أمكنة عديدة في يوركشير ونوتنغهام شير ولينكو لنشير على انتشار اسطورة هود مثل : خليج روبن هود ومغارة هود وبئر روبن هود » •

وأعود الى ذاكرة التاريخ ، أبحث عن صورة الفارس العـربي التاريخية الحقيقية التي لا تضيع في شكوك التاريخ وأوهام الاساطير . وأضيع بين الاسماء اللامعة للفرسان العرب الذين امتدوا عبر العصور العربية : الجاهلي ، الاسلامي ، الامـوي ، العباسي ، المعاصر ... لا أدري عند من منهم أقف أكثر !!! الفرسان الذين لمعت أفعالهم كما سيوفهم وأخبارهم في صفحات كتب التاريـخ والادب ، وتوهجت كالمجوهرات الثمينة في صناديق الكنوز العربية وهم كثر :

مالك بن الريب ، ربيعة بن مكدم ، أبو محجن الثقفي ، ضرار بن الازور ، امرؤ القيس ، طرفة بن العبد ، عمرو بن كلثوم ، عنترة بن شداد العبسي .

وأتجاوز الحوادث التاريخية والاسماء الى الصور الشعرية :

قال امرؤ القيس الشاعر الفارس يعبر عن تطلعه للمجد وزهـده بالمال :

ولو أنني أسعى لأدنى معيشة

كفاني ولم أطلب قليلا من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل

وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وأبحث عن صفة الكرم فأسمع عنترة الفوارس يقول :

فاذا شربت فانني مستهلك

مالي وعرضي وافر لم يكلم

واذا صحوت فما اقصر عن ندى

وكما علمت شمائلي وتكرمي

وأسأله عن الشجاعة والعفة فيقول :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك

ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقيعة أنني

أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وعن الحب والحرب يقول أبو الفوارس عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني

وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السـيوف

لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وكانت الحرب والصيد والخمر والمرأة واغاثة الملهوف من تطلعات فارسنا العربي الشاعر طرفة بن العبد حين قال :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى

وجدك لم أحفل متى قام عودي

فمنهن سبقي العاذلات بشربة

كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب

ببهكنة تحت الطراف معمد

وأقفز من العصر الجاهلي الى عصرنا العربي الحاضر . فارسنا العربي المعاصر ، قد تجاوز الارض الى السماء ، امتطى في الارض دبابة وامتطى في السماء طائرة ، وانطلق كالريح تصفر في وجه العدو في حرب تشرين ، يحمل في صفيره كل مآثر أجداده مضافا اليها تطلعاته للمستقبل . تدفعه عوامل انسانية عظيمة أعظمها الحب : حب الوطن ، حب الانسان ، حب الحرية ، حب المرأة .

فارسنا العربي المعاصر ، استهتر بالموت ، فسجل صورة جديدة للحياة العربية الكريمة ومحا العار والذل عن جبين عام ١٩٦٧ . وسطر المجد على جبين عام ١٩٧٣ .

الى هذا الفارس في زمن الحرب وفي زمن السلم أوجه هذه الدعوة الى مزيد من الحب الحقيقي .

والحب منقذ الحياة من الموت ، منقذ السلم من الحرب ، ليس هو الحب الذي يربط الرجل بالمرأة فقط ، انما هو حب الفارس لوطنه ، لأهل وطنه ، لسلاحه .

دعوتي الى الحب الحقيقي هي دعوة الى الحب بكل صوره .
دعوتي لكي يحب أحدنا مظاهر الخير والفضيلة والجمال ، كلها كلها .

أنا أعيش الحب،عندما تنتفي من داخلي كليا مشاعر الكره والحسد

والغيرة والحقد والنهم والشره والانتقام والبغض ، وتتحول نفسي الى نبع للفرح للكرم للصفاء للتسامح للعطاء .

أنا أعيش الحب ، عندما أرفض ان تدهس سيارة رعناء قطة عائدة لترضع صغارها ، عندما أحب لغيري ما أحب لنفسي ، عندمـا أسمـع بقصة حب حقيقية بين شاب وفتاة ، عنـدما أفرح لفرح انسان نـال مكافأة على جهده . أحب عندما يسعدني خبر تفوق طبيب مبدع في بلدي ، عندما يسعدني نبأ عودة طيار عربي شجاع الى بيته بعد معركة جوية رهيبة أسقط فيها طائرة معادية . أنا أحب عندما أمشي عـلى الارض المزروعة بحذر فلا أدوس نبتة صغيرة قد تتحول في الربيع الى غصن مثمر من الفول . أنا أحب عندما أغازل زهرة بنفسج تتفتح في عز البرد لتتحدى الشتاء وتنشر أريج الحب في كياني . أنا أحب عندما أسهم مع الوطن كل الوطن في انتفاء الفقر والقهر والظلم والجهـل والدموع عن أبناء الوطن . أنا أحب عندما أحب الناس وأنا قوية .

دعوتي الى الحب ... كدعوة الفارس الى الحياة ، انه يسـير أمامنا يمتطي حصانه الابيض . يدعونا الى الحب والحياة والفرح ، يدعونا الى أخلاق عربية أصيلة متجددة مع متطلبات العمر ، عماد هذه الاخلاق : حب الوطن والانسان والحرية .

وكان الفارس العربي في حرب تشرين الصورة المجسدة لهـذا الحب .. لهذا الامل الكبير . هو رمز الحب فارسنا العربي المعاصر .

دمشق ــ آذار ١٩٧٤

★ ★ ★

الفصل الثامن

جبل الشيخ في بيتي

جبل الشيخ في بيتي ...!!


جبل الشيخ في غرفتي ...!!

جبل الشيخ في مدينتي ...!!

جبل الشيخ في دمشق ودمشق في جبل الشيخ !!

تبادل البطلان الاماكن . كل منهما عند الآخر . في أيام الخطر يزداد الشوق وتلغى المسافات ويتم اللقاء الابدي .

صباح الاثنين ٢٩ نيسان ١٩٧٤ . ومع خيوط الفجر الاولى ليوم من أعنف أيام جبل الشيخ ودمشق ، يهبط البركان الثائر من قمته ، يطير عبر التلال والسهول والقرى الخضراء على حصانه الاسطوري الابيض على جناح سرعة الضوء والبرق والشوق يدق بيده العربية دقات عنيفة عنف الرعد على زجاج نافذتي المتواضعة ، يهزها من جذورها ، يسحبني من نومي اليقظ وقلقي شبه النائم . يشدني من حبال نفسي ، يشدني اليه وحده ، وينتهي كل شيء ما عداه . جبل



الفنان عزيز اسماعيل ـــ أنطاكية

الشيخ ، وصباح الاثنين الباكر • ألحانـه العنيفة الهادرة تعبر الاثير وتسيطر علي ، تهز أعصاب نافذتي وبابي ونوافذ وأبواب بيوت أهل مدينتي دمشق ، تبعث فيهم وهم في أسرتهم ، نشوة الطرب الموجع ونداء البطل للابطال •

بعصاه السحرية لوح لي قائد فرقة الاوركسترا العسكريةالعربية المنتشرة على مدى النظر تحت قمة الجبل حتى حضن دمشق ، تعزف منذ أكثر من خمسين يوما سمفونية حربية عربية معاصرة • وأنا مغمضة العينين ، في سرير الطمأنينة لمحت حركة العصا ، واهتز كياني للحركة للدعوة • حركة العصا السحرية صوت مـدو يهدر في وجودي امرأة عربية تعيش أياما من أيام التحرير العربية المعاصرة •

صباح الاثنين • وازداد هدير الصوت ـ الحركـة في ضميري • يناديني بقوة الى احتمالين :

ـ اما الموت الكامل مع التجربة الانسانية الفريدة « الشهادة في أرض المعركة » •

ـ واما الحياة مـع المعاناة والمشاركة الحقيقية للمقاتلين لمعنى الارض والوطن •

وكلا الامرين شرف عظيم لي امرأة عربية تعيش عصر تحريرالارض العربية من صليبيين جدد •

لم أتمكن ، رغم مشاعر الخوف الغامضة في تركيبي ، كوني امرأة ضعيفة ، من مقاومة نداء العصا السحرية ، في يد قائد فرقة لحن جبل الشيخ • وقررت ان اجلس على أرض المعركة على مقعد جبلي من مقاعد أفراد الفرقة ، علّ هذا القلم الناعم المدلل ، يثور على نفسه ، يسهم في رسم حركة صغيرة في القطعة الخالدة « لملحمة جبل الشيخ » •

نحو جبل الشيخ انطلقت بسيارة عسكرية جيب غاز ، برفقة زملاء الرحلة الخطرة الملازم الاول نمر حسين والمصور حسن مرشد والسائق الماهر مصطفى حسين الحسن ، تودعنا بقلق بالغ عيون الزملاء في الادارة السياسية من العسكريين والمدنيين ، فهذا يوم لا ككل الايام ، وأصوات الانفجارات العنيفة ، برقيات تهديد لكل من يفكر في دخول أرض القطاع الشمالي .

الجبل يشدني والمدينة تفشل في تغيير قراري ، سأسافر ، وان كنت فعلا مواطنة محظوظة ، سأرى الجبل عن قرب وسألتقي بالابطال وهم يحاربون العدو في يوم حار عنيف .

قد أعود وقد لا أعود . قد أعود كاتبة أو شهيدة .

قد لا أعود بكلمة أو صورة هذا ممكن جدا .

قد لاتسمح ضراوة المعارك هذا اليوم بلقاء المقاتلين والتحدث اليهم على الاطلاق ، فهم بشر كلمتهم تقال بطريقة مختلفة ، قد تكتب في صفحات التاريخ الذهبية ، ولا يهم ان ترجمت أفعالهم الى تحقيق مصور آني في مجلة اسبوعية أم لا .

هذا الاحتمال الذي حملته في حقيبة الرحلة لايهم . المهم أن أذهب اليهم . أنا مشدودة بقوة هائلة اليهم ، وهم بلا شك تشدهم قوتان :

١ ـ الارض الوطن

٢ ـ المواطن ، العمق .

وأنا هم وهم أنا .

نحن وهم ، كل منا عند الآخر ، كل منا يعيش أو يموت من أجل الآخـــــر •

أنا على درب الجبهة أقفز داخل السيارة العسكرية السريعة أتمسك بالحديد حتى لا أطير من الباب الخلفي المفتوح ، اللا باب ، أرى قمة جبل الشيخ البيضاء • أفرح • أتلهف • أتعايش مع أصوات الانفجارات، وأغازل بعيني وأقبل بقلبي أزاهير البرية •

وأخجل في داخلي من مشاعر الخوف الاكيدة من قنابل الحرب ، عندما تتجاوز سيارتنا سيارة عسكرية اخرى ، أو باصا صغيرا أنيقا يحمل في داخله فلاحي وفلاحات القرى الخضراء المحيطة بجبل الشيخ ، وكأنهم في نزهة •

يقصر الطريق ، ويتضاءل حجم الخوف ، ويكبر الهدف في قلبي وعيني ، أتعجل الوصول كي أكسب كل لحظة من النهار •

نسيت خوفي على حياتي على طريق جبهتنا في القطاع الشمالي ، في سبيل أن أرصد سير رحلة « خيط البطولة » اللانهائي في أفراد جيشنا العربي السوري الذين أقسموا على التحرير •

أنا في مهمة من ادارتي ومن ذاتي أرصد قصة جبل الشيخ في يوم من أيام حرب الاستنزاف ، لتضاف الى مجموعة قصص البطولات المعجزة في مرتفعات الجولان منذ بداية حرب تشرين التحريرية وحتى اليوم • فهل يفلح القلم !!؟

كيف هي الحرب في الجبل ؟؟ هذا هو السؤال الكبير الذي يدفعني للوقوف عند بطولات جيشنا على هذا الجبل ومن أجله •

ياحسن ••!! ياحسن ••!!•• الصورة رائعة من هنا ياحسن ••!!

قف يا مصطفى ..!! ومن سرعة مئة حتى الصفر ، تقف سيارتنا الخفيفة العزيزة فجأة ، وينزل حسن مرشد المصور الحربي الشجاع مع كاميراته وعدساته المقربة وأفلامه الملونة ليلتقط أبدع لوحة رسمتها ريشة الاله لحقولنا الربيعية الخضراء وهي تتفتح تحت عين الجبل المهيب ، أما عينه الاخرى فانها تدمع بصمت ، ترنو الى الابطال في الجبال والتلال والسهول والوديان ، تنتظر أن يمسحوا عنها الرمد الربيعي الذي أصابها بفعل الذبابة المسمومة والدخان الاسود ، وغبار الريح المعادية .

ويلتقط حسن الصورة وملامحه تبشرني بغلاف فريد لمجلتنا تنتصب عليه قامة جبل الشيخ الشاب أبدا ، وجبل الشيخ كما يراه قلبي « شاب عربي أسود الشعر وبشرة بيضاء ناصعة وعينان خضراوان مذهلتان وفكر متقد وعواطف حارة حرارة السائل البركاني الثائر » .

نحن في مكان ما من جبهتنا عند جبل الشيخ تماما .

وأنا ، وبشكل مفاجىء ، امرأة واقفة وجها لوجه أمام قائد أحد التشكيلات ، موظفة وصحفية وكاتبة مخلصة مغامرة من أجل الحقيقة تشهد المعركة على الطبيعة تقف في خط النار . اذن من هذا المكان تطير البرقيات الصوتية الى دمشق ليلا نهارا مؤكدة استمرار المعارك . رحب بي الرجل ترحيبا طيبا ، بصوت مهذب هادىء النبرات ، وأسارير وجهه المتفائل تحمل لنفسي البشارة بأننا نربح والعدو يخسر ، تمنحني شعورا مؤكدا بأن زيارتي ليست مغامرة ولا معجزة ، بل هي أمر طبيعي جدا . وأحسست من تصرفات قائد القطاع الشمالي معي ، بأنني أقوم بدور عادي غير خارق ، ولم يبق الا ان أسمع منه تأنيبا عن سبب تأخري بالذهاب الى الجبهة حتى الآن . وفرحت بهذا الشعور الضمني . اذن لقد قبلني آمر القطاع جنديا مقاتلا بالقلم والكاميرا عندهم ، وأحسست انني لست عبئا على القيادة والضباط في ساعات العمل الجدي .

وكان الرجل كريما ، ومنحني زمنا مـن وقته لم أكن أحلم بـه • وتحدثنا طويلا حول أبعاد المعركة العسكرية والسياسية ، ومنح بعثتنا شرف مرافقته الى المراصد الحديثة في الجبال ، وكرمنا بدعوته بأسلوب الضيافة العربية ، واعتذرنا ، وقبل اعتذارنا بصعوبة ، من دعوة التشكيل للغداء • وعند عودتنا لدمشق في السادسة مساء تذكرنا أننا لم نأكل طيلة النهار لقمة واحدة • في حمى الحب لايفكر الانسان بالطعام اطلاقا •

ولا اذكـر انني اكلت شيئا • كان همي الاول ان اكسب الزمن وأكسب الافكار واسجل الاحداث وصعدت معدتي الى عقلي الذي كان شرها جائعا يأكل بلا شبع •

وبدأت أمسك طرف خيط من خيوط البطولة على امتداد جبهتنا السورية مع العدو ، تماما عند سفوح جبل الشيخ •

في البدء كان الحوار الهام الذي تبادلته مع قائد احد التشكيلات، مع قائد القطاع الشمالي من الجبهة السورية العميد علي :

في البداية اكتشفت النهاية وأخذت الجواب •

السؤال •••• ياسيدي العميد ••• وبعد •••!!؟ معارك جبـل الشيخ تمتد في أعماق الزمن ، والاصوات الهادرة ، شارات البطولة هنا، تسكن ضمائر سكان دمشق ، وسكان القطر ، والوطن العربي ، وعواصم العالم ، تؤكد بان المعركـة لن تتوقف • حتى اننا في دمشق جارتكم ، عندما تتوقف اصوات القذائف لحظات تتساءل : لمـاذا توقفوا •••؟ ما الذي حدث ••!!؟ فهم الناس لابعاد المعركة لاحـدود لـه • غدونا ياسيادة العميد كمن يسكن محطة للقطـارات يصحو من نومه العميق عندما تتوقف عن الصفير والهدير فجأة ، غدونا لا نشبع من هذه الصور المشرفة لنضال قواتنا المسلحة ، وطول نفسها وشدة عنادها •

السؤال : الى أين تسير معارك جبل الشيخ والجولان ؟

ابتسم الرجل الهادىء الذي يتصف بأعصاب حديدية ، فحول المكان الذي يدور فيه الحوار ، تشتعل جهنم أرضية ، والقصف من الطرفين حامي الوطيس ، ابتسم لطريقة السؤال وقال :

ــ ليس من السهل تحديد مستقبل أو اتجاه المعارك في الجولان ، فالاحتمالات في هذا المجال كثيرة • ولكن الشيء الذي نستطيع ان نقوله بثقة ان واجبنا التضحية بكل شيء من أجل تحرير أراضينا المغتصبة واسترداد الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني • من حقنا ومن واجبنا أن نقاتل الى أن تتحقق هذه الاهداف •

ــ ومعارك جبل الشيخ ••!!؟

ــ معارك جبل الشيخ هي جزء من المعركة ككل • فان كان القتال قد تركز حول جبل الشيخ بشكل أوسع فذلك لايعني ان جبل الشيخ جزء منفصل عن كامل أراضينا التي نسعى لتحريرها • معارك جبل الشيخ لم تنته بعد • في الحرب لانقول اليوم أو غدا •

ــ وماذا أيضا ••؟ أريد أن اسمع منك المزيد ، فأنت في الصورة اكثر مني ، وأخاف ان تقصر أسئلتي عن الوصول الى الحقيقة • انا على يقين انك ستطرح أسئلة افضل من أسئلتي ، لانك في أتون الحرب تتكلم من قلب الحقيقة • صحيح اننا نحارب معكم يوميا عن طريق آذاننا وقلوبنا وامنياتنا وهدوئنا وصبرنا وعملنا الدائب في الجبهة الداخلية ، الا اننا ، قطعا ، لايمكن ان نصل الى مستوى الجهود الضخمة التي تبذلونها •

ــ العدو يريد الهدوء ، كي يهضم الارض التي أخذها « ونصف



الفنان الدكتور حيدر يازجي ـ أنطاكية

القمة » التي استولى عليها • معه نصف قمة ومعنا نصف قمة وبيننا اعداد من الامتار ، وسوف نقاتل ولن نسمح له أن يهضم حجرا صغيرا ولا كرة صغيرة من ثلوج القمة • وستعود قمة جبل الشيخ قمة واحدة عربية سورية الهوية •

ــ ماذا تقول ••؟ يريد أن يهضم الارض ••!!؟

ــ نعم • يقاوم بغرور أحمق لانه يريد أن يهضم ماأخذه من الارض •

ــ أعجبني التعبير ، فهو جيد ومعبر ، أنتم رجال الجيش السوري تتقنون كل شيء ، حتى التعابير الادبية والصور الفنية ، انتم تدافعون عن أرضنا وحضارتنا ، وتبنون أرضنا وحضارتنا ، فكل فرد منكم مقدس لدينا • فهو قول وفعل • عاطفة وارادة •

ــ الارض لنا ، وطالما وقف عليها العدو فنحن معه في حرب • ان اي عمل هندسي او تحرك لتعزيز النقاط نعتبره خرقا لوقف اطلاق النار • نحن لا نسمي حربنا استنزافا انها دفاع عن أرضنا ، كيف يكون العدو في أرضنا ونسكت ونرضى • لايمكن • هذا أمر مستحيل •

ــ سيادة العميد ، هل لك أن تقيم لي معركتنا من الناحية العسكرية :

ــ اصبح جيشنا حاليا أقوى منه عندما دخل حرب السادس من تشرين التحريرية من ناحية القتال والسلاح والتدريب ، وضباطنا وجنودنا يتابعون التدريب تحت القصف •

ــ فعلا يا سيادة العميد • لاحظت وأنا قادمة الى هنا ، في نقطة ما ، قواتنا وهي تتدرب •

ـ هي قواتنا « العربية المغربية » الشقيقة •

ـ اذن معركتنا في جبل الشيخ والجولان أيضا معركة قومية عربية كمعارك تشرين !!!

ـ تقاتل مع أفراد الجيش العربي السوري قوات عربية من فلسطين والسعودية والكويت والمغرب ، وأعتقد بأنه اذا استمر القتال فسوف تقاتل الجيوش العربية كلها معنا • ومن خلال المعارك واستمرار القتال نحن متفائلون جدا بالنصر •

وفهمت من قائد التشكيل ان طبيعة القتال في جبل الشيخ صعبة للاسباب التالية :

ـ فجبل الشيخ عبارة عن سلسلة من الجبال المرتفعة الوعرة ، صعبة المسالك والتحرك ، لارتفاعها وطبيعة الصخور فيها •

ـ طول جبل الشيخ ٢٠ كيلو مترا •

ـ عرض جبل الشيخ ١٠ كيلو مترات •

ـ والجبل الذي يدور عليه القتال بعرض ٣ كيلو مترات وطول ٧ كيلو مترات • أعلى قمة في جبل الشيخ ٢٨١٤ مترا واسمها الشارة •

ـ درجات الحرارة شتاء ٨ تحت الصفر • وفي الصيف ٣ ـ ١٠ فوق الصفر •

ـ الثلوج على جبل الشيخ تتحول الى جليد يصعب التحرك عليه•

نحن الآن نقاتل بضراوة لتحقيق هدفنا في التحرير ، ولاحتلال

« الشارة » من قبل العدو قصة لا بد أن أوضح جوانبها بشكل واقعي لا مجال للتحايل العاطفي فيه •

عند وقف اطلاق النار في حرب تشرين التحريرية، كانت « الشارة» بيد العدو • وقد هاجمت الوحدات الخاصة بأمر من القيادة « قمـة الشارة » ولم تجد فيها أحدا من العدو •

وفي ٣٠ /٣/ ١٩٧٤ كانت الشارة بيدنا • لكن لظروف الطقس الرديء التي أدت الى استشهاد عدد من أبطالنا من البرودة والتجمد ، أمرت القيادة بانسحابنا من الشارة حرصا على حياة جنودنا الاعزاء ، حـاول العدو الاستيلاء عليها عندما كنا فيها فأخفق • بعـد انسحابنا احتلها العدو بتجهيزات خاصة تقاوم الطقس الرديء من حيث الملابس والمدافىء الكهربائية والتجهيز القوي •

أصرت القيادة على استعادة الموقع فوضعت خطة ، واستعيد التل الشرقي وصار بيدنا ، وتم الاحتلال تحت ظروف قاسية جدا : الحرارة ٤ تحت الصفر • سرعة الرياح ١٥ كيلو مترا بالساعة ، درجة الرؤية لا تتعدى المترين ، هباب الثلج الدائم يضرب الانسان بضراوة ، صعوبة طيران الهيليوكوبتر ، فلا مجال للرؤية والانزال • الارتفاع زهاء ٣٠٠٠م وعلى المقاتل أن يسير على الاقدام من ٤ ــ ٥ ساعات • وعندما كان ضباطنا وجنودنا يحاولون استعمال الاسـلحة وأجهزة الهاتف كانوا يعجزون عن الضغط على الاجهزة بسبب البرد • واستشهد عدد مـن جنودنا بسبب البرد •

وتساءلت في سري بغضب : وكيف تمكن العدو من فتح طريقه الى القمة اذن !؟

وأتاني الجواب منطقيا ومقنعا • الارض في جانب العدو أسهل ،

ويمكن تأمين الحماية لها بشكل أفضل • وقد استفاد العدو من مزايا الارض الواقعة داخل الحدود اللبنانية •

وعندما وقع القتال على « قمة الشارة » أتى العدو اليها بشكل أمواج • وسقط للعدو ما لايقل عن ١٠٠ قتيل •

بحثت عن التفاؤل بالمستقبل لدى قائد القطاع الشمالي وكانت الاجابة مكثفة حاسمة :

ـ نحن متفائلون بالمستقبل • ان الشعب العربي معنا • وقيادتنا متجاوبة وتنطق بما في نفوسنا • والعالم الحر بأسره معنا • وحتى أمريكا قد صوتت ضد « اسرائيل » لانها رأت نفسها انعزلت عن العالم ،وأدانت « اسرائيل » لانها اعتدت على جنوب لبنان •

ـ وزيارة وزير الخارجية الامريكية ••!!؟

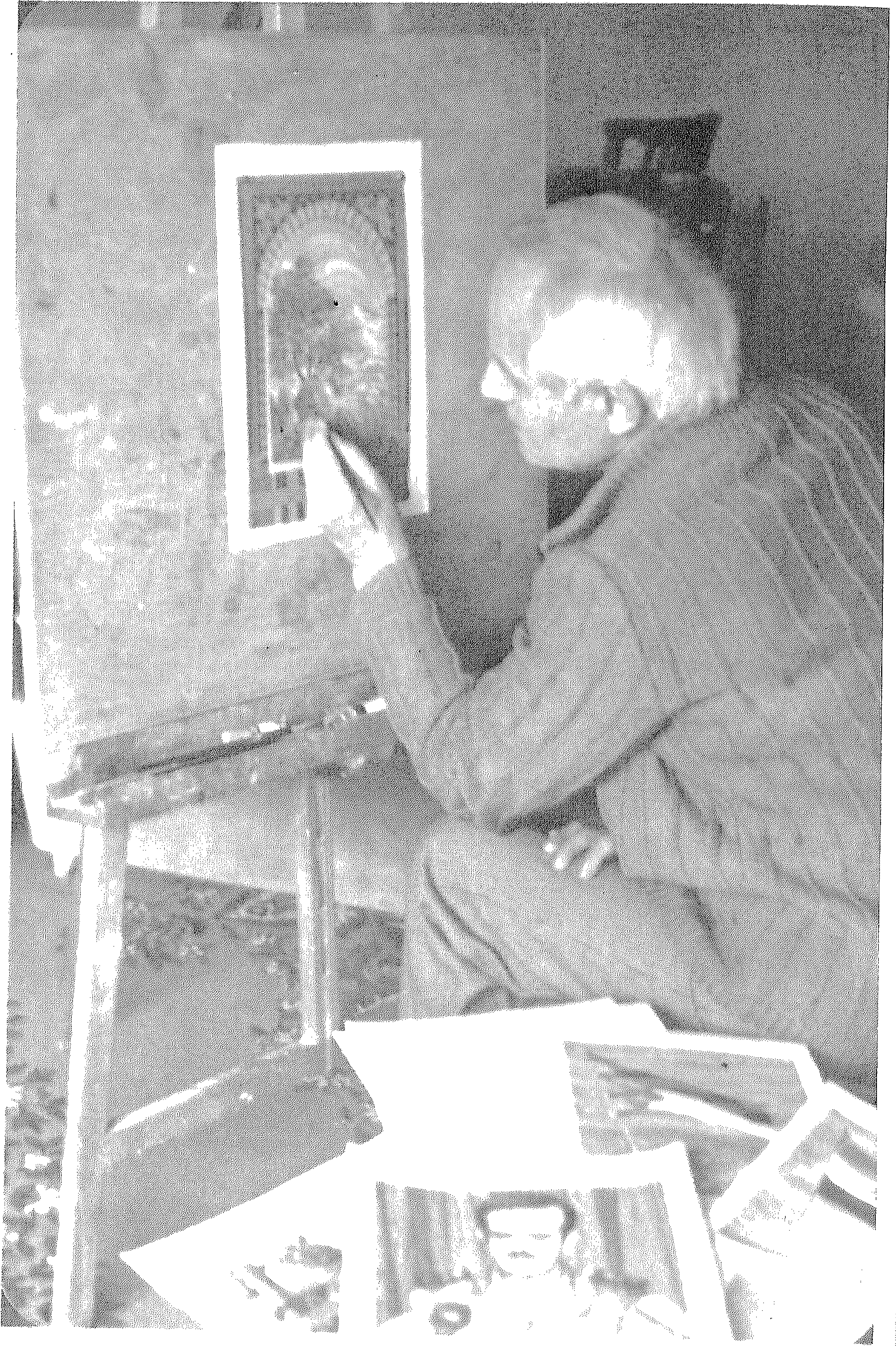
ـ نحن كعسكريين واجبنا الاول أن نهتم بأداء واجبنا في ساحة المعركة • وثقتنا الكبيرة بقيادتنا السياسية تجعلنا مطمئنين على النهج الذي نسير فيه • ونحن دائما على أتم استعداد لتنفيذ الاوامر التي تصدر الينا بثقة وتصميم وايمان لا يتزعزع بالنصر •

واسرائيل لولا الدعم الامريكي لها ، لما تمكنت من الاستمرار • فمنذ عام ١٩٤٨ وحتى اليوم لم تحاربنا« اسرائيل » وحدها وما انتصرت قط وحدها •

وفي عام ١٩٤٨ وقفت معها انكلترة ، وفي عام ١٩٥٦ وقفت الى جانبها انكلترة وفرنسا • وفي عام ١٩٦٧ أرسلت اليها أمريكا وانكلترة قوات ومتطوعين•وفي عام ١٩٧٣ اعترفت « اسرائيل » نفسها أن أمريكا اشتركت معها في القتال •



الفنان عبد القادر النائب ــ حلب ــ أريحا



الفنان عزيز اسماعيل في مرسمه في دمر ــ دمشق
كاميرا سهام ترجمان ــ دمشق

وتتساءلين باعجاب عن سر وقفةالجيش العربي السوري وحده أمام « اسرائيل » !!!؟ وقفنا ونقف وسنقف أمامها لاننا أقوياء بالحق •ونحن على ثقة أن الشعب العربي معنا والشعوب الصديقة تقف الى جانبنا •

ـ ما أهم النقاط عندهم في جبل الشيخ والقطاع الشمالي ؟

ـ تل شمس • ومزرعة بيت جن • والمرصد القديم • والعقبات • والشـــارة •

ـ ما أسماء القرى السورية الداخلة في جبهـــة القطاع الشمالي ؟

ـ قلعة جندل • عرنة • عين البرج • دربل • بقعسم •

ـ وأي منها قرى جبل الشيخ ؟

ـ عرنة ، كريمة ،دربل ، بقعسم ، قلعة جندل ، وعين البرج •

ـ ما هي الاسلحة التي يعتمد عليها العدو في حربه في الجـــولان وجبل الشيخ •؟

ـ دبابات • مجنزرات • رشاشات • مدافع هاون • من الاسلحة الغربية التي يستعملها والمحرمة دوليا : القنابل الفوسفورية والمنفقلـــة والعنقودية • أما جيشنا فانه يستعمل الاسلحة الحديثة والمتطورة كافة •

استأذنت قائد التشكيل العميد علي بمقابلة عدد من أبطالالاسلحة التي قاتلت وتقاتل ليل نهار في جبهة جبل الشيخ ، فأمر بأن يرافقنـــا ضابط من قيادة التشكيل برتبة مقدم ، ونزور المواقع وهي في حـــالة اطلاق النار •

وكان خط الرحلة الخطرة بالنسبة لي ، الحياة اليومية العاديـــة الأثيرة بالنسبة لهم •

وكان لنا شرف مرافقة قائد القطاع الى نقطتي الاستطلاع والمراصد والمدفعية المضادة للطائرات في التلال العالية • وأحسست بأهمية بالغة لهذه الحركة من القائد العسكري الكبير الــذي منحني فرصة لقاء الاسلحة وهي في أدق لحظات العمليات الحربية •·ومن منظار المرصد الحديث رأيت بعيني كيف تدور رحى الحرب وكيف تشتعل القمم في جحيم ضربات قواتنا المسلحة وطيراننا •

كان منظرا يبعث الرهبة والفرح والوهج في النفس منظر آمــر التشكيل وهو يمر بسيارته عبر النقاط ويتلقى التحية العسكرية من هنا وهناك على اليسار وعلى اليمين • يعرفونه هنا جدا ، وهو انسان وقائد طيب وحكيم ومحبوب ولاحظت عطفه الكبير الظاهر على الرتب الصغيرة التي مرت عليهــا شهور منذ بدء حرب تشرين وهي ما زالت صامدة قوية مثابرة بلا كلل ولا ملل ، على أعظم صورة من الانضباط العسكري• هنا،وفي أرض الحرب الحقيقية احترمت الحرب والمحاربين، فقد لمست الاستعداد الكامل للتضحية من كل مقاتل ومن مختــلف الرتب • لمست هنا بشكل يلفت النظر الانضباط العسكري على أكمل صورة • وأدركت أن الحرب فرن ضروري لانصهار العسكري وتخلصه من شوائب الحياة المدنية وحياة المكاتب البيروقراطية • هنا كل شيء في أعلى درجاته ، هنا في أرض الحرب التي تنطلق فيها النيران من كل جانب ، تعلمت أمورا كثيرة ومن خلال يوم واحد من أهم أيام حياتي •

مع جماعة الاستطلاع ، هؤلاء الاعزاء الذين يغامرون بحياتهم في الخطوط الخلفية ما وراء الجبــل وخط الجبهة وعلى أرض العدو في الليل وفي الفجر وفي عز النهار قضيت زمنا أستمع لقصص كأنها خرافات غير حقيقية وأساطير •

الملازم جميل : شاب كالنمر ، صعد جبل الشيخ عدة مرات ورأى

المنطقة وأخذ كل ما يتعلق بالمعلومات عن التل ورداءة الطقس • ولم يعد وحده عاد بشهداء ، بجثث من شهدائنا ماتوا من شدة البرد • منهم الشهيد الجندي عقل أبو عباد ، حتى لا يعيش أهله بدوامة « مفقود » • عاد به وبسلاحه ودفنه في القمة كبطل من أبطال القمة • لم يكن معه الا ٢٠ عنصرا • قال لي بشجاعة تدعمها ابتسامة قوية : لا • لا أخاف الموت • وعندما تكون عناصري معي يزول عامل الخوف نهائيا •الخوف لا وجود له في عناصر الاستطلاع والا فقدت مبرر وجودها • وتذكرت زوجي الشهيد فؤاد محفوظ ضابط الاستطلاع وأخفيت دمعة • تذكرت روحه الشجاعة ورفعت رأسي •

الملازم داوود هو في الحقيقة أول قائد مجموعة صعدت جبل الشيخ في ٣٠ /٣/ ١٩٧٤ • تحدث بتواضع عن بطولات عناصر الاستطلاع ، بينما قائد الفرقة يؤكد لي أنهم أبطال حقيقيون لهم دور كبير في نجاح المعارك •

المجند سلام رزق من عرمان محافظة السويداء دخل خلف خطوطنا مع العدو أربع مرات في الليل والنهار ، واستطاع أن يخبر عن طائرة هيليوكوبتر معادية ستصعد الى القمة ، وأن يعود بذخيرة معادية من القمة •

والمجند علي الحجل من محافظةطرطوس دخل أيضا خلف الخطوط واستولى على بعض الذخائر والاسلحة وعاد بها مع زملائه سالمين •

وطارت بنا سيارة قائد الفرقة الى التلال المحاربة الواقعة تحت مراصد ومدفعية وطيران العدو • في كل ثانية من الممكن أن تتلقى السيارة قذيفة • الغريب أني عبثت بقوة عجيبة ، وغار الخوف الى حيث لا أدري ، وعيني تحدق في عيون مراصد العدو اللامرئية بوقاحة

عجيبة وكأني أتحداهم أن يصيبونا • التحيات العسكرية من أعماق الحفر ومن على ظهر المدافع تنهال على أكبر رتبة عسكرية في القطاع تحملها السيارة التي سعدت بركوبها • من السيارة أقفز مع القائد وضباطه ، ثم الى حفرة داخل الجبل أقفز ثانية ارتفاعا عاليا ساعدتني عليه الجزمة التي تسلحت بها ضد الجبال والشوك والخنادق والحفر • يا لسخريتي الآن من الكعب العالي وبورجوازية الجمال والأناقة !!

أنا داخل الحفرة الكبيرة أقف على طرفها بين مجموعة كبيرة من ضباط المرصد وجنوده وهم يحيطون بقائدهم الكبير ويشرحون له آخر الأخبار :

ـ سيدي طيران صديق ••!!

وألتفت معهم ، بل أدور بعيني من الحفرة الدائرية لأرى على مد البصر سربا من أربع طائرات لنا ، تأتي من قلب الغيوم ، متجهة الى قمة جبل الشيخ • غابت في القمة ، وضربت أهدافها ، وخرجت من جهة الشرق سالمة ، وفرحت وصفق قلبي ، والوجوه حولي تضحك • وعيني قد التصقت بعيني المرصد ، أعجبتني اللعبة من المرصد أحدق • وصرخت : أرى اشارة + !! وعند اشارة الزائد رأيت قمة الشارة يتصاعد منها الدخان الاسود بفعل ضربة طيراننا والمدفعية المضادة الخلفية • ونسيني القائد وضباطه وجنوده في محادثات هاتفية هامة مع غرفة العمليات وبقية النقاط • ياالسعادتي بهذا الجو المتوتر اللاهب !! من يصدق أن يسمح الحظ لامرأة مثلي بكل هذه التجربة الحارة على أرض المعركة الساخنة !! أكتب وأشعر بأنني لا أكتب شيئا • ما عشته كبير على قلمي • وأنا بحاجة لأيام وأيام لاستيعاب التجربة ـ الحمى ، وهضمها والتعبير عنها • أما هم • جندنا • فهم داخل التجربة ، هم التجربة نفسها ، ولذا فان المرآة لا ترى نفسها ، والشمس لا تعرف

قيمة نفسها ، لانها تعودت أن تعيش عظمة النور والنار . فهي تمنح الحياة لغيرها ولا تدري كم هي عظيمة بالنسبة للارض والكون . ولا أجد تشبيها لجندنا ، الا الشمس كمعادلة حقيقية . هم شمس الحياة ، وهم أعداء الموت وليل الحرب . وهم أصدقاء الحياة ونهار السلام .

أسرق من زمن سكان المرصد .

أسرق من اهتماماتهم الخطيرة ، اهتماما بأسئلتي وفضولي .

الملازم الأول عبد الأحد عرار يسكن المرصد منذ ستة أشهر . وحرب جبل الشيخ برأيه حرب ضارية تشترك فيها كل صنوف الاسلحة من طيران ومدفعية وصواريخ ودبابات . يعتقد أن خسائرنا بالنسبة لخسائر العدو لا تقاس بحال من الاحوال . يقول اننا مسيطرون على القمة من ناحية الدفاع الجوي من ثلاث جهات . وليس للعدو الا جهة واحدة هي الجهة الجنوبية الغربية . وأغلب طائرات العدو تتسرب عن طريق جنوب لبنان : شبعا . مرجعيون . النبطية . الهبارية .

الملازم عرار كان اسمه بالنسبة لي مفاجأة :

عرار ! هل! لك قريب في هيلسنكي عاصمة فنلندا احدى الدول الاسكندنافية اسمه عبد المجيد عرار ..؟ !؟

وابتسم الملازم عرار بتواضع وقال :

ـ أخي .

ـ يا الله ، كم الدنيا صغيرة !! تصور التقيت بالمواطن العربي السوري عبد المجيد عرار في رحلتي الى هيلسنكي عام ١٩٦٩ لحضور

مؤتمر المرأة الديمقراطي العالمي قرب القطب الشمالي ، وألتقي بالأخ عام ١٩٧٤ على جبل الشيخ في مرصد عسكري يؤدي خدمة العلم •

أهنئك على تأدية خدمتك ، انه عالم يموج بحركة الحياة • ما أعظم مشاعركم أنتم ضباط الجبهة ، ما اختصاصك العلمي قبل أن تصبح ضابطا مختصا بالمدفعية المضادة للطائرات !! ؟

ــ أدب عربي •

ــ وما صلة الأدب بالدفاع الجوي يا ملازم عرار ؟

ــ صلة لغتنا القومية بشرف الدفاع عن قومية الارض واللغة والوطن •

ــ كم بقي لك من الخدمة •••؟

ــ شهران • ولكن ، أحب أن تتأكدي بأن لي أمنية عزيزة أن لا أسرح من الخدمة قبل أن تنتهي معركتنا بنصر كامل • وكلما ازدادت الايام عمقا في قلب المعركة الضارية ، كلما ازدادت الرغبة في المثابرة عند كافة العناصر •

والتفت الى قائد التشكيل الذي انتهى من مكالمة هاتفية هامة تحت سماء المعركة أقول :

ــ وهل ينزل ضباطكم وجنودكم في الجبهة الى أسرهم وبيوتهم في اجازات طبيعية ؟

ــ نظام المبيت لم يتغير •

أما الرجل المشهور في المرصد والذي يعشق جهاز الرصد الجوي

ويعايشه كحبيبة لا يريد أن يفارقها فاسمه : المساعد عفيف وهو رفيق للرصد الجوي منذ ١٢ سنة • ما أحلى طبعه وكرمه ، أعطاني مكانه على الجهاز وعلمني كيف أستعمله واقتربت حتى رأيت النقاط المعادية على قمة جبل الشيخ ، ورأيتها وهي تحترق •

يا حسن !! أين حسن المصور !! ؟ هل تصور يا حسن ما يجري على القمة !؟ المسؤول في الادارة يريد صورا حية للمعركة ••!! وقرب حسن بعدسته الكبيرة المقربة ، القمة حتى مستوى النظر وصور القمة المحتلة وهي تحترق والدخان الاسود يحيط بها •

المساعد عفيف يؤكد لي أن مهمته خطيرة للغاية وأن أية مشاهدات يراها يخبر عنها وسائط دفاعنا الجوي فورا • يحب الجهاز جدا ويخاف عليه من الطير الطائر ويقول انه يفيده جدا ، لأنه يخبر وينذر التشكيل كله بتحركات الطيران المعادي قبل أن يتمكن من الضرب • مناوبتهم في هذا المرصد ٢٤ ساعة متواصلة ، لا نوم هنا ، ولا في أي مكان • النوم لنا والسهر لهم • ما أعظم الانسان المحارب هنا •

المساعد عفيف يعيش مع الجهاز منذ ١٢ سنة بينما يعيش مع زوجته منذ عشر سنين •

قال لي المساعد عفيف فجأة : انظري جماعتنا في القطاع الاوسط بدأوا القصف الآن :

طلقات على تل شمس

طلقات على تل فاطمة •

طلقات على تل المال •

نظرت في عيني المرصد :

ــ أي والله ••• يا لطيف ••• الدخان كثيف ومرعب •!!

والمجند أحمد كبتول ما مهمته هنا ؟

ــ عامل رأس حاسبة • يقدر المعلومات عن سرعة الطائرة •

ــ يا مساعد عفيف كم طلعة تقدر اليوم للطيران المعادي على جبهتنا ••• !!!!

ــ اليوم بدأوا من الساعة ٣٠ر٥ صباحا وحتى هذه اللحظة مئة طلعة !!

ــ ••• مئة طلعة ••!! يخرب بيوتهم ••!!

ولولا اضطرار قائد التشكيل للنزول الى غرفة العمليات في هذا اليوم الحافل من أيام التشكيل لظللت أسكن في عيني المرصد الجوي • وسحبت سحبا من بين هؤلاء الابطال القمم على قمة من قمم « حرمون » ونزلت السيارة بسرعة هائلة تحملني وأنا أحمل معي ثقلا جديدا يشعرني أنني كبرت وازداد وزني واتسع عقلي • القائد يرد التحيات العسكرية من هنا وهناك بيده ، وأنا أردها بقلبي مع أنني أعرف أنها ليست لي ، وقد رأيتها عن أبناء الوطن كلهم ، رأيتها حبا وفناء في الوطن والمواطنين، ورأيتها طاعة وانضباطا وروحا عسكرية عالية راقية في أدق مراحل التحرير العربي •

واكتشفت هنا سر غصة الحلق التي أعانيها في بيتي في يوم بارد أو في يوم حار ، عندما أغسل يدي بالماء الدافىء والصابون المعطر في يوم ثلجي أو صيفي في بيتي ، بينما يموت جندي بطل من شدة برودة الثلج على قمة جبل الشيخ شتاء !!

وعندما أنام في سرير الدفء والنظافة في ليلة ممطرة ، ينام ضابط مثقف على الطين والارض الباردة الرطبة في حفرة مرصد جوي !! (حتى الليل له رصد جوي بالمناسبة) فأنا ألاحق الحقائق العلمية أحاول التخلص من المبالغات الانشائية • وليت من يقرأ كلماتي اليوم يدرك كم أنا صادقة في كل كلمة وكل صورة ، بل كم أنا عاجزة عن رسم كل كلمة وكل صورة •

رفض السيد العميد آمر التشكيل بلباقة أن يسمح لسيارتنا بالتوغل (اليوم بالذات) حتى عرنة وقلعة جندل ، وكانت نظراته القلقة المتبادلة مع بعض الضباط لقيادة التشكيل تؤكد لي أن احتمال خطر الموت على سيارتنا في تلك الطرق في الوادي كبير ، وسيكون مئة بالمئة ، وأن احتمال الاصابة سيتكرر كل خمسة أمتار • وأمر أحد ضباطه في القيادة وهو المقدم محمد بأن يرافقنا الى خطوط خلفية أقل خطرا في درجات الاحتمال • وبلغت رحلتنا ذروة الخطر عندما وصلت بنا السيارة الى حقول المدفعية الثقيلة ، الى منطقة الضابط المحبوب الشهير بالفرقة باسم (ابو عبدو) •

وقبل أن أغادر مقر القيادة سألت أحد ضباطنا العقيد أحمد عن سر تعود دمشق على أصوات الانفجارات الهائلة القادمة الينا من طرفكم ليل نهار وتعايشها معها ؟•

قال : سماع الانفجارات في دمشق قد علم الناس أن يتعايشوا مع ظروف الحرب ، ويعتبرونها ظروفا طبيعية •

سلوكي أنا بالذات مع الاسرة والاولاد (٤ أولاد) سلوك طبيعي ويطمئنهم، وهم ينتظرون اخبار اسقاط الطائرات بفارغ الصبر •والخوف في بيتنا لا وجود له •

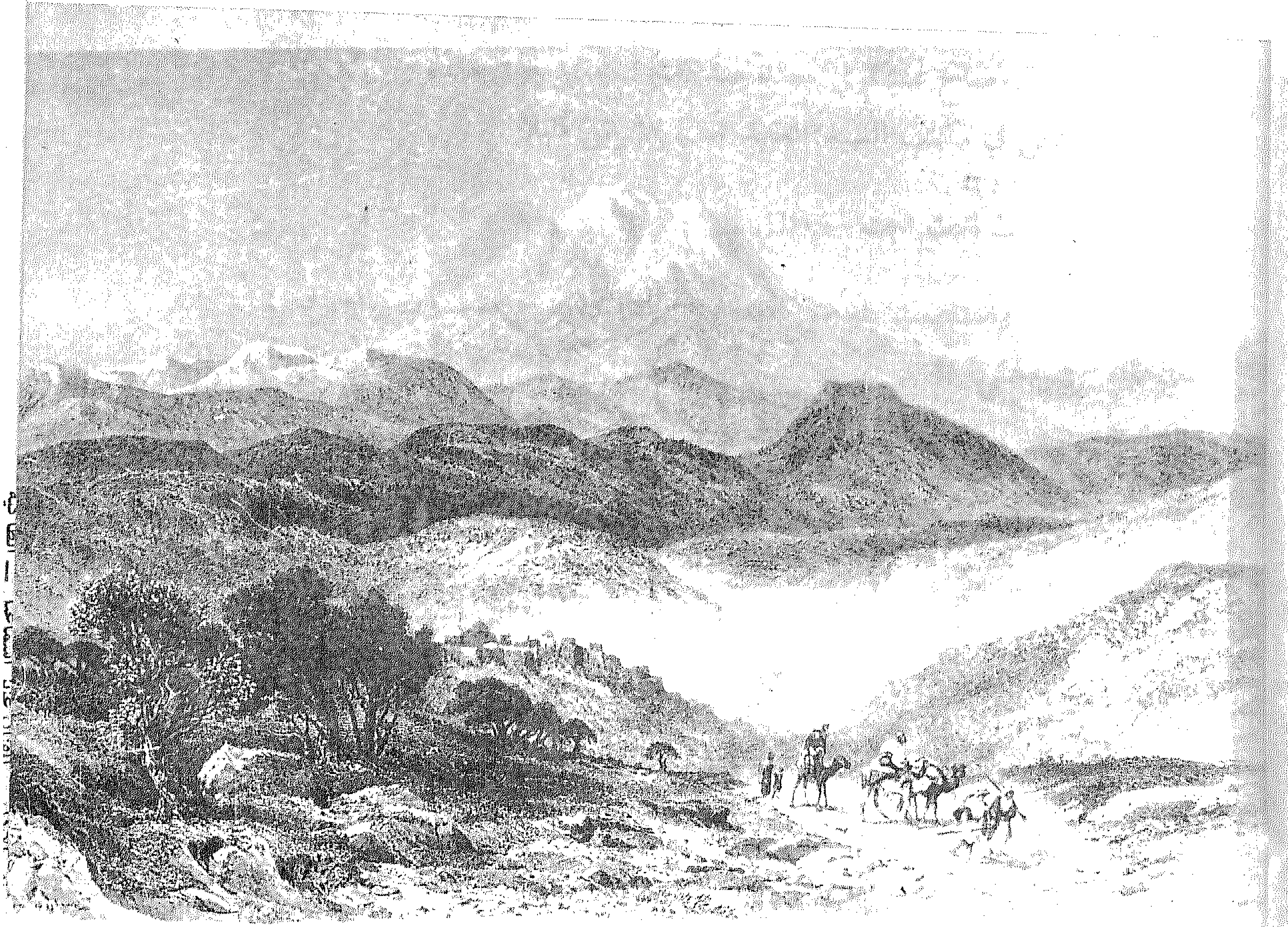
مع الزمن اعتادت الاسرة هذا النمط من الحياة • والحقيقة أن نمط هذه الحياة منذ سبع سنوات لم يتغير •

تتحرك السيارة الجيب غاز العزيزة وتطير نحو هدف جديد بخفة أرنـب •

نحن في أرض تشكيل مدفعية ميـدان ثقيلة في أحد قطاعـات الجبهة • سيارتنا تطير في طريق ترابي تحت مرمى مدفعية العدو البعيدة المدى • احتمال أن تكون سيارتنا هدفا للعدو ، وضعته خارج رأسي ، وظللت نشيطة متلهفة للوصول الى مكان ما شديد الخطورة ، مع أن الضباط خففوا عني وقالوا ستذهبين الى مكان أقل خطورة •

ما زلت مغامرة جريئة تبحث عن سير رحلة خيط البطولة ، وضباطنا وجنودنا الاعزاء في كل مكان يقدرون زيارتي ويتعجبون من جرأتي ، فهذا هو يوم التشكيل بكامله في الرمي!!وعندما استقبلنا قائد التشكيل العقيد عادل الرجل الشهير « بأبو عبدو » ، عرفت فورا سر محبـة جبهتنا لهذا الرجل • انه ورجاله القوة الجبارة التي تضرب نقاط العدو ليل نهار ، ومع ذلك فهو ورجاله يتمتعون بروح فكاهية عالية • الضرب على قدم وساق حولنا ، نحن نرسل للعدو قذائف وهو يرد علينا • والعقيد وضباطه وجنوده وكأنهم في نزهة • انهم هنا منذ حرب تشرين على هذه الحال • ونسي العقيد نفسه وقال بفرح غامر للملازم الاول نمر حسين زميل الرحلة والمراسل الحربي الجرىء الذي يعايش الجبهة يوميا ، ويعيش احتمال الموت بلا أدنى خوف كل لحظة ، وكأنه يتحدث عن الطقس الجميل : الآن الساعة حول الواحدة وقد رمينا عددا كبيرا من القذائف • وصرخت بفزع :

ـ من أين •• من هنا ••؟



جبل الشيخ ــ لفنان أوروبي ــ بداية القرن التاسع عشر

ـ من هنا نعم ••

ـ هذا يعني •••!!؟

ـ نعم يعني أنهم يردون علينا • هه اسـمعي •• انه صـوت قذائفهم ••!!

ـ « خوفتوني » سيادة العقيد !!!قالوا لي انني سأذهب الى مكان أقل خطورة يظهر أنني في قلب الخطر •

وصاح عسكري مجند عند الباب العالي فوق مستوى رؤوسنا ، فنحن في مكتب السيد العقيد تحت الارض قليلا :

ـ اجت اجت •••!!!

واستفهمت بلهجتي الشـامية العامية بمرح مشـوب بالخوف : شو هَيْ !؟

قالوا لي ان الصوت الاول لقذيفة العدو هو صوت الانطلاق يأتي من قمة الجبل من النقاط المعادية ، والصـوت الثاني يعني وصولها وانفجارها على الارض • قلت :

ـ ••• يا حبيبي ••!!

وصرت بلحظة أتقن فن تمييز صوت قذائفنا من قذائفهم ، وعندما يقول جنودنا اجت اجت!! انتظر معهم ثانية ـ أخفض رأسي داخل كتفي من الخوف ـ وأرفعه عندما أكتشف أن القذيفة نزلت على بعد مئة متر مني يمينا أو شمالا شرقا أو غربا •

ـ وسألت بمرح حتى لا يتصورون أنني خائفة جدا ..!! وأنا أقل خوفا بكثير مما كنت أتوقع ..!!

ـ ولو فرضنا أنها نزلت فوقنا تماما .. ؟ !

هنا ضحك العقيد وقال :

ـ هذا احتمال ضعيف جدا ، ونحن لا نحسب هذه الحسابات ، والجندي عندنا يقول بكل بساطة : لو نزلت القذيفة بعيدا عني خمسة أمتار فهي بعيدة جدا .

ـ يا سلام ما أعظم هذه الروح العالية بين جنودنا . الانسان يكاد لا يصدق .

والدليل ان الجنود اهتموا بزيارتي ، تحت الضرب جاءت القهوة الحلوة ، وزيادة في الترف ، وكأنني في زيارة أسرة في بيت من بيوت طرطوس أو حلب أو الرقة أو دير الزور أو دمشق أو درعا أو السويداء، طلبت فنجانا لي خاصا بلا سكر ، بل ان الجندي أصر الا أن اطلب القهوة كما أحبها . وشكرا لهذا الجندي العزيز الذي لا أعرف اسمه !!

وبدأنا الحوار والكتابة مع قائد التشكيل وضباطه واذكر منهم النقيب منير .ولاحظت أنهم ينظرون الى بعضهم بعضا نظرات تدل على أن شيئا يجب أن يتم . وفهمت أنه يجب أن أكون مع قائد التشكيل في غرفة العمليات تحت الارض في مكان ليس ببعيد . وأبديت لهم استعدادي للذهاب معهم أينما أرادوا حتى لا أشغلهم بالكلام ، عن مهماتهم العسكرية الحربية . فنحن في أرض المعركة لا في المكاتب ، والمعركة حامية الوطيس .

وفهمت من العقيد عادل أن تشكيل المدفعية الثقيلة اشترك بالقتال في حرب تشرين الأول لتحرير الارض المحتلة في القطاع الشمالي من الجبهة السورية • وكانت مهمتهم دعم الاعمال القتالية لتشكيلات الدبابات والقوات الميكانيكية في الاعمال الهجومية وفي الدفاع وصد الخرق الذي أحدثه العدو • وبتاريخ ٤/١٠ اشترك التشكيل وأسهم مساهمة كبيرة في تحرير موقع جبل الشيخ خلال الايام الاولى رغم سوء الطقس وغزارة الثلوج وقوة العواصف • وأظهر المقاتلون على الجبل بطولات خارقة •

استخدم العدو وسائطه التدميرية على نطاق واسع سيما الطيران والمدفعية الثقيلة ، أما عناصر التشكيل فقد شاركت خلال الفترة بالرمايات المستمرة والكثيفة ، ومنذ شهر وحتى الآن لا يزال العمل مستمراً ليلا نهارا • لا نوم في هذا التشكيل ، وأصوات القذائف التي يرميها على العدو تصل اسماعنا في دمشق يوميا وتتحدث عنها اذاعات العالم وصحفه •

رشقة جديدة من صواريخ مدفعيتنا الى القمة وأنا مع العقيد وضباطه في غرفة العمليات ، اسمع عن طريق المحادثات الهاتفية السريعة اللاهثة اخبار انتصارات مدفعيتنا واخبار فشل مدفعية العدو في اصابة فرد من أفرادنا والحمد لله •

انتهى العقيد عادل من مخابرة هاتفية وهو يضحك • كان يضحك وداعب محدثه على الطرف الاخر من الخط قائلا :

ـ ألو ••• ألو •• بسيطة •• خير خير •• اسمع • أوامر فورية باعداد طعام غداء جديد أو ناشف لعناصرنا •

والتفت الي وهو يقهقه ضاحكا : تصوري ان مدفعية العدو

أصابت لجنودنا على مقربة أمتار منهم « بلو » طعام الغداء ، (دجاج)، والجنود يضحكون من اخفاق تسديد العدو • أحدهم يخبرني أن الكل بخير • و« البلو » هو صينية الطعام باللغة العسكرية •

هل لي أن أحدد بالارقام ماحققه التشكيل حتى الان ؟

قال العقيد عادل :

ـ تكبيد العدو خسائر يومية •

ـ تدمير ثلاث طائرات هيليوكوبتر مع عناصرها •

ـ منع العدو من اجراء التحصينات الهندسية في المواقع التي توصل اليها •

ـ مهمتنا خلق الظروف المناسبة للانتقال لمرحلة التحرير •

قلت :

ـ ما هي أهم عناصرك التي تعتمد عليها لتحقيق الاهداف ؟

قال :

ـ عندي مراصد أمامية ترصد الرمي وتدير النيران • وخلال المعركة كان ضباطنا مع عناصرهم على الشارة لرصد رمايات المدفعية الصديقة وتحديد اماكن العدو على الارض •

من هي الاسماء اللامعة كابطال في تشكيلك ؟

١ ـ الشهيد الملازم اسماعيل السعدي •

٢ ــ الجريح الملازم الاول عبد الرزاق عليطو •

٣ ــ الملازم الاول محمد خطاب ، وكان في الشارة وشارك في ادارة الرمي •

٤ ــ الملازم قتيبة الشريف (ملازم مجند) بعد استشهاد زميله الملازم اسماعيل السعدي تطوع تلقائيا للصعود الى الشارة وفتش عن زميله المفقود وعثر على جثته وأتى بها حتى لا يبقى زميله مفقودا ، وحتى يرفع من الروح المعنوية للمقاتلين • سألت :

ــ انتاجكم حتى هذه اللحظة لهذا اليوم وانتاج العدو •••!! أريد أن أكشف الفرق •

ــ قذفنا من الصباح حتى الآن عددا كبيرا من القنابل ، رد العدو علينا بشكل مماثل •

ــ ماهذه الاصوات التي نسمعها في دمشق اذن •••؟

ــ أصوات مدفعيتنا ••• فصدى الصوت يصل الى الخلف بمسافة ٤٠ ــ ٥٠ كيلومتراً بسبب وقوع الرمايات في منطقة جبلية •

وفهمت من النقيب منير رئيس قسم التوجيه السياسي في التشكيل أن العناصر في التشكيل وعلى مستوى الجبهة السورية كلها تقرأ يوميا ــ من أعلى حتى أدنى رتبة ــ الصحف العربية والسورية وتسمع الاذاعات وهي على صلة يومية بما يقال عن الحرب ، كما أن قيادة الفرقة تصدر جريدة يومية يحررها فرع التوجيه السياسي بالتعاون مع الاقسام في الوحدات •

ـ ماذا تشعرون هنا عندما يتوقف القصف ؟

ـ نشعر بأن النهار يمر غريبا ، وتتضايق أن لا نسمع هذا اللحن .

عدونا الاساسي سلاح الطيران . ونحن لا نخاف هذا العدو لان مستوى دفاعنا الجوي بلغ مرحلة عالية .

ومنذ حرب تشرين حتى الآن ـ وقد تتصورين الرقم خياليا ـ لم يسقط من مجموعة عناصرنا وسلاحنا الا أربعة شهداء والجـرحى بأعداد قليلة .

جيشنا بشكل عام يتصف بروح قتالية عالية وروح انضباطيـة عالية وهذا سر جيشنا وسر انتصاراته اليومية .

ـ صار الوقت الغداء ، أعتقد أن العدو يتغدى الآن ..؟

ـ نحن لا نتقيد بوقت محدد للغداء .

ويضحك جميع ضباط غرفة العمليات من براءة السؤال .

طيب هل أتمكن أنا الآن من الوصول الى السيارة قبل أن تصيبني قذيفة ... ! أم تفضلون أن ننتظر قليلا ربما يهدأ القصف !؟ حرام أن أموت قبل أن اكتب عنكم !!

قال العقيد :

ـ كما تحبين ، أهلا وسهلا بك عندنا ، لقد فرحنا بوجودك معنا ونقدر لك هذه الزيارة ولكنني لا أضمن هدوءا هنا ولا لحظة ، واعتقد ان القصف سيتضاعف بعد قليل .

وفكرت لحظة : الافضل الرحيل على بركة الله ونحن وحظنا • وخرجنا من تحت الارض الى أرض النار ، وكان قد خرج قبلنا بدقائق ضابط المحاسبة الذي وزع الرواتب يوم ٢٩ الشهرعلى جميعالعسكريين في أرض المعركة • فالقيادة حريصة على أن تصل الرواتب الى جنودنا المقاتلين قبل نهاية الشهر فلا يأتي أول الشهر الا والكل قد حصل على أدنى درجة من حقه في التكريم • ؟

النهار كله في كفة ، ولحظات انطلاقنا بسيارات الجيب الغاز خارج منطقة القصف في كفة •

من الباب الخلفي « للسيارة الطائرة » على الطريق الترابي ، اظر الى « الشارة » حيث مدفعية العدو بعيدة المدى ، اللامرئية • في قلبي أدعو الله :

ــ يارب أن تكون الضربة قاضية مرة واحدة دون أن أحس ، ان كان نصيبنا شرف الاصابة في المعركة • لكنني أحب الحياة وأتمنى أن أعود الى دمشق لأعيش وأكتب عن تجربتي في رصد سير خيط البطولة العربية السورية هنا على أشرف نقطة في أرض الوطــن • وعلى يمين الطريق ويساره ، تتناثر القذائف ، لا يهم ، الأعمار بيد الله • لا أنكر أن خوفي من تركيز العدو على سيارتنا قد بلغ ذروته • وصلنا الطريق المزفت ، والتفت الى الخلف ، ووصلت بعد ثانية واحدة رشقة معادية رفعت الغبار خلفنا حتى السماء •

ودليلنا يطير أمامنا الى مــوقع خلفي كي نقوم بزيارة المــدفعية المضادة للطائرات •

على الطريق رأيت صورة نتيجة القذيفة المعادية التي أصابت منزل العم علي عبدو في قرية مخيم خان الشيح ، ونجا ابنه الشاب قاسم عبدو

وهو في الصف الحادي عشر ، بأعجوبة والحمد لله • وأسرع حسن الى التصوير •

وفي منطقة مربض مدفعية مضادة للطائرات من عيار كبير ، التقيت بعدد من الضباط والجنود : الملازم الاول علي قائد الوحدة والملازم وفيق ضابط التوجيه السياسي • وقال لي الملازم علي :

« تعلمنا من معركة تشرين ارادة النصر والثقة بالسلاح • وأسقطت سريتنا في تلك المعركة طائرتين • وسريتنا ، العمل الجماعي فيها يظهر أكثر من العمل الفردي • أتوقع لمعركتنا النصر ، وأرثي للعدو ، فحالته صعبة مع عنادنا ، وحياتهم قلقة جدا » ••

ورأيت جنديا يترك مكانه على المدفع ويتقدم مني ليسلم علي ويقدم لي زهرة برية • شكرته بحرارة على هديته • اسمه الجندي الاحتياط عصام زرعي من حي الميدان في دمشق • هو اختصاص دفاع جوي منذ أربع سنوات • عندما يتحقق النصر سيعود الى مصلحته الاولى «لحام» وهو خاطب وسيتزوج بعد النصر مباشرة •

وألح ضباط السرية علي أن نقبل ضيافتهم ، وكرمتنا السرية على الطريقة العربية داخل الخيمة المرتبة النظيفة • وأكلنا التفاح وشربنا القهوة ودار حوار بيني وبين الرائد المثقف صبحي :

ـ حدثني عن أهمية هذا التشكيل •؟

ـ بعكس الاسلحة كلها ، عناصر التشكيل وقائدهم ، يتواجدون على سلاحهم معا • والتشكيل يؤمن الحماية الجوية من الطيران المعادي • ويتميز عن بقية الاسلحة بأنه عندما ينبغي على المقاتلين أن يتواجدوا في الملاجىء ، يكون مقاتلونا على الاسلحة •

ـ ما احتمال اصابة الطيران المعادي لسلاحكم ؟

ـ صفر بالمئة ، الا اذا استغنى طيار العدو عن حياته •

ـ ألا يخاف منكم الطيران المعادي ؟

ـ نحن بالنسبة للطيران المعادي كالحية بالنسبة للانسان • ان مر قربنا لا بد من أن نلدغه ونقتله •

أعجبني التعبير والتشبيه • ان ضباطنا الذين يتمتعون بهذه الثقة العالية بأنفسهم وبسلاحهم ، سيحققون لنا التحرير حتما •

مازلت في رحلة البحث والتنقيب في مناجم الذهب ، مناجم البطولة الانسانية •

في مكان ما ، دخلت الى مكتب العقيد عبد الحميد قائد تشكيل الدبابات الذي اشترك في معركة جبل الشيخ •

قال لي أحد ضباطه وهو النقيب أحمد : كانت مهمتنا حماية المقاتلين الذين يفتحون الطريق في الجبل للشارة ، حماية البلدوزورات وتأمين حماية الطريق • ومنع الانزالات الجوية على القمة • نزلنا من الجبل ودخلت محلنا قوات أخرى مع دباباتها •

ـ من هم أشهر أبطال سلاحكم ؟

ـ الشهيد الرقيب الاول علي سليمان ، والجريح المساعد الاول سالم نجاد ، ضابط الاشارة الذي أصيب أثناء قصف الطيران •

وحداتنا استطاعت أن تسقط طائرة يوم ١٣ و٣ طائرات يوم ١٤ • وكانت بقيادة الملازم الاول عبد الخالق راجح •

اشترك في الحوار معنا ضباط السلاح المقدم حسين والرائد عبد الكريم •

ووضع لي العقيد عبد الحميد تعريفا لمعركة جبل الشيخ كما طلبت في اطار من الكلمات الصادقة المعبرة يهمني جدا أن أسجلها له :

« معارك جبل الشيخ أثبتت بأننا لا نزال في حرب حقيقية مع العدو بكل ماتعني هذه الحرب من معنى • كانت تجربة ناجحة بالنسبة لقواتنا •

حاول العدو أن يكسرها بأن يبرز فعالية الطيران مرة أخرى • واصطدم بجدار الدفاع الجوي وتمكنا من اعادته الى عقله • أراد العدو أن يعيد لشعبه اعتبار القوات الجوية ، واستطعنا أن نذكره على الفور بـ ٦ تشرين فوق دمشق •

باعتقادي كان العدو يحاول تلافي الدخول في معارك أرضية على جبل الشيخ لأنه مضطر لاستخدام عسكره كأفراد • في معارك الجولان احتمى بالمصفحات والدبابات والناقلات والمجنزرات • هنا على الجبل لا يمكن استخدام هذه الوسائط • حاول أن يتحاشاها بأن يطلع طلعات طيران يغطي طلعة الافراد • والآن قواتنا التي تحتل جبل الشيخ لا يمكن لاية قوة أن تخرجها •

وعندما يقول أحدنا سيطرنا على جبل الشيخ فهي ليست بالعملية السهلة • »

ما رأيك سيادة العقيد في وقفة الجيش السوري مقابل «اسرائيل» هذه الوقفة الرائعة !!؟ ماذا يعني هذا ••؟ أين ذهب غرور الجيش

الاسرائيلي وأين ذهبت أساطيره ؟ لقد وضعتمونا في وقفتكم على قمة الكبرياء العربي ٠

ـ بتصوري أنه امتحان جديد لاسرائيل ٠ انها عاجزة عن الوصول الى مآربها بالقوة ولو على صعيد قطري ٠ حتى في سورية فهي عاجزة عسكريا عن تنفيذ مآربها ٠

ـ دمشق تشارككم الحرب ٠ هل تعلمون عمق المشاركة !! ؟ ومدى الاستعداد للاستمرار والتضحية ٠٠!!؟

ـ نعرف ونقدر هذا من الاعماق ٠ وأمامنا تحقيق الهدف الاساسي الذي دخلنا من أجله الحرب ٠ وقالها سيادة الفريق حافظ الاسد : نحن في حالة حرب لتحرير الارض ٠ لا هدوء عندنا الا بالوصول الى هدفنا٠ غير هذا لا كلام لدينا ، لا نفكر الا بهذا الهدف الاساسي ٠

وفي مكتب العقيد تجلى الكرم العربي في أوج صوره ٠

ثم التقينا بالبطلين الملازم عبد الخالق راجح وبالرقيب مرهف عثمان آغا من حماه الذي أسقط ثلاث طائرات وكان في الاصل معلم مدرسة في عفرين ٠

الملازم عبد الخالق قال :

ـ اذا ما بدنا نزاود ، اندفاع شبابنا تفجر بشكل رهيب ٠ العنصر منهم يشتغل ٤٨ ساعة ٠ الخوف طبيعة لكنه يختلف عن الجبن ٠ وقفة جيشنا ليست غريبة فيمعركة تشرين ومعاركنا الحالية ٠ فالجهود المبذولة للتحضير للحرب من قبل قيادتنا الحكيمة لها اعتبار وخاصة في زاوية خلق الكوادر وامدادنا بالاسلحة المتطورة ٠ وكان المردود نتيجة حتمية٠

الاسلحة مهمة لكن السلاح بلا رجال لا قيمة له • الرجال أساس كل شيء ، كما الارض أساس الرجال •

وأمر العقيد قائد التشكيل أحد ضباطـه بمرافقتنا حتى ميدان الدبابات •

وهناك التقينا بالنقيب أحمد الذي كان فخورا بعناصره التي قاتلت في جبل الشيخ ببسالة • وقدم لي من أبطاله الملازم أحمد عوض قائد أول فصيلة دبابات وصلت لقمة الجبل• وقدم لي ولعدسة كاميراالمصور حسن ، الرامي المجند عبد الله البنشي والمعمر الرقيب وليد سـعيد والسائق أحمد أمون •

وخرج أمون ورفاقه من الدبابة ، استقبلونا بتحيـة النصر على طريقتهم الخاصة وأخذوا يرقصون فـوق الربيـع الاصفر ويصفقون للحياة للحب للنصر للدبابة العزيزة التي ساهمت في معارك التحرير •

الساعة تشير الى السادسة مساء ، وأنا مازلت في عداد الاحياء •

« الجيب غاز » العزيزة تقفز فوق السواقي والاحجار والزهور والاشواك ، تحملنا الى دمشق • وذهني يقفز قلقا متلهفا محموما بما شاهد وعاش •

همي كبير • الهم الآن ، ماذا أكتب !؟ ماذا أقول ؟؟ بدأت أناملي تعبث ببعضها بقلق ظـاهر • الجبهـة ورائي ، والانفجارات تودعني يستقبلها الليل • أشعر بأن وجعا يسري في يدي ، ماذا أكتب عن هذا اليوم العنيف ؟ الكلمات هربت من عقلي الى كهوف الخوف والحسبان•

العجز عن التعبير أمام الصورة الساخنة يهددني بصفحات بيضاء • كيف أبدأ وكيف أنتهي !!؟ ما أصعب لحظة ولادة الفكرة •



نهر الأردن ــ للفنان عزيز اسماعيل ــ انطاكية
هدية دار فلسطين ــ دمشق

في داخلي شبكة من الخيوط اللامرئية لبطولـة أفراد جيشنا ، في أصابع من تستقر بدايات هذه الخيوط ؟

ـ من البطل ...؟

ـ من المحرك ...؟

ـ جبل الشيخ ....؟

ـ مرتفعات الجولان ... ؟

ـ أم الانسان ...؟

ـ أم السلاح ...؟

ـ أم القضية ... أم الكل ...؟

ـ أم القائد ..!؟

ـ بحثا عن خيط البطولة الذهبي الممتد الى مالا نهاية ركبت مركب الخطر ليوم واحد يعادل عمري ، صار منعطفا هاما في خط عمري .

اكتشفت في منجم البطولة خيوطا ذهبية لاخيطا واحدا ، لمستهـا بيدي باحساسي بعقلي بقلبي .

لاحت لي دمشق في المساء .

مدينة عظيمة تنام وتصحو على لحن جبل الشيخ والجولان .

وولدت في عيني على قمة قاسيون فكرة ولاحت حقيقة .

خيوط البطولة تتحرك في يد « الرجل الكبير » الذي أعد الوطن للدخول في معركـة النصر والتحرير ، وهو هـو نفسه قائـد فرقـة

« سيمفونية جبل الشيخ » وهو هو نفسه واحد من عشاق الوطن لهذا اللحن العظيم •

عدت الى البيت ، فاستقبلني جبل الشيخ في بيتي بيته • غريب أمر هذا الجبل معي •

هو ورائي وأمامي وداخلي ، قدرا يحيط بي من الجهات الخمس شرقا وغربا شمالا وجنوبا وعمقا •

عدت بعد أن تعمدت بالنار في جبل الثلج والنار ، هذا الجبل الذي أخذ عقلي •

أنا أسكن جبل الشيخ ، وجبل الشيخ يسكن بيتي •

كلا منا عند الآخر ، كلا منا أعطى نفسه الآخر •

دمشق ـ جبل الشيخ / ١١ أيار ١٩٧٤

* * *

الفصل التاسع

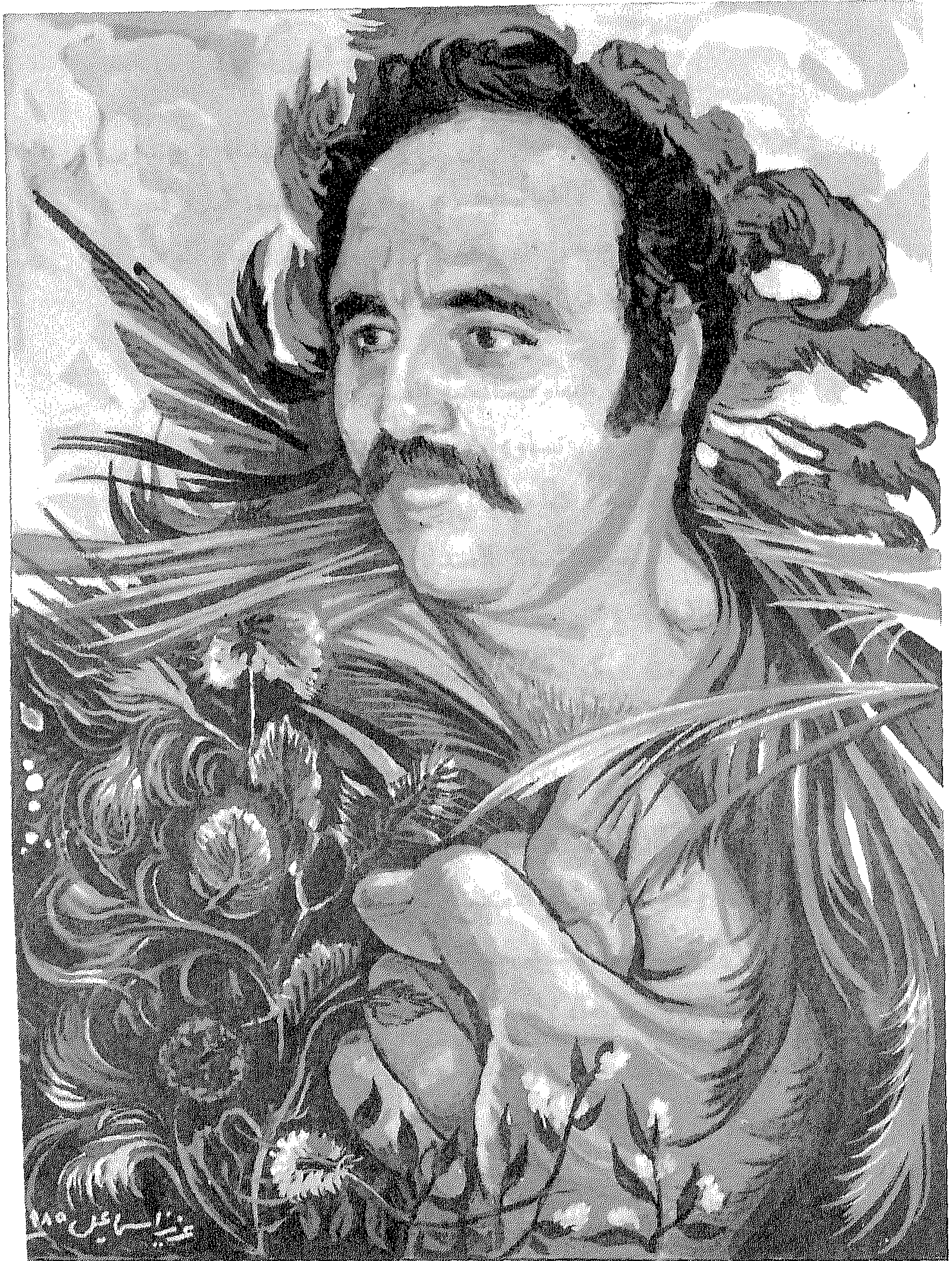
حماة الديار عليكم سلام

منذ الطفولة الاولى ، ولساني يردد كالببغاء كلمات النشيد الوطني السوري « حماة الديار » ، دون أن يتمكن عقلي الصغير من احتواء المعنى والنغم معا . حتى أني كنت مع رفيقات الصفوف الخمسة : الاول والثـاني والثالث والرابـع والخامس ، المصطفات في باحة مدرسـتنا الابتدائية العزيزة « زبيدة » نردد ونغني أبيات النشيد بعد الجرس الصباحي ، نحيي العلم بأيدينا الصغيرة ، ونحيي حماة الوطن بحناجرنا الطاهرة البريئة ، بالفطرة بالتقليد بالتعليم بالحب . بنات الصف الاول يقلدن تلميذات « السرتفيكا » ، بنات الصف الاعلى . يحفظن النغم أولا . ثم الكلمة .

وظللت سنوات طويلة من طفولتي أردد بعض كلمات النشـيد العظيم خطأ :

حمـاة الديـار « عليتـم » سـلام

أبت أن تـذل النفـوس « التـرام »



الفنان عزيز اسماعيل ـــ انطاكية

عريـن العـروبـة « بيـك » حـرام

وعرشـ الشـموس حمى لا « أضـام »

وتتردد أصداء النشيد في طريق الصالحية ـ شهداء ، وتذوب أخطاء البراعم الصغيرة في الانشاد الجماعي ، ويظل النشيد كبيرا كبيرا ، طويل البال ، بانتظار الصغار أن يكبروا ويصبحـوا حماة الوطن • يصيبون التعبير ويتقنون فن الدفاع عن أرض الوطن •

بالفطرة ، بالغريزة ، بالقلوب المحبة الصغيرة ، غنينا حماة الديار • وتعجز عقولنا الصغيرة وهي تساوي عمر أقدامنا الصغيرة تلعب بالحبل وبالحجر ، وأيادينا الصغيرة تنوء بحمل محفظة الكتب « وصفرطاس » الطعام ، وأجسامنا الصغيرة المعبأة بالصداري المدرسية السوداء المحلاة بالياقات المنشاة البيضاء ، تنوء وتعجز عن ادراك أبعاد الكلمات الوطنية التي كانت تكبر معنا ، كما تكبر الشجرة الصغيرة مع ابن القريـة الصغيرة ، ومع ابن المدينة الكبيرة • وتصبح النبتة شجرة زيتون، ويغدو ابن الفلاح الصغير رجلا ، طيارا ، بطلا من أبطال التحرير والحرية • يكبر الصبي الذي كان يغني « حماة الديار عليكم سلام » في مدارس المدن والارياف وتعود الارض المغتصبة من العدو الى الوطن بفضل حاميها ، البطل وقد غنى النشيد بطريقة جديدة ، بتضحياته ، بفقده أعضاء هامة غالية من جسمه ، لا بصوته فقط • ويغدو فقده لعضو من أعضاء جسده في الحرب من أجل وطنه معادلا للوطن •• للارض •• للحريـة •

الآن فقط التحم معنى النشيد العربي السوري باللحن ، بالبطولة الخارقة ، بالابطال ، بحماة الديار • تراهم عيني وعين وطني ، وتغنيهم

حنجرتي وحنجرة وطني • وتلتصق بأبعاد النشيد أبعاد جديدة : المعنى ، النغم ، البطولة المجسدة ، الدموع ، النصر •

وعندما يغني أطفالنا النشيد السوري من اليوم وحتى مستقبل الأيام ، فسوف تظل أبدا أبدا مرتسمة بين عيونهم البريئة الطيبة صورة البطل العقيد الطيار « عدنان حاج خضر » وهو ينزل درج الطائرة العائدة من الاسر الى أرض الوطن ، على نقالة وهو يأخذ « التحية العسكرية » للوطن •

لم أكن في المطار •

لأنني لا أقوى على أن أكون في المطار • وعندما طالعتني صورة اللقاء في التلفزيون العربي السوري وفي صحف اليوم التالي ، بكيت• بكيت بشدة • لا أدري لم بكيت رغم فرحي بعودة الاسرى والجرحى•

بكيت من العظمة المتجسدة في هذا الوطن ، بكيت من الشجاعة العربية المعاصرة التي يتمتع بها هو وزوجته • بكيت اعجابا بقدرتها على الانتظار في مطار الانتظار • انهما رمز خالد للاسرة العربية ، لمستقبل هذا الوطن لا لحاضره فقط •

لن يصدقني أحد اذا كتبت بأنني أحسست بأن موسيقى النشيد السوري تملأ أرجاء المطار وأسماع وصدور القادمين والمستقبلين وكل من حضر اللحظة التاريخية • لن يصدق أحد كيف تخيلت وسمعت على البعد ، كل من في المطار من عسكريين ومدنيين ومسؤولين ومواطنين يرددون بصوت واحد :

« حماة الــديار عليكــم ســلام

أبــت أن تذل النفوس الكــرام »

يرددون تحية البطل العسكرية بأحسن منها •

ترى هل تذكر أحد ضرورة أن تعزف فرقة عسكرية موســيقية عربية كبيرة عند سلم الطائرة لهؤلاء الابطال موسيقى النشيد العربي الســوري ••؟؟!!

ولا أدري لم فاتهم أن يتذكروا مثلي ، أبناء وطني المسؤولين عن تنظيم استقبال الاسرى الابطال !! فهذا النشيد قد وضع لابطالنـا المعاصرين منذ أن غناه عقل الشاعر الوطني المرحوم « خليــل مردم بك » •• ومنذ أن وضع موسيقاه الاثيرة « الاخوان فليفل » •

فلمن يغنى النشيد اذا لم نغنه لهم ••؟؟!

اني أتصور عظام الشاعر « خليل مردم بك » تهتز في قبره طربا بعودة الابطال من الاسر وبعودة الارض والنصر •

الموعد العظيم كان يوم السبت ١ حزيران ١٩٧٤ في مطار دمشق الدولي • وما أعظم الفرق بين حزيران ١٩٦٧ وحزيران ١٩٧٤ • وثأر أبطال تشرين لشهداء حزيران ١٩٦٧ • وعادوا على جناح طائرة النصر في حزيران ١٩٧٤ ليكتبوا بتضحياتهم وتضحيات رفاقهم من شــهداء تشرين صفحة جديدة من التاريخ العربي المعاصر ، وليمسحوا من ذاكرة التاريخ ذكرى اليوم الأسود •

الموعد •• مع أسرانا العائدين من « اسرائيل » •

فليكن على محطة الاستقبال المواطنون أكثر المواطنين والأهل والاصدقاء ، المسؤولون كلهم ، الصحفيون كلهم ، المحبون كلهم ، الا أنا .

أنا قوية لدرجة الانهيار الكلي . وأنا ضعيفة لدرجة القوة الكاملة . أنا بهم قوية وبهم ضعيفة . الموقف أكبر من قدرتي على الاحتمال انسانة ضعيفة . فأنا لست مواطنة حيادية محبة . أنا مواطنة مجروحة . والجرح في داخلي يعيش معي . وفرق بين مواطن مجروح لجرح الآخرين ، ومواطن مجروح في ذاته بفقد انسان غال ، شهيد أو مفقود أو أسير .

والموقف التاريخي للقائنا بالاعزاء العائدين أكبر بكثير من مقاومتي. وهو سيعمق حتما مجرى نهر الدموع الجاري أبدا بلا صوت ولا صورة بين الروح وقاع النفس ، بين عيني وخدي والارض ، أرض الوطن ، على شهيدي زوجي النقيب فؤاد محفوظ الذي رحل مع موكب شهداء نوى وداعل ، ولن يعود .وكنت أخاف أن يضعف عقلي لحظة، وأتصور أنه قد يكون بين الاسرى العائدين ، وهو حلم لي أخفيه أياما وليال بين طيات النفس ، تجاوزت السنة ونصف السنة ، عل المعجزة الالهية تتحقق ويعود « شهيد الوطن » « شهيدي » مع الاسرى يوما ، وتنتحر التكهنات والاسرار عن لحظة فقده ، وعن غياب جسده . وخفت أن تتحقق المعجزة فعلا ولا أقوى على احتمالها . ولم أذهب الى المطار . وتغلبت أمنياتي ومخاوفي الذاتية على موضوعية لقاء الوطن بأبطاله في حرب تشرين التحريرية .

الوطن يقف على رصيف الشوق والانتظار بكل تقديسه وحبه ولهفته ينتظر طائرة الابطال ، انتظارا أشبه بالصلاة الصامتة . وأبطال

يحملهم طائر الشوق والحنين الى أرض الوطن بعد أن حققوا لهذا الوطن نصرا عسكريا وتاريخيا أدى الى نصر سياسي وديبلوماسي كبير للقضية العربيـــة •

وفتح باب الطائرة • ونزل النسر السوري العظيم العقيد الطيار « عدنان حاج خضر » وهو يؤدي التحية العسكرية للوطن وللمواطنين• وعزف عقلي له موسيقى النشيد السوري ولم أجد على طرف لساني كلمات ترحب به وترطب حرارتها الدموع الا مطلع النشيد السوري :

حماة الديار عليكم سلام

أبت أن تذل النفوس الكرام

عريـــن العروبة بيـــت حـــرام

وعـــرش الشـــموس حمى لا يضام

حتى أني تصورت ، وأنا متأكدة من هذا التصور ، أن يد البطل المعجزة قد أخذت التحية عندما دخلت الطائرة الأجواء السورية ، وكأني بنجوم سماء الوطن تتوهج وتلتمع ترد التحية في عز النهار ، تتحدى الشمس ، تزغرد ، تفرح بعودة النسر الى عشه •

لقد سمعت بأذني طيور الوطن تغني نشيد حماة الديار •

أصابني الانهيار الكلي ، عندما طالعتني صورة التحيةالعسكرية ، وصورة شفتي البطل تقبلان تراب الوطن• وتدفق النهر بين عيني وخدي وأرض الوطن •

جرحانا ، أسرانا العائدون ، يبتسمون للوطن ، للاهل ، والوطن والأهل يبكون من الفرح بعودة الابن الغالي الغائب •

الأسير ، الجريح ، هو القوي ، ونحن في غاية الضعف من فرط قــوتــه •

روح الجريح والأسير البطل ومعنوياته العالية ، درس لنا، لدموعنا أن لا تنحدر أبدا ، لا الى الداخل ولا الى الخارج •

قال رمز البطولة العربية المعاصرة « عدنان حاج خضر » :

« الأرجل لا شيء •• الوطن هو الأهم •• !! »

هذه الجملة يجب أن نحفرها تحت تمثال للبطل عدنان خضر ، نصنعه له وهو حي بيننا ليعبر أبدا وللاجيال المقبلة عن تقديسنا له • تمثال يجب أن نبدأ بنحته فورا لهذا الوجه العربي الأسمر الأصيل •

أنا شخصيا ، لا أذكر أبدا كــلاما تاريخيا مماثلا لأبطال حروب طروادة والحربين العالميتين الاولى والثانية ، لاأذكر كلمة تعادل هذه الكلمــة •

لا أكاد أصدق ما أرى وما أسمع وما أقرأ •

أنا ضعيفة حتى درجة الانهيار الكلي من بطولة الطيارين السوريين « عدنان خضر » و« غازي أديب » ورفاقهم في الأسر والجرح •

وأنــا قويــة حتى النهاية من تألق روح هؤلاء النسور وهؤلاء النمــور •



الفنان علي مارديني ـــ دمشق

وأنا أغني لهم في ضميري منذ طفولتي وحتى اليوم نشيدا طالما أبحث في دروب العمر عن صور ابطاله •

أنتم يا حماة الديار •• أبطال هذا الزمن العربي والزمن المقبل •

أعـــدكم •• بأني لن أخطىء بعد اليـــوم بكلمات « النشـــيد الســـوري » •

دمشق ـــ ١ حزيران ١٩٧٤

* * *

عاد آخيل... وعاد القائد

جبل الشيخ ••

هذا الحصان العربي الأبيض الأصيل ، مازال « يبرطع » رغم شيخوخته ، كالمهر الفتي في السهول وعلى صدر الجولان الأخضر والأحمر والأسود والأبيض • يطير كالريح وراء انفعالات الفرح الذاتية الى موطن الفرح الانساني • صهيله يملأ الدنيا دويا • فقد أعاد « الحصان العربي » الى الوطن ، الزوج الطيب المخلص، الحبيبة الزوجة المخطوفة قسرا •

موشي دايان أحب القنيطرة •

كما أحب باريس هيلين •

باريس خطف زوجة غيره •

ودايان خطف مدينة غيره •

ومن أجل هيلين انتهى باريس • ومن أجل القنيطرة انتهى دايان •

من أجل الحبيبتين دارت حروب طاحنة في الجولان وجبل الشيخ أيام العرب المعاصرة ، وفي طروادة أيام الاغريق الغابرة .

حوصرت طروادة . وفتحها الذكاء الاغريقي المعبأ في جوف حصان من الخشـــب .

صورة الحصان الخشبي الضخم العجيب فتحت أبواب أســوار طروادة . ودخل الحصان ، ودخل معه النصر العسكري الاغريقي ، وخرج من بطنه الفرسان الشجعان ليسقطوا القلعة المدينة في براثن الثأر للزوج الحزين الطيب .

وحوصرت القنيطرة ، وفتحها القتال الضاري مجبولا بالـذكاء السياسي ، مخضبا بالتضحيات الاسطورية من الوطن والمحاربين ، يعلن عنها صهيل الجواد العربي ، الأبيض ، وقد ترددت أصداؤه في أجواء العــالم .

وسقطت المدينة في يد العربي الذي لا بد أن يأخذ ثأره « ولو بعد أربعين سنة » كما يقول المثل العامي .

وتخلى البدوي عن صبره وطول باله .

الثأر أخذناه بعد سبع سنوات فقط ، و« السبعة » رقم نحـن نتفاءل به على أرضنا العربية المقدسة . وسوف نفرح سبعة أيام بلياليها . وسندعو الناس « للمباركة » في اليوم السابع من « ليلة الدخول » وسنرفع أيدينا بالحمد والشكر للسماء السابعة .

نحن في عرس الوطن والقنيطرة ، وجبـل الشيخ هـو الشاهد الأول .

وسيحتفل شبابنا وشاباتنا في القنيطرة رقصا حتى الفجر ،سيؤدون دبكات ورقصات عربية وشركسية تهز الأرض وجعا وطربا • ولا أدري من سيرقص أولا : الأرض السعيدة بعودة أبنائها : أم الانسان العائد الى صـــدر أمه !!

« صبحة العرس » ســيبدأ النضال مع الحياة وتنتهي القبـــل • سترتفع الأنقاض ويعاد بناء المدينة « القنيطرة الجديدة » • ســتكون الأجمل والأقوى والأكثر خلودا فقد علمتنا الحرب وعلمنا النزوح وعلمنا الدمار وعلمنا العدو ، أن الجمال في أرضنا يجب أن تحرسه القوة دائما ، ولا يكفي القلب الطيب ولا النية الحسنة ، ولا يجدي التسامح العربي مع اليهود الذين يرتدون معطف الدين اليهودي فوق جسد صهيوني النزعة نازي الأسلوب •

في الحرب حاربنا بشدة •

في السلم سنحارب امكانية عودة الحرب المعادية •

في الحرب قد تنام أعيننا •

في السلم يجب أن لا تنام •

لا يضنع السلم الدائم الا القوة الكامنة في مستودعات الذخيرة والنفس أبدا •

هذه حقيقة كبيرة خرجنا بها من الحرب ، وهي أننا أبدا في حالة حرب كامنة ما دمنا على مرمى حجر من العدو الصهيوني •

النوم على سرير السلام الحريري قد يعيدنا فجأة الى خيام النزوح والتشرد « تدلف » من سقوفها أمطار الدموع • فقد كان الوطن يبكي

بصمت على سقوف خيام النازحين من المواطنين العرب السوريين الأحبة ، بكاء استمر سبع سنوات •

سقف بيتي لا « يدلف » ثلجا ولا مطرا ولا شمسا ، لا في الشتاء ولا في الصيف ، يعذبني « بدلف » غير مرئي من أمطار دموع أهل الوطن على سطح نفسي • الآن تلاشت سحب هذه الأمطار • عادت القنيطرة • سيعود ما بعدها •

الحصان العربي الأبيض الأصيل يمتطيه الآن بكل شموخ وكبرياء الفارس العربي السوري الشجاع ، يعبر السهول والحقول والربى والتلال ، يدور حول الحبيبة ، حول الزوجة الجميلة الطيبة العائدة الى الأحضان ، بعد أن خطفها لسبع سنوات خلت عاشق غبي أحمق مجرم بعين واحدة لئيمة اسمه موشي دايان •

ودخل الحصان العربي الأبيض الطاهر الى بيت الحبيبة الزوجة رافع الرأس ، فقد استعادها بقوة ذراعه وشجاعته وجاهزيته وحقه وذكائه ، لا بالمكر والخديعة والدهاء كما فعل حصان طروادة الخشبي •

هوميروس كان ينادي العقل المفكر الذي اخترع حصان طروادة « أوليس الذكي » •

وأثبت أن قائد معركة طروادة الفعلي هو ملك الملوك آغا ممنون ، القائد العسكري البطل • أما النصر فقد جاء على يد البطل الحقيقي « آخيل » وتقول الأسطورة « آخيل عاد » أي أن البطل رجع ، أي أن النصر عاد وجاء •

أما الزوج الذي قامت المعركة للثأر له ولاعادة زوجته المخطوفة « هيلانة » والتي قيل أنها أجمل بنات عصرها طرا ، فهو ملك اسبارطة « مانيلا » أخو آغا ممنون ، ملك الملوك بين الآخائيين •

خطف باريس بن ميريام هيلانة وحملها الى ايليون ورفض الطرواديون ارجاعها ، وقامت الحرب وسقطت طروادة وعاد آخيل وحضر النصر •

عودة آخيل لا تقل عن عودة « أوليس » الى زوجته « بينيلوب » بعد غياب عشر سنوات • وعبر نهاية الآخرين أوجد أوليس نفسه وعاد الى زوجته وبيته ووطنه ، وأصاب بسهمه الأوليسي ، الباب ، ومقتلا من الأمراء العشرة بعد أن حاولوا خطف زوجته بالخيانة • وتعلمنا من أوليس : « اعدم الآخرين تجد نفسك » •

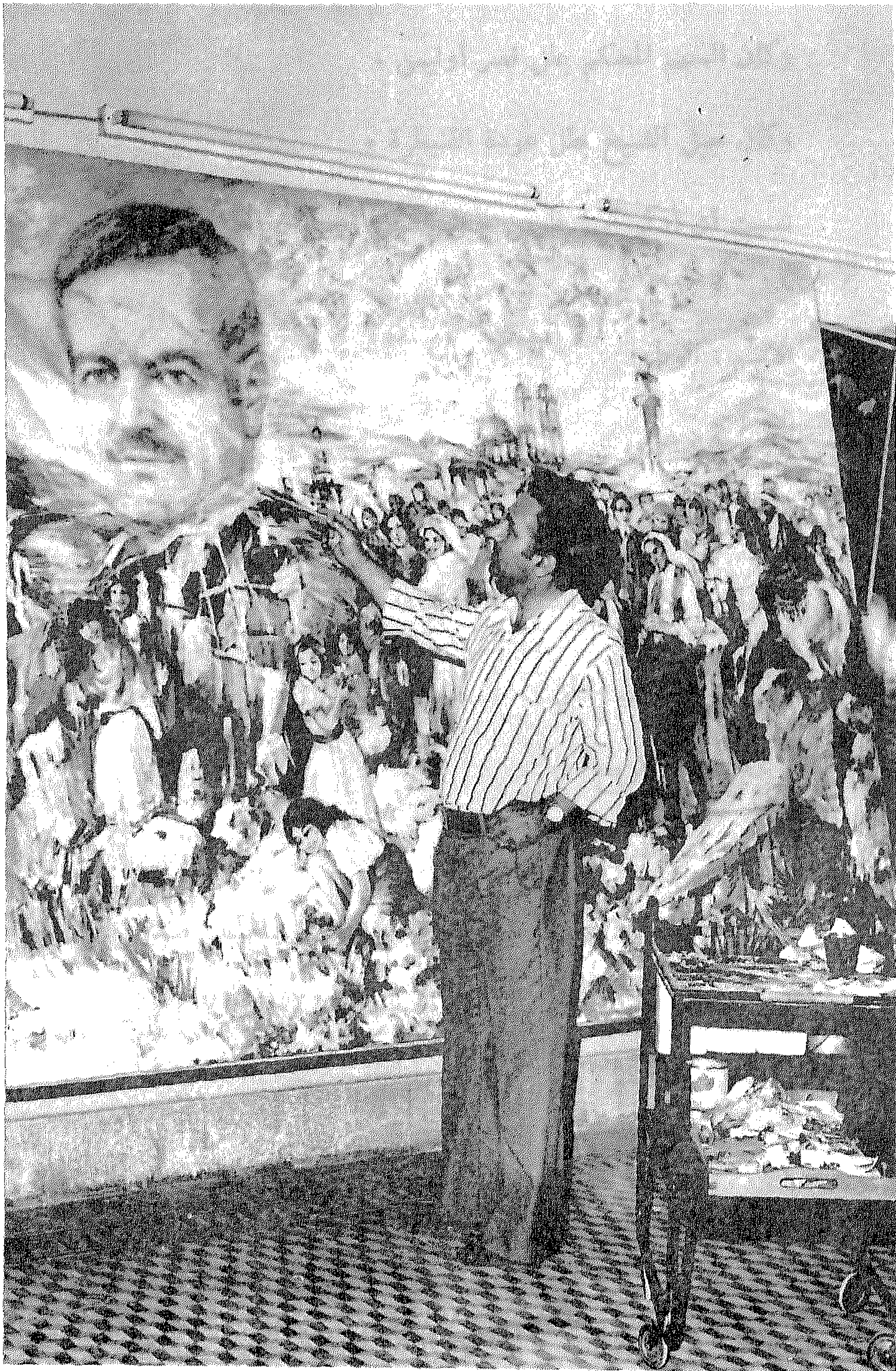
تواجد أوليس القائد الضائع في متاهات البحار • عبر العنف أوجد شخصيته وعرفته زوجته وأغمي عليها من الفرح ، بضربة واحدة من سهمه أوجد أوليس نفسه بقتله للأمراء الخونة ، وعرفته بينيلوب •

والقنيطرة ظلت محافظة على الانتظار لعودة القائد الفاتح اليها ، وظلت في غيابه مشردة، تماطل بغزل الصوف في النهار لتعود وتكره في الليل ، لا تيأس من عودة الزوج الحبيب يوما ، تماما كما فعلت بينيلوب المحبة •

ربما عادت هيلانة الى زوجها مانيلا ••!! وأنا متأكدة من عودة بينيلوب الى زوجها أوليس • والحتمية التي لا جدال فيها عودة القنيطرة الى زوجها الوطن والى صدر قائدها الفاتح • وعاد العلم العربي السوري الغالي يرفرف في سماء القنيطرة العزيزة •

وبين مانيلا وأوليس والأسد ، يتحرك ذهني • لكل زمانه ولكل طريقته في الثأر والعودة والنصر •

كان حصان طروادة بطل نصر مانيلا •



الفنان عبد القادر النائب في مرسمه .
السوق السياحي في التكية السليمانية ــ دمشق

وكان السهم المحكم بطل نصر أوليس .

وكان جبل الشيخ بطل عودة القنيطرة .

نسيت أن أذكر اسم فارس جبل الشيخ الحصان العربي الأبيض الأصيل :

الاسم : الوطن

الجنسية : عربي

اللــون : أسمر

الصفات : الارادة . الذكاء . الشجاعة . العمق .

العمل : عسكري مدني

الرتبة : فوق الريح

العمر : عمر الحرية .

علامات فارقة : النصر شامة على خده ، والشام وسام على صدره.

دمشق ــ ٢ تموز ١٩٧٤

* * *

ساعة الصفر العربية

أنا على رصيف المحطة .

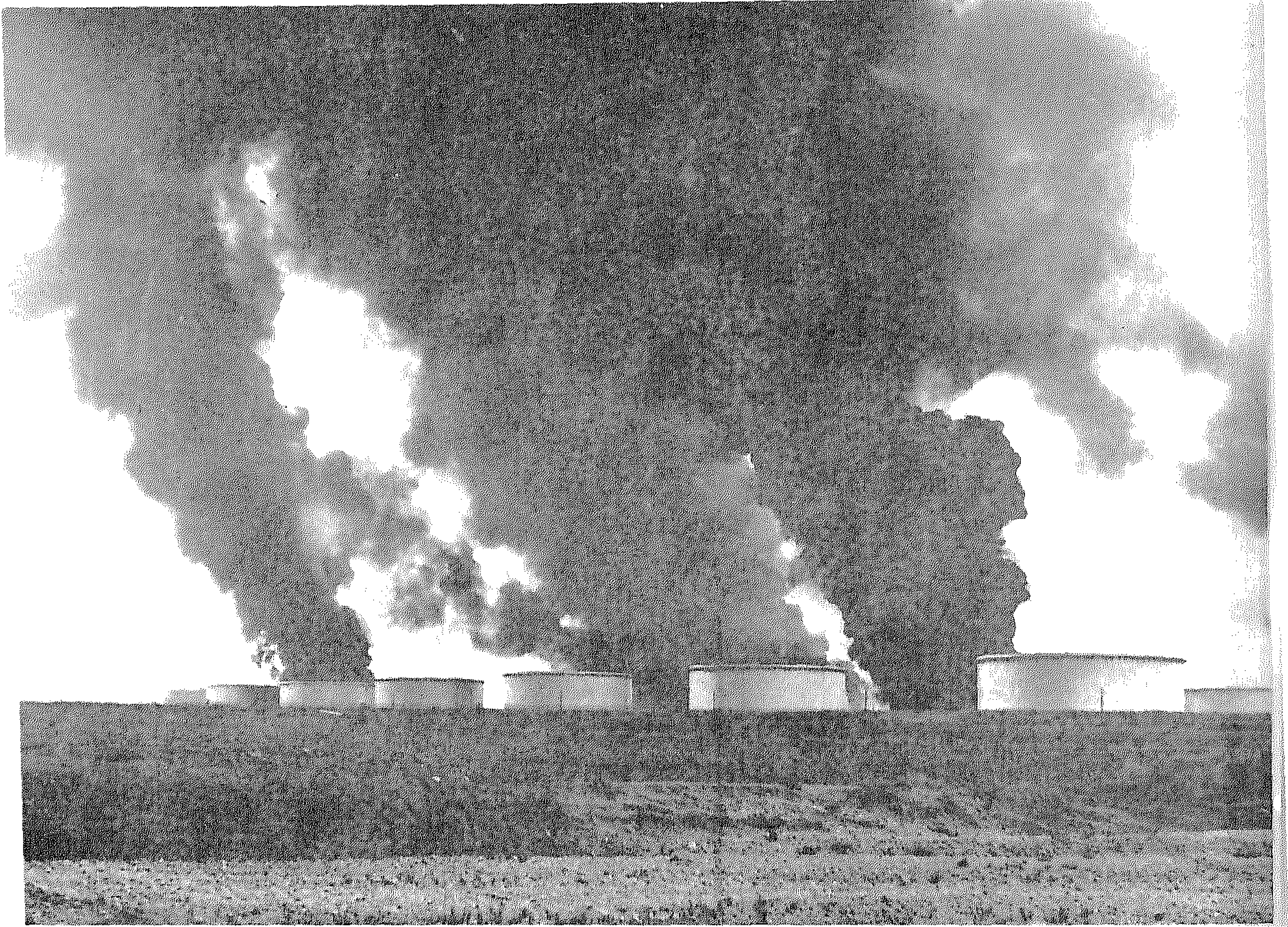
أسمع صفير قطار تشرين ــ رمضان وهو يقترب من المحطةالعربية للذكريات القومية لعام ١٩٧٤ .

في يدي باقة من زهر الزنبق ، وعقد من الياسمين . بلهفة أنتظر الضيف القادم من الماضي الى الحاضر يتجاوزني الى المستقبل .

أنظر الى المفكرة ، الى الساعة ، الى خط السكة الحديدية . أتمنى أن أرى ضيفي يلوح لي بيده عن بعد . يحمل من الشوق لقومي ، ما يحمل له قومي من فخر الانتظار .

أنا الآن كالعالم الكوني في قاعة محطة اطلاق الصواريخ الى القمر أبدأ العد التراجعي .

أكتب .. ثم أنظر الى المفكرة ، ثم الى الساعة . اليوم السبت ٢٨ ايلول ١٩٧٤ . باق من الزمن سبعة أيام على الذكرى ٢٩ ــ ٣٠ ــ ١ ــ ٢ ــ ٣ ــ ٤ ــ ٥ ــ .



الفنان منذر قلعجي ــ دمشق

الأحد ٦ تشرين الأول ١٩٧٤ هو ذكرى قومية عربية هامة في تاريخ العرب المعاصر . عند هذا اليوم يجب أن نقف باحترام وتقديس ، لأنه نقطة انعطاف جيدة في درب أهدافنا القومية .

بصراحة حادة أنا دائما أكتب . وقد قطعت مرحلة لا بأس بها بعيدا عن موقع المجاملة في تفكيري وفي سلوكي ، فالعمر مهما طال قصير على أهدافنا الكبيرة ورغباتنا في البناء وحرق المراحل وتجاوز الزمن والوصول الى الصورة المثالية في أقصر زمن ممكن وبأقل أخطاء ممكنة . والمجاملة ، في رأيي ، حجر عثرة في درب الحقيقة . والمثاليات العقائدية لا تتحقق لنا ان لم نضع الصدق لنا منارة وغاية .

بصراحة حادة أقول : أنا أبتعد عن الكتابة في المناسبات التي تمجد وتؤبن ذكرياتنا القومية الحلوة والمرة سنويا . فأنا أكره أن تكرس عواطفنا الحاضرة للذكريات السود أو البيض لمجرد التكريس والندب دون أن نستفيد من التجربة المرة أو الحلوة ، أو نعتبرها نقطة انطلاق لحال أفضل ولواقع جديد مختلف يوفر لنا حياة أفضل .

وحتى الذكرى العظيمة ليوم السادس من تشرين ، أتمنى أن نحتفل بها بشكل مغاير . نحتفل بها لا بالرقص والنقر على الدفوف والخطابة على المنابر والميكروفونات الاعلامية العربية ، ولكن بالاستعداد النفسي والعسكري الكامل لأي احتمال ثأر يضمد به العدو الصهيوني جراح نفسه وجسده وسمعته العسكرية الدولية التي انهارت في حرب تشرين الى الحضيض .

حول الزواج يقولون : ليس المهم أن تتزوج ، المهم أن نحافظ على ديمومة الزواج والسعادة الزوجية .

وعن انتصارنا في تشرين أقول :

« ليس المهم أن ينتصر المحارب ، المهم أن يحافظ على النصر ، وأن يعمل لكسب نصر جديد ، يؤكد عمق جذور انتصاره الاول ، وعدالة حربه وحقه في الحرب واللجوء الى لغة السلاح ، بعد أن فشلت لغة الحوار السياسي والديبلوماسي مع الاطراف التي ترفد العدو الصهيوني بالقوة والسلاح • ان الارض لاصحابها ، ولا حل آخر غير الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني بأرضه وبعودة الاراضي العربية المحتلة جميعها في سورية ومصر والاردن » •

تتداعى في نفسي الصور •

تكر الايام والساعات • أعود الى ساعة الصفر العربية في يوم السادس من تشرين •

تماما في مثل هذه الايام كانت أيام تشرين الاول ـ اكتوبر ، تعانق أيام رمضان • كانت روح رمضان تعبق في أجوائنا الروحية والعسكرية والمدنية •

وكانت روح الثأر تتأجج في ضمائرنا وأيدينا وقلوبنا وأسلحتنا العربية كنار الحطب • النفوس متوترة متحفزة •

دمشق •• بشوارعها ، بسكانها ، بحركتها تبشر بيوم الثأر •

حركة غير عادية في كل مكان • لم أسأل الى أين تنطلق هذه السيارات بهؤلاء الاعزاء أبناء القوات المسلحة بألبسة الحرب الكاكية اللون • لم أسأل • فهمت ، لم يسأل أحد • الكل كان يتوقع هذه اللحظة • والحركة غير العادية كانت تشير الى اقتراب ساعة الصفر • الكل يتصرف بصمت وكأنه مسؤول عن ساعة الصفر • ما أروع الوطن والمواطنين في تلك اللحظة • الذي لايسافر الى ساعة الصفر ، يذهب الى بيته ، الى الملجأ بصمت حتى يعطي النصر كل النصر لساعة الصفر العربية •

وفي رأيي كان من أعظم أسباب انتصار العرب في حرب تشرين هذا التحضير العظيم للحرب بلا جعجعة • هذا الهدوء العظيم بتنفيذ الخطط العسكرية على جبهتي القنال وسيناء والجولان وجبل الشيخ ، وهـذا الانسجام العربي الكلي في الحرب على الصعيد العسكري والسياسي والديبلوماسي والاعلامي • ووقف العالم مندهشا ، ونزلت الصاعقة على رأس اسرائيل ، وحدث العبور المذهل ، وتحقق تحرير مرصد جبـل الشيخ وقمم الجولان المحصنة بالعقول الاليكترونية الاسرائيلية •

ظاهرة عربية مذهلة في تلك الحرب ، هي التي أكسبتنا النصر الى جانب بقية العناصر الهامة • هذه الظاهرة التي نسفت النظريات العسكرية العلمية الغربية عن أهمية اله الحرب والآلـة في الحرب ، هي الجندي العربي الفرد في مصر وسورية والوطن العربي ، وقـد اندفع وحـده كالصاروخ نحو الدبابة ، بسلاحه الصغير وايمانه الكبير بقوة حقه وثقته بالارض التي يقف عليها والوطن الذي يقف وراءه •

ولم يصدق العالم الظاهرة • المقاتـل المصري والمقاتـل السوري يندفعان نحو الدبابة لايهربان منها ! وسجّل ياتاريخ الحروب المعاصرة سلاحا جديدا فعالا ضد الاسلحة الحديثة : الانسان العربي • ويشد مخترعو العقول الاليكترونية الحربية شعورهم • لافائدة • الانسان هو الاهم •

أمر آخر أطار صواب اسرائيل والعالم • ما الذي حدث ؟ ما هـذا السر الذي جعل الدول العربية على اختلاف أنظمتها ، بين نظام جمهوري ونظام ملكي ، ونظام حر ، ونظام اشتراكي ، بلد غني وبلد فقير، الكل صار كتلة واحدة ، ذاب بعضها في بعض كما يذوب السكر بالماء •••!!!

أما الضربة الذكية التي أحب أن أذكر بهـا دائما ، هي أن نفكر بالثأر من العدو ، ونبدأ حرب التحرير مـع بداية الخريف والشتاء •

وترتعد أوصال الغرب واسرائيل بردا . فقد انقطعت دماء الحياة عن مصانعهم وسياراتهم ومؤسساتهم وبيوتهم . وأغلقت حنفيات البترول العربي من المحيط الى الخليج . فحتى البترول تحت الارض العربية ، يحارب ، يغور الى بحيراته ويختفي فيصناديق الكنوز العربية . وتحترق كل يد تحاول أن تسرق منه قطرة من الذهب الاسود . ورفع شيوخ الذهب الاسود العرب رؤوسهم بكلمة لا . لا ذهب ، لا بترول ، الا بالتحرير الكامل .

سقط الغرب المعادي للعرب وللقضية تحت ثلوج الخيبة . وأضحكتني حتى الدموع ، دموع التماسيح التي نزلت تؤكد دعمها للعرب وللقضية الفلسطينية ، من الشرق والغرب ، أصوات تقسم الايمان المغلظة بأنها مع العرب وضد اسرائيل !! أمر غريب !! الآن قد بدأوا يسمعون بمطالب العرب بالحق العربي ، ويحترمون العربي ومطالبه مع انحناءة احترام !!

أما افريقيا .. الجوهرة السوداء ، فهي أكبر من كبيرة . هي أبيض من البياض . هي موقف انساني في حرب تشرين يسجل لها بمداد من الذهب الاصفر الخالص . افريقيا هي سبيكة الذهب الحر .

تعود الصورة . يكر شريط الذكريات . وأنا في دمشق أعيش الحرب الحقيقية . وشظايا الصواريخ الاسرائيلية على حي أبي رمانة — حي السفارات، تصل الى حديقة ونوافذ بيتي وتحطم زجاج أبنية الحي — حي السبكي بكامله . ولكننا ويا للعجب ! لانخاف . نخرج في عز الغارات الاسرائيلية على دمشق الباسلة ، تتفرج على سقوط طائرات الفانتوم بصواريخ « سام العزيزة » . هذه الصواريخ المرحة التي علمتنا الضحك في عز البكاء على شهدائنا وأحبابنا وجيراننا الذين ماتوا تحت الانقاض وهم في أسرّتهم اثر الغارات الهمجية المفاجئة . نخرج لجلب الخبز والطعام والشموع وبطاريات الراديو الترانستور والبيل .

نطبخ ، ونكتب ، ونسمع الاخبار ، أخبار الحرب ، ونشاهد التلفزيون رغم ضرب العدو لمبنى الاذاعة والتلفزيون • ونسهر عند جيراننا ، ونقرأ الصحف ، ونتحدث مع الاهـل والاصدقاء بالهـاتف ، ونتبادل أخبار الشعب الطيب وقد صار أفراده المدنيين يعـاونون المقاتلين في الجيش للقبض على الطيارين الاسرائيليين الاسرى في الغوطة حول دمشق •

ونضحك بسخرية من اذاعة اسرائيل ، ونطير فرحـا بانتصارات جيوشنا العربية في سيناء والجولان ، ونصفق لتلاحم الدم العسكري العربي من مصر وسورية والعراق والاردن ولبنان وفلسطين والسعودية والجزائر وليبيا والمغرب والسودان •

يا الله ما أعظم تلك الصورة !! يا الله ما أحلى تلك الايام !!

يقولون : كلما زاد قلق الانسان زادت سعادته •

وأقول : كلما زاد توتر النفس في الحرب ازداد اليقين باقتراب السلم الحقيقي القائم على الحرية الحقيقية والنصر الحقيقي للحق •

أمنيتي ، أن يصنع العرب لمستقبل الامة العربية الواحدة ، أياما خالدة مقبلة حاسمة ، تنطلق من قاعـدة الصواريخ العربية الجديدة ، الواقعة على أرض شهر تشرين الاول ــ رمضان من عامي ١٩٧٣ ميلادية و ١٣٩٣ هجرية •

وليسمحوا لي بأن أقدم باسمهم للمسافر القـادم العزيز ، الزنبق والياسمين ، أزهار تشرين الى السـادس من تشرين ، رمزا للتقديس ووعدا بالتحرير الكامل •

في ذكرى اليوم العظيم •

تحية عربية لقائد معارك التحرير ، الرئيس الفريق الاول حافظ الاسد والى الرؤساء العرب من المحيط الى الخليج •

دمشق ــ ٢٨ ايلول ١٩٧٤

المارد العربي ينطلق من قمم الصبر

حرب تشرين العظيمة قد نسفت من الجذور توقعاتنا كل توقعاتنا عن أهمية الاسلحة الحديثة في حسم المواقف في الحروب المعاصرة لصالح متفوق تكتيكيا دون آخر متخلف فنيا .

وهبت ريح حرب تشرين بين العرب واسرائيل وحملت معها الى هوة العدم مخاوفنا العربية السابقة وأوهامنا وأساطير العدو .

عند نقطة حربية زمنية ومكانية معينة تم تدمير العبقرية العسكرية الغربية الاستعمارية التي وضعت تصاميم الاسلحة الفتاكة ، عندما وقف الانسان العربي بطوله الاسمر الفارع ليرد بجسمه المعبأ بديناميت الغضب ، تقدم سلاسل الدبابات الاسرائيلية المصنوعة في أمريكا . كان يطلب الاستشهاد . ومن يطلب الموت تكتب له الحياة ، وقفز فارسنا العربي الى ساحة القتال الضاري يطحن فيها الحديد ليكون وجها لوجه، كالقدر ، أمام عدوه ، شاهرا شجاعته وسيفه العربي في وجه عدوه اللئيم الذي لم تشهد الامم عبر التاريخ عدوا بدرجة لؤمه وحقده ، هذا العدو



الفنان نعيم اسماعيل ـــ أنطاكية

الذي نسي في عصر الذرة والعقل الاليكتروني أن يتدرب علــى لعبة السيف والترس العربية ، فقتل رغم زهوه واعتداده بنفسه وبأسلحته •

وفي السماء العربية صــار القتال أيضا ، بالسلاح الابيض ، بين الطيار العربي والطيار الاسرائيلي • من يصدق ؟ ولكن في معركة تشرين صار المراقبون العسكريون في العالم يتحدثون عن أساليب العرب في الحرب تحت عنوان « صدق أو لا تصدق » • لم تعد أزرار الفانتوم تجدي • والفارس العربي يمتطي ظهر جواده يطير به كالسوبرمان المجنح واضعا طائرة الفانتوم ، أعظم اختراعات العبقرية العسكرية الامريكية ، وطيارها ، تحت رحمة حوافر حصانه الرمادي المعاصر ، يستمد معناه من معنى فارسه ، وشجاعته من شجاعة فارسه • في السماء العربية ركبت الميغ « ١٧ » ظهر الفانتوم • و « صدق أو لا تصدق » •

ووقف المراقبون العسكريون في العالم يتفرجون بذهول على تداخل أساليب حروب العصور منذ طروادة حتى فتح العرب لدمشق والاندلس، حتى حطين ، حتى الحربين العالميتين الاولى والثانية ، حتى حرب الهند والباكستان ، وحتى حرب تشرين ــ اكتوبر • ثم أخذوا يعيدون النظر بالعقلية العسكرية العربية على ضوء نتائج حرب تشرين بينما هبطت قيمة العقلية العسكرية الاسرائيلية الى درجة أدنى في سلم العلامات •

غيرت هذه الحرب الضارية بين العرب واسرائيل ، بعض المفاهيم التقليدية الراسخة عن الحرب • وصــار على المؤرخين العسكريين في الشرق والغرب أن يعتبروا حرب تشرين نقطة تحول جديدة في اسلوب الحرب الحديثــة في القرن العشرين • وصار عليهم أن يبدأوا بوضــع النظريات الجديدة انطلاقا منها للمستقبل •

وخسرت توقعاتهم عن تفوق الآلة الاليكترونية ذات الازرار ، على

الانسان . خسرت الآلة وربح الانسان . فالانسان هو الزر الاهم الاول والاخير ، والانسان المحارب صاحب القلب القوي بقوة الحق والارض في أية حرب مقبلة ، هو الرابح الاول والاخير حتما .

واكتشفت أنا معادلة رياضية هامة في هذه الحرب هي ان « النصر يساوي الانسان » . . الطائرة مهمة ، والصاروخ مهم ، والدبابة مهمة ، والعقل الاليكتروني مهم ، والقمر الاصطناعي يلتقط الصور الهامة ، الا أن البطل الحقيقي في معركة تشرين هو الجندي العربي الذي قتل الدبابة وظل حيا ، هو روح الانسان تفل الحديد .

هذا البطل بقوة غضبه الساطع قد تمكن من تدمير خط بارليف على ضفة القنال الشرقية ، والعقل الاليكتروني الذي كان يختبىء كالعقرب تحت لفة جبل الشيخ البيضاء الطاهرة ، قد دمرهما بقوتيه العظيمتين : قوة العقل الانساني الصافي ، وقوة القدم العربية الصادقة الشجاعة بحذائها العسكري العادي .

وبين الرأس والقدم كان القلب العربي يقفز بين ضلوع البطل نحو قمة الحياة لا نحو هوة الموت ، نحو النصر لا نحو الهزيمة ، نحو الوطن لا نحو خيام التشرد .

الفارس العربي البطل يتمطى كالمارد ، وينبعث من فوهة قمقم الانتظار والقهر والصبر ، بركانا حارقا تسيل حممه أنهارا من النار السائلة تحرق كل من يقف في دربها .

وأحس العالم بلذع النار ، نار المعركة العربية الاسرائيلية التشرينية .

فنار العرب هذه المرة نوعان :

نار الغضب العسكري العربى .

ونار الغضب البترولي العربي •

والثلج يحرق الايدي كما النار •

وعلى اسرائيل وجنرالات اسرائيل أن يقدموا الجواب عن سؤال العالم الذي احترقت أنامله بنار جليد هذا الشتاء البارد جدا جدا •

وتحية مني ، من أعماق القلب الى الانسان العربي الذي يتمدد على أريكة الوطن العربي من المحيط الى الخليج ، قويا قويا بعقله وعقاله بقلبه وسيفه وحصانه ، يصنع الحاضر والمستقبل ، مع انه يعيش في القرن العشرين ، الزمن الذي وضع فيه السيف في المتحف ، وتغيرت وظيفة الحصان والفارس في الحرب الى مجرد حصان متسابق وفارس فائز أو خاسر في حلبة السباق •

تحية لهذا المارد العربي ، المفاجأة ، التي أذهلت العالم • ولا شيء يعيد المارد الى القمقم •

قلبي وخوفي على المارد العربي الاسمر أن يستريح في دفء النصر وينـام •

لانوم برغم الدفء • لاقلب طيب رغم توفر الطيبة • لاتسامح مع العدو •

ولدى العدو ألف دليلة فاتنة مغرية محتالة •

وفي كل لحظة على العربي أن يرهف السمـع ، ويميز بين زائرة صديقة وزائرة دليلة تتقن فن مغازلـة المارد العربي الاسمر ومداعبة خصلات شعره الاسود ودغدغة عواطفه الفياضة • عليه أن يتذكر قدرتها الدائمة على قص شعر شمشون •

اليقظة !! اليقظة ..

حتى لا يتحول المارد الى شمشون معاصر مهزوم بفعل الحيلة والدهاء .

النوم هو العملاق الوحيد الذي يتمكن من اعادة المارد الى القمقم.

فلتقرع أجراس الحذر حتى لا ينام البطل أبدا .

دمشق — شتاء ١٩٧٤

* * *

الفصل العاشر

أقبض ضوءاً على الخطأ في زمن الحركة التصحيحية

في هـذا الزمن ...

زمن الحرية والعدل ، لي أمنية أخيرة ، وليست الاخيرة .أمنيتي أن أسمع صوت الحاكم الطيب الحكيم الحر العادل يقول :

ــ يا سيّاف . .أقطع رقبة هذا المجرم في الحال .

وينفصل رأس الخطأ عن جسده بضربة حاسـمة ، بحد السيف العربي الصارم ، ثم يعـود الراوي ليقول عن زماننا :

« وساد العدل بعد ذلك ، وانتشرت الطمأنينة بين العباد والناس ، وعادت الحقـوق الى اصحابها ، وبتر الفساد من جذوره ، ونـام الشعب في أمان وسعادة وراحة بـال » .

قلم صاحبة الجلالة في يدي ، فلم الخوف ولم السكوت عن قول الحقيقة !؟.



الفريق حافظ الأسد وزيراً للدفاع قائداً للقوى الجوية والدفاع الجوي ١٩٦٨
بريشة الفنان وليد عزت ـــ دمشق

والحقيقة محفورة على ميدالية ذهبية ذات وجهين : وجـه للحقيقة المرة وهو الاقوى ، ووجه للحقيقة الحلوة وهو الاضعف .

من الحياة اكتشفت هذه القاعـدة الثابتة . اللا .. هي الاقوى، والنعم .. هي الاضعف ، الألم هو المعلم ، والفرح هو التلميذ .

اللا .. هي موقفي من الخطأ أي خطأ، كائن من يكـون بطل الخطـأ .

سأقول على الورق ماأقوله عادة في كواليس الحيـاة .

لا .. لا.. لا.. لكل السلبيات . والايجابيات ليست بحاجـة لتصفيقي ، انها حقوقي . ومحاربتي للسلبيات قولا وسلوكا وكتابـة دفاع عن حقوقي ، مواطنة ، تحمل في صدرها هموم الوطن والمواطنين كل المواطنين . فأنا لست أنا . انا صوت المواطنين العالي . وبكـل فخر الكاتب الحر وكبريائه وثقته اقولها .

في ذكرى جديدة « للحركة التصحيحية » في السادس عشر من تشرين الثاني عام /١٩٧٤/ لاأشعر برغبة في الغناء . عندي رغبـة بالتفكير العميق . لدي توق شديد لتوقيف الشرطي الذي يسكن في أعماقي ويحكمني ، يلوح لي بعصاه الغليظـة :

اذهبي من هنا ، لاتذهبي من هناك ، تكلمي ، اخرسي ، قفـي ، اقعدي ، امشي ، لاتتحركي ، لاتقـولي ، لاتكتبي ، لاتتنفسي ، هذا الرأي ممنوع ، هذا الخط مسموح هذا الصمت أفضل ، هذا السلوك أجـدى وأسلم ... !!

سوف اتمرد على هذا الشرطي الذكي الصارم الذي يسكنني ، وأقفز فوق حواجز الخوف والحذر الشديد ، وأقطع قيودي الحديدية،

وأفك عقدة لساني ، وأشفى من عقدة الشلل ، واركض باتجاه أرض الحقيقة، كطفلة السنة الاولى تتعلم المشي والركض وحدها بلا ايد قوية تسندها خشية السقوط . لان المشي حقيقة قوية والوقوف والمراوحة في المكان والزمان « لاحقيقة » .

قول الحقيقة ، مهما تكن النتائج، صعود لاسقوط ، حرية لاسجن .

وقررت ان امتنع واتمرد على فضيلة الصمت على الخطأ في زمن « الحركة التصحيحية » وأكتب على الورق ، مايقال همسا وبعيدا عن عيون الكاميرات والميكروفونات والمطابع وأجهزة الامن وآذانها .

سأحطم اسطورة الحكمة الآسيوية الشهيرة المجسدة بتماثيل القردة الثلاثة : « لاأرى لا أتكلم لا آسمع . »...!!

ادعو باخلاص للحكمة الجديدة :

« أرى جيدا أسمع جيدا أتكلم جيدا .»

الكلمات لم تعد تقال همسا وسرا . جاءت الحركة التصحيحية واطلقت الحرية للمواطن ، بكل ثقتها بنفسها وبالمواطن . وصار صوت النقد مسموعا طائرا حرا بين النفوس بلا أدنى خوف من عصا رجل الحكم ورجل الأمن . وصار رجل الأمن صديقنا ، وعدو العدو فقط . صار النقد حاكما وصارت الحقيقة شرطيا ، وغدت الحرية قانونا انسانيا سائدا .

وكانت هذه الحرية هي القانون الطبيعي للمجتمع الديمقراطي كما أعاده الى الحياة والوجود رجل الحركة التصحيحية ، القائد العادل الحكيم .

رجل الحركة التصحيحية هو الذي فتح الضوء الاخضر أمام حرية المواطن ، وحق المواطن ، وأعاد للمواطنين معنى المواطنة ٠

ولو مدت العصفورة رأسها الى مجتمعنا ، لسمعت ما يبعث على الدهشة ٠ المواطن العادي والشرطي والمواطن المسؤول ورجل الأمن ورجل الجيش ورجل الحكم ورجل القلم ورجل العلم ورجل الفن ورجل العمل ، كلهم معا على مائدة النقد الحر ٠ ولم نسمع أن أحدا قد وضع أحدا في السجن لأنه قال الحقيقة ، أو لمس خطأ وأشار اليه باصبع الاتهام ٠ النقاش والحوار الحر في كل مكتب ، في كل بيت ، في كل مقهى ، في كل شارع ، وبصوت لا يتدنى الى مستوى الهمس ٠ وتتحرك الحرية في مناخنا الصحي بكل سعادة الوعي وبكل كبرياء الديمقراطية وشموخها ٠

«الحركة التصحيحية» ، كلمتان . الاولى هي « الحركة » ، هي التطور ، هي النمو ، هي المتغير لا الثابت ، هي المتحول لا المتحجر ، هي الحياة لا الجمود والموت ، هي الفرح لا الحزن ، هي الأمل لا اليأس ، هي الشجاعة لا الخوف ، هي الغد لا الأمس ٠

والكلمة الثانية هي « التصحيحية » آتية من صحح يصحح ، والصحيح والصواب ضد الخطأ ٠ والخطأ هو الشر ، والسداد هو الخير ٠ والخير هو أحد أعمدة الأخلاق كما علمتني الفلسفة : الحق والخير والعدل والحرية والجمال ٠

وتمد نظرية النسبية رأسها ، بل أكاد أقول تمد لي لسانها متحدية ٠ أراه جيدا لسانها ٠ أسمعه جيدا صوتها ، ولو أنه لايخرج من العقل الى الحنجرة فالهواء فالأذن ٠٠٠ أذني ٠ كل يرى الخير والشر حسب نظرية النسبية !!!

وعندما تتكاثر الأصوات ، وتتوالد الأعداد البشرية ، معلنة وحدة الموقف ، متفقة فيما بينها على تحديد مواطن الخطأ والصواب ، وملامح الشر والخير ، وصور السلب والايجاب فلا بد أن يمر مبضع جراح التصحيح ، يلغي الخطأ ويستأصل الأمراض اللا أخلاقية في المجتمع تحقيقا لرغبات الأكثرية التي يأتي من صفوفها رجل واحد فيتمثلها ويمتص آمالها ويتبناها ويحقق لها ما تريد بضربة واحدة تعادل كل الضربات ، ضربة معلم يرفع عصاه باسمنا ليعلن : أقول لهذا الخطأ : لا وأصحح ما اختل توازنه في ميزان التصحيح وزمن التصحيح •

يمر شريط الذكريات، وتمر على الذاكرة صور الأخطاء التي عانى منها المواطنون يوماً بصمت حتى كادوا يلامسون لحظة الاختناق ، كالشرنقة تختنق داخل وطنها دون أن تصنع الحرير •

وجاء الفرج • وفرحت سورية فرحاً عجيباً بنسائم الحرية ، حرية الحركة والحياة والعمل والتعبير داخل الوطن • وزال الكابوس • وخرجت مئات الألوف في المدن والقرى على امتداد سورية من جنوبها الى شمالها ، ومن داخلها الى ساحلها ، من شرقها الى غربها ، من سطحها الى عمقها ، تنثر قلوبها زهوراً عطرة على درب رجل الحركة التصحيحية، وتذبح الخرفان والجمال فداء لابنها البار وقد خرج من صفوف الشعب ليمسح دموع الشعب • وكأني بشعار الحركة التصحيحية :

« الحرية لكل مواطن ، الوطن لكل مواطن » ، يقول ويفعل مايشاء ضمن حدود مصلحة الوطن القومية ، وهذا أمر لايخالفه الا انسان ضد الوطن ، وهو حتماً ليس منّا ، وليس من هذا الوطن •

وعادت للمواطن العربي السوري ثقته بذاته فعادت معها ثقته بوطنه ، وزالت الأحقاد من الصدور ، وبلغ تلاحم فئات الشعب أوجه في أيام حرب تشرين الخالدة •

رجل الحركة التصحيحية ، أطلق من قفص الاستبداد طائر الحرية الفريد ، طائر الوجدان الحر والعقل الحر والسلوك الحر والرأي الحر .

وصار صوته المطرب الحنون ، الموسيقى التي تعزف في أعماقنا .

والطائر الحر « المعشعش » أبداً في أعماقي المرفرف أبداً في وجداني ، يفكّر وينتقد ويقول « لا » لموقف لا يحتمل الا" الـّلا الانسانية ، لكنه يغني طرباً ويقول نعم والف نعم ، ويصفّق بجناحيه لموقف يستثير في وجدانه مكامن الطرب .

في زمن الحركة التصحيحية ، طيور الوطن الحرّة التي تبني أعشاشها في قلوب وعقول المواطنين ، تعرف متى تغني للصور الخيّرة ، وتعرف أيضا متى تقول لا للصور الشريرة ، ولا أقول تبكي . البكاء ضعف ، والرفض قوة . طيورنا طيور ذكية عاقلة لها قلب يحب ، ولها أيضا عقل يفهم ، وتتمسك بأخلاق ومثل ، وترفض سيادة العلاقات الـّلا أخلاقية .

في زمن الحركة التصحيحية ، وبعد حرب النصر في تشرين مباشرة، وبعد أن عزفت طيور الوطن أعظم لحن وطني لأعظم سيمفونيّة عربية معاصرة مع العدو ، وآسفة أن أقول وأقرر وأشهد :

« ظهرت في مجتمعنا بعض الصور المنفرة وبعض الظواهر الـّلا أخلاقية في العلاقات اليومية بين الناس ، ظواهر أشعل أمامها الضوء الأحمر : « قف . لا . ممنوع المرور » .

لِمَ أقولها .. ! ؟ ببساطة أقول ردّا على التساؤل : «لانني ، لاننا نرفض أن تنمو وتثمر في زمن التصحيح » .

« مسح الجوخ » ، كلمة شعبية عثمليّة الجذور ، أكرهها واكره

الفعل الذي أتت منه ، والمعنى الذي ترمي اليه • لذا فأنا حذفتها من حياتي كاتبة وانسانة ، وسوف أحذفها من قاموس الكتابة في ذكرى الحركة التصحيحية • وطالما أنا أمسك القلم لن أردد كالببغاء ما قد قيل في مدح ايجابيات الحركة التصحيحية وانجازاتها • تلك الانجازات قد أخذت أبعادها ، ولم تعد بحاجة لتصفيقي وغنائي وأناشيدي في المديح•

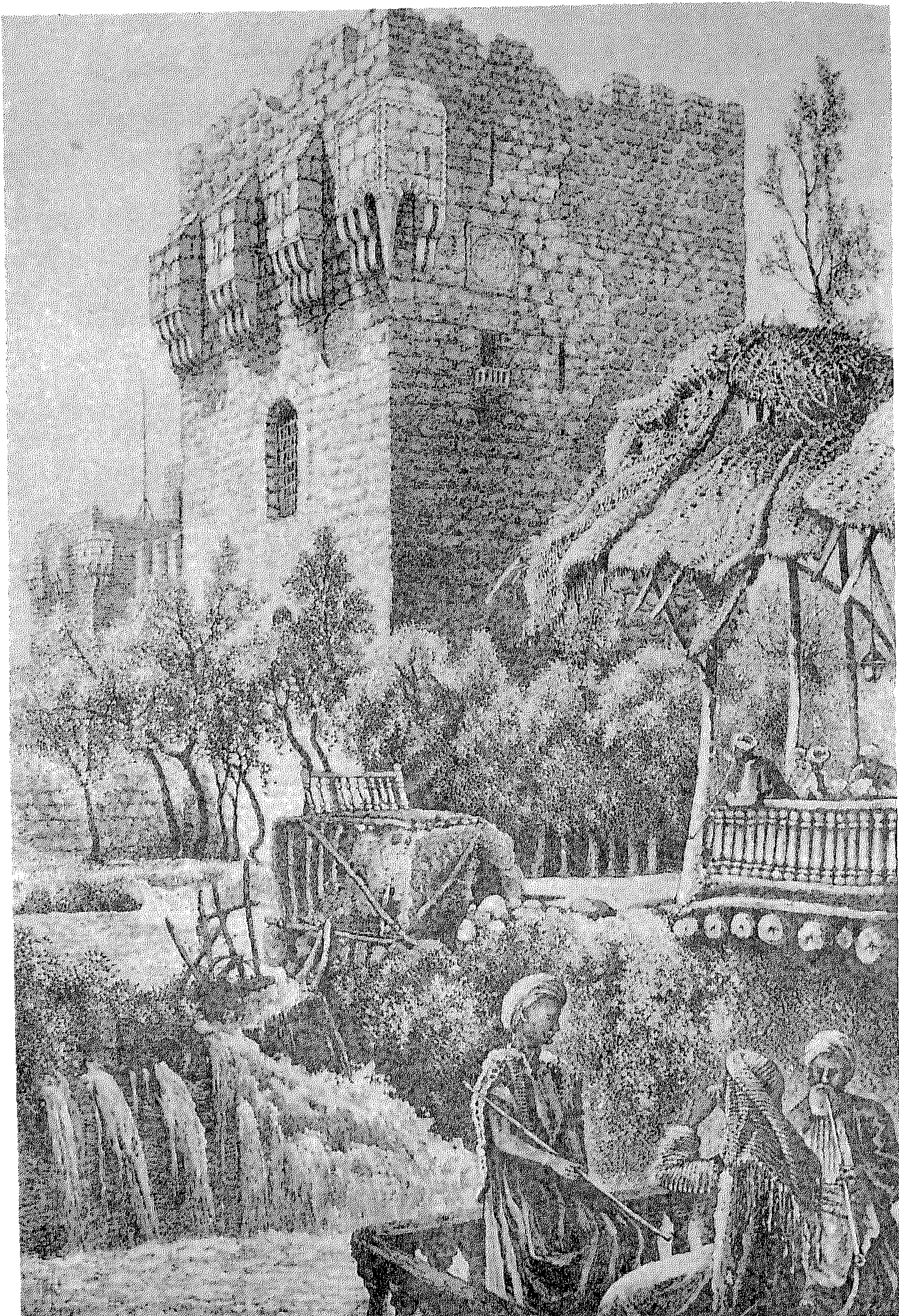
في هذه الذكرى ١٦ تشرين الثاني عـام ١٩٧٤ ، سأعلن حقيقتي ، المرأة الواحدة المتوحّدة فكراً ايماناً قولا فعلاً، نفيا للتعدد والتناقض•

سأكون على الورق أنا نفسي عندما أكون في بيتي وحدي أفكر ، أو مع الآخر أتحاور •

سأبدو أنـا كما أنـا عندما أتحاور مع من يفهمون من المسؤولين والمثقفين والجيّدين والطيّبين من أبناء الوطن ، ينتقدون السـلبيات لا تهديما وحباً بالنقد ، بل تحقيقا لنزعة التكامل ، ورغبة في النقـد البنّاء لا النقد للتخريب • والفرق عظيم •

لن أدقّ الطبول وأنشد الاناشيد وأرفع شعارات التأييد وآيات الولاء لمنجزات الحركة التصحيحية • لابد أن أكون أمينة مع الحركـة التصحيحية صادقة مع رجلها • فالولاء الحقيقي صدق حقيقي في الكلمة واخلاص مؤكـد في تعرية الحقائق • وقـد يكون صمتا مهيبا جديرا بالانتباه • فزمن الحركة واسـتمرار وديمومة ونمو نجـاح الحركة مسؤوليّة الكاتب والكتّاب ، الفيلسوف والمفكرين كما هو مسؤولية الحاكم والمحكومين ، والمسـؤول والمواطنين • هو زمـن بقناعتي ، كالنهر ، ويجب أن يكون نهرا صافيا هدّارا نقيا شفافا كالزجاج ، خاليا من الشوائب ، كأنه يتفجر من « عين الفيجة » ، في وادي بردى •

قال لي زميل مثقّف وكاتب متمكّن ومواطن يهتم بالسياسة :



قلعة دمشق ـــ لفنان أوروبي . بداية القرن التاسع عشر .

« أنت •• وكتّاب الوطن ، كلّكم ، ولنقل الغالبيّة منكم ، انصافا للحقيقة ، لاتكتبون الا" بشكل ايجابي وعاطفي عن الحركة التصحيحيّة وعن رجل الحركة التصحيحية الرئيس حافظ الأسد » •

ـ أنا ••• !! ؟

ـ نعم أنت •• وعدد كبير من الكاتبات والكتّاب والشعراء المشهورين !! •

واتبهت الى مايقصده ، وكأني" به يديننا بما نملك من الحب ، ويأخذ علينا عمى الحب السياسي ، لا يرى ولايسمع ولا يحس أوجاع المواطنين ، ولا يدرك عيوب المحبوب ، يتهم قلوبنا العاطفية بقلّة الروية، لا ترى الا" أفضل الصفات ، لا تركّز الا" على أجمل المزايا •

بل يكاد أن يقول : سيدينكم التاريخ كما أدان المتنبّي فأنتم كتّاب وشعراء واعلاميّو المديح في عصرنا للسلطة والسلطان !!•

وتذكرت يقينا ملموسا كامنا خلف ابتسامة الدكتور مصطفى محمود على شاشة تلفزيون القاهرة وتذرعت بها •

ابتسمت بيقين هادىء عميق الأغوار في وجه الزميل الثائر الكاتب الجيد النقي الطيب • الدكتور مصطفى محمود هو الانسان العربي المصري المسلم المتعلّم ـ المتديّن ، والكاتب القدير صاحب المؤلّفات الواسعة الانتشار ، والبرنامج التلفزيوني العلمي ـ الديني ، تبثه شاشات التلفزيون العربي ، يطل منه الرجل ، يتحدث ، يرد" بعقلانية وموضوعية عجيبة على شكوك وتساؤلات من يتحاور معه ، دون أن يكون موجودا أو معروفا ، يسمّيه « صديقي الملحد » ، ولا أذهب بعيدا ان كنت أشك بأن صديقه الملحد هو ذاته الثانية توأم ذاته الأولى المؤمنة بوجود الاله •

صديقه ينفي وجــود الاله يوماً ، وهو بايمانه العميق ومنطقــه السليم وتمكّنه من العلوم الدينية العالية والدنيوية المتقدمة ، يستوعب الصديق الملحــد ويؤكــد له بالمنطق العلمي وجــود الله ، دون أن يتكهرب أو يثور أو يتشنج أو يشتم أو يفقد اتزانه أو يتعوذ بالشيطان الرجيم من الكافر اللئيم .

يجيب صديقه ، يردّ على تساؤلاته ، يسحبه من مستنقــع الشك والالحاد والضلال الى حدائق الايمان واليقين .

ملحد وصديقي ... ! !

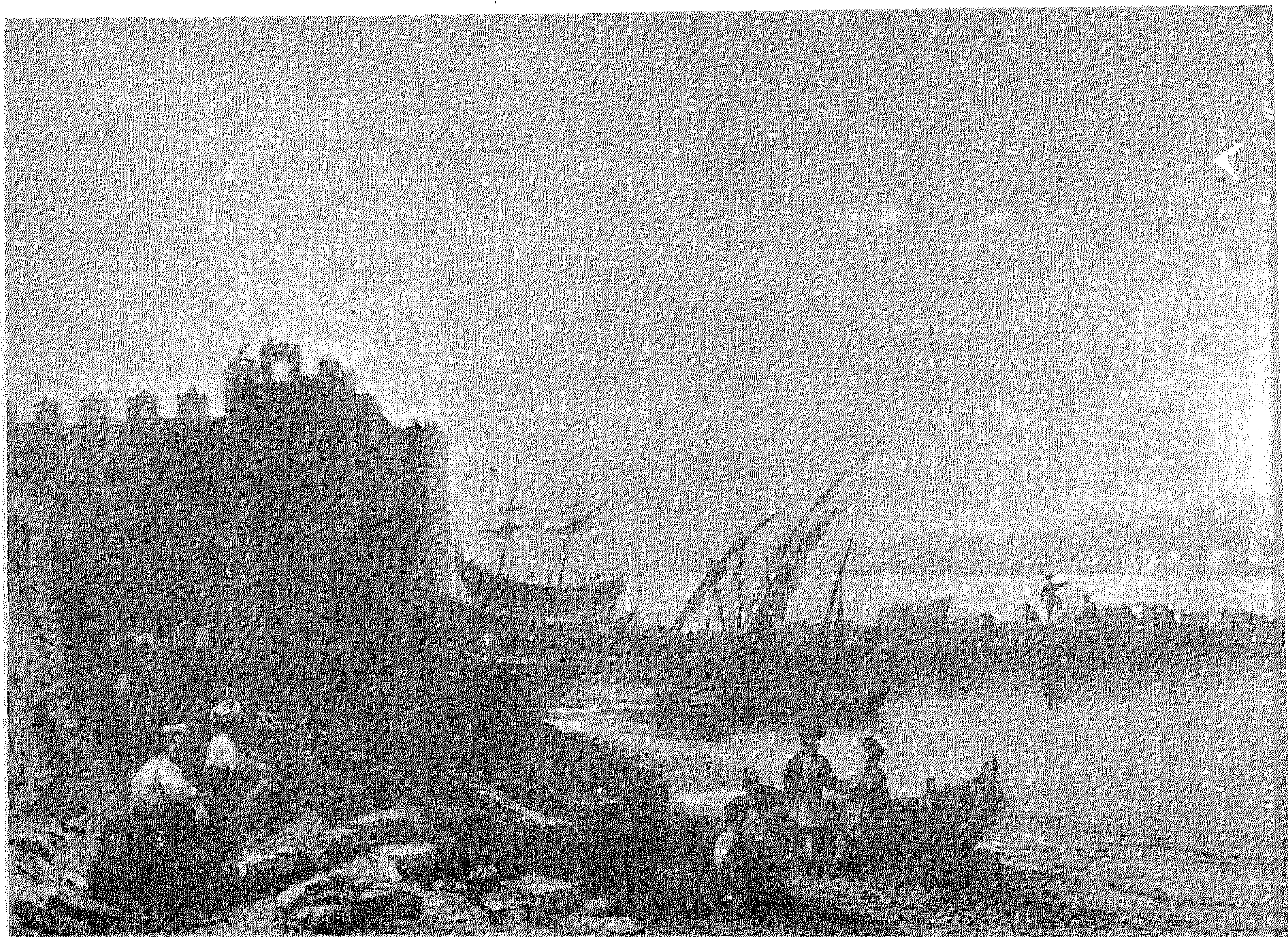
هنا تكمن موضوعيّة الدكتور مصطفى محمود بكلمتين اثنتين . فالحوار المنطقي بين وجهتي نظر هو الحد الفاصل بيننا ، وهو سبيلنا الى الحقيقة وليس الشجار ولا اللكمات .

وغاية أمنياتي أن أمتلك دائما موضوعية الدكتور محمود في كلّ حوار لي مع الآخرين .

أعود الى صديقي الكاتب الثائر ، ولا أقول الملحد . ابتسمت ، مع أنه أتاني ليعلن في وجهي غضبه المهذب على كتابتي ، وليسأل بحماسة واتهام سافر لم لا تكتبون عن السلبيات ، لم الايجابيّات فقط ؟ أنــا لا أفهم .. ! ؟

ـ اكتب أنت . . ! !

ـ أنا صامت ، لأني ان كتبت فلن أطلق عبارات المديح ، ولن أنحني مدحا بالتاريخ ومنجزاته الذهبيــة ، أنــا أفكر بالغد . أنتظر منجزات الغــد .



جزيرة أرواد ـــ لفنان أوروبي . بداية القرن التاسع عشر .

كتابتي يجب ان تتوازن مع وجداني حتى لايدينني التاريخ في المستقبل بأني أسهمت بقلمي في تغطية الاخطاء بكتابتي عن المنجزات الايجابية العظيمة دون الاشارة الى الأخطاء الكبيرة والصغيرة .

ربما تقولين : « السلبيات أمور داخلية صغيرة يعاني منها الوطن والمواطنون ، ونحن في حالة حرب دائمة مع العدو ، ولا بد أن نوجه جهدنا لسياستنا الخارجية وأمور الدفاع ضد العدو . لا بد أن نعمل كي ننتصر وتنتصر قضيتنا وتعود الأرض السليبة والأرض المحتلة وتنحل جميع المشكلات الداخلية الصغيرة »

مثلا .. مدينتي الصغيرة الطيبة المتواضعة على البحر ذهبت اليها في العيد ، رأيتها كما هي لم يتغير فيها حجر ، لمست تغييرا وحيدا مرعبا أثار شكوكي ومخاوفي . في مدينتي الفقيرة المهملة ، تنمو ظاهرة مخيفة لمن يفكر ، ويقف طويلا وبعمق أمام كل ظاهرة سلبية في مجتمعه .

الظاهرة يا سيدتي ، أن شوارع مدينتي الفقيرة المتواضعة تعج بالسيارات الجديدة الفخمة الغالية الثمن . الظاهرة يا سيدتي أن شباب مدينتي وشاباتها يرتدون أحدث الموضات ويتمايلون في الشوارع بلا هدف الا هدف الاستعراض . كيف حدث هذا ؟ ولِمَ يحدث ؟ لست أدري . .!! لصالح من تنمو هذه الظواهر التي تهتم بالمادة دون الروح ، بالقشر دون اللب ، لست أدري ؟

أحب مدينتي ، أحب أن تتطور من الداخل لا من القشرة . أحب أن أسمع شبانها وشاباتها قد حملوا اختصاصات علمية عالية ، وعادوا الى مدنهم وقراهم لممارسة الطب والهندسة والزراعة الحديثة والصيدلة والعلوم ، في مخابر ومعاهد ومستشفيات جديدة مجهزة ومدارس نموذجية ومعاهد علمية حديثة .

أحب أن أسمع خبر فتح مراكز سياحية وثقافية وفنية ونواد

أدبية واجتماعية ومسابح ودور سينما تعرض أفلاما جادة . أحب أن أشهد الحركة في مدينتي ووطني حركة بناء لاحركة عرض أزياء وعرض عضلات بسيارات مهربة . ويا خوفي من مستقبل هذا الجيل الـذي يركـب سيارات مهربـة . . ! ! الأخطاء كثيرة ، والظواهر السلبية اللاأخلاقية في مجتمعنا تنمو ، وتقولين أكتب !! وهل أملك أن أكتب الحقيقة كل الحقيقة ..!! هل أظل حرا لو أعلنت اللا في وجه الخطأ ؟

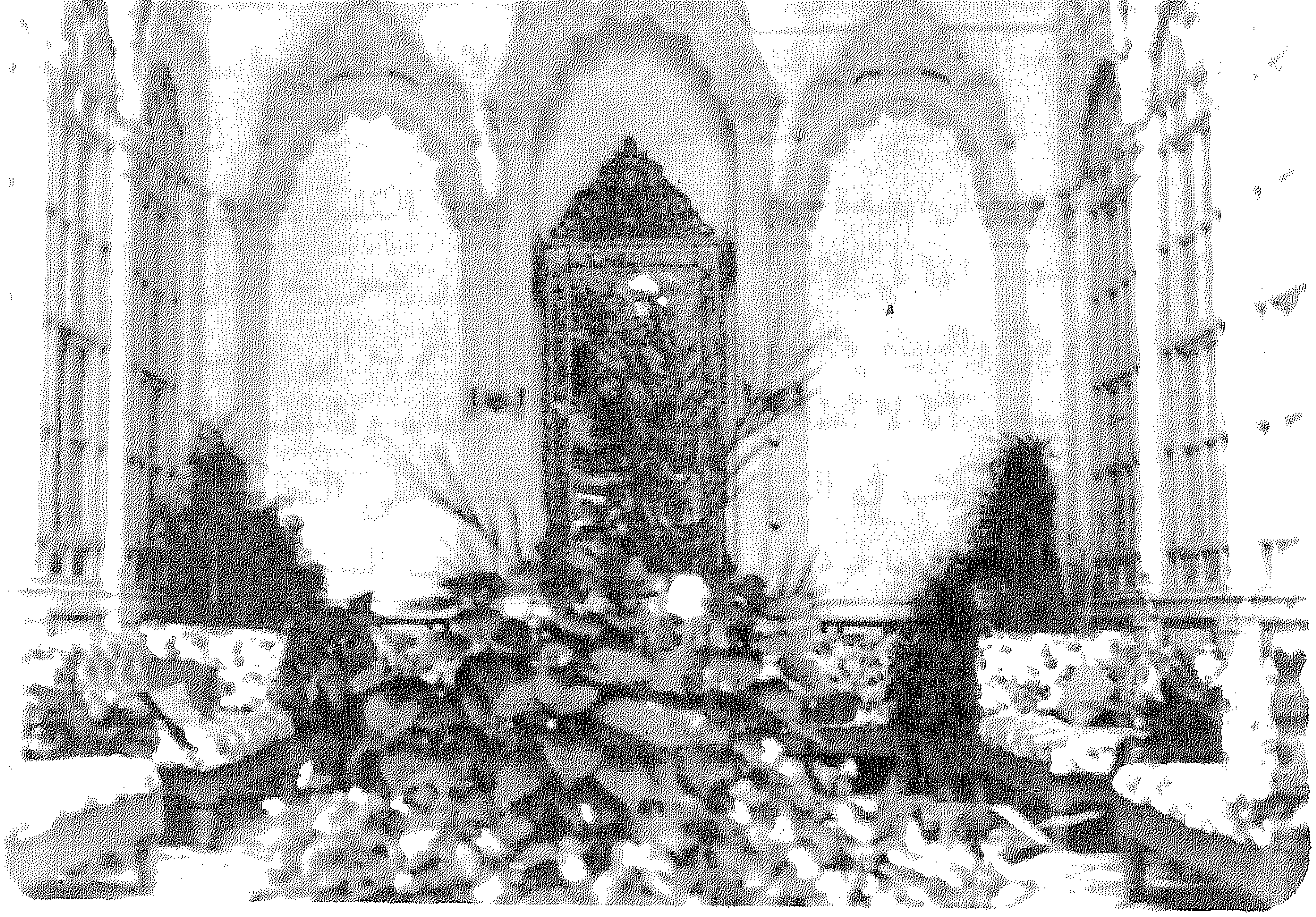
تكلم الصديق وتكلم . تركته يتحدث كما يحلو له دون مقاطعة. كنت كاتبة صامتة تستمع . وكان كاتبا صامتـا في السابق ، يتحـدث الآن بصوت عال ثائر .

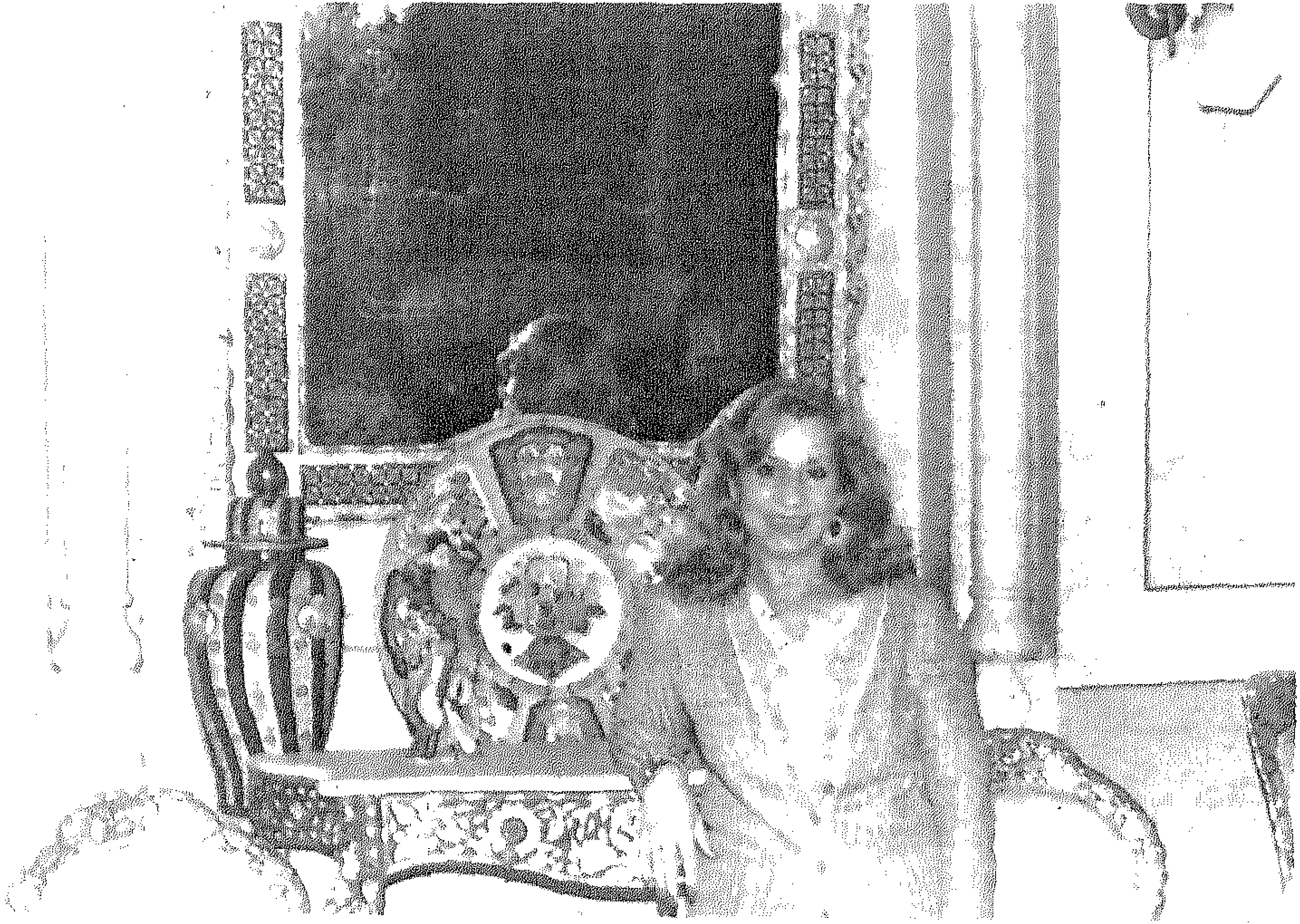
ما أعظم الفكر . وما أعظم الوجدان . كـم يمنح القلم في يـد الكاتب قوة تعادل قوة المحارب بسلاحه وايمانه بقضية وطنه .

أمر غريب . من أي جبل ينبع شعور الكاتب بالحرية والقوة ؟ لا . ليس أمرا غريبا . فلو نظرت الى أعماقي القويـة لاكتشفت أني ممتلئة بالحقائق التي أحب أن تتوازن مع حقائق الحيـاة على أرض الـوطـن .

كالاسفنجة البحرية الجافة ، امتص فكري جرأة صمت الصديق ، وكالاسفنجة البحرية المشبعة بالمياه تعطي عندما تعتصرها الذكرى .

أحببت أن أرد تهمة الصديق بأني لست من كتّاب المديح عمري ولن أكون . على العكس ، أنا معروفة في وطني وعند قرائي بأني كاتبة حادة النقد تجاوزت عتبة المجاملة . وما كتبته في الماضي القريب ، في الحرب وبعد الحرب مباشرة صدر عن قناعة كاملة فردية داخلية ، ولم يوجهني أحد أبدا ، ولست أنتمي الى أحد أبدا ، ولا أنتظر مكافأة من أحـد ولا أكتب انتظارا لكيس الذهب المليء بدنانير السلطان . أنـا





الكاتبة في دار الشاعر خليل مردم بيك.
مؤلف كلمات النشيد العربي السوري الخالد .
دمشق ــ حارة المرستان ــ زقاق البورص .
كاميرا الفنان معن معروف ــ جبلة

أنتمي الى الوطن فقط ، وقلمي مغمس بحبر يشرب مـن نبـع الحس الوطني العالي • أنا أنتمي الى قناعاتي ، وقناعاتي ، لا أنكر ، يغلفها مع المنطق العقلاني شيء كثير من عسل الحـب • والحب لا شك ، شرك يوقعنا أحيانا في مزالق بعيدة عن الموضوعية • الا" أنّ الكلمة لا تأتي من القلب وحده • انها في الاصل عقل • وعقلي يتطور ينمو يتفاعـل مع احداث الوطن والحياة بلا توقف ، رغم أني كاتبة أقرب الى الأدب منها الى السياسة • أنا لا أفقه في السياسـة وأصولها ، ولا أدخـل حوارا حولها ، لا أكتب في السياسة ولا أملك القدرة على التحليـل السياسي • أملك تعريفـا فرديـا للسياسة ربما لا يعجب السياسيين • لا يهم • « السياسة هي فن الكذب » • أنا صادقـة أحب من يكلمني بوضوح في عـز النهـار وأرفض ابتسامات الديبلوماسيين في حفلات الاستقبال •

أحب الوطن حبًّا جمّا ، جملة مازلت أرددها منذ سنوات الدراسة الابتدائية عندما كانت سـورية قبل عام /١٩٤٥/ تحارب الانتداب الفرنسي طلبا للاستقلال والحرية • فاذا كان حب الوطن سياسة ، فأنا اذن حسب منطق أرسطو سياسية وسياسية جدا • أنا مع حرية الوطن وحرية المواطن وحقوق الوطن وحقوق المواطن • فاذا جاءت الحركة التصحيحية لتعيد هذه الحقوق للوطن ، لنا نحن المواطنين ، فأنا مع الحركة التصحيحية جدًّا •

من مبدأ الوطن وحقي في المواطنة أنطلق أتصرف وأكتب •

يا صديقي •• في زمن الحركـة التصحيحية الذي نفرح بمناخـه المشبع بالحرية ، نحن الكتّاب نملك حق النقد والكلام البنّاء ، وأنا ضد صمتك وخوفك من النقـد وامتناعك عن قـول الحقيقـة ولو كانت مرة •

سوف أكتب في الذكرى ، وسوف أشير الى بعض السلبيات التي ظهرت على ساحة مجتمعنا ، بعد الحرب ، مع الأسف ، وأنا على يقين وثقة بأن رجل الحركة التصحيحية نفسه سوف يوافقني على اثارتها والاشارة اليها باصبع الاتهام ، لانه انسان كبير واثق من نفسه ومن حركته ومن شعبه • وهو الذي قال جملته المشهورة :

« لارقابة على الفكر الا ّ رقابة الضمير » •

ولو استمعنا بتمعّن الى مايثار في اذاعة البث المباشر في اذاعة دمشق ، ولو تصفحنا الصحف المحلية والمجلات ، لاكتشفنا مدى ديمقراطية الحركة ، ولمسنا مدى جرأة الكتّاب والاعلاميين والمواطنين وحريتهم في نقد أية ظاهرة سلبية تقف عثرة في وجه تطبيق القوانين ، ولعرفنا سر ّ مطالبتهم بحل مشاكل المواطنين حتى لو كانت المشكلة معلقة في احدى وزارات الدولة أو مع الوزير المختص نفسه •

قد أسمع تعليقا ساخرا ، بأن المشاكل كحب العزيز وأن الشكاوى كحبات المطر ، ولامن يرد !! هذا بحث آخر سوف أشير اليه عند عرض بعض الظواهر السلّبية الخطيرة في حياتنا وفي مجتمعنا ، والتي أحب أن أثير الكلام حولها ونحن نحتفل بذكرى جديدة تمر ّ على الحركة التصحيحية •

ياصديقي الكاتب الصامت ، أنا مثلك أرى الخطأ جيدا ،لكني ّ لن •أسكت عليه حتى لايدينني التاريخ على السكوت•فالسكوت عن الخطأ مشاركة في نمو الخطأ ، أمّا الخوف من الكتابة عن الأخطاء فهو أمر أستغربه منك ، فأنت من كتّاب الجيل والمرحلة ، وعنوان المرحلة الأول «الحريّة»،حرية الفكر وحرية السلوك وحرية الكلمة فلم الخوف !!؟ أنا قوية بالحقيقة ، وأنا أحب أن أؤكد لك التوازن بين قناعاتي الداخلية وسلوكي في الحياة ، بين ثورتي على الخطأ في الداخل مني ، وثورتي المنشورة على حبال الديمقراطية والاعلام الحر في وطننا • أختلف عنك



أعمدة آفاميا في الغاب ـــ لفنان مجهول

قولا وفعلا ، سوف أكتب وأقلع عن فضيلة الصمت التي تتحلّى أنت بهـا •

في زمن الحركة التصحيحية النامي نحو المستقبل الأفضل حتمـا ، وبعد الحرب التي تعتبر منعطفا تاريخيّا هامّا في حياتنا العربيّة المعاصرة ودرة في جبين سورية ومصر في ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ ، ظهرت ، مع الاسف بعض الظـواهر السلبيّة في مجتمعنا أحبّ أن أشير اليهـا باصبع الاتهام •

انّ ظاهرة بطء بعض المسؤولين العجيب في الدولـة والوزارات والمؤسسات الرسمية،لايجاد حلول جذرية وعاجلة للمشـكلات الجوهرية التي تقطـع أوصـال أفراد الشعب يوميّا وتحطّم أعصابهم ، وتسحق طاقاتهم الانتاجيّة ، وتشعل لهب نار الغضب في صدورهم ، ظاهـرة تستحق الدراسة • والمشـكلات يومية حياتية أساسية عامة وليست فردية:

الغلاء الفاحش الصاعـد بلا رقابة ، لا أدري الى أين في الأعلى ؟ والمواصلات المستحيلة الحـل كما يبدو ، المهلكـة لأعصاب الموظفين والطلاب والعمّال والمواطنين من كافة الفئات المتوسطة الدخل ، القاتلة للزمن الغالي •

وأزمة السكن الخانقة في المدن وخاصة العاصمة ، والتي تهـدد سكان مدينة دمشق بالعطش وبهجمة الصحـراء ، وبالنقص الغذائي وبموت الاراضي الزراعية في الغوطة حول دمشق الاسمنتية المعاصرة آكلة الاشجار والخضرة ، بعد عشرين سنة كما أقدّر أنا ، وبعد مئة سنة كما يقدّر المتفائلون ، ذلك كلّه ، بسبب ارتفاع رقم عدد السكان عن طاقة مياه عين الفيجة ونبع بردى ، وبسبب انحسار بساتين الشام والغوطة التي كانت تغذّي العاصمة بالخضراوات والفواكه واللحـم واللبن ومشتقاته والقمح والذرة ومشتقاتهما • أيام زمان كان شجر الغوطة يسحب الغيوم من الغرب من سماء البحر المتوسط وتسـقط مطرا سخياً وثلجاً •

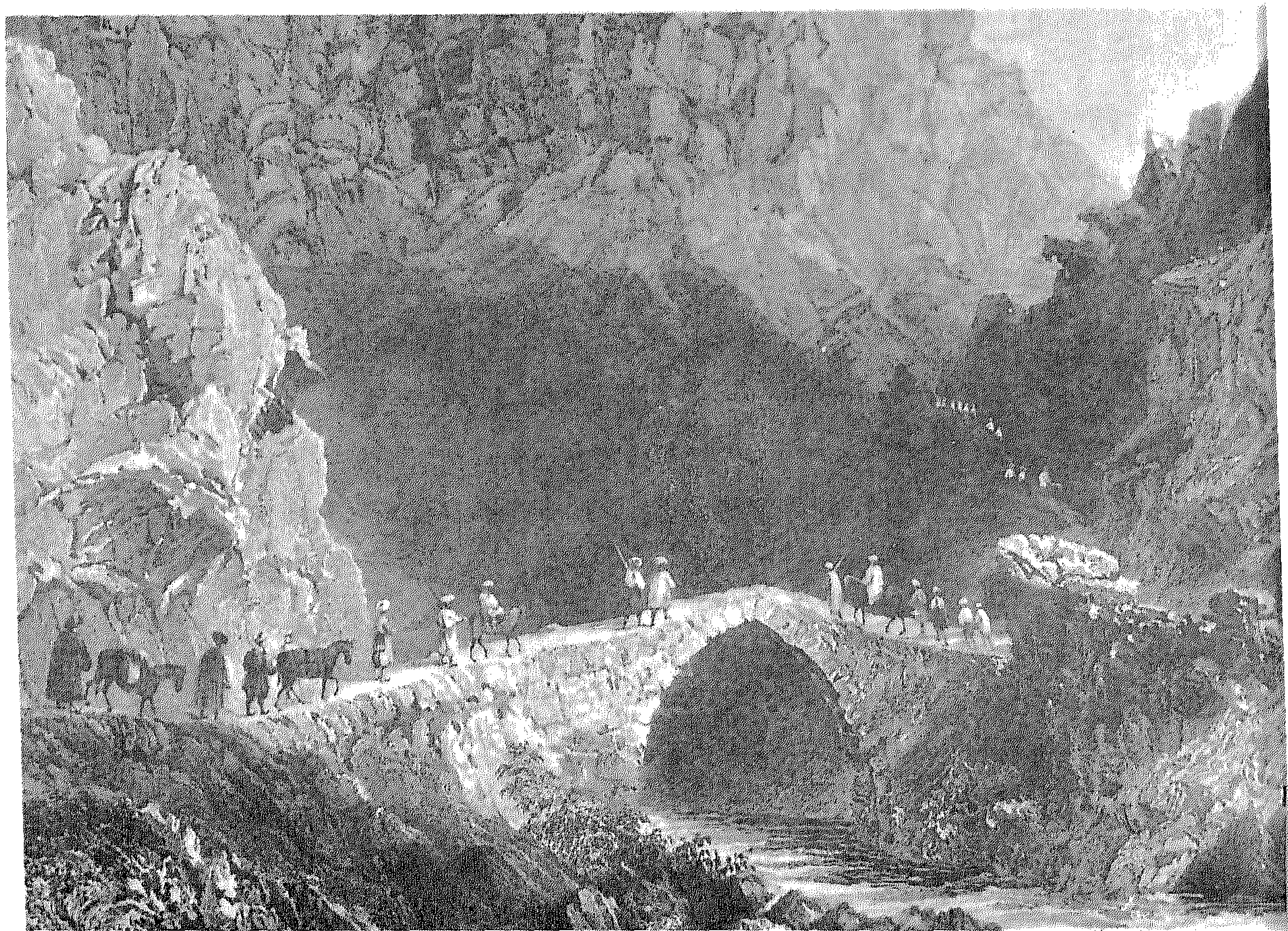
مثلا ، أنا ، أقترح اقتراحا هاما وجادا ونحن في عام / ١٩٧٤ / ، أقترح على المخططين لمستقبل القطر العربي سورية ، وعلى المهندسين والمنفّذين لبرنامج «سورية الحديثة» أن يبدأوا منذ هذه الايام ، ونحن نحتفل بذكرى جديدة للحركة التصحيحية ، بالتخطيط لتنفيذ اقتراحي الهام والخطير ، لتمديد أنابيب مياه لارواء الغوطة والعاصمة دمشق من مياه الفرات ، تماما كما فعلنا بالنسبة لحلب • كانت حلب صحراء فصارت جنة خضراء • وكانت دمشق جنة وفردوسا أخضر تجري من تحته الانهار ، وهي ستغدو صحراء محرقة ، وربّما تموت !! لا قدر الله • وان لم تفعلوا الآن ، فالتاريخ بيني وبينكم هو الحكم • أنا لا أمزح • أنا لست امرأة متشائمة سوداوية المزاج ، أنا لست امرأة تثرثر • أنا جادة فيما أقول ، أنا أرى الزمن الآتي ولا أغرق في متعة اللحظة • الرؤية المستقبلية استنتاج علمي مبني على معطيات الحاضر الواقعي •

ونزيف الهجرة من الريف الى المدينة الذي ترك القرى والاراضي الزراعية في سورية بلا شبان ، لم يخلّف فيها سوى الشيوخ والنساء والاطفال ، هذا النزيف سال على المدن وخاصة دمشق ، ليسهم في تضخم « كادر » الموظفين ، ولينقرض مع مرور الزمن من بلادنا الزراعية الرجل الاساسي للارض ، الفلاح ، ابن الوطن الحقيقي ، مالك الارض الحقيقي ، كي تموت الارض ببعده عنها لاسمح الله •

ظواهر أخرى •

ثورة تغلي في صدور المرضى الفقراء في هذا الوطن على تردّي الخدمات الصحية في المستشفيات الرسمية والخاصة ، ولا سيما في الريف ، الذي تفجرت الثورة منه كي ينهض •

ونسمع عبر البث المباشر نداءات المرضى في المحافظات واستغاثاتهم ، يطالبون بفتح المستشفيات والمستوصفات ، وتعيين الاطباء في الريف



نهر بردى ــ الزبداني . بداية القرن التاسع عشر .

وفتح مزيـد من الصيدليات المناوبة • وتلتهم أسعار الادوية المرتفعة في الصيدليات ما في جيوب الموظفين الفقراء من عامّة الشعب ، تسرقه من ثمن الخبز اليومي •

وتمر الايام علينا ، والصحة ليست بخير لو سألنا أحدهم : كيف الصحـة ؟

ظواهر اخرى •

ثورة مقابلة ساكنة بصمت وأدب في صدور الشبّان طلاب كلية الطب ، والمتفوقين في علاماتهم خاصة ، بعد صدور « أمر » منع سفر الاطباء المتخرجين من جامعاتنا الى الخارج للتخصص العالي •

والأمر في واقعه يحاول حل مشكلة نقص الأطباء في ريف سورية ، والاطباء الشبان الجدد الذين تخرّجوا حديثا أو هم على وشك التخرّج يقولون : انّ التخصّص أمر حيوي لخدمة المرضى من أبناء الشعب ، وأملنا بالمستقبل كبير علّه يجعل المسؤولين ينظرون بأمر هـذا الأمـر الذي يؤخر علومنا الطبية خمس سنوات ، فنكبر بالعمر وتتخلّى عـن حماسنا لمتابعة الدراسة ، وننقطع عن الجو العلمي ولانعود شيئا يذكر في عالم الطب المتطوّر ، ولن نكون أكثر من ممرضين على مستوى عـال يخدمون في الريف ويحقنون الابر •

سؤال ••• لم لايصدر أمر جدّي شديد صارم بتوزيع الأطبّاء الاختصاصيّين المتوضّعين في المدن بأعداد هائلة قصد الربح والحيـاة المرفّهة ، مع أنّ عددا كبيرا منهم من أبناء الريف ، الذي قامت الثورة من الريف لتطويره •••!!؟ لم لايصدر أمر بخدمة كل طبيب ريفي في منطقته الريفية ، فهو سيكون أكثر الناس اخلاصا لها بسبب حبه لأرضه وأهل قريته أكثر من حبّ أيّ انسان لها !!؟ ثم لا بأس أن يمـارس

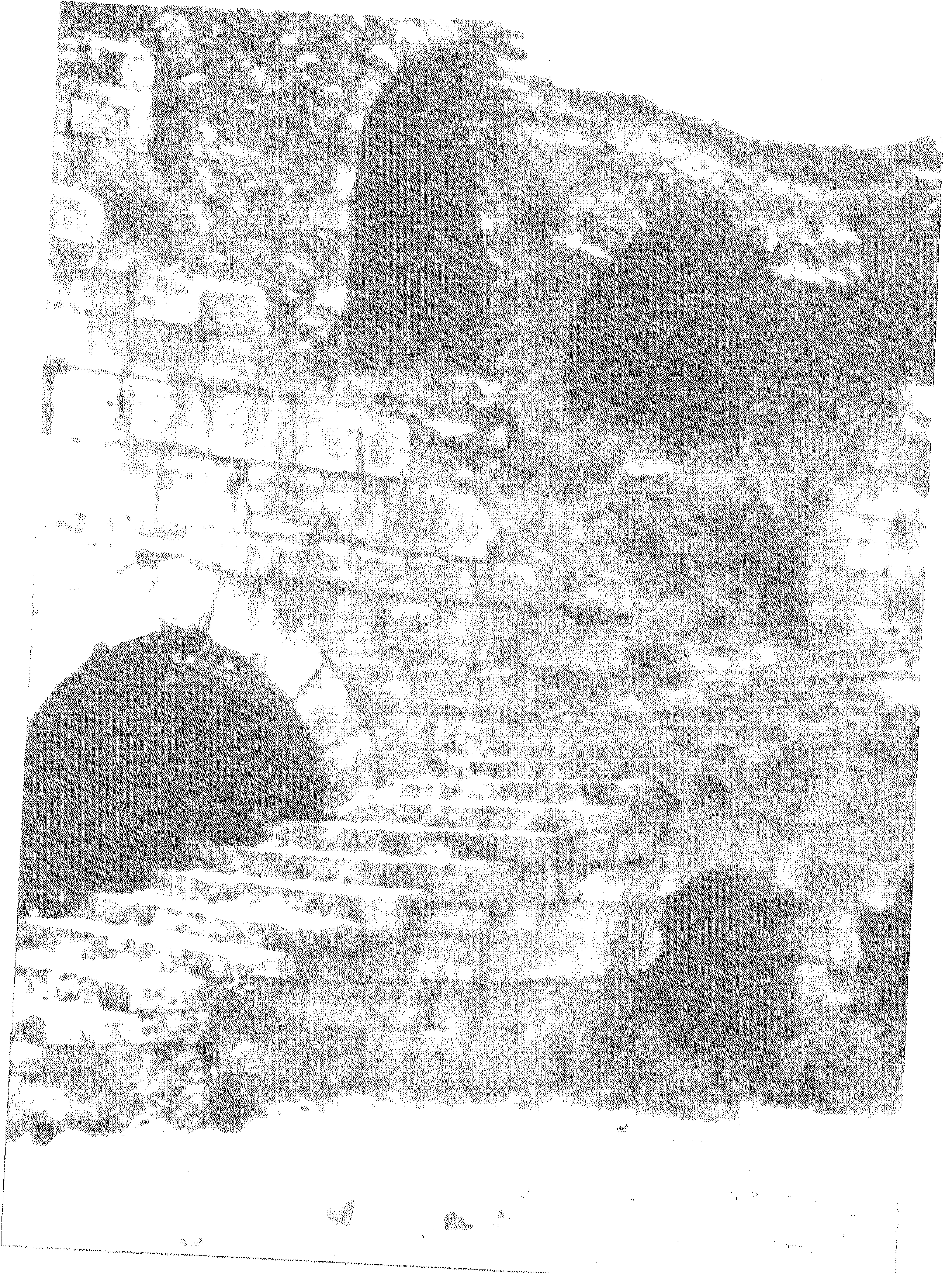
شعوره الوطني بالخدمة سنوات أخرى في محافظات أخرى . والتجمّع في العاصمة أو في المدن الكبرى ليس عدلا ولا طريقا لرسم معالم التطور على الخارطة السورية بالتساوي .

الثورات النفسية المشتركة في هموم واحدة كثيرة ، ويجب أن ينتبه المسؤولون لهذه الثورات الصامتة وأن يفجّروها لصالح هذه المجموعات المظلومة المقهورة.فالقهر المكبوت أخطر من أيّ مرض آخر في مجتمعنا.

آذن في جامعة دمشق . حضر اليّ . تذكّرني . ولم أتذكّره بعد مرور عشرين سنة . قال لي : أنت ابنة جامعة دمشق . اكتبي عنّي . عنّا ، نحن في الدولة حوالي مئة ألف مستخدم . راتبي حوالي /٤٠٠/ ليرة سورية . لو متّ فجأة ، قانون التقاعد لن يترك لأسرتي وأولادي أكثر من مئة ليرة . انّها مشكلة تقلق بالنا . كتبت للرئيس شكوى . لم يرد أعتقد أنهّا لم تصله . اكتبي . خاطبي وزير المالية الجديد . ربما ينصفنا ويدرس أوضاعنا . الغلاء يكاد يقتلنا ، والخوف من المستقبل يرعبنا !! .

وذهب . وظلّت تتردّد في ذهني مشكلة آلاف المستخدمين لم أكن على علم بها لأني لست ابنة مستخدم عجوز يخاف الموت فجأة وجوع أطفاله من بعده . ماالحل ..؟!

المواطنون يعانون من قلق خطير ، هو فقدان الأمن الداخلي ، مع احترامي الشديد للسيد وزير الداخلية ، ففي كلّ يوم حادثة سرقه ، والشرطة لا تقصر ، لكن السرقات تنجح ، واللصوص ينجحون بالهرب بأموال المواطنين وسياراتهم، وعملية تقصّي اللصوص واكتشاف بصماتهم تسير سير السلحفاة . يبدو أن أجهزة أمننا المختصّة بالسرقات ضعيفة ، وبحاجة لاعادة نظر وتجديد شباب ودم . عندي لائحة طويلة عريضة بأسماء أصحاب البيوت المسروقة والسيارات المسروقة .



قلعة تل مرقب ـــ بانياس الساحل
كاميرا الفنان رونالد لويس شليكر
ولاية تينيسي ـــ الولايات المتحدة الأمريكية

هذه الظاهرة الخطيرة لم تعد تحتمل السكوت والتأجيل . اللّصوص يلجأون الى حيل جهنميّة حديثة . ينزلون على البيوت من السطوح عبر الشرفات بالحبال في عز النهار ، وأثناء وجود الموظفات والموظفين ، وأصحاب البيوت ، في وظائفهم وأعمالهم .

لأول مرّة في عمري أسمع أنّ سكان دمشق يضعون على أبواب بيوتهم من الداخل أقفالا جديدة كبيرة معقدة لتعذيب اللص عند عملية فتح الأبواب،كما بدأت أرى في المحلاّت التجاريّة أجهزة جديدة أجنبية غربية مكتوب عليها بالعربية : « جهاز ضد سرقة السيارة » .

انّ أجهزة الحضارة الغربيّة تدخل بلادنا والحمد لله ، لتؤكدّ أننّا شعب عربي متحضّر يستورد الأزياء الحديثة وأساليب النهب والسرقات الحديثة حسب أحدث المسلسلات الأجنبيّة المثيرة التي تعرض على شاشة تلفزيوننا ، حتّى يتعلّم من يريد أن يثرى بسرعة أساليب الاثراء السريع للقضاء على الفقر نهائيا!!نحن شعب عربي معاصر متحضّر تتعلم فنون السرقة واللصوصية الغربيّة من شاشة التلفزيون ، ونركّب أجهزة غربية معاصرة لحماية أنفسنا وبيوتنا وسياراتنا وأموالنا ، من أنفسنا . والمسؤول منّا الذي لم يسرق بيته أو سيارته بعد لم يشعر بالهلع الذي يعانيه المواطنون عندما يأتي الليل وتبدأ طقطقة الأقفال .

سمعت مؤخراً بأن العصابة قد تّم القبض عليها . هذا شيء مفرح حقا . ولكن لم لايعزز جهاز الحرّاس الليليّين ، وجهاز الحرّاس النهاريين من رجال الشرطة !!؟

لم لا ننشيء كلية بوليس على مستوى عال ، تعدّ « كادرات » أجهزة بوليس راقية لتقصّي آثار المجرمين واللصوص والمنحرفين والشحاذين والشاذين من الأحداث المراهقين .؟ سؤال ؟ .

بالمناسبة ، تعتبر سورية من أكثر البلاد العربية أمنا وطمأنينة، وهي أقل الأقطار العربيّة في نسبة الحوادث ، ولكنني أريدها فوق مستوى النسب كلها رمزا للامن والطمأنينة .

موظفون برواتب معروفة محدودة ، وفجأة يشترون بيوتا فخمة في الاحياء البورجوازية الغالية ، بمبالغ خياليّة لايحلم بها تجّار سوق الحميدية ، تجعل ، الجيران يتساءلون بشك مسموع :

كيف « تمكّن هذا الرجل في هذه السن وهذه الوظيفة من شراء بيت بمبلغ /٣٦٠/ ألف لـيرة مثلا .. !! عدا الـديكور والرخام والمفروشات القادمة من ايطاليا مثلا ..!!؟[1]

سؤال يطرحه الجيران وأطرحه معهم ، بلا خوف ، مطالبة بتطبيق قانون يحاسب المواطن على مبدأ : من أين لك هذا ؟ من أين لك مبلغ ٤٠٠ أو ٥٠٠ ألف ليرة وراتبك ٦٠٠ ليرة سورية ؟

سؤال يجعل العاقل مجنونا ، ولا بد من جواب من لجنة المحاسبة تـرد لـه عقلـه .

ظاهرة الجشع والطمع وحب المال والظهور ، وتوتـر العلاقـات بين المواطنين بين تاجر ومستهلك ، بين مواطن وصاحب ملـك ، بين موظف وسائق تاكسي ، بين انسان يعمّر بيته ومتعهد بناء ،بين مستأجر وسمسار بيوت ، بين وبين ، واللائحـة طويلة . لم تعد بين النـاس علاقات محبة وأخلاق ومبادىء . المال المال المال ولا شيء غير المال والاثراء السريع ، وسحقا لكل المبادىء والقيم الروحية والاخلاقية !! لماذا ..؟ والى أين نسير !! ؟ أنا أريد أن أفهم . وهل مكافأة نصرنا

(١) نشر الكلام عام ١٩٧٤ . « الرجل المماثل » صار يشتري البيت بمبلغ /١٠/ ملايين ليرة سورية عام ١٩٨٥ !!

المبدئي والكبير في حرب تشرين /١٩٧٣/ ، هي هذه اللا أخلاق في بعض أفرادنا !!؟

٥ ــ ظاهرة ظهور طبقة من البورجوازيين الجدد خلفاء على درجة عالية للبورجوازيين السابقين الذين انتهوا بفعل الثورة الشعبية، ثورة الفلاحين والعمال من أبناء الريف السوري • يظهر أن للثورات كلّ الثورات « بورجوازيّوها » ، وهم فئة تمثّل المواطنين كلّ المواطنين ، المواطن الثائر ابن الريف ، والتاجر الجشع ابن المدينة ، أضيف عليهم بعض المسؤولين والتجار الجدد ومتعهدي البناء ومهندسي العمارة والذين يعتمدون مبدأ الرشوى فترسو عليهم مناقصات وزارات ومؤسسات الدولة •

واللائحة طويلة يعرفها المواطنون جميعا ، والكلام عن هؤلاء البورجوازيين الجدد يتردد في عرض الشوارع بلا خوف • الشريف لا يخاف يقول الحقيقة ولو على رقبته •

٦ ــ ظاهرة العمران الغوغائية في المدن والقرى والريف السوري عموما بلا أي مظهر من مظاهر التخطيط لتحديد هوية العمارة العربية الحديثة في سورية الحديثة ، ظاهرة يتحدث عنها بنقد لاذع كل المخلصين للوطن من الفنانين والكتّاب وعلماء الآثار والمهندسين وعشاق الوطن في الوطن • السكوت عن هذه الفوضى العمرانية جريمة قررنا ألاّ نرتكبها • من المسؤول عنها ! ؟ أريد أن أعرف اسمه !! والغريب أنك عندما توجه السؤال لأي مسؤول يقول لك بلا مبالاة من المحاكمة الشعبية الحتميّة المقبلة : لست أنا •• !!

من اذن ؟ أريد أن يجيبني أحد المسؤولين عن سرّ هذه اللعبة الخفية ــ المكشوفة • هدم تراث العمارة العربية الاسلامية في الوطن لصالح مـن ! ؟ •

وقاحة وقلة ذوق العمارة الاسمنتية الحديثة من وحي من ؟ تسأل، وكل مسؤول ينفي التهمة عن نفسه • ياله من مسؤول لابد أن يزول •

العمران يزحف في دمشق مثلا نحو الغوطة الغنّاء التي تحيط بالفيحاء زنارا من الفردوس الاخضر • لا فائدة من الكتابة • الكاتب الذي يحترم نفسه يصمت • مخطط ابادة الغوطة في طريقه الى الانجاز • من واضع المخطط ؟ مجهول ؟ معلوم • ماهدفه ؟ مجهول ؟ معلوم • هل يتوقف مرض السرطان عندما يتغلغل في جسد المريض !؟ أبدا • زوال الغوطة في نظري أمر تاريخي لابـد من حدوثه اذا ما استمرت الحال هكذا ، من اجل عمارة بناية جديدة نقطع مئة شجرة ، ومن أجـل مد اوتوستراد دولي نقطع آلاف الاشجار ان لم أقل الملايين •

أدعو المواطنين العرب في سورية وفي غير سورية أن «يتودعوا» من الغوطة ، وأن يشتروا الكاميرات ويصوروها بالاسود وبالابيض وبالالوان في فصل الربيع المقبل ليحتفظوا بالغوطة المزهرة في «ألبومات» التصوير ، وليطلعوا الضيوف الاجانب والسواح عليها حين تحين لحظة التفاخر ، كلّ يتفاخر بجمال الطبيعة في وطنه على طريقته !

قريبا جدا ، سنسكن كلنا نحن أهل دمشق وعشاق دمشق الشام ، مدينة من الاسمنت تحيط بها صحراء قاحلة من الرمـال وجهنم حمراء تحرق رياحها مع كل هبة أي أمل في نبتة خضراء قد تعاود الحنين للنمو والامتداد على جدران بيت في دمشق •

من المسؤول عن تصحير الشام ، أنا لم أعرفه بعد ! ؟ هل يدلني أحـد عليه ؟•

لا المسؤول يطبق أمر منع قطع الشجر شجر الغوطة وشجر بساتين الشام ، ولا يطبق أمر منـع هـدم الاحياء العربية التاريخيـة القديمة



بيمارستان النوري ـــ متحف الطب والعلوم عند العرب ـــ دمشق
القرن الثاني عشر م . ١١٥٤ م ـ ٥٤٨ هـ .
كاميرا سهام ترجمان ـــ دمشق

والاسواق العربية العتيقة في حلب والشام ، والذي صدر عن سيادة الرئيس الفريق حافظ الاسد ، ولا تاجر البناء يسأل أو يهتم، ولا المتهالك على السكن والزواج في طابق في عمارة حديثة في دمشق يفكر لحظة بأنه يقضي على أعظم مدينة عربية وأجمل طراز عمارة للبيت العربي في العالم. الغرب يقلد طراز عمارة بيوتنا ونحن نهدم الاصل ، يالحظ الغرب بمهندس العمارة ، ويالتعاسة الشرق بالجيل الجديد من مهندسيه . انه يعمّر خارج معطيات بيئته العربية . انه مهندس من السطح يحفظ المعادلات الرياضية غيبا ، الا انه خارج اطار روح الحضارة العربية والارض العربية .

لا أفهم . اذا كانوا لا يخافون من أوامر تصدر عن رئيس الجمهورية أو عن رئيس مجلس الوزراء فممّن يخافون .. !! اذا كان أفراد الشعب يرفضون ما يخططه لوطنهم هؤلاء المعماريون الهجينون ، فما الحل ، للدفاع عن هوية الوطن وعمارته العربية ، تحت شعارات الحداثة المزيفة المفرغة من المحتوى العربي المشبّع بروح التراث !!.

مللنا الكلام حول دمشق وغوطة دمشق نحن أهل دمشق . سقطنا في الياس الخانق لان عناد المسؤولين وتجار البناء واستفحال أمر الهجرة الى دمشق ، أقوى من الشكوى المرّة التي بدأ لهيبها يتصاعد من قلوب سكان المدينة الى قلوب الشبان الذين يحبون دمشق ويعشقونها وهم بالمناسبة ليسوا من أهل محافظة دمشق ولا من مواليد دمشق وريفها . سمعتهم . مجموعة تتحدث بثورة أين منها ثورتي الدائمة من أجل انقاذ دمشق التاريخ من الهدم والعمران الحديث البشع وقطع الشجر وردم الانهار السبعة الجارية في بساتين الشام وأحيائها .

أحدهم ، وزير شاب من كبار الكتاب ومن أبناء الساحل السوري ، وواحد من دير الزور ، صحفي وكاتب معروف ، وواحد من السويداء

خريج جامعة عالميــة ، وواحد من حوران مســؤول كبير في الحزب والسلطة ، وواحد من صيــدنايا ، كاتب متمكّن ، وواحد من حلب مهندس وفنان ، وواحد مــن اللاذقية ضابط معروف بثقافته الغزيرة وذوقه الفني وحسه الرفيع بالجمال ، وواحد من حماه ، مثقف كبير ومناضل ضد الاستعمار منذ الثورة العربية ، وذواقة للشعر العربي ، يتفاخر بانتمائه الى القبائل العربية الاصيلة في ريف حماه والتي تنتمي الى العرب المسيحيين قبل الاسلام ، وواحد من ادلب طبيب مشــهور وعالم معروف في الآثار دارس للآثار في الارض السورية ، كلهم يعشقون دمشق التراث والحضارة والتاريخ والاصالة ، كلهم ضد هدم البيوت العربية والغاء بردى وفروعه السبعة وقطع أشجار الغوطة وبناء سورية الحديثة خارج هوية طراز العمارة العربية •

دمعت عيني • وقلت لحبيبتي :

اقترب موعد انقاذك ياشام •• ياشامتي الحلوة الطيبة • الثــورة انتقلت من صدري الى صدور السوريين في سورية • يقولون :

«ليس لنا أعظم من دمشق ، ولا أغلى ، ولا أهم عاصمة نفخر بها» •

دعوة مني للمسؤول الحقيقي المخلص أن يدعو لعقد مؤتمر شعبي كبير في قاعة المجلس النيابي في دمشق لانقاذ دمشق القديمة والغوطــة ودمشق الجديدة والصحراء ، يشارك فيه المسؤولون في جامعة دمشق والجامعات السورية والآثار والسياحة وأمانة العاصمة وكليات الهندسة والعمارة والفنون الجميلة ، والكتاب والشعراء والنحاتون والفنانــون التشــكيليّون والموســيقيون والاعلاميون في الاذاعة والتلفزيــون « والبساتنة » من فلاحي بساتين الشام والغوطة ، وعــدد من أهالي دمشق وسكانها وعشــاقها ، وعدد من خبراء تخطيط المدن العــرب والاجانب ، وعدد من المستشرقين من عشاق بلاد الشــام الساحرة ،



باب توما ـــ سور دمشق .
كاميرا سهام ترجمان ـــ دمشق

للتداول في أمر عاجل وهام وتاريخي وخطير ، لدراسة الحال الذي آلت اليه دمشق بعد فوضى الهدم والعمران ، حتى لا تفقد دمشق أصالتها ، وحتى تصدر قوانين حاسمة قاطعة صارمة لا يجرؤ على كسر كلمتها ونقض محتواها تاجر بناء أمي جشع ، يدعمه ويقف وراءه مسؤول أو مهندس مدعوم مرتش يهوى الثراء على حساب الوطن والمواطنين .

فهل تتحقق لشباب الوطن هذه الامنية الملحّة ؟ سؤال انتظر جوابه بكل موضوعية دون أن أقصد الاساءة الى أحد من المسؤولين في امانة العاصمة ، لان العاصمة أمانة في رقبة السوريين كلهم ، وليست امانة في رقبة شخص أمين العاصمة فقط أو أحد معاونيه ، مع احترامي لجهوده في سبيل العاصمة .

٧ ــ ظاهرة الارتجال في بعض أعمالنا هي الاساس ، والتخطيط هو الشواذ وليس القاعدة . لم ..؟ ونحن في عصر العلم والتخطيط ؟

مثلا : صدر قانون المرور . هدد المواطنين بالسجون ودفع الغرامات . نسي المسؤولون عن القانون تحضير ممرات كافية للمواطنين بين الارصفة . وجاءت الحسابات خاطئة تقريبا ، فسقط القانون في هوة الفشل « والمألسة » والسخرية والنقد اللاذعين في بعض جوانبه ، وعاد المواطنون يقطعون الشوارع بشكل فوضوي ، وسقطت هيبة القانون مرة جديدة وهي الظاهرة الاخطر ، ان تسقط هيبة القانون في دولة تحترم القانون وتطالب بتنفيذ القانون .

القانون يجب أن يدرس من كل جوانبه دراسة جيدة حتى لايهوي في فوهة النقد المفترسة ، ولنتذكر ان كنا قد نسينا ، ان هيبة الحكم من هيبة تطبيق القانون . التخطيط يطبق بشكل عظيم في سياسة بلدنا سياسيا وعسكريا واقتصاديا ، وليته يطبق على الصورة نفسها في مجالات

التربية والتعليم والعمران والطب والزراعة وميادين الحياة الاجتماعية . قبل أن نستورد الاجهزة الحديثة الى سورية الحديثة علينا أن نعد الاجهزة البشرية لتشغيل هذه الاجهزة وصيانتها بشكل صحيح . اعداد الانسان أولا لقيادة السيارة وفن قطع الشارع والاوتوستراد ، وزراعة النباتات وسقاية الحديقة وحماية الثروة الوطنية شجرة أو جبلا .

لا يكفي أن نقول أننا نبني سورية الحديثة . البناء فن والدخول في العصر الحديث فن وعلم ومسؤولية .

مثل آخر : عدد من المكالمات الهاتفية من آباء وأمهات ، وردت الى البث المباشر ، يشكون فيها بأن أولادهم في احدى المدارس الابتدائية لم يأخذوا الدروس ولم يستلموا الكتب رغم مرور شهر على افتتاح المدارس .

البث المباشر يسأل مباشرة وفورا مديرة المدرسة فتعترف وتقول ليس الذنب ذنبي ، اسألوا المسؤولين في وزارة التربية !! البث المباشر يسأل مباشرة المسؤول في وزارة التربية ، فيرد بالحرف الواحد ، ولقد سمعته بأذني ، لاقيل عن قال ، يقول :

« شكرا للبث المباشر لانكم نبهتمونا ..!!! »

ماذا أسمع ... ولماذا ؟ وهل هي وظيفة البث المباشر تنبيه النيام على واجباتهم الاساسية ؟ أم هو واجب المسؤول يؤديه حسب خطة تربوية سليمة ، توزع المقاعد والكتب والتلاميذ على المدارس بالعدل ، وتفتتح السنة الدراسية في الصفوف كلها في الوطن كله في يوم واحد .

سؤال ؟

في زمن الحركة التصحيحية لي عدد من التساؤلات الكبيرة التي تتعلق بمصير أمة وشعب وثورة .

ثورتنا ثورة بناء في الداخل ونضال في الخارج • انها ثورة بنـــاء الانسان • فهل استطاعت الثورة أن تجعـــل الانسان العادي والمواطن الحيادي انســـانا ثوريا يتمشى مع روح الثورة عقيدة وسلوكا قولا وفعلا ؟ هل استطاعت السياسة الداخلية للدولة أن تحدد علاقتها بالأفراد على ضوء مفاهيم ومبادىء الثورة ؟ •

هل أصبح المواطن بالفعل وكما تتمنى ، متفهما ومؤمنا وأكثر قربا من خط مفهوم الثورة ؟ •

واذا لم يتوفر مانريده ونتمناه حتى الآن ، فانا أريـــد أن أعرف واحدد مسؤولية من تكون ، حتى نطالب بتحقيق امنياتنـــا على درب المستقبل •

مفهوم الانتاج في الدولة ، في الداخل ، عنه أتساءل ؟

هل الانتاج هو انتاج العامل والفلاح فقط ، أم هو انتاج الموظف في ادارته وانتاج الطبيب في عيادته ومشافي الدولة ، وانتاج المهندس في مكتبه ومباني القطاعين العام والخاص ، وانتاج التاجر في متجره،وانتاج الموظف في مركز المؤسسة الاستهلاكية ، وانتاج مدير المصنع في مصنعه ، وانتاج سائق الباص وسائق السرفيس وسائق التاكسي في سيارته •؟

مفهوم الخدمة العامة كما أفهمه أنا لا أن يؤدي الموظف خدمـــة للمواطنين ، بل أن يؤدي المواطن أيضا خدمة عامة للدولة التي تخدم مصالحه • فهل حدد أحد للمسؤول وللمواطن دوره في الخدمة العامة وشرح له أبعاد تأثير خدمته على رفع مستوى الوطن ؟

واذا أردنا أن ننطلق من نظرية رفع مستوى الفرد الانتاجي والثقافي والفكري ليعي الأمور ويفهم ما عليه أن يقدمه لوطنه ليؤدي هذا الوطن

دوره الحقيقي في حرب التحرير والبناء ، فمن هو الذي سيعطي المثل الأعلى للمواطن في التضحية ونكران الذات ؟ هل هو المواطن العادي أم هو المواطن الطليعي ؟ هل هو المواطن الارفع درجة أم هو المواطن المسؤول الذي يشد المواطن الى العمل المخلص ؟ من سيعطي القدوة للعامل والفلاح والموظف الصغير والطالب والتاجر والصانع ؟ من !؟ من !؟ .

مثلا . نحن قد خضنا بعد ربع قرن من الزمن معركة عظيمة الأبعاد . هل تم شرح أبعاد معركة الوطن التاريخية للمواطن على ضوء ما جاء في كلام السيد الرئيس ، وعلى ضوء آمال المواطن بأنه يريد نصرا قويا بعد /٢٥/ سنة .

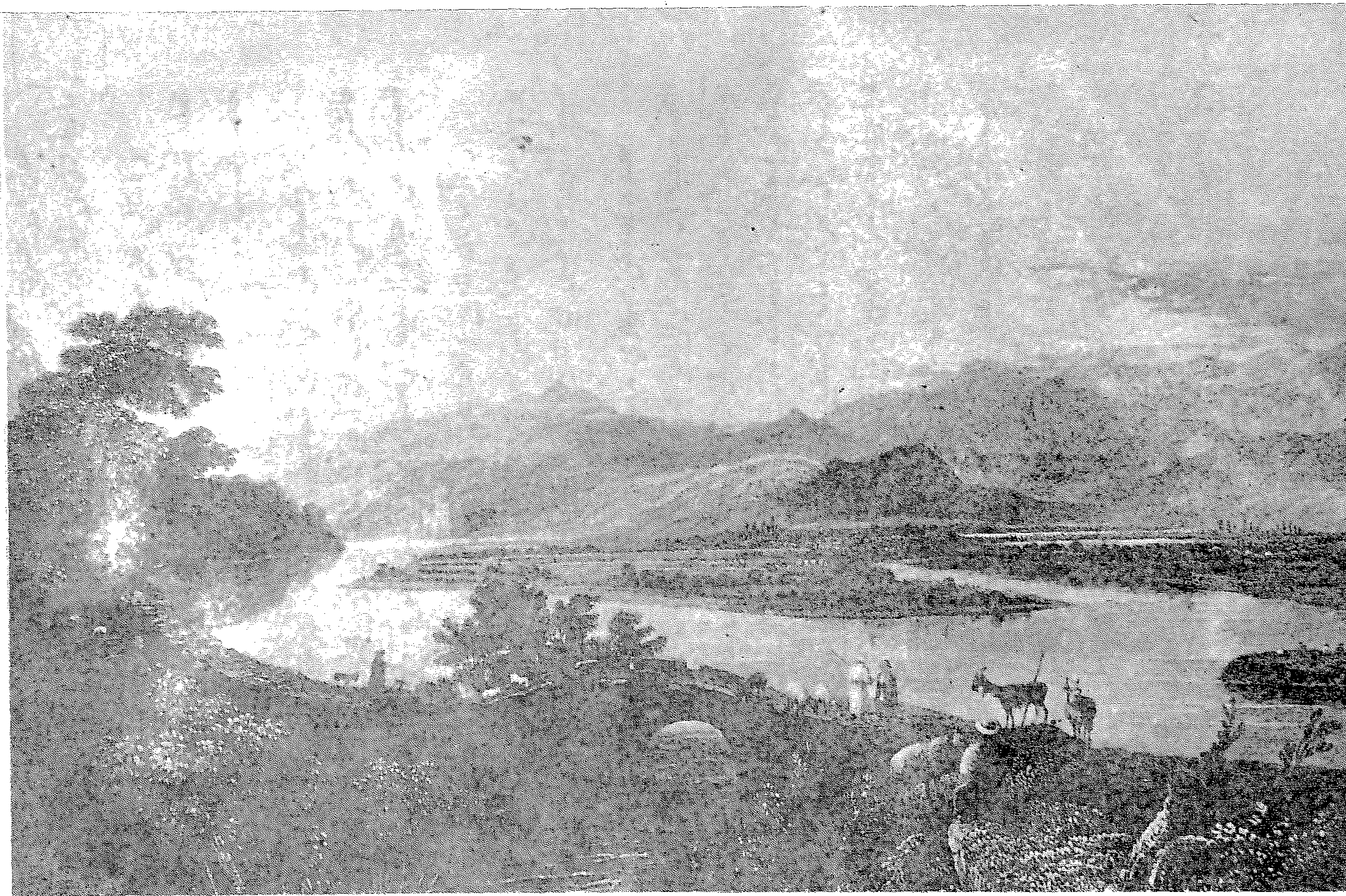
لِمَ نترك المواطن في فراغ ...!!؟ وحربنا حرب تحريرية تقوم على سياسة النفس الطويل !!

ولو فرضت علينا حرب ثانية لانكون فيها نحن البادئين . هل نجهز أنفسنا ومجتمعنا داخليا لحرب طويلة الاجل ؟ ومن سيحمل المسؤولية ويفعل ؟ سؤال يطرح .

مفهوم التضامن العربي المرفوع لواؤه حاليا ، هل هو التضامن المطلوب ، أم هو الحد الادنى من التضامن الذي حصلنا عليه حتى الوقت الحاضر ؟.

يجب أن نشرح هذا للمواطن كي يتفهمه . هل يوجد من يتمكن من شرح ظاهرة ارتفاع الاسعار في سورية للمواطن على ضوء ظاهرة ارتفاع الاسعار في العالم ؟ الظاهرة التي تعدت العالم الى سورية !!

هناك أحاديث كثيرة عن هذه الظاهرة . ويردد المواطنون : « لا الاجور ولا الرواتب المحدودة متناسبة مع ارتفاع الاسعار » .



نهر العاصي — لفنان أوروبي . بداية القرن التاسع عشر .

فهل من يشرح هذه الظاهرة على ضوء ما تتحمله الدولة من خسائر مادية لتؤمن المواد الاساسية للمواطنين في حدودها الحالية ؟

وبالتالي هل من يفكر عن الدولة ويشرح بأن الدولة لا تتمكن أن تقدم للمواطن أكثر مما قدمت ، ويشرح للمواطن السبب والعلة الكامنة خلف السبب .

أنا واحدة من المواطنين العاديين أريـد أن تشرحوا لي السبب ، فالشرح من حقي ، وأحب أن أرى الحقائق في نور النهـار ، وسياسة الصمت عن اعلان الحقيقة أرفضها سواء أكانت عفوية أم موظفة لهدف .

واذا ماكان الغبن واقعا على الدولـة او على المواطنين فيجب أن يوجد من يرفع هذا الغبن . أنا والمواطنون الصامتون جميعا نرفض صمت البيروقراطيين في الدولة .

هموم تسكن صدري ، مواطنة تحب وطنها تقدسه ، تحب للحركة التصحيحية أن تنمو وتزدهر بعيدا عن مواطن الخطأ . همومي هموم مواطنة عادية جدا قدر لها أن تدرس الفلسفة في جامعة دمشق يومـا وتتعلم المحاكمة المنطقية . تعلمت أن الحقيقة يجب أن تقـال ، وعلـى الانسان أن يعرف ماله وماعليه، حقوقه وواجباته . ومن مبدأ أرسطو « أعرف نفسك » انطلق .

وعلى طريقتي الخاصة جدا ، كاتبة عربية سورية ، تؤيد الحركـة التصحيحية ، أحتفل بذكرى جديدة للحركة التصحيحية .

كتبت وأكتب وأنا على يقين بأني سوف أظل طائرا حرا طليقا متفائلا بالمستقبل يغني طربا في سماء الوطن وعلى أغصان أشجاره .

دمشق ـــ ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٤
ذكرى الحركة التصحيحية

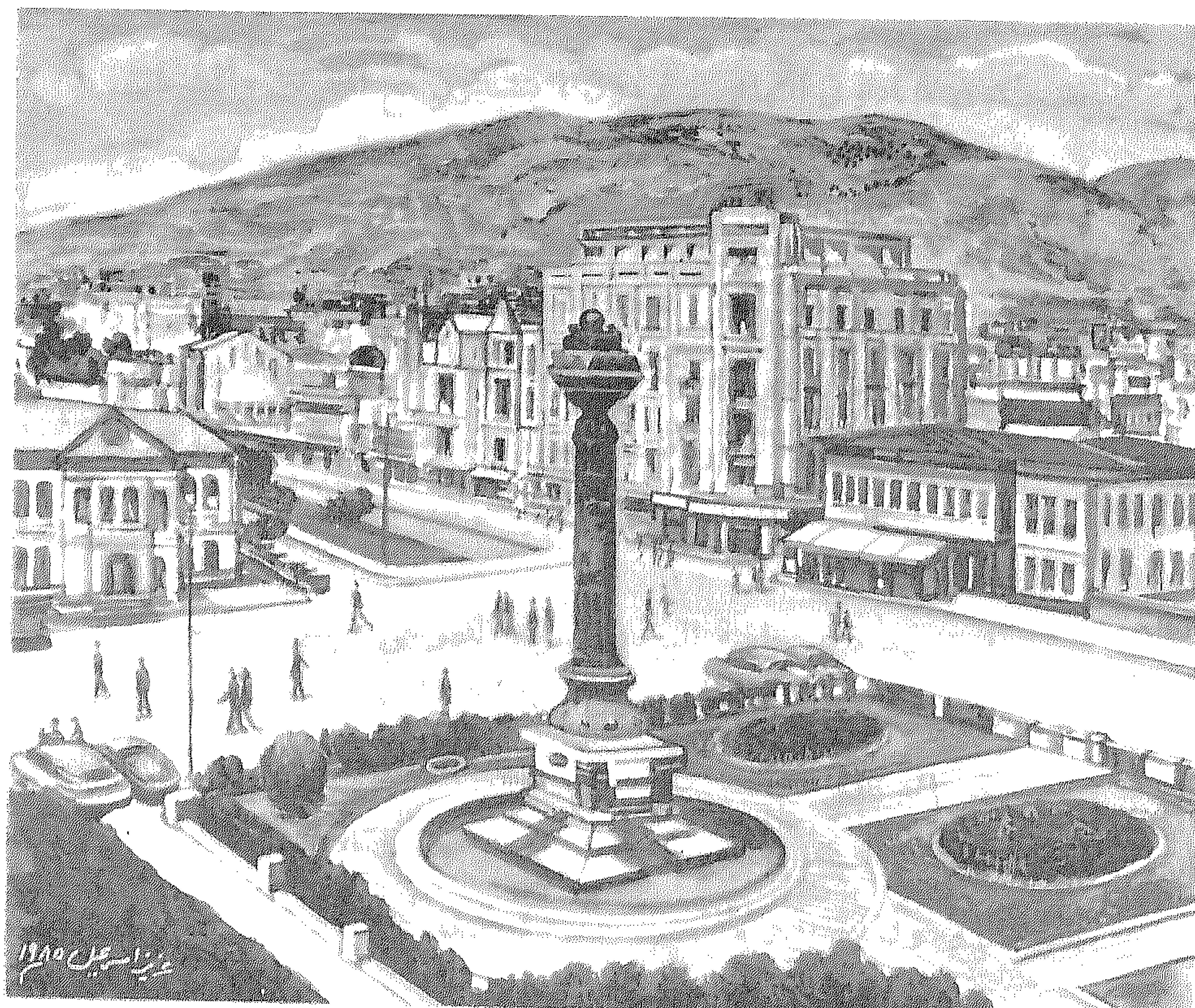
عصفور ضاحك ونسر غاضب

عندما تعود الذكرى ...

قلبي قفص ذهبي يضطرب . يخفق بعنف ، تتخبط فيه أجنحة الطائرين . ينفتح بابه فجأة . يفقد القفص هويته . يقول سكانه كلمتهم التي يجب أن تقال . أحد الطائرين يطير الى قلب دمشق ، الآخر يطير الى قلب الجنوب .

في قلب دمشق وقلب الجنوب البيت الحقيقي لا في قلبي .

عندما تعود الذكرى .. يفرح «قلبي الصغير» ويصير «عصفورا» يزقزق فرحا فوق سماء المرجة ، « ساحة الشهداء وساحة الجلاء » في ذاكرتي منذ كنت طفلة تسكن في حارة القره ماني في حي سوق ساروجة قرب المرجة . وذاكرتي التي تحمل تفاصيل مشاعر الرعب من قنابل الاستعمار الفرنسي ، والطائر فوق بيوت دمشق وأسواقها وحاراتها وأحيائها وشوارعها حول المرجة وسوق الحميدية والبرلمان ليل نهار ، هي نفسها ذاكرتي التي تحمل صور « ذكرى الفرح الاقصى للانسان » ذكرى الجلاء ، الاستقلال ، الوطن ، وهي هي نفسها ، ذاكرتي التي



ساحة المرجة «الشهداء» .
للفنان عزيز اسماعيل ــ أنطاكية

تضحك بسعادة لامثيل لها لتفاصيل أفراح تلك « الليلة التاريخية » في حياة أبناء جيلي يوم تجمعت دمشق كلها ، ليلة سهرت دمشق بكليتها ، عاصمة الوطن بأسره في ساحة الفرح ، ساحة المرجة ، ساحة أراجيح الابطال ، ساحة ذكريات الحزن على الشهداء ، وذكريات أعراس الجلاء عن الوطن .

الرجال بالشراويل والطرابيش ، النساء بالملايا والمناديل السود ، الاطفال بصداري المدرسة السوداء ، رجال الشرطة والدرك بألبسة الخاكي ، كلهم معا يدبكون يغنون ، يرقصون يتعانقون يبكون يضحكون يتبادلون التهاني يزغردون ، ينشدون مع المطربين والمطربات، مع الميكروفونات المطلة من شرفة قصر البلدية مع أصوات غنت حتى الفجر لن أنساها : رفيق شكري ، فتاة دمشق ، سلوى مدحت ، كروان، تحسين جبري ، أحمد ميرزا ، فتى دمشق ، أسعد سالم ، سلامة الاغواني ، عدنان راضي « المتكتم » ، محمد محسن ، سري طنبورجي ، صابر الصفح . رحم الله من مات منهم ، وأسعد أيام من لا يزال يعيش معنا ذكريات تلك الليلة السعيدة في عمر الوطن .

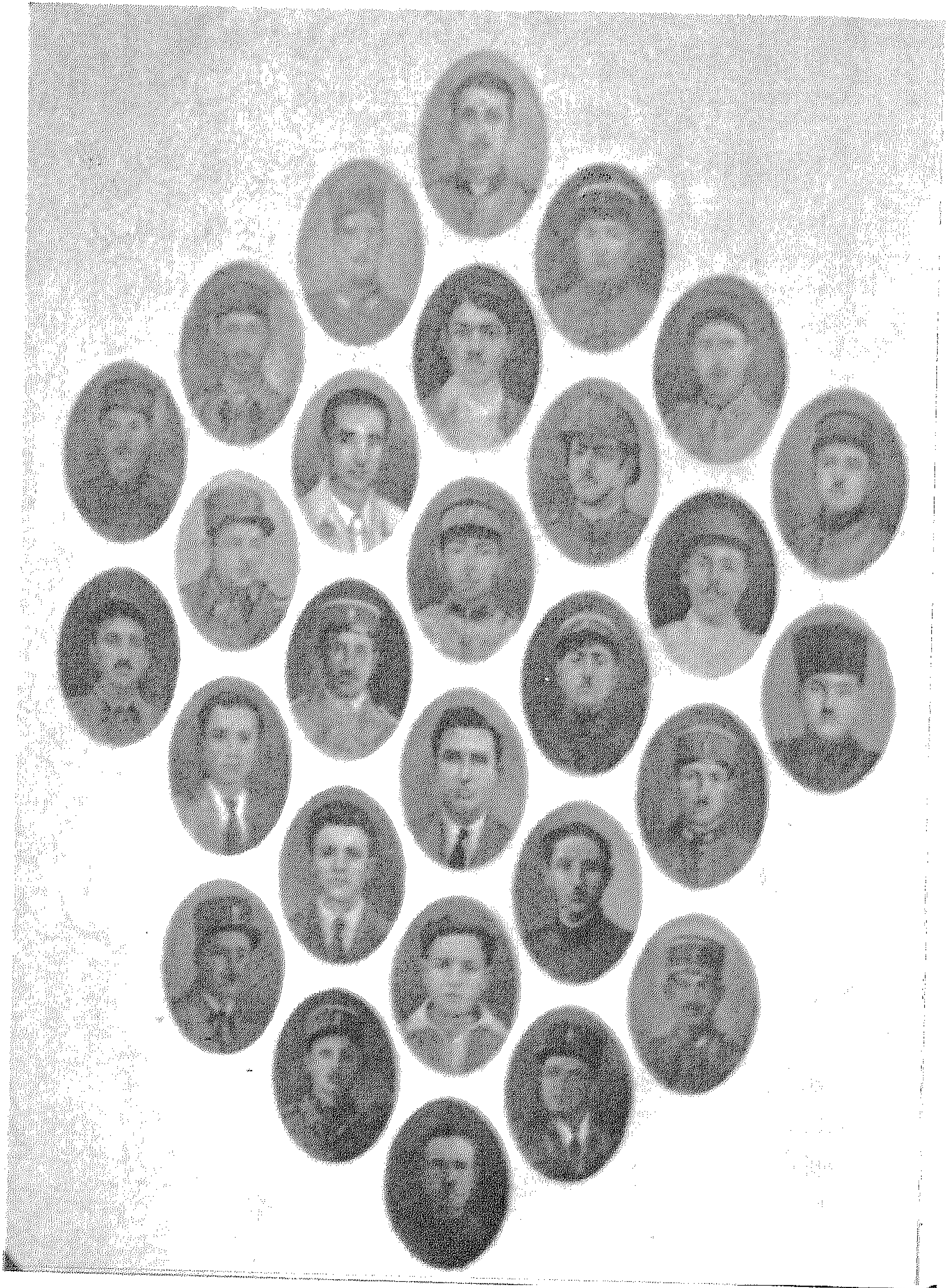
استشهد قائد حامية البرلمان سعيد القهوجي البطل ورفاقه دفاعا عن البرلمان رمز حرية الوطن . وعاد الوطن الى أهله وعاد الشعب ليلتقي تحت قبة البرلمان . بكت حارتنا شهيد البرلمان ابن الباش امام ، كما بكت حارات الشام بكافة أحيائها شبان الوطن من الشهداء الابطال في البرلمان وحول القلعة والاذاعة السورية وسوق الحميدية .

« والعصفور » قلبي الطفل الذي سهر يزقزق فرحا مع أهله تلك « الليلية » بلهجة نساء الشام في الاحياء الشعبية ، قلبي الطفل الذي

سهر سعيدا فوق سطح أشهر بناء حـديث في المرجـة قرب بنايـة « العابد ــ المنزل » التقليدي ، يصفق بجناحيه طربا طفوليا على انغام عراضات وموسيقى وأغنيات وأناشيد الحريـة • والشـام عروس في ليلة جلوتهـا • وقاسيون تاج يتلألأ فيه الماس على رأس الشام عروس الجلاء والعصفور « قلبي الطفل » الحر ، يرفرف حبا ودهشة لروعـة الجمال يشع من عروس الوطن المستقل استقلالا تاما في ربيع عام١٩٤٥ •

عندما تعود الذكرى مع الربيع ، يحزن « قلبي الكبير » الذي يعادل عمري ويتفوق عليه عمرا • ويستحيل الحزن الساكن الى طـائر من الغضب والعنفوان والكرامة والقوة والرغبة بالثأر عند العرب •

وأكتشف ان « الطائر النسر » يسكن قلبي الـى جانب عصفور الفرح ! غريب ! كيف يتسع قلبي لكليهما !! ويستحيل الحزن الساكن في قلبي الى نسر عربي رافض «لنصف الحرية» الذي فرضه محتل معاصر جديد اسرائيلي صهيوني ، ويطير النسر الثائر بعيدا عن قفص الصبر الذهبي في صدري محلقا بتوق مجنون فوق أزهار ربى جبال الحمة السورية طائرا بنزوع ثوري حول ينابيع الحمة ، مصفقا بجناحيه حول «المقلى » و «الريح» و « البلسم»مستنشقا بنهم « عطر غاز الكبريت» المسروق من الوطن ، ناشرا جناحيه حول حقول الزهر الأصفر والأزرق المنتشر بين الحجارة السود في ربيع الجنوب السوري وقد سرقه قراصنة العصر ، مقبـلا بمنقـاره وجـه وملامـح جبـل الشيخ وبانيـاس والجوخدار وفيق وخسفين وواسط والعال وكل حبـة تراب ، مثبتا نظره الثاقب على أمواج سطح بحيرة طبريا ، طارحا قضيته على العالم بجرأة النسور العربية ، صارخا في ضمير الاراضي العربية السورية



شهداء البرلمان السوري ١٩٤٥ ـــ دمشق
للفنان عزيز اسماعيل ـــ أنطاكية

المحتلة الغالية ، وضمير الاراضي العربية المحتلة ، وضمير أرض فلسطين المحتلة ، أن عودي يا قطعة من أرض الوطن العربي الكبير الى أحضان الوطن الأم .

عودي ياكبد الوطن العربي الى صدر الوطن العربي الام الكبرى. عودي ... تحرري بالكلمة بالطلقة ، عودي الى سورية لكي يكـــون للعيد معنى كاملا ، عودي لان الذكرى دونك ليست فرحة كاملة .

دمشق ـــ ١٧ نيسان ١٩٧٧

* * *

الشام على ضوء شمعة

الحالة آ ...

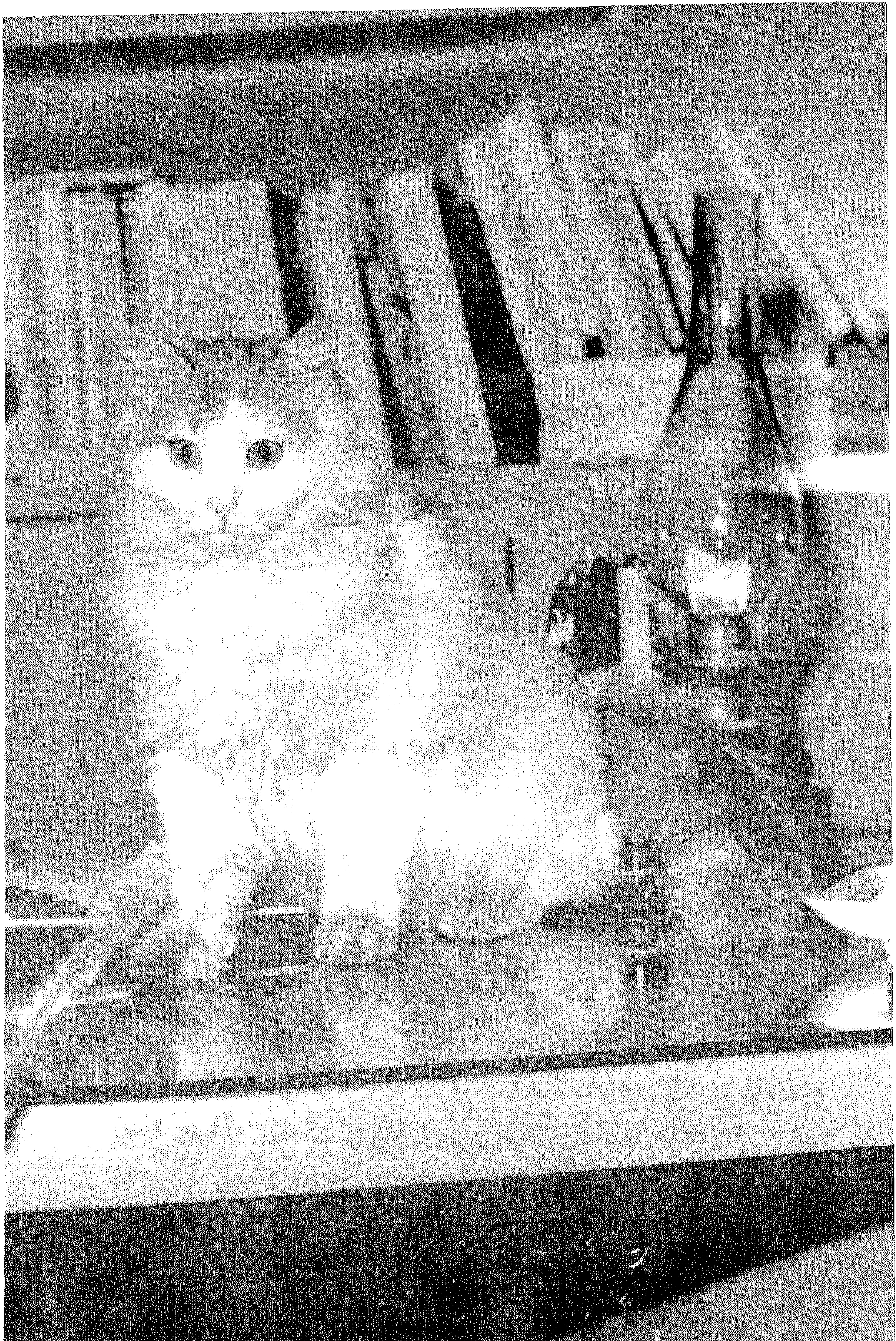
استنفار مئة بالمئة ...

الوطن في حالة حرب .

عاصمة الوطن مستنفرة كلية ، فهي خط الدفاع الاول والهدف الأول للعــدو .

نوافذ بيوت « الشام » مطلية بالنيــل الازرق . كــانت أمــي وجدتي تبيضان الغسيل النــاصع النظيف بمحــلول النيلــة زيادة في الاتقان . صار للنيلة في وطني زمن الحرب وظيفة دفاعية لاجماليــة .

مصابيح وثريات بيوت أهل الشام مطفأةباللون النيلي الازرق . زجاج النوافذ والابواب والمرايا داخل البيوت وخارجها ، مزين محصن بأشرطة متصالبة لاصقة على شكل الصليب المسيحي العربي + ، تأخذ أحيانا شكل حرف × باللاتينية وشارة الضرب بالعربية ، مــع انها في الاصل حركة ذكية لمقاومة الضرب الاسرائيلي ، وانفجار القنابل الحارقة التي تحول النور ، نور الشمس ونور النهار ونور الليل ونور العيون



الفنان مصباح سراج ــ حماه

ونور المعرفة ، الى ظلام دامس وعمى كلي وجهل قاتل ، بفعل تحول الزجاج الى ذرات من طحين الزجاج ، يطفيء نور العيون وربما نـور الحيـاة .

غدا الليل في الشام ليلا كاملا . التحم جبل قاسيون بغوطة الشام ببيوت الشام وشوارعها وأحيائها وبساتينها ونهرها ووجوه سكانها ، وصارت الشام تحت ظـلام الحرب شاما أكثر رهبة ، أكثر وحـدة والتحاما ، أكثر غموضا ، اكثر وضوحا ، اكثر قوة ، اكثر عندا ، اكثر شاما ، أكثر قربا من الحقيقة ، الحرية ، النصر .

وعندما تتعمد الارض ويتعمد البشر بالنـار ، يصير المواطنون ويصير الوطن سائلا ذهبيا حرا من الشوائب والاحتمالات الضعيفة ، كل الشوائب والاحتمالات الضعيفة .

وتعمد الوطن وأهل الوطن جميعا بنار الحرب المقدسة . وتعمدت الشام وتعمد أهل الشام بالنـار المقدسة وتشكل نهر الذهب الحر . وتشكل انبهار العالم .

العالم يطل على مدينة التاريخ وأقدم مدن التاريخ التي مازالت مسكونة حتى اليـوم ، الشام .. دمشق الشام ، قلب الوطن العربي الشاب أبدا ، الخافق بحب العرب أبدا .

العالم يمسك أنفاسه وقلبه على يده وهو يرى من نوافذ الترقب والانتظار والقلق والبعد والموضوعية والحياد والتحيز والمعية ، يـرى دمشق العربية ، سبيكة الذهب ، أرق وأعرق وأجمل وأقوى المدن والعواصم العربية ، وهي ترزح بكبرياء تحت غارات وقنابل طائـرات الفانتوم ، يرسلها العدو الاسرائيلي الصهيوني ، جن قهرا وهلعا من

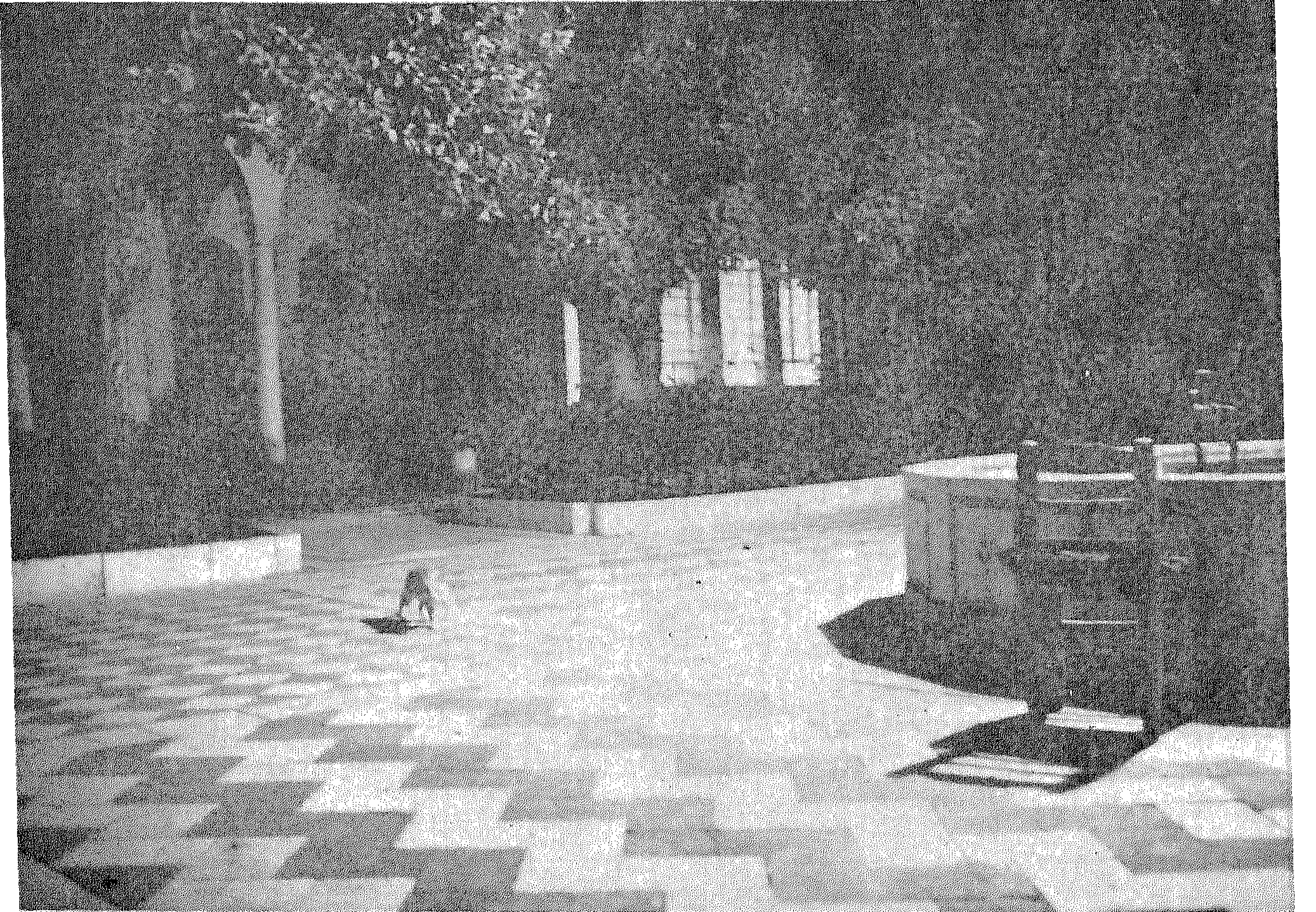
المباغتة ، من « ساعة الصفر العربية » في حرب السادس من تشرين الاول عام ١٩٧٣ ، وكانت ردة فعله الاولى على دمشق ، سيدة معارك تشرين ـ رمضان .

وكأنه يعرف بعلمه وخبرته وحدسه بأن دمشق هي المخططة الاولى لساعة الصفر في حرب عربية مختلفة الابعاد والتكتيك اشتركت فيها دول عربية ثلاث احتلت أراضيها بالقوة العسكرية الصهيونية في ٥ حزيران ١٩٦٧ ، هي سورية ومصر والاردن ، بالاضافة الى احتلال العدو الاسرائيلي « لفلسطين » منذ عام ١٩٤٨ بمؤامرة امبريالية .

ورأى العالم الواقف معنا ، والعالم الذي لم يكن معنا ، ما الذي جرى لدمشق الشام ولسكان العاصمة السورية بعد الغارة الاولى في عز النهار . ولم يصدق هذا الذي حدث . لم يصدق ردة الفعل العربية السورية الدمشقية ، لم يصدق !!

دمشق المدينة الام ، العاصمة الحضارية الطيبة الرقيقة الغارقة في عطر الياسمين المعرش كالقدر على بيوتها وأنفاس أهلها وسكانها ، وبشرة حسانها ، الياسمين الذي لم تتمكن منه ومن رقته وحنانه وعذوبته ونقائه ، أعمال ريح أول الخريف ، كما لم تتمكن أعمال الخريف من بعثرة ذهبيات تشرين الشام والغوطة ، ومداعبات مطرة أول ايلول . فظل الياسمين متمسكا بأغصان عريشته ، بجيد حسان الشام وصدورهن وشعرهن ، رغبته العنيدة ، رغبة الجمال ، أن يعطي أقصى ماعنده ولو في زمن الحرب . فالياسمين أقوى من الحرب وبشاعتها .

الياسمين ، ياسمين الشام ، قد علمني في السلم كيف أكتب عن الحب والجمال ، وعلمني في الحرب كيف أكتب عن مدينتي الاثيرة ، وأسميها « عاصمة الابطال وعاصمة الياسمين » . هي المدينة التي ما زالت



البيت العربي في عمق الشام في الليل ــ لفنانة فرنسية

تعيش سؤالا ملحا في أذهان الاجانب والمستشرقين ، يحلمون بالعودة اليها بحثا عن سرها ، عن سر زهرتهـا « جاسمان داماس » ، عن اسرار كنوزها ، مدينة الصدف الرهاج والموزاييك والبروكار والزجاج الملون المعشق ، والنحاس المزخرف بالفضة ، مدينة البيوت العربية المفتوحة على السماء ، على النور الالهي وشمس الحياة ، مدينة الطيبين والبسطاء ذوي القلوب القوية والنفوس الرحيمة السمحة ، والايدي الكريمة والعزائم الجبارة ، مدينة بردى ، مدينة الانهار السبعة بعيون الشيطان ، مدينة الجامع الاموي ، مدينة « الله أكبر » ، مدينة شهداء السادس من ايار ، ومدينة وزير الحربية البطل يوسف العظمة صاحب ميسلون ، الارادة العربية السورية ، الرجل الوطني الذي قال للمستعمر الفرنسي ، لا . لن تدخل دمشق بنعم . لن تدخلها الا على جثتي وجثة رفاقي في السلاح ، دمشق التي قالت لا لفرنسا وتحررت ورقصت وغنت وأطربت عشاقها . وكانت أنشودة الحرية من أعظم أناشيدها . وكان النفس العربي نفسها ، وكان نشيد بلاد العرب أوطاني نشيدها المستقبلي ، غناه العرب بعدها ، وكان نشيد حماة الديار خالدا في عروق أبنائها .

من هنا أفسر دهشة الذين لايعرفون دمشق من العمق ، وما زالوا حيارى في اكتناه أسرارها ، بل سر خلودها وديمومتها ، وجدلية نموها وتطورها .

هي المدينة الرمز تنمو خلال الاضداد وتكبر عبر آلية الجدل . من العذوبة والرقة فيها تولد الشجاعـة والفروسية ، ومنهما معا العذوبـة والفروسية تنبعث المقولة الحتمية المتولدة من العلاقة الجدلية بين ماضي الشام وحاضر الشام ومستقبل الشام .

والشام ، هي المدينة ، اللغز ، من العلاقة الجدلية بين الدماثة الكلية والرفض الكلي ، تنبعث وتسطع . ودمشق البطلة تولد في كل عصر ،

عقب كل أزمة ، واثر كل حرب ، ويولد المستقبل فيها والغد الاكثر تألقا، وتوهجا ونقاء وحرية وكبرياء • دمشـــق هي مدينة الكبرياء لا قوة تمحـــوه •

من هذه المعاني في صدر التاريخ ، لا في صدري وحدي ، أكاد أتمكن من تفسير دهشة الذين لايعرفون دمشق في العمق مني في العمق منها • موقفها أيام وليالي الحرب العربية المعاصرة مع العدو الصهيوني، جعلها مركز الاهتمام العالمي •

في ساعة الخطر واجهت دمشق الموت بشجاعة فكتبت لها الحياة بشرف • ولم يصدقوا أن «مدينة الياسمين والنار» والحرير والبروكار ، تعرف كيف ترتدي اللون الخاكي لون التراب كي تدافع عن التراب • لم يصدقوا أن المدينة المدللة تعرف معنى الصبر أيام الشدة •

وقالوا لسكان دمشق تلـــك الايام القاسية ، كجزء مـــن الحرب النفسية الاعلامية عبر اذاعة وراديو العدو ، ولدعم قنابل طائـــرات الفانتـــوم :

« اهربوا الى القرى النائية •••!! غادروا بيوتكم الى القرى والى المدن السورية النائية فورا !! موشي دايان وزير الحرب الاسرائيلي قادم لاحتلال دمشق يا أهل دمشق !! »

وكأنهم قالوا لهم : اياكم أن تخرجوا !! اياكم أن تغادروا الشام يا أهل الشام فالخطر قد زال والحرب قد انتهت !!

دخلوا كلهم الى بيوتهم ، بعض النساء والشيوخ والاطفال ، الجزء الاعظم مـــن نساء المدينة في المستشفيات ومراكـــز التطوع للعمل مـــع متطوعات وسيدات « الاتحاد العام النسائي » •

أقول : دخلوا الى بيوتهم وأحكموا اغلاق الابواب ، وقرروا قرارا خطيرا لايعرفة العدو حتى هذه اللحظة ، قرروا ، هم رديف الجيش ، أن



الفنان أدهم اسماعيل ـــ أنطاكية

يبيدوا جنود الجيش الاسرائيلي لو تمكنوا لا سمح الله من أحيـاء وشـوارع وحارات دمشـق بطرفيها القديم في العمق ، والحديث في السطح • وأي جيش غبي في هذا العالم ، يغامر مغامرة كهذه المغامرة المجنونة ، المشروع المستحيل ، محاولا دخول مدينة أحفاد صلاح الدين الايوبي ، الوشم الكاوي في نفوس الغربيين الاوروبيين الطيبين القدماء ، والصهاينة الصليبيين الجدد المعاصرين !؟

قال أهل دمشق الطيبون ، أهـل الحرية والنضال ، أهـل الحياة والحضارة ، نموت كلنا أو يموت المحتل • الفناء الكلي أو الوطن الكلي والحرية الكلية والكرامة الكلية • لا نقبـل بنصف حياة بنصف وطن بنصف حرية بنصف كرامة •

الشام الحلوة « المشكلة » بالياسمين ، صارت مجندة في السادس من تشرين الاول وما بعده من عام ١٩٧٣ ، وبرتبة عالية من الشرف على كتفيها • وتدافعت النجوم والاوسمة وتنافست على كتفيها وصدرها في موقع القلب • وكان شهداء تشرين وأبطال تشرين وأسرى حرب تشرين ، والمشوهين والمقعدين والفاقدين بعضا من أعضائهم الغالية ، هم الاوسمة على صدر دمشق وصدر الوطن •

أنا الليلة •• ونحن نحتفل بذكرى تشرين الاول من عام ١٩٧٨ ، اختلي بنفسي ، أرصد أناي في ليالي وأيام تشرين الاول ١٩٧٣ •

بين هذه الانا وتلك ، سنوات خمس وأحداث ومتغيرات •

في جو الحرب ، كنت أنا أرملة الشهيد النقيب فؤاد محفوظ حزينة ارتدي ثوبي الاسود وقلبي الاسود على زوجي الذي استشهد في مطلع عام ١٩٧٣ في معارك الاستنزاف الاولى مع العدو والتي أدت الى اعلان الحرب •

في جو الحرب ، كنت منفعلة مع الحرب • كنت أنا الحرب ، وكانت الحرب أنا • كنت أنا الشام المحاربة ، وكانت الشام أنا « العربية »المعبأة بالحقد على العـــدو ، المهيأة جــدا للحظة الثأر • كنت أعيش الثواني والدقائق بحرارة عالية ، رغم نسائم الخريف الباردة تهب على الشام ، تلطف جوها ، تلف أهلها بجو رومانسي حالم اشتهرت بــه على مدى الدهر ، تسكن أسرة النـــاس فيها ، تبعث في أوصالهم رعشات باردة ، تحرمهم دفء لذة النوم الدافيء ، وقد يستغرب المراقب ؟ والجواب ان اهل الشام كانوا انضباطيين في الحرب ، ونفذوا بدقة أوامر المسؤولين عن الدفاع المدني بضرورة فتح النوافــذ الزجاجية ، نظرا للاحتمالات العالية بتكرار الغارات المعادية ، فتحوا النوافذ بمنتهى الطاعة للنسائم الباردة وحاولوا النوم ، الا أن أهلي أهل مدينتي الحبيبة قد شقوا عصا الطاعة بعد الغارة الاولى المجرمة على احياء دمشق الحديثة ،تلك الغارة التي قتلت الاسر العربية السورية والاسر الاجنبية من الديبلوماسيين الاجانب في حي « ابو رمانة » وحي « المالكي » ، وصار «زمورالخطر» عبارة عن دعوة موسيقية حارة لهم ليلا نهارا ، كي يصعدوا الى السطوح والشرفات العالية ، وكي يخرجوا الى الســاحات العامة والبســاتين والشوارع والحدائق العامة والاسواق الشعبية المفتوحة ، للتفرج على « اللعبة المسلية » !!!

فقد غدت طائــرة الفانتوم المعادية الامريكية الصنع ، الصهيونية النازية الاسلوب ، غدت مع طيارها الاسرائيلي أضحوكة الكباروالصغار في الشام • وكان بطل اللعبة «الصاروخ سام» الروسي الصنع ، الانساني الهدف ، وكان الابطال غير المرئيين من رجال دفاعنا السوري الجوي ، والموزعين في كــل نقطة حــول دمشق ، هــم المقاتلون الاحبة الاعزاء الرابضون كالنمور وراء أسلحة الدفاع الجوي ، للذود عن سماء دمشق وسماء الوطن ، وعن مدينة دمشق وعن خريطة الوطن ، وصار الصاروخ

سام هو الصديق الحقيقي وهو الدرع المعاصر يرد لنا الحياة ، ويثـأر لشهدائنا ويثأر لشهيدي الذي قتلته في أوج العطاء وعز الشباب ، طائرة فانتوم أمريكية الصنع صهيونية الهدف نازية الاسلوب ، حرقت قلبي وحرقت حياتي • وبرد الجرح جرحي نسبيا ، عندما ثأر طيارونا النسور ورجال دفاعنا الجوي ، وكأن الحرب ماقامت الا من أجلي ومن أجـل الثأر لشهيدي وشهداء نوى وداعل في ٨ كانون الثاني ١٩٧٣ • كانت مشاعري حتى في الثأر أنانية للحظة ، ثم تذكرت أني واحدة من آلاف النساء الحزينات في وطني وأني جزء من « كل » حزين حزين ، واني رقم في لائحة أرامل شهداء الوطن •

أناي في الحرب كانت تنفعل بالاخبار ، بتطور الاحداث ، بصعود الخط البياني للحرب وهبوطه ثم صعوده ، وأناي كانت تعاني ككل انسان في هذا الوطن مشاعر جيدة أهمها الكرامة • لاننا اخترنا هذه المرة ساعة الصفر ، وهذا مؤشر جيد على قوتنا الذاتية عربا آثرنا الموت بشرف على الحياة بذل ، فكتبت لنا الحياة من جديد ، الكرامة العربية رايتنا الخفاقة في العالمين • ورغم المشاعر الانسانية الطبيعية لأي شعب مـن شعوب الارض في ظروف الحرب ، وهي مشاعر تنوس سلبا وايجابـا ، بين الترقب والحذر ، والتوق والأمل والخوف والشجاعة ، والخشية من الهزيمة والارادة والرغبة في النصر الكامل، الا أن شعبنا العربي السوري بالتعاون مع قواتنا المسلحة في الجيش العربي السوري والجيش العربي المصري والجيش العربي الاردني ، والأخوة المقاتلين من المغرب العربي والسعودية والسودان والجزائر واليمن وفلسطين ، قد خرج من الحرب، شعبنا ، بنتائج هامة أهمها وعلى رأسها «استرداد الكرامة العربية» التي فقدها في حرب الخامس من حزيران ، وثانيها الوقوف بشجاعة خلف قائد الحرب في كل ظروف الحرب من تقدم وانحسار، من استرجاع لبعض الأراضي العربية الهامة كمرصد جبل الشيخ والقنيطرة وقناة السويس

وسيناء ، ومن تعرض مفاجىء للثغرات ، حاول العدو بها أن ينتقم لنفسه كي لا يفلت الزمام من يده نهائيا •

أقول شعبنا قد تمكن ، في رأيي ، وبقـدرة عجيبة على تجـاوز المفاجآت السيئة ، وعلى الثغرة العارضة ، توقـع الفرح في فخ اللؤم والانتقام •

كما أنه تمكن بقدرة تثير الاعجاب ، على التميز بالنفس الطويل في انتظار النصر الكامل على المدى الطويل •

اكتسب شعبنا العربي في دمشق وفي سورية العربية والوطن العربي ، ميزة ، كانت قبله لاجداده الذين حاربوا الصليبيين ما يقرب من ألف عام الى أن تحررت القدس •

والجسر العظيم الذي سيحمل الاجيـال العربية من اليوم حتـى القدس المعاصرة المحررة اسمه عندي ، انطلاقـا من حـرب تشرين ، « جسر النفس العربي الطويل » •

أناي في الحرب ، كانت تسهر في البرد مع قطين صغيرين أليفين جميلين من قطط الشام الحلوة ، « عنتر » القط الزيتوني ذو العينين الخضراوين المكحلين بالاسود ، المخطط بالرمـادي والبيج والزهر ، القوي البنية ، الشرس كالنمر ، و« ياسمين » القط الابيض الناصع السمين الكسول الاكول ، يسير ويسير شعره كالقطن على الارض وكأنه ملك مدلل • عندماتتوقف الغارات كان عنتر وياسمين يلعبان بسعادة ويتمـددان على السجادة باطمئنـان وينامان بعمق ، وعندها تعـود الطائرات ، وتعود الغارات ويدوي انفجـار القنابل ، كنت أتحـاشى زجاج نوافذ القبو ، اختبىء في ظل زاوية من زوايا البيت لصق عمود أساس للعمارة • ما كان يدهشني أن القطين الصغيرين الطفلين ، وأنـا



الفنان مصباح سراج ـــ حماه

أحل محل أمهما ، كانا يركضان بجنون الى حضني ويخفيان رأسيهما من شدة الخوف في صدري . كنت أربت على رأسيهما بحنان وابكي بصمت لايعرف سره أحد ولا حتى العدو الاسرائيلي •

تنتهي الغارة ونعود « عنتر وياسمين وأنا » للعب ولحياتنا اليومية المشتركة بعد استشهاد سيد البيت • أما أهلي واخوتي وأخواتي وأولادهم ، فهم في ملاجىء المدينة •

أناي في الحرب كانت تسهر وتكتب على ضوء شمعة يتحرك في ظلها على طاولة المكتب ذنب القط « عنتر » الذي يشاركني السهر بينما « ياسمين » يغط في نوم عميق من شدة الشبع ، والتعب من كثرة اللعب •

لم ينقصنا الأكل ولا الشرب ولا التدفئة ولا الموسيقى أيام الحرب « عنتر وياسمين وأنا » •

أناي في ليالي الحرب كانت تقضي الزمن القلق على ضوء شمعة ، على صوت راديو الترانزيستور ينقل لها أخبار الحرب •

أناي ، تكتب ، تسجل يوميات ، وعلى المكتب زهرات ياسمين منثورة واناء فيه زهرات « مرغريت » بيضاء اللون وبنفسجية وزهرية اللون • كنت أخرج في النهار الى السوق ، رغم الغارات ومنع التجول ، واشتري الخبز واللحم والبيض والجبن والخضار والفواكه والمازوت وبطاريات الراديو وحزمة الشموع وباقة الزهر ، لا أشعر أني أعيش حالة حرب • هاتفي لم يتعطل ، أسمع أصوات « الحناين » من الاهل والاصدقاء والصديقات •

لم تنقطع أسباب الحياة في مدينتي • وأنا لست أنا • أناي لم

تكن أناي • أناي كانت صورة لاهل الشام•وأهل الشام لم يكونوا هم أهل الشام ، كانوا صورة لأهل سورية ، يوم كان اسمها في تاريخنا يوما مع فلسطين والاردن ولبنان « بلاد الشام » •

كانت الشام أيام الحرب ، المدينة الفاضلة ، المثالية ، القدوة ، لابنظري وحدي ، بل بنظر كل مراقب • كانت آية من الآيات الناصعة في استجابتها للسلطة ، للجيش ، للقرارات الحربية ، للظرف التاريخي ، للقائد •

كان شعبها هادئا مسلما قدره لمقاتليه ، منظما ، كريما ، صبورا متفانيا في العطاء • يعبر عن فرحه بالمقاتلين من الضباط القادة والضباط وصف الضباط والجنود ، لو لمحهم فجأة في الشوارع • كانت دمشق خطا أماميا استبسل جنوده استبسالا عجيبا ضد الحزب النفسية التي شنها العدو عليه • ولم نعد ندري من هو العسكري ومن هو المدني فينا !! صارت دمشق كلها ثكنة عسكرية ، وبركانا من نار يلتهم حتى كل من يقترب من فوهته •

أناي اليوم في الذكرى تكتب على ضوء شمعة بعد أن أطفأت زر الكهرباء عمدا • استعيد جو الحرب الاثير ، زهرات الياسمين الدمشقي وزهرات المرغريت الابيض والبنفسجي والليلكي والزهري على مكتبي • قطي الصغير الغالي ــ عنتر ــ قد كبر وغادرني بحثا عن الحب ، عن حياته الخاصة أيام السلم • !! وذكرياتي عن ايام وليالي الحرب متلاحقة تفيض مثل نهر في عز الشتاء • ذاتي الحاضرة ترصد ذاتي منذ خمس سنوات •

ذاتي الماضية تحت ظرف الحرب كانت أكبر بكثير مما هي الآن • الحرب ، ووهم الحرب ، الرغبة بالثأر لنكسة حزيران ، قد ضاعفت

قناعاتي وقدراتي العقلية والفكرية والنفسية والعاطفية •ذاتي في الحرب كانت أربعة أضعاف ذاتي ما قبل الحرب • نمـو داخلي عجيـب وكبر لا حدود له • الواحد منا في هذا الوطن صار أربعة • • صار عشرة ، ربما أكثر • عدد سكان سورية زمن الحرب التشرينية صار أربعـة أضعاف ، عشرة أضعاف ، ربما أكثر •

أكتب اليوم مشاعري ، دمشقية شامية معطرة بعطر تاريخ الشام• مواطنة تعشق وطنها ، تحب مدينتها ، تتبـاهى بما فعلتـه مدينتها في الحرب ، تتفجر كبرياء بموقف عاصمة الوطن ، ذلك الموقف الصلب •

أكتب وقد قال لي : « اكتبي يا دمشقية يا أصيلة عن « دمشق البطلة » في حرب رمضان ـ تشرين • اكتبي نحن ننتظر أن تكتبي !!»•

وقال « أعرف انك مولعة بالشام • أحس انك أكثر منا جميعـا ، نحن من يعشق دمشق الشام ، أكثر قدرة على رسم لوحة للشام ولذاتك في حرب تشرين من ألوان الذاكرة الحية !!

لن ننسى • كان موقف هذه المدينة في تلك الايام بطوليا خارقا • كانت روحها الحقيقية الاصيلة متجلية فوقنا جميعا • كان الوطن بأسره يصلي لله أن يحمي هذه المدينة الخالدة • نحن لن ننسى لها موقفها • كان موقفها مفاجأة لنا نحن جيـل الشباب في سورية كلهـا • نعرف تاريخها ، وصرنا نعرفها معرفة ميدانية في السادس مـن تشرين الاول ١٩٧٣ وما بعده • ولم يكن تقويمنا لها تقويماكاملا الا عندما شاهدناها معمدة بالنار المقدسة » •

في الليل الدمشقي الخريفي الحـالم الناعم أكتـب على ضوء شمعة • السكون يخيم على المدينة • ففي الليل وفي الليل تتمكن من رسم ملامح جبل قاسيون وبيوت المدينة السـاهرة والنائمة ، وسرير

نهر بردى وأشباح شجر الغوطة والبساتين ، وظلال الساهرين على الشرفات تكاد تعلن عن استسلامهم لهذا السكون ، رغم الاضواء الخافتة المتلألئة .

أكتب لأن الماضي يتفجر داخلي يبتلع الحاضر . يتداخل الزمنان وأصير مثل نواس الساعة أتحرك بين زمنين هامين ، نقطتين هامتين ، زمن الحرب وهو الزمن الماضي دخل التاريخ بشرف . وزمن اللا سلم واللا حرب ، زمن الاحتفال عن طريق الذاكرة بزمن الحرب ، فيه أتأرجح في أرجوحة الحاضر تتحرك بين نقطتين لا بد منهما : السلم الناقص تعيده الحرب المقبلة الى كماله ، الحرب المشروعة لاعادة الحق لأصحابه ، والسلم الناقص تقومه الحرب العربية الحتمية الكاملة .

ولكي لا أظل واقفة عند مجد حرب تشرين أردد أنشودة الاعجاب والتقديس ، فأنا أنادي بأن ننطلق من حتمية النصر المبدئي في حرب تشرين الى حتمية النصر الكلي في حرب كلية مقبلة مع عدو لن يعيد ما اغتصبه من أراضينا العربية بالقوة ، الا بقوة عربية تفوقه تكنيكيا ، كما تفوق سرقته للوطن الفلسطيني ، طاقتنا الروحية العربية وايماننا بعروبة فلسطين . لا بد من استعمال قوة أكبر مع عدو قوي ، كي نحقق السلام العادل والدائم في منطقتنا العربية .

زمن الحرب الذي ابتدأ في تمام الساعة الثانية والثلث من يوم السادس من شهر تشرين الاول ١٩٧٣ هو الزمن الحي أبداً في حديقة الذاكرة العربية ، زهرة خالدة .

يقولون أتى تشرين ، فلنرقص احتفالا بالذكرى . وتغيب النفس مني تتسلل من الحاضر الى الماضي القريب . الى لحظة جيدة في تيار الزمن العربي ، أحسست فيها بأنها كانت لحظة الثأر العربي المعاصر ،

فساعة الصفر العربية في السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ • هي لحظة الثأر الحتمي لساعة الصفر الاسرائيلية في الخامس من حزيران الاسود ١٩٦٧ •

الذكرى تعود حـارة •

يحلو لي أن أستعيد ذكرياتي عن حـرب تشرين وكأنهـا أيـام العيد • كـان لها طعم ورائحة ولون ومعنى •

فرد من أفراد هذا الوطن الحبيب أنا ، يحق لي أن أتفاعل مـع الحرب من أجـل حرية الوطن ، على قدر حجمي ، وأن أقيّم الامور الآن على قدر قدرتي من التحليل والفهم • قد يتساءل ناقد أو مراقب سياسي مثقف عن سطحية مشاعري وعواطفي الفياضة مـع منجزات الحرب المحدودة ، وانا اعطيه حق التساؤل • قد يتساءل باستغراب عن استعمالي لكلمة الفرح كمعادل لايام الحرب قائلا : وهل يعقل ان يتصور انسان ما ان ايام الحرب هي ايام عيد وفرح ! ؟ نعم أقول ، لو كان هذا الانسان يعرف بعمق ما الذي فعلته ايام حزيران الاسود عندما حرقت جنودنا وافراحنا وكرامتنا بقنابل النابالم الحارق للاجساد والارواح •

أحببنا الموت في تشرين فكتبت لنـا الحياة • هي مقولة انسانية نسلم بها في الحروب ، ان من يحب الموت تكتب له الحياة •

من هذه المقولة أقول وأردد القول ، عندما رمينا بأنفسنا في أتون الحرب ، عندما حددنا نحن العرب ساعة الصفر في حرب مختلفة كنـا مستعدين لها على الجبهات العربية الثلاث الجولان والضفـة الغربية وسيناء ، فتح أمامنا طريق النصر المعنوي للانسان العربي في حـرب قررنا أن نكسبها مهما امتد بنا الزمن •

قــال : اكتبي عن الشام في تشرين ، أنت الدمشقية الشامية التي تحب الشام حبا أكيدا !!

وأقول له : سأكتب • لكن قبل أن أكتب أحب أن أقول لك : شكرا من عمق القلب المعجون بالياسمين والنار ، شكرا لانك اخترت آخر من كان يجب أن يكتب عن دمشق ، لا لسبب الا لانه لن يكون موضوعيا مئة بالمئة •

ويبدو لي أنك تعرف عمق الحقيقة •

اذا كان للمدن أرواح ، واذا كان للشام روح ، فأنا أحس احساسا صوفيا فطريا ـ ماديا حقيقيا ، بأني روح الشام منذ آلاف السنين التي مرت على دمشق وبعد آلاف السنين التي سوف تمر على دمشق ، مدينة الحياة والخلود •

ولو كان قدر المرأة أن يسيطر رجل واحد كامل الابعاد على خط حياتها ، وعلى الازمنة الثلاثة في عمرها ، فان قدري ، امرأة شامية أن أعشق مدينتي الاثيرة الشام في زمني السلم والحرب • وأنا عند قدري • أحبها في زمن الحرب ، أحبها في زمن السـلم • أحبها باكية ، أحبها ضاحكة ، أحبها مهزومة ، أحبها منتصرة ، أحبها ضعيفة ، أحبها قوية • أحبها شابة ، أحبها جدة ، أحبها مدينة تقهر الموت وتقهر من يتمنى لها الموت • الشام هي إبنتي • الشام هي قطتي المدللة •

تضيعني الشام ، لا أدري ان كنت أما روحية لها ، أم بنتا !! فانا دائما وأبدا أركض نحوها فاتحة ذراعي بأقصى الوجد والولع والشوق والحزن والفرح ، أعانقها أضمها بحنان بكل حالاتها ، لا أدري هل أنـا على حضن أمي ، أم أنا على صدر طفلتي !!

وهل يعقل أن تتحدث الام عن ابنتها بموضوعية ، وهل يعقل ان ترى البنت المهذبة في أمها الا الأم المثالية !!



الفنان مصباح سراج ـــ حماه

فكيف تطلب مني ياصديقي أن أكتب أنـا المتهمـة بعشق الشام والتحيز للشام ، عن بطولة الشام في تشرين ؟ يالها من مسؤولية صعبة ، وعذري أن الشام هي رمز سورية البطلة ، وان سورية العربية البطلة هي رمز البطولة العربية في حرب تشرين •

ماأملكه هو أن أمسك القلمواكتب نيابة عن المواطنينكل المواطنين، قلمي يشرب حبره من قلوب المعجبين ببطولة دمشق عاصمة الوطن زمن حرب تشرين •

عندي قناعة كبيرة ، لن ينتشر أبدا كاتب نرجسي يحب ذاته دون الآخرين ، يعشق مدينته أو قريته دون الوطن بأسره ، يجتـر ذكرياتـه الفردية دون حساب لذكريات المواطنين •

من هذه القناعة الصافية قبلت الدعوة واستجبت للنداء : أكتبي !!

وكتبت بكل عفوية وطيبة وفرح محاولة رسم ملامح المشاعر في تلك الايام التي التهبت فيها مشاعر العالم الى جانب مدينتي دمشق الشام وهي تعلن ساعة الصفر ، وتتلقى الضربة المعادية الاولى وترد الضربـة بمثلها ، فتحصد الدهشة اولا والرثاء ثانيا والاعجاب ثالثا • والتاريخ يتميز بذاكرة حادة لاينسى ، يسجل ، ولا يسمح لاحد بأن ينسى •

دمشق ــ ٣ تشرين الاول ١٩٧٨

* * *

أحملُ الوطنَ في ضلوعي وأمضي

ماهو الوطن ...!!؟

عرّفي لي الوطن ياسهام ...!!

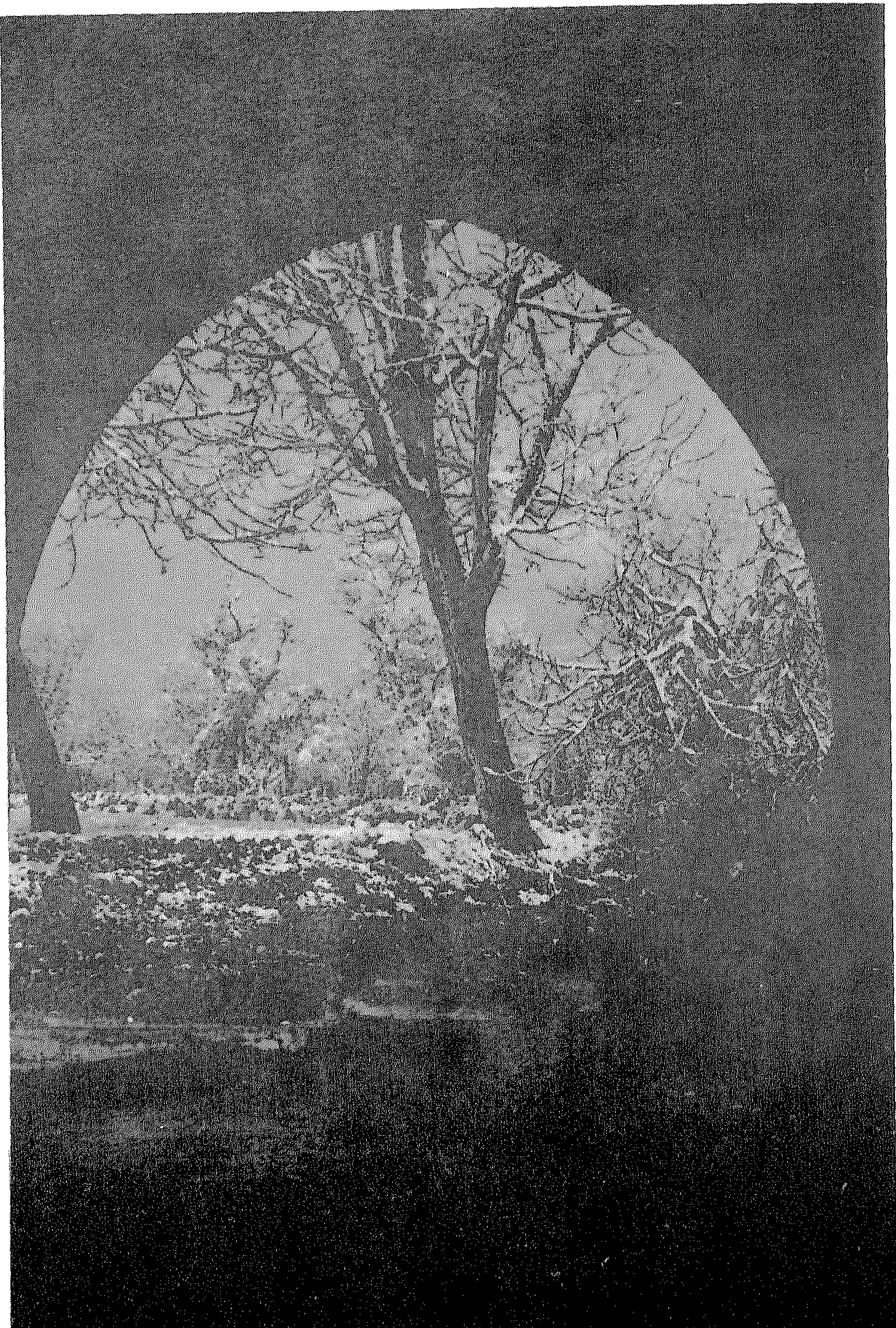
وقفت بأدب وتهيب وشجاعة .

قلت لمعلمتي المحبوبة المحترمة وصال خانم مولـوي ، بلهجـة انشائية خطابية حماسية استظهارية ، وبصوت عال رفيع ونغم متواتر رتيب وأنفاس متقطعة :

« معلمة خانم .. نعم . الوطـن معلمة خانم : هو الارض التي نعيش عليها ونحتمي بسمائها ، ونشرب ماءها ، ونستظل بظل أشجارها ، ونأكل من ثمارها ، وندافع عنهـا ، وتكون مصالحنا عليهـا مشتركة ، تجمعنا لغة واحدة وعرق واحد وتاريخ مشترك ومشيئة حرة » .

قالت لي معلّمتي :

ــ مرحى .. عفاك .. اجلسي .



الفنان علي مارديني ــ دمشق

جلست •

ومرّت الأيام والأشهر والأعوام •

ماهو الوطن ••!؟

عرفّي لي الوطن ياسهام •• !!

وقفت باحترام وتمهّل وحذر •

قلت لمعلّمتي الكبيرة المقدسة «الحياة» بصوت هادىء خفيض يكاد يبلغ درجة الهمس ، قد بحّ من عمق التجربة وتراكم الأيام الحلوة والمرّة وتتالى الاحداث الصغرى والكبرى :

« نعم •• الـوطن يا معلمتي •• الـوطن هو العلاقة التاريخية « الجدلية » بين الأزمنة الثلاثة ، بين الماضي والحاضر باتجاه المستقبل الحتمي الافضل ، الوطن هو العلاقة الجدلية بين المواطن وتيار التاريخ الـوطني •

الوطن ، هو الذكريات السـعيدة والحزينة والدرب المزروعة بالشوك والورد ، والقمة المحاطة بالصخور الخطرة الصعبة ، حيث طمر لنا أجدادنا العرب « الكنز العربي » وحيث يرتفع هنـاك علم الحرية والاستقلال •

الوطن ، هو الحب الكبير ينعقد بين قلب وآخر ، يغدقه بكرم كل مواطن على الآخر وكل المواطنين على الوطن •

الوطن ، هو ان تستغيث امرأة بشهامة رجل عابر فيستجيب بقوة وبلا تردد وخوف ولا مبالاة ، وهو ان يرد مواطن لهفة جريح مصاب بحادث سيارة ، فيحمله الى المستشفى بسيارته الخاصة ، ليتلقى شكر

رجال الشرطة وأطباء الاسعاف ، دون أن يتعرض للتحقيق والتهمة الباطلة ، والتوقيف الظالم وضياع الوقت الثمين .

الوطن ، يامعلّمتي ، هو المكان الذي لاتأكلنا فيه مشاعر الغيظ والسخط والتمزق المرير ونحن داخل السيارات الواقفة عند الضوء الأحمر ، لان واحدة من السيارات قد تحدت مشاعر جميع المواطنين الجيدين المتحضرين ، وتجاوزت هيبة وسلطة قانون المرور والنظام الوطني وشارة الخطر ، دون أن تخشى حتى صفارة شرطي المرور ، التي لن تصفر ..!!

الوطن ، هو الخطأ والصواب . هو البشاعة والجمال ، هو الفقر والغنى ، هو الجهل والمعرفة .

الوطن ، هو أزهار البرية الصفراء والبيضاء والزرقاء والبنفسجيّة والحمراء المنتشرة بجنون بين الاحجار السود في الجولان وجبل العرب ، وهو حقول شقائق النعمان وزهر الربيع الاصفر على امتداد طرقات الوطن ، وهو حقول القمح الحبلى بالسنابل الذهبية الطالعة في أرياف حوران والشام وحمص وحماه وحلب والرقة ودير الزور والبوكمال والحسكة والقامشلي وجرابلس ، وهو أشجار الزيتون الباقية في غوطة الشام والتي تحارب بصمت الفناء والابادة في عفرين وجبال اللاذقية وحتّى كسب .

الوطن يا معلمتي ، هو المراكب تتراقص في عرض البحر بين طرطوس وأرواد ، وهو السمك السعيد يلعب بفرح قرب شباك صيّادي أرواد ، وهو أطفال جزيرة أرواد يسبحون في البحر كالسمك مع السمك ، انهم أبناء الحرية وأحفاد الابطال الذين حققوا الحرية للوطن.
الوطن هو اطلالة سورية على البحر الابيض المتوسط حضارة كنعانية

عربية انسانية تشع على الدنيا منذ أبجدية أوغاريت في رأس شمرة قرب الـــلاذقيـــة •

الوطن ، هـــو أزهار البرتقال والليمون والنارنج تعطر أجـــواء الشواطىء السوريـــة وبساتين غوطـــة الشام وحدائق بيوتها منذ فجر النضال وحتى زمن الحرية • الوطن هو وحدة هذا العطر في طبيعـــة الارض وفي طبيعة الانسان •

الوطن هو فصول الوطن الاربعة ، هو صيفنا وشتاؤنا وربيعنـــا وخـــريفنـــا •

الوطن عندي يا معلمي ، هو اللوحة الانسانية العربية السوريـــة الفائقـــة الجمال الرائعة .الاثر التي نرسمها بقلوبنا منـــذ الصغر حتى الشيخوخة على خارطة سورية العربية من شرقها الى غربها من شمالها الى جنوبها ، لوحة وجدانية نرسمها كـــل سنة كـــل شتاء خيِّر كريم بأرواحنا الطيبة المرحة • هي لوحة بريشة الحـــب القومي العربي على خارطة الوطن الحبيب الصغير ـــ الكبير • فيها يلعب المواطنون جميعا بمحبة ما بعدها محبة ، رجالا نساء أطفالا شيوخا شبابا • هي « لعبـــة الثلج » تعبّر عن منتهى الحب للحياة للوطن للآخرين للطبيعة ، تعبّر عن منتهى النقاء والصفاء والرغبة بدوام الفرح وديمومـــة الحـــب وفيض الخير السماوي •

نزل الثلج بسخاء بين نهاية شتاء ومطلع ربيـــع • بدأوا برسم اللـــوحـــة •

لعبـــوا كلهم كلهم تحت الثلج فـــوق الثلج بالثلج في الشـــوارع والساحات والازقة والحارات والاسواق ، في الحـــدائـــق والمدارس والجامعات والثكنات ، في الشرفات والسطوح ، في الجبال والوديان،

في المدن والارياف ، على الطرقات الدولية بين مدينــة ومدينة ، وفي الحارات الضيقة بين بيت وبيت وسطح ونافذة • لعبو ضحكوا تحرروا من الرسميات والتصنع ، والبروتوكولات ، من القهر والهمّ والكبت والتقاليد المحافظة والمظاهر التقليدية الكلاسيكية المهيبة • عاشوا فرح الانسان الاول بنعمة السماء ، تضاربوا بكرات الثلج الهشة النظيفــة وضحكوا حتى شبعوا • غازلوا بعضهم بعضا علنا « وبشرعية ثلجيــة مطلقة » لايطالها قانون الآداب العامة ، ولم تصمد أمامها كلمة ، الغزل ممنوع في الشوارع • عبّروا عن منتهى الحب بحركة خادعة تشير الى منتهى « الحقد العاطفي » • تبادلوا اطلاق النار العاطفية الانسانية من أسلحة ثلجية هشة غاية في الرقة والنعومة والصفاء والنقاء ، تذوب في يد القاتل بفعل حرارة يده وقلبه ، قبل أن تصــل القتيل الذي يخفي رأسه بين كتفيه ويضحك فرحا بهذا الموت الحلو ، في يده ردّ عاطفي أشد قوة ، كرة ثلجية أكثر شوقا وحرارة وعاطفــة ، ورغبة في تبادل الغزل البريء والمزاح اللطيف • ويضحك الطرفان القــاتل والقتيل ، وتتورّد الخدود وتتصفّى الضمائر مــن شوائب الكآبــة والقلق في الحياة ، وتسقط الاحقاد كل الاحقاد •

تضاربوا بالثلج ، ابتسموا ، عرفوا الفرح • ذهبوا الى العمــل والدراسة والتدريب ، تتحرك في عروقهم دماء فوارة بحب هذا الوطن الغالي ، تحت الشمس وتحت الثلج ، مع أن أحدهم لا يعرف الآخر ، لكنــه يعرفه جيدا ، أليس هــو شريكه في الوطــن ، في ثورة الحب والحضارة والثلج والخير والبركة والحرية !!

الوطن يا معلمتي ، هو وجه الطفلة الشقراء والطفل الأســمر ، الراعيين الصغيرين الفقيرين اللاهثين وراء قطعــان الغنــم في الربى ، يبتسمان لك يبادرانك التحية : مرحبــاً •••!! وأنت تعبــر قريتهما بسيارتك الفارهة صدفة •



الفنان عبد الكريم الأصفر ـــ حماه

الوطن ، هو بائع الحليب ذو الوجه الصباحي البشوش ، ينادي الكريم ، يا كريم !! يصّبحك قبل الشمس يحمـل الحليب الـى بيت جيراننا وبيتنا مبكرا رغم سنوات الشيخوخة يزرع صحة الريف في جسد المدينة بكل محبة • ينتظر أن ترد له المدينة هذا الجميل بمحبة أكثر ، بعرفان أكبـر •

الوطن ، هو بائع الصحف المجهول ، يقذف بالصحف الصباحية الى شرفة بيت أهلي قرب حديقة السبكي في الشام ، قبل السادسـة صباحا ، يقذفها بحذق بيده الوحيدة كرامي القرص ، يعوض بها خسارة يده المقطوعة •

الوطن يامعلمتي ، هو بائع الصحف الفقير المجهول الطيب نفسه، يطير رأسه عن جسده في شارع « أبو رمانة » أمام طفله الصغير ، بفعل غارة اسرائيلية على حي السفارات الاجنبية !! الوطن هو هذا الطفل ابن الشهيد بائع الصحف يحضنه الجيران وهو يبكي من الرعب يسأل : أين أبي !؟

الوطن هو الشعب لاينسى شهداء تشرين من المدنيين والعسكريين•

الوطن يا معلمتي ، هو وجه ذلك الانسان الطيب الصابر المجهول يستيقظ قبل المدينة ليحمل عن سكانها بعيدا « أكياس النايلونالسود » لتظل الشوارع مزهرة بالأطفال والأزهار والنظافة والفـن والجمال والهواء المنعش المعطـر بأريج أزهـار الليّلك والنارنـج والياسمين والزنزرخت والمنوليا والكاردينيا •

الوطن ، هو راديو بائع أشرطة التسجيل في ساحة المرجة أو في شارع النصر في طريق الصالحية في الشام ، وربما في دير الزور وحلب

واللاذقية ودرعا ، يقلق الدكاكين والسكان في البيوت بصوته العالي الذي غدا جزءاً من شخصية السوق بعد اختراع أجهزة التسجيل .

الوطن .. يا معلمتي الحياة ، هو الذكريات تغني وتبكي داخلنا ، وهو الآمال والأهداف والأحلام تزغرد وتنادي وتلوّح لنا من سماء الزمن المقبل من تاريخنا .

الوطن ، هو صيرورتنا ، هو وجودنا .

الوطن ، هو كل من دفع حياته ثمنا للحرية ورحل بشرف من أجل الوطن . والوطن هو كل من يبذل حياته الآن بشرف ويفدي الآخرين بنفسه حفاظاً على الأرض تحتنا والسماء فوقنا والسلام في نفوسنا والحرية داخلنا وداخل حدود الوطن .

الوطن ، عندي وعندك يا معلمتي وعندكم يا أبناء وطني هو وزير الحربية الشهيد البطل يوسف العظمة. الوطن هو عبد الرحمن الشهبندر وابراهيم هنانو والدكتور صالح قنباز وفوزي القاوقجي وحسن الخراط وصالح العلي ورزق سلوم ورشدي الشمعة وحمد البربور وشكري القوتلي وسعد الله الجابري وفارس الخوري وفخري البارودي ونسيب البكري وسعيد القهوجي وعدنان المالكي وجول جمال وسعيد يونس وفايز منصور وفؤاد محفوظ وأحمد خليل وعمر الأبرش وكمال نصر والدكتور محمد الفاضل والدكتور عدنان غانم والدكتور ابراهيم نعامة وعبد الكريم رزوق والدكتور محمد شحادة خليل وكل الأسماء اللامعة في قوافل الشهداء الذين يجسدون وحدة الوطن العضوية . عطاءاتهم للوطن واحدة ، وتعددت أسباب رحيلهم عن الوطن واستشهادهم من أجله ، والشهادة واحدة والوطن بهم واحد . هم كلهم وطني لأنهم النخبة القدوة . ورفاقهم على درب النضال والعطاء والفداء والشهادة



المتحف الحربي ــ دمشق

في السلم والحرب من عـدو في الداخل وعـدو في الخارج ، كل الأبطال ، أبطال الحرية والمعرفة ، هم وطني .

الوطن ، أن أكون مواطنا موضوعيا ، لا أعمم خطأ مواطن على المواطنين جميعا ، ولاتنسحب أحكامي على الوطن بجريرة مواطن ضل ، ولا أستل سيفي لأقطع رقبة بريء بجزيرة متورط . المهم أن يتكاتف الكل في سبيل الكل .

الوطن ، يا معلمتي الفاضلة هو « العلم العربي السوري » هو « العلم العربي » وهو النشيد الوطني تعلمناه في الصغر وصار كالنقش في الحجر ، والتصق بوجودنا بأرواحنا ننشده في ضمائرنا قبل شفاهنا وحناجرنا لرجالات الوطن ومحرريه من الاستعمار . هو أعظم لحن في وجداني ، علمني الكبرياء بالوطن ورجالاته :

حمـاة الـديـار عليكم سـلام
أبـت أن تـذل النفوس الكـرام
عـريـن العـروبة بيـت حـرام
وعـرش الشـموس حمى لا يضام

الوطن هو كل وجه أعرفه وكل وجه لا أعرفه ويحمل هوية مثل هويتي العربية .

الوطن هو الأطفال رجال المستقبل ، هو الشيوخ أطفال ورجال الماضي ، هو الشباب رجال الحاضر ، هو الذين يرقدون في تربة الوطن المقدس ، هو الأجنة في أرحام نساء الوطن ، هو النطف في دماء رجال الوطـن .

الوطن ، هو آثار تدمر وسد الفرات ، الوطن هو أبجدية أوغاريت والمحاضرات العلمية على مدرجات جامعات اللاذقية وحلب وحمص ودمشق ، والوطن هو الجامع الأموي والكليات والمعاهد العلمية والدينية والعسكرية والفنية .

الوطن ، هو النهر هو البحر هو البحيرة هو الصحراء ، هو الغابة وهو الجبل وهو الوادي وهو المدينة وهو الريف .

هو الجواد العربي الأصيل يحمل فارساً صغيراً يتدرب في معلب الفروسية، هو الجندي يتدرب على دبابة ، على ظهر مركب حربي بحري، على جناح طائرة مقاتلة ، في غرفة قيادة طائرة مدنية تدعم أسطول الملاحة الجوية ، الوطن هو الراعي البدوي الأسمر ، هو ثغاء الخرفان في ربيع بادية الشام ، هو صفير القطار العجوز العتيق يحملنا بسعادة مطلقة بين دمشق والزبداني صيفا ، وكان هو هو نفسه يحملنا بسعادة لا توصف بين دمشق والحمة شتاء ، قبل أن يغتصبها قرصان العصر ، العدو الاسرائيلي .

والوطن هو القطار الشاب العصري يسافر بنا بين دير الزور والرقة وحلب تحمل عرباته الخلفية غلة القمح والقطن ذهب الوطن الاصفر ، وذهب الوطن الأبيض . والوطن هو أنابيب البترول تحمل البترول الذهب الاسود ، ثروة الوطن ، الى العالم . والوطن هو القطار العتيق وعربة الخيل المنقرضة الا من الذاكرة ، حملتنا الى أحلام الأطفال في زمن آبائنا وأجدادنا ، أمهاتنا وجداتنا . الوطن هو ذكرى العذاب في قاع الذاكرة ، تعانيه طفولة أطفال ريف الوطن الفقراء بالانطلاق الى المدرسة البعيدة سيراً على الأقدام شتاءً في الوحل والطين والثلج والشوك ، في الغابات والجبال والوديان الموحشة مع رفيقين اثنين وحيدين جوع الفقر والخوف من الذئب .

والوطن هو ذكري معاناة الطفولة المعذبة بالحرمان في المدن حتى العاصمة المدللة ، طفولة موشّاة بالهم ، همّ الفقر ، وهمّ المدرسة . حتى أطفال الشام الفقراء كان لهم ذئبهم . الوطن هو ذكرى النزول من البيوت العربية في حارات الشام العتيقة الى « المسكية » آخر سوق الحميدية ، لصق الجامع الاموي ، مع موسم افتتاح المدارس الابتدائية ، لشراء الكتب العتيقة المهترئة المستعملة من قِبل تلاميذ الصف الاعلى !!.

والوطن ، هو الفرح الحالي يحمل التلميذ الطفل السعيد الى المدرسة في القرية والمدينة لا يبكي جوعا ، ولا يخجل فقرا ، ولا يلتفت بقلق خوفا من الذئب أن يأكله .

الوطن هو الغيمة البيضاء في عز الربيع والصيف تغازل سماءنا الزرقاء ، وهو الغيمة السوداء تحملها الريح ، ومعها الوعد بالخصب والمطر والسعادة .

الوطن ، هو جنة دفء الطفولة البريئة الفقيرة في ليلة جليدية ، بلهيب نار الحطب وجمر الفحم وحضن الأم الحنون ، وهو أيضا جنة دفء الطفولة المعاصرة المحظوظة بوهج مدفأة المازوت أو الكهرباء أو الغاز أو التدفئة المركزية .

الوطن ، هو الفسيفساء والموزاييك والخشب المرصع بالصدف والعاج ، وهو رقص السماح والدبكة وهو رقص الديسكو المستورد .

الوطن ، هو مواطن يركب حمارا ومواطن يركب سيارة ، وآخر يعتلي مركبا شراعياً بحريا أو مركب صيد ، أو يقود باخرة سياحية . الوطن هو طائرة وجمل ، وهو صاروخ وبندقية وعصا وزهرة وآلة

عود • هو أزيز رصاص ضد العدو ، وهو لحن شـرقي يعزفه تخت موسيقي شرقي عربي من أجل الحبيب •

الوطن ، هو الفرح الحقيقي الضمني أننا ورثنا الوطن عن الآباء والأجداد ، واننا نملك الوطن •

والوطن ، هو الخوف الحقيقي أن يضيع الوطن • الوطن هو لحن شرقي عربي من الناي والعود والدف والقانون في حفلة على المسرح ، وهو لحن من المدفع والبندقية والدبابة والطائرة والطوربيد في مناورة حـربيـــة •

الوطن ، هو الخوف الحقيقي أن ننام نوما عميقا ونترك العـدو « الذئب » الصهيوني المعاصر ، يفترس الوطن الكبـير الغـالي مـن « الفرات الى النيل » •

خفنا في طفولتنا الذئب الحيواني •• ! !

وكبرنا ، ليطلع لنا الذئب ــ الانساني المعاصر من الصهيونيـة رحم اسرائيل •

الوطن ، هو أن نخفف من وطـــأة الأخطـاء الصغـيرة لبعض الأفراد منا ، وأن نضبط أعصابنا ، وأن نفكر بالوجود ، بالوطن ، قبل التفكير بالأنـا بالذات •

الوطن هو « نحن » جميعا بكل عيوبنا ومزايانا ، بكل شرورنا وفضـائلنـــا •

الوطن ، أن أقول لك صباح الخير وأنا أشعر أنك الوطن كل الوطن ، جاراً كنت أو زميلا أو صديقا أو قريبا أو زوجاً أو حبيبا ، بكل محاسنك وعيوبك •

يا أهلي ، يا أهل الوطن •

يا أهلي ، يا أهل وطني العربي الصغير سورية ، ويا أهل وطني العربي الكبير من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي •• !!

عندما تدق طبول الخطر ، مطلوب من فرقة الوطن الموسيقية أن تعزف النشيد الوطني ، وترفع العلم ، وتأخذ التحية •

مطلوب أن نحب بعضنا بقوة ، وأن نفكر بمصائرنا بعمق وبعد نظر •

لنغني كلنا نشيد حب الوطن من الايمان ، وشعبنا العربي هو شعب الايمان ، وأرضنا العربية هي أرض الأديان السماوية المقدسة •

ومن لا يغني مع المجموعة فسوف يعرض حجرا من أحجار الوطن، للتداعي والسقوط • هذا البناء الشامخ بالعلم والايمان والمعرفة والحرية والحب والقوة والرغبة بالسلام ، بحاجة لأصغر حجر فيه وأكبر حجر •

لكن أحجارا ثابتة ، قيمتها بذاتها ، أقدارنا بأيدينا ، لا أحجار شطرنج متحركة ، أقدارنا بأيدي اللاعبين الطامعين في وطننا •

الوطن ، هو نحن ، هو صيرورتنا ، هو وجودنا الممتد النامي ، هو أزمنتنا العربية الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل » •

قالت لي معلمتي الفيلسوفة الحكيمة الرصينة « الحياة » فجأة :
« كفى .. كفى . ما هذا !؟ كنت صغيرة فأوجزت . وأجدت وأديت تعريفا كاملا محكما . صرت كبيرة فأطنبت وأطلت وأكثرت من التفاصيل والشرح ، ولم تأت بجديد ، كأنك تكتبين وظيفة الانشاء في الخامس الابتدائي .. ؟ أما زلت بعد هذا العمر تعتمدين القلب دون العقل ، والخيال دون الواقع !! والامنية دون الفعل !!».

قلت :

« نعم .. يامعلمتي الفاضلة . في الصغر عرفت الوطن بكلمات وضعتها حكمة الآباء والجدود والمعلمين الاول ، وفي الكبر عرّفت الوطن بكلمات تنبع من قلبي أنا ، عقلي أنا ، وحياتي أنا ، وزمني أنا مضافا اليها زمن وتجربة وحكمة الذين وضعوا حجر الاساس ، ولا تنسي قلق الذين يحملون المسؤولية التاريخية من ابناء الجيل العربي المعاصر ، من امكانية سقوط البناء الحي لا سمح الله ! !

كثرة الكلام دليل القلق ورغبة في اثبات التراث وتثبيته ، وأنا قلقة جدا يامعلمتي !!.

أحب شعبنا وأحب الوطن .

أضم الوطن الغالي الى صدري وأخفيه في ضلوعي التي تفكر، وعقلي الذي يحب . أخاف على وطني من الذئب الصهيوني أن يأكله على مراحل أو في لمحة . أخاف أن يأكله الحقد الفردي الصغير . أخاف أن تربح المؤامرة الامبريالية الصهيونية المعاصرة ، وأخاف أن تنجح سياسة هنري كيسنجر اليهودي الأمريكي ، الرجل الداهية ،

ونساق في تيار « لعبته ــ الطائفية » في منطقة الشرق الاوسط ، ونفني بعضنا بعضا ، وينتفي وجودنا كلنا وتسود اسرائيل !! وتضحك اسرائيل من سذاجتنا ، وتنتصر دون أن تطلق رصاصة واحــدة !! أخاف من بســاطة شــعبنا أخاف •

أنا أحمل الوطن في ضلوعي وأمضي تحت الشمس أحمل قنديل ديوجين أبحث عن حكيم عربي معاصر يتكلــم أقــل ، يحمــي الوطن أكثــر » •

دمشق ـــ نيسان ١٩٨٠

* * *

حبيبي هو وطني

في ذكرى جديدة لعيد الجيش العربي السوري في الاول من آب ١٩٤٥ .

في عيـد السيف العربي أقدم لجيشنا العربـي السوري وردة دمشقية تفوح بعطر الشام ، عطر النضال وعطر الياسمين .

يسألون !!!! ما الذي ستكتبين في عيد الجيش في الاول مـن آب لعام ١٩٨١ !! ؟ .

واليهم الرد . سأكتب عن معادلة العيـد ـ الحـب الوطن ـ عشـق الوطـن .

أنا خارج دائرة الحب لا اتقن الكتابة .

من منطلق الحب والصدق في الحب يكتب قلمي . في السياسة ، في الحياة العسكرية ، في النقد الاجتماعي ، في الادب والفن ، في أهمية سطوة القانون في الدولة الحيّة ، في ضرورة الحفاظ على التراث العربي وعلى حضارة العمارة العربية وعلى الثروة الخضراء ، وعلى تعريب فن العمارة الغربية المعاصرة المزروعة كالشوك في أرضنـا ، وأرضنا تنبت الياسمين والزنبق والفل . هكذا الى مالا نهاية .

UNITED NATIONS







SYRIAN ARAB REPUBLIC

RÉPUBLIQUE ARABE SYRIENNE

العلم العربي السوري

من مطبوعات ومنشورات الأمم المتحدة ـــ نيويورك

من الحب أبدأ النقد الحاد أو الفكرة الجديدة ـ القديمة ، وبالحب أقترح الحل البناء وأسجل الكلمة الطيبة .

أنا خارج دائرة الحب لا أتقن الكتابة .

أنا خارج دائرة الحب لا أتقن التفكير .

وأنا ان لم يرتبط العيد ، اي عيد ، عندي ، بالفرح الانساني الحق ، لا أعترف بالعيد ولا أعيّد كالأطفال ولا أقول لأحد كل عام وأنتم بخير ، ان لم أكن على يقين بأنه مثلي تماماً ، هو وأنا والسعادة بالعيد والعيد واحد ، واننا معادلة جوهرية لا شكلية ، من معدن حقيقي ثمين لا من ذهب مقلد مزيف رخيص ، نمثل الفرح دون أن نعيش الفرح ، نتبادل الامنيات بكلمات جوفاء آتية من أرواح خاوية الا من قدرتنا على تمثيل دور الفرح بمقدم العيد ، أي عيد .

قد يمر العيد أي عيد على انسان ، وهو يبكي لأمر ما بصمت ، فيهرب العيد من نفسه وبيته . وقد يمر على الانسان نفسه يوم مشرق كالشمس ضاحك كوجه طفل ، مفعم بالبشرى والخير والخبر السار فيصبح هذا اليوم هو العيد كل العيد .

ماذا أكتب عن ذكرى عيد الجيش العربي السوري في الأول من آب ، أنا الوطنية العاشقة للوطن وأهله ، والذكرى العظيمة تحمل معناها في ذاتها ، وتاريخ البدء يحمل معنى التاريخ الأخير سلفاً . منذ ست وثلاثين سنة استلم أبناء الوطن ورجالاته مسؤولية تأسيس الجيش العربي السوري بعد استلام نواته من سلطات الاستعمار الفرنسي عام /١٩٤٦/ .

ويقفز ذهني من تاريخ الى تاريخ ، يقارن بين واقع أسود وواقع أبيض ، وأفرح فرح الأطفال بمدافع العيد .

ان جاهزية قواتنا المسلحة في ذكرى يوم الجيش العربي السوري عام ١٩٨١ ، ودوره العربي القومي ، يبرران فرحي الوطني بقـدوم الذكرى .

وتطير روحي طيران طائر الاستقلال والحرية والقوة والكـرامة والحب والسلام ، الى ربى العلاقة بين الشعب والجيش ، وأغوص الى العمق أبحث عن أدق تفاصيل العلاقة الانسانية في الوطن، بين المرأة ورجل من رجال هـذا الوطن ، قدره أن يكـون ضابطاً في الجيش العربي السـوري .

كالصياد ، كغواص اللؤلؤ في البحـر العربي ، أخرج مبللة بماء البحـر المالح أحمـل اللؤلؤة الأصليـة الكبيرة داخل الصـدفة ، « لؤلؤة الحب » .

ــ في يوم الجيش تتحدثين عن بحر الحب ولؤلؤة الحب ؟

ــ في يوم الجيش بالذات بحاجة أنا للحديث عن الحب .

الحب بين امرأة جميلة ذكية عاشـقة رجلها العسكري ، حبيب عمرها كله ، ما مر من عمرها وما تبقى .

تضحكون ربما . حب في حياة ضابط ، حياته كلها ، زمنه كله ، طموحه كله للوطن للحياة العسكرية ، وحب في حياة امرأة عاشـقة ، حياتها كلها انتظار في انتظار لعودة الحبيب من غياب قسري دائم في الخدمة ، وغياب مؤقت في أرض لبنان العربية . هذا العام تنتظر عودته من لبنان ليوم خاطف الى الشام ، يعود بعده لمتابعة خدمته في قـوات الردع العربية في لبنان كجزء من دوره الاساسي العربي القومي رجلا عسكريا عربيا أولا سوريا ثانيا .

هي انسانة ولا كل النساء .

هو رجل ولا كل الرجال .

انهما الصورة المثالية الفريدة في الوطن الغالي .

أفتح دفتر مذكراتها أقرأ جملا ذهبية ، هي أعظم تحية من امرأة الى عسكري ، ومن الشعب الى الجيش في عيده .

تقول المرأة العاشقة المنتظرة أبدا مفاجأة العودة :

« يا له من يوم عبقري ، تفجر بركانا حارقا في هذا الزمن الصعب الذي مررت به مع حبيبي منذ أشهر . شهر كامل لا أعرف أين هو لا أسمع صوته ، لم يخبرني كم سيغيب وأين وكيف . عدت أنتظره بصمت . روحي المشتاقة تبكي بلا دموع . هذا هو قدري . ألقاه يوما ويغيب أياما ، وعلي أن أقبل بصمت وأرضى المر على أمل العسل .

كنت أشعر شعورا هائلا بانه سيحضر اليوم ٥ آذار ١٩٨١ . بالحدس الخارق كنت أتوقعه بين لحظة وأخرى . في هواء الغرفة شممت أنفاسه قبل أن يحضر . رن الجرس . فتحت الباب وتجمد الدم في عروقي وتوقف تيار الشعور والوعي ، دخل صامتا ، وأنا أكاد أسقط من هول المفاجأة ومن صدق الحدس . كان يحمل وجها عانى سفرا طويلا ومهمة صعبة خطرة .

وكان يوما عبقريا فذا مختلفا بكل ما فيه . لم أسأله أين كنت . أنظر الى وجهه بشوق مجنون أخرس سحب من فمي الأسئلة وكلمات الفرح باللقاء .

قال لي والدمعة في عينيه لن أنساها حتى أموت :

ـ حبيبتي .. حلمت بك وأنا أنام على الأرض . كنتِ معي بقوة. عانيت تعبا جسديا لا حدود له . كنت بمهمة استطلاعية ضد العدو في الجنوب ، وسرت أياما وليال منهكة لدرجة عدم التمكن من المسير . كدت أسقط فاقد الوعي . تذكرتك . سمعت صوتك العبقري الدافيء

العذب المسكون ببحة العشق والذكاء والحنان والود والانتماء • جاءتني قوة خارقة • تابعت المسير نحو الهدف • حققته •

حبيبتي •• أنتِ معي داخلي أينما كنت تسكنين الجسد والقلب والعقل • أنت قوتي وأنت ضعفي •

من أجلك ذهبت لتأدية المهمة العسكرية الخطيرة ومن أجلك عدت• حبيبتي أنت وطني !!

من أجلك حققت ذاتي وذهبت الى عالمي الحقيقي ، الى خط المواجهة العربي في الجنوب اللبناني مع العدو الاسرائيلي • ومن أجلك عدت حيا • سآخذك يوما الى الجنوب الجميل عندما يعود جنوبا لبنانيا جميلا متحررا من الاحتلال الصهيوني البشع • حبيبتي دور سورية القومي تحرير أرض لبنان من العدو ، واعادته الى ما كان ، لبنانا عربيا حرا واحدا متوحدا وحدويا •

قلت لرئيسي : لقد نجحت في هذه المهمة سيدي وذهبت وعدت حيا بسبب قوتين داخلي ، ايماني بوطني وحبي التاريخي لحبيبتي ، زوجتي الحقيقية المقدسة ، زوجة الروح والجسد •

حبيبتي •• أنت الوطن وأنت الحرية وأنت النصر في الحرب • أنت بندقيتي وأنت الحياة • بكِ أدافع عن الحياة • وكل عسكري يذهب الى المعركة وراءه امرأة حقيقية لا يمكن الا أن يعود حيا مكللا بأكاليل الغار •

حتى لو استشهد تظل وراءه امرأة تبكيه بصمت ، تفخر به بمنتهى الكبرياء والعزة •

أنتِ حبيبتي ، أنت الوطن ، حيا أو شهيدا أنت حبيبتي ، وكبريائي كعسكري قادم منك اليك •

أنت الأرض ، أنت الوطن •

بوجودك يأخذ وجودي معناه وبعده • من هذا العالم كله لا يهمني الا أنتِ •

قال لي رئيسي : أنت لست مقاتلا ، أنت فنان ، رسام ، مثال ، أو كاتب رومانسي ، أو شاعر عاشق !!؟

قلت له :

« سيدي ، أنا الاثنان معا مقاتل ـ عاشق • ولا يمكن لجيش أن يحارب وينتصر الا بقوة مركبة عناصرها عـديدة : الحب العلم الفن السلاح الايمان والعقيدة • عندما يذهب الجندي الى الحرب مخلفا أرضا غالية ، وحبيبة أثيرة ، وبيتا مريحا ، وسعادة ضمنية ، فانه يحمل قوى هائلة الى جانب السلاح ، هي سر انتصاره في الحرب ، وهي سر حرية الوطن من أية قوة معادية • الحب هو الحرية •• سيدي • »

في الصفحة الأخيرة من يومياتها طلع صوتها مـن جديد وتفجر اللاصوت :

« وأخيرا وبعد انتظار وقلق مريرين عاد لي حبيبي حيـا متفجرا بالنجاح بالشوق بالحب بالرغبة في الحياة •

عاد لي حبيبي ••• عاد لي وطني •

حبيبي هو الوطن • حبيبي هو وطني الكلي •

وفي عيد السيف أقدم لجيشنا الذي يضم حبيبي بين صفوفه ، وردة دمشقية تعادل قلبي • »

بيتنا الأخضر . حديقة السبكي • دمشق ـ ١ آب ١٩٨١

* * *

الريح الإلهية

يقول مثل ياباني :

« ان وزن حياة الانسان كوزن الريشة اذا ما قورن بواجبه » .

امرأة مـن الشرق العربي أنا أرتـدي العباءة العربية الحريرية ، ولست من الشرق الاقصى ، أختال في ربيع اليابان المزهر بالكيمونو ، وفي صيف الهند اللاهب بالساري المقصب .

أعشق الامثال الشعبية العربية ، أتعشق فلسفة شعبنا العربي ، اتنفس حكمته ، اتمثل تجربته ، أمتص تراثه ، الا أني أظل مشدودة بحبال خفية الى المنابع والاصول الانسانية حيث نهر الحكمة ينبع من الشمس ويصب في بحرنا العربي ويغور في ذرات رمال صحرائنا العربية.

حنين أبدي لا يقاوم يشدني الى منبع الشمس والحكمة . تهزني من جذوري الفلسفة الشعبية المنبثقة عن التجربتين الحياتية والروحية للشعوب والامم في الشرق الاقصى .

شرقية أنا لا غربية . لا فائدة مهما سطعت أنوار الغرب .والغريب في أمري ان قوة ميتافيزيكية خفية تأخذني بكليتي الى اليابان والصين والهند . كما يسكن ملوك الجان جسد المرأة الشرقية ، تسكنني أصوات



الفنان عزيز اسماعيل ـــ انطاكية

بوذا وزارادشت وكونفوشيوس وبيدبا وطاغور وغاندي ، تنتشلني من الحريق الكبير ما انفك يلتهم ما تبقى من انسانية الانسان على سطح الكرة الارضية منذ فجر التاريخ ، يثير أواره ، اله الحرب المجنـــون يغذيه ، يطعمه حطبا وزيتا وحقدا • أصواتهم تنقذني مـــن نار القلق الوجودي يشوي الذات الانسانية ، يحرمها النوم في ليل كوكبنا الذري المعاصر ، أصواتهم تعيدني الى سلام الروح ، تهدىء من روعي ، تنزل على قلبي بردا وسلاما ، تسلمني الى جنة الراحة بفعل عودة ايمـــاني بما يبرر معاناتي في هذه الحياة ، توقا الى الحب والحرية والسلام ، لاسباب جوهرية ثلاثة لا فائدة من تجاوزها :

اللـــــه ، الوطـــــن ، الانســـــان •

عربية أنا من الوطن العربي أقف في الصيف العربي الجهنمي من عام ١٩٨٥ ، أقف في زمن الحصاد ، أتطلع الى الشمس ، أحرك بوصلة التفكير باتجاه الشرق الاقصى ، أحمل ميزان العدالة كقاض في قصر العدل ، أضع في كفة كنوز الارض وفي الكفة الثانية قوة الكاميكازيه ، قوة الروح اليابانية في الحرب العالمية الثانية ضد أساطيل ومدرعات الحرب الامريكية ، وتعصف بي وبالميزان وبالكنوز الارضية وبالاحكام التاريخية سلبا وايجابا ، الريح الالهية ، فتطيح بي أولا ، وتحملني على أجنحتها ثانيا ، وتنفخ في روحي العربية الواهنة قوة ، وتضيء لي منارة عالية في جزر اليابان النائية ، أرى بفعل نورها ما لم أكـــن أعرف ، وأدرك أسرار ملامح الريح الالهية العربية التي تصاعد من الجنـــوب اللبناني ، وتهب من الشرايين العربية الشابة الفوارة بدم الربيع ، الفواحة بعطر زهر الليمون والبرتقال والياســمين ، ويبدأ موســم جديد من شرقنا العربي ، وتبدأ دورة حياة جديدة للريح الالهية ، لتعيد العدل الى نصابه والارض العربية الى أصحابها •

يبدو أن صيفي وصيفهم قد نضج ، وان زمن الحصاد قد أقبل • لم تعد قامتي المتواضعة قادرة على احتمال ثقل حبات القمح الذهبية في رأس التاريخ ورأسي • لا بد من الحصاد والطحن واعداد العجين ، لا بد من حمل « العجنة » الى الفرن ، لا بد من اضافة خميرة الحياة وملح الحياة وماء الحياة وحبة البركة ، لا بد من شوي أرغفة خبزنا اليومي في « التنور العربي » ، لا بد • لا بد من تقليد جدتي لأمي « أم عزيزة » ، لا بد من مساعدتها بعد موتها ، وعلى طريقتها ، كي نسهم في صنع الحياة العربيـــة الجديدة في ظل الحرية ، تهب علينـــا من قمة الفداء ، من سماء تنفخ فينا ، في شبابنا ، الريح الالهية •

الميزان في يدي ، وأبطال اليابان من طياري قوة الهجوم الخاص عادوا أحياء أمامي في قمة الحياة والخلود يعيشون معي أتنفس بطولاتهم، أفكارهم ، حركاتهم ، وكلماتهم ورسائلهم وأعمالهم الخارقة ، بينمـــا أبطال المقاومة الوطنية من الشباب الفدائيين وأبطال المقاومة الفلسطينية، وأبطال المقاومة السورية ••• يتساقطون أمامي وفي زمني أراهم أسمع أصواتهم أشهد أعمالهم ، أقرأ رسائلهم ، وأشهق من الدهشة !! الاحبة يتساقطون أمامنا على أرض الوطن ، يقاتلون العدو الصهيوني بطريقتهم الخاصة، بفلسفتهم الخاصة، يصطدمون به بأجسادهم المعبأة بالديناميت، يتساقطون كزهر الليمون كزهر الياسمين ، والشجرة باقية ، شـجرة الليمون باقية وعريشة الياسمين باقية •

التاريخ بين « زهرة الكرز » و « زهرة الليمون » يعادل أربعين سنة ، وبعد أربعين سنة انتحر الطيار الامريكي الذي ألقى القنبـــلة الذرية على هيروشيما انتقاما من بطولة أبطال الكاميكازيه ــ الريح الالهية ، ولا أعتقد ان اسرائيل ستصمد أربعين سنة قادمة أمام الريح الالهية الصاعدة من فوهة بركان الدم العربي الشاب • ولا أظنها تخاطر

بالانتحار بقنبلة ذرية تفنيها قبل ان تفني جـيرانها أصحاب الأرض الاصليين •

وهنا مشكلة اسرائيل لو كانت اسرائيل تدري • وأعتقد أنها هي التي تدري •

قال كونفوشيوس :

« يجب على الانسان أن يعيش بالطريقة التي يكون فيها مستعدا بصورة دائمة للموت » •

لقد كان الاميرال تاكيجيرو أونيشي القائد الجديد للقوى البحرية اليابانية في الفيلبين ، يؤمن بهذا المبدأ الكونفوشيوسي ، وهو نفسه واضع خطة عملية « شـــوو » في تموز ١٩٤٤ ، وتعني باللغة اليابانية « النصر » ، كما أنه كان المشجع الاول لميلاد المجموعة الجوية ٢٠١ في ١٩ تشرين الاول ١٩٤٤ ، والتي خططتها القيادة العامة لصد هجوم العدو على الفيلبين • كان لا بد من ضرب حاملات الطائرات المعادية في خليج لييته • وبعد اتمام تشكيل قيادة وحدة الهجوم الخاص أعطيت اسما يابانيا ، « وحدة شينبو » وشينبو في اليابانية طريقة لقراءة اسم « كاميكازيه » أي « الريح الالهية » •

وكان على الضباط القادة المؤسسين والمشـــرفين على ولادة قوة الكاميكازيه ان يدفعوا ريحا الهية مع هذا الاسم •

وفي الصباح المبكر من يوم ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٤ نظم أمر وقعه الاميرال أونيشي تضمن ما يلي :

« تنظم المجموعة الجوية ٢٠١ قوة هجوم خاصة لتدمير وابطال

قوة الحاملات العدوة اعتبارا من ٢٥ تشرين الاول في المياه الى الشرق من الفيلبين • يطلق على هذه القوة اسم وحدة هجوم شينبو ، سوف تتألف هذه الوحدة من ٢٦ طائرة مقاتلة يخصص نصفها لانقضاض الموت والنصف الباقي للمرافقة •

وتقسم هذه الوحدة الى أربع جماعات يطلـق عليها التسميات التاليــة :

١ ــ شيكي شيما : (اسم شعري لليابان)

٢ ــ ياماتو : (الاسم القديم لليابان)

٣ ــ أساهي : (شمس الصباح)

٤ ــ يامازاكورا : (أزهار كرز الجبال)

يقود وحدة هجوم شينبو الملازم يوكيوسيكي • لقد آمن الطيارون الشباب في اليابان ان الهجوم الانتحاري هو الطريق الوحيدة لخلاص هذه الامة • وكان أول طيار انتحاري هو « الملازم الاول كانو » وكان يكتب على كيسه كتابة غريبة (الحاجات الشخصية للنقيب المرحـوم ناوشي كانو) كانوا يحصلون على ترفيع الرتبة بعد الموت • كان يقول لرؤسائه أود أن أكون أول طيار انتحاري • ولقد أخذت الاسماء الاربعة للجماعات من قصيدة (واكا) للشاعر نوريناغا موتو أوري ، وهو باحث قومي عن فترة توكوغاوا •

ويقول بيت الشعر :

(شيكشيمانو ، ياماتو ، غوكورو ، نو ، هيتو ، تاوابا ، أساهي ، نييو أو ، ياما ، زاكورا ، بانا) .

أي « ان الروح اليابانية هي كأزهار كرز الجبال مشعة في شمس الصباح » .

كتب ناكاجيما أحد شهود بطولة الريح الالهية :

« وعندما اكتشفت طائرات الاستطلاع قوة بحرية معادية الى الشرق من ليبيته ، في الساعة ٩ من تاريخ ٢١ تشرين الاول اندفع الطيارون المستنفرون بكامل لباس الطيران عبر ممر ضيق الى مقر القيادة .

لم يكن في سلوكهم أي شيء يدل على ان مهمتهم غير عادية . فلا خوف أو حزن كان باديا على محياهم عند استعدادهم لرحلة الموت المؤكد .

وبقيادة الملازم سيكي اصطف الطيارون لشرب كأس من الماء وداعا من وعاء كان الأميرال أونيشي قد تركه لهذه الغاية ، بينما كان زملاؤهم الطيارون يقفون بانتظار اقلاعهم وهم يغنون الاغنية اليابانية القديمة في جو محزن مثير ، وكانت الكلمات مثيرة لهم بشكل خاص أثناء انطلاقهم مع نسمة الصباح :

اذا ذهبت بعيدا الى البحر اومي يوكابا

فسأعود جسدا تدفعه الامواج ميزو يوكو كاباني

واذا دعاني الواجب الى الجبال ياما يو كابا

سيكون كفني حشيشاً أخضر　　كوسا موسو كاباني

وهكذا وفي سبيل الامبراطور　　أوكيمي نوهي ني كوسو شيناميه

لن أنظر الى الخلف　　كايري ميري سيجي

لن أموت بسلام في البيت　　نودو هيوا شيناميه

وبقلم ناكاجيما نقرأ عن تقرير مذهل للطيار الملازم ناوجي فوكابوري من المجموعة الجوية ٧٠١ من الاسطول الجوي الثاني ، وكان تقريره نموذجا للتضحية :

الى : (١) قائد المجموعة الجوية ٧٠١ مطار نيكولس

(٢) المقدم إينا في مطار مابالاكات الشرقي

٢٧ تشرين الاول ١٩٤٤

اليوم قمت بهبوط اضطراري في ليغاسبي بسبب عطل في صمامة قنبلتي وبعد أن تم الاصلاح فقد انضممت الى وحدتي وتابعت باتجاه لبيته . وصلت اليها الساعة ١٨٥٠ وقد قمت بالدوران حول الخليج على ارتفاع الف متر الا ان الشمس قد غربت ولم أميز سفن العدو الا ان رمايات مضادة كثيفة كانت تدل على وجودها ويبدو ان الطائرتين اللتين كانتا معي للمرافقة قد انقضتا على العدو الا ان الضوء لم يكن كافيا لتحديد هدف ثمين لذلك فقد تركت الهجوم واتجهت الى مطار سيبو .

هبطت في سيبو الساعة ٢٠٫٣٠ واني أنوي أن أقلع من هنا باكرا صباح الغد وان أجد هدفا مناسبا للهجوم . ان المشاهدات التالية قد لاحظتها أملا ان تفيد من يأتي بعدي : ..

١ ــ يجب فحص مسمار أمان القنبلة بدقة قبل الاقلاع •

٢ ــ الطائرة المحملة بقنبلة ٢٥٠ كغ واربع قنابل زنة ٦٠ كــغ تستطيع الطيران بسرعة ١٢٥ عقدة • وبتذكر ذلك يجب حساب الوقت المناسب للاقلاع • ولا يمكن تمييز السفن بوضوح ما لم يتم الوصول لمنطقة الاهداف قبل الساعة ٢٠ ١٨ على أبعد حد • ومن الصعب ان نكتشف من الجو أي هدف في البحر حتى ولو كان القمر بدرا •

٣ ــ في هجوم مناسب عند الغسق فانه بامكان حتى قاذفة طراز ٩٩ ، النجاح في القيام بهجوم معاكس •

٤ ــ اقترح دراسة امكانية القيام بهجمات خاصــة عنــد الفجر باستخدام سيبو كقاعدة للانطلاق بعد توقف ليلي فيهــا • ففي الفجر هناك احتمال أقل للتعثر بمقاتلات العدو ، كذلك فان فائض البترول في الطائرة يضاف الى القدرة المدمرة للضربة •

٥ ــ وفوق كل شيء لاتفقدوا الصبر • انتظروا الى أن تكون الظروف مواتية للهجوم ، فان فقدان الصبر يقود الطيــار للانقضاض على هدف غير ثمين •

ناوجي فوكابوري

يقول قول ياباني :

« في لحظة ازمة مفاجئة ليس من العسير على الانسان ان يقــرر الموت » •

في الجزء الرابع من كتاب « الريح الالهية » أو ميلاد الكاميكازيه الذي كتب بأقلام عدد من الشهود من الضباط العاملين والمسؤولين في

القــوة وعلى رأســهم إينوغوتشي وناكاجيما : قال الرائــد الطيار « غورو نوناكا » قائد طلعة طياري قاذفات الاوهكا كلمة أخيرة :

« هذه ميناتو غاوا » ٠ ٠ ! !

وأسرع الى طائرتــه ٠

وميناتوغاوا اســم معبــد في كوبيــه أنشىء « لمســاشــيغه كوسونوكي » بطل القرن الرابع عشر ، الوطني الذي قال قبــل موته : شيشيزي هو كوكو ٠٠٠٠

أي أتمنى لو كان لي سبع أرواح لاهبها لوطني ٠٠

أما الجزء الرابع من الكتاب فيقدم نفسه بالمثل اليــاباني وهــو من أمثــال الساموراي :

« تكلم عن العام القادم وسيضحك الشيطان »

ومن كلمات الوداع التي قالها الرائد نوناكا :

« هي ري هو كين تين » لكي تكتب على علم رفع على قاعدة كانويا ، ذكرى المهمة البطولية التي نفذها ٠

ومعنــى الكلمــات :

اللا عدل والمبــدأ والقانون والقــوة والسماء ٠ وهــي تمثــل الفلســفة الاستنتاجية ٠ وقد اخذت عن قول مشــهور لمســاشيغه كوسونوكي ٠

هي وا ري ني كاتازو   اللا عدل لا يستطيع قهر المبدأ

هي وا هو ني كاتازو   المبدأ لا يستطيع قهر القانون

هو وا كي ني كاتازو   القانون لا يستطيع قهر القوة

كي وا ني كاتازو   القوة لا تستطيع قهر السماء

وقال الاميرال مينورو أوتا قائد القوات البحرية في رسالته الاخيرة في ٦ حزيران :

« ان القوات الموضوعة بأمرتي قاتلت ببسالة وفق أفضل تقاليد البحرية اليابانية • ان القصف الشديد قد يبدل شكل جبال اوكيناوا ولكن لن يبدل الروح القومية لرجالنا » •

وأنهى الفريق ميتسورو اووشيجيما اتصالاته بالقيادة برسالة يقول فيها :

« ان الموت لن ينهي رغبة روحي في الدفاع عن الوطن » •

وهناك ملحق شعري لرسالة الوداع لرؤسائه وزملائه في السلاح للجميع والى الابد ، يقول فيه :

« العشب الاخضر في الجزيرة يموت دون انتظار الخريف ولكنه سيلد من جديد في ربيع بلادي •

السلاح تعب ، ودمنا سوف يغسل الارض ولكن الروح ستبقى •

ستعود أرواحنا لتحمي الوطن » •

يبدأ القسم الاول من كتاب الريح الالهية بالمثل الياباني :

« ان وزن حياة الانسان كوزن الريشة اذا ما قورن بواجبه » .

يقول إينوغوتشي : « يدرس الياباني ان الواجب يجب تنفيذه حتى رغم الخطر على الحياة » .

ويكتب عن واجبات الطيارين اليابانيين في قوة الهجوم الخاص فيقول : « لهذا الواجب الخاص فاننا بحاجة لافضل رجل ، فالقائد يجب أن يتمتع بامكانيات وشخصية عالية جدا » .

عالج المقدم تاماي المشكلة بأوجهها المختلفة واستقر اخيرا على يوكيوسيكي كقائد . قال المقدم تاماي : « سيكي .. لقد زار الاميرال أونيشي بنفسه المجموعة الجوية ٢٠١ ليقدم خطة ذات أهمية كبرى لليابان . تقضي الخطة بأن نستخدم مقاتلاتنا الزيرو محملة بقنابل زنة ٢٥٠ كغ لترتطم على سطوح اقلاع الحاملات العدوة وذلك لتؤكد نجاح خطة « شوو » وقد تم اختيارك لتقود الوحدة التي ستنفذ هجمات الموت هذه ، فكيف تشعر تجاه هذا الواجب ؟ »

كانت الدموع تملأ عيني المقدم تاماي عندما أنهى كلامه ، وخلال لحظات لم يحصل تاماي على جواب . كان الملازم سيكي جالساوكوعاه على الطاولة ويداه على رأسه وفمه وعيناه مغلقتان ، صامتا في تفكير عميق . وبعد ثانية ثانيتين ثلاث ثوان أربع خمس ، أخيرا تحرك ممررا أصابعه خلال شعره الطويل ثم رفع رأسه ببطء وتكلم :

« تستطيعون ان تعهدوا لي كليا بهذا الواجب » . لم يكن هناك أي تعثر في كلامه أو صوته . رد عليه تاماي ببساطة : شكرا .

« وفجأة تبدد جو الكآبة الذي كان يسيطر على الغرفة وملأته البهجة كما لو أن الغيوم قد تركت مكانها ليشع القمر في ليل مظلم • كان الحديث قصيرا الا أني رأيت في كلام سيكي واشاراته كل قوة في الشخصية ، وهذا ما أكد صحة اختيارنا له لقيادة هذه الوحدة » •

لقد ناقش المقدم تاماي والملازم سيكي في غرفة الضباط مراحل العملية التي يمكن أن يطلب تنفيذها عند أول ضوء ، ونظرا لقرب الصباح طلب تاماي من سيكي ان يحاول النوم ما أمكن •

ويكتب إينوغوتشي معلقا : أعتقد ان أفكار سيكي أثناء ذهابه الى فرقته يجب أن تكون قد ابتعدت لتصل الى أمه الارملة وخطيبته التي لم يمض عليها بضعة أشهر • الا ان التفكير في الواجب كان هو الأول •

كان الاميرال أونيشي ، الرجل الذي كان وراء ميلاد الكاميكازيه، انسانا • فمنذ موت ياما موتو ، اصبح الضابط الاول في اليابان في طيران البحرية • لذلك كان عليه أن تكون حياته ويكون مماته مثالا في المحافظة على تقاليد البحرية اليابانية ، وعلى الاسس نفسها كان يطلب من كل رجل في البحرية أن يلبي طلبات الواجب حتى النهاية • ومن الخطأ الاعتقاد ان انتحاره في أواخر الحرب بعد هزيمة اليابان ، كان تكفيرا عن أخطائه • ويعتقد الكاتب ان حياته كانت موهوبة منذ اللحظة التي شكل فيها قوة الكاميكازيه حين قرر ان ينهي حياته حتى لو ربحت اليابان • ويقول :

« أعتقد انه استعرض في خياله كل طيار خدم بامرته لحظة هجومه الخاص الاخير » •

كانت فلسفة الاميرال أونيشي ملخصة في تعبير كتابي أعطاه لاركانه بعد تنظيم « قوة الهجوم الخاص » :

كيو ساكيتّه° أسو تشيرو في أزهار اليوم يتبعثرون

هانا نو واغامي كانا فالحياة تشبه وردة لطيفة

إيكادي سونو كادو كيوكو كيف يتوقع الانسان أن تستمر رائحتها

تو دو مين الجميلة الى الابد

أونيشي ، كاميكازيه ، توكّو تاي اونيشي من قوة هجوم الكاميكازيه

وقبل موته بقليل كتب الى صديق له ، رين ماسوتاني قصيدة صغيرة (هايكو) قال فيها :

سوغا سوغاشي من المنعش

بوفو نو أتوني بعد العاصفة العاتية

تسوكي كيوشي ان يرتفع القمر وهاجا

كتب ناكاجيما :

في تحليل سلوك هؤلاء الرجال يجب أن نذكر انهم كانوا يعتبرون هجمات الكاميكازيه جزءا من واجبهم ، ان الهجوم الخاص مجرد تعبئة ذات شكل غير عادي ، انها طريقة اخرى لننفذ بها واجباتنا .

ويذكر لنا الكاتب المؤلف ناكاجيما عن علاقة الكاميكازيه بفكرة الواجب لا عند الطيارين فقط بل لدى العناصر الاخرى المقاتلة ، ويركز على ميكانيكيو الطائرات الذين كانوا متطرفين في تفانيهم بواجباتهم ، فطائرة ذات أعطال من الطبيعي أن تفشل في واجبها • فاذا عادت الطائرة الى القاعدة بسبب عطل ميكانيكي فان مشاهدة الطيار العائد خائبا ، أمر يصعب تحمله • في بعض الاحوال كان يأتيني طيار « كاميكازيه » راكضا في وقت الطلعة ليقول : أيها المقدم •• عطل في المحرك أعطني طائرة أخرى !!

ومن رجال الصيانة كان هناك رجل أخذ على عاتقه مسؤولية تنظيف وتلميع زجاج قمرة الطيار ، لكل طائرات الكاميكازيه المسؤول عنها • وقد كانت نظريته ان هذه الغرفة هي تابوت الطيار ، لذلك يجب أن تكون نظيفة جدا • وقد سر أحد الطيارين المستفيدين من هذه الخدمة حتى أنه استدعى هذا الرجل وشكره وقال له : ان نظافة غرفة القيادة تعني الكثير بالنسبة لي ••• !! وقد اغرورقت عينا رجل الصيانة بالدموع وعاد راكضا ويده على طرف جناح الطائرة بينما كانت الطائرة تتحرك لاقلاعها الاخير •

في القسم الخامس من كتاب « الريح الالهية » يطالعنا مثل ياباني عظيم :

« ابحث في الطرف الآخر قبل أن تتخذ قرارا »

كتب إينوغوتشي :

فكرت في احداث النهار وبدورة التاريخ التي بدأت هنا • هنا في خليج مانيلا وقبل خمسين عاما أعطى الكومودور الامريكي جورج ديوي أمره المشهور :

« يمكنك أن تفتح النار عندما تصبح مستعدا يا فريدلي » • وقد قاد عمله الى احتلال مانيلا •

يتصدر الجزء الثالث الذي كتبه ناكاجيما عن أعمال وحدات الهجوم الخاص في فورموزا ، مثل من أمثال الساموراي : « الى الامام ولو بسهم » وان دل على شيء فانما يدل على روح الاستمرار بعد الفشل لدى أبطال الكاميكازيه بعد خليج ليبته الى فورموزا الى جزر اليابان • وقد حضر الاميرال أونيشي الاحتفال بتعميد قوة الهجوم الخاص في فورموزا وأطلق عليها وحدة نيتاكا وهو اسم جبل في فورموزا • وفي خطاب ألقاه في المناسبة يشبه بمضمونه ما قاله في مابالاكات قبل ثلاثة أشهر ، يضيف نقطة جديدة :

« حتى لو هزمنا فان الروح النبيلة لطياري الكاميكازيه ستحافظ على وطننا من الدمار ، وبدون هذه الروح ، فان الدمار سوف يلي الهزيمة » •

وعندما نفكر حاليا بالامر يبدو ان تصميم الاميرال أونيشي على الاستمرار بهذه التعبئة فوق البشرية ، لم يهدف فقط الى ربح الحرب، ولكن الى هدف آخر اكبر وهو الحفاظ على اسم اليابان حتى في الهزيمة •

ومن بين طياري الهجوم الخاص ضابط شاب كان قد تخرج من كلية التقنية في موروران ، هوككايدو ، وقد بقي بعد تخرجه في الكلية كمساعد استاذ واستمر في الدراسات العليا الى ان قبل طلبه للانتساب الى طيران الاسطول ، وكان قد تمكن رغم حداثة سنه من تسجيل عدد من الاختراعات وكان بعض اختراعاته قيد الانتاج في اليابان ، ويعطي مردودا ممتازا • طلبته الى الملجأ في احدى الامسيات للتحدث معه بعد

أن علمت انه تطوع في قوة الهجوم الخاص وهو مستعد لاول مناسبة • أفهمته أنه أكثر أهمية لوطنه وهو حي منه وهو ميت • أجاب بموضوعية أنه يفضل الموت في سبيل وطنه •

هذه الحالة الفريدة كانت عادية بالنسبة لاخلاص رجالات اليابان لوطنهم ، وقد أظهرت روح الفداء الموروثة عن أجيال من الاجداد المحبين لبلادهم •

وبعد بضعة أيام أقلع هذا الضابط يقود أربع طائرات زيرو ليقوم بالانقضاض والموت على أهداف عدوة في اوكيناوا • وكانت كل طائرة تحمل قنبلة زنة خمسمئة كيلوغرام •

ومع مرور شهر نيسان ازداد عنف المعركة من أجل اوكيناوا وقد عوض طيارو الكاميكازيه القدامى بطيارين جدد وهؤلاء أيضا عوضوا بوجبة أحدث ، وناموا كلهم على حصائر القش وسرائر البامبو التي جاهد ، الملازم دو إي ، أحدهم ، للحصول عليها ، وتبعث أرواحهم النبيلة روحه عندما حل دورهم للفداء •

وفي الرحلة وحيدة الاتجاه ، سقطت أزهار الكرز الا ان الشجرة ما زالت يانعة خضراء •

لقد قام السيد إيتشيرو أومي بجولة استغرقت أربع سنوات ونصف بعد الحرب ، زار خلالها عائلات طياري الكاميكازيه ، واطلع على مذكرات ورسائل الاحبة الذين ذهبوا في سبيل الوطن •

كانت الرسائل مرآة ساطعة تعكس عظمة روح الفداء لدى أبطال الكاميكازيه •

كتب المرشح سوسومو كاي غيتسو من المجموعة الجوية جنزان (ونسان) في كوريا ، رسالة الى أهله وهم من ولاية ناغاساكي في شمال كيوشـــو :

أعزائي والدي والدتي وأخوتي هيروشي وتاكيشي واختي آي كو :

« آمل ان هذا الربيع سيجدكم جميعا بصحة ممتازة ، اني لم أشعر بحياتي أحسن مني الآن ، وأنا أنتظر الاشتراك في العمل .

منذ أيام طرت فوق بيتنا وألقيت آخر تحية لجيراننا ولكم . شكرا للسيد ياماكاوا . لقد سمحت لي الظروف أن أشرب لآخر مرة مـــع والدي . والآن لم يبق شيء سوى انتظار دعوة الواجب .

ان نشاطي اليومي عادي وان أكبر اهتمام لدي لا يتعلق بالموت ، ولكن بكيفية التأكد من اغراق حاملة عدوة . المرشحون ميازاكي وتاناكا وكيمورا الذين سيطيرون ، هم رفاق لي هادئون ومتزنون . ان سلوكهم لا يدل على انهم ينتظرون الاوامر لطلعة الانتحار الاخيرة . اننا نمضي وقتنا في كتابة الرسائل ولعب الورق والقراءة .

اني واثق من ان رفاقي سوف يقودون اليابان الالهية الى النصر . ان الكلمات لا يمكنها ان تعبر عن الامتنان لوالدي الحبيبين الذيـــن ربياني حتى الرجولة حيث أستطيع وبشكل صغير أن أرد جميل جلالة الامبراطور الذي أسبغه علينا .

أرجو أن تراقبوا نتائج عملي الصغير فاذا أثبت أنه جيد أرجو أن تفكروا حسنا بي ، وان تفكروا بحسن حظي ، ان استطعت تقـــديم شيء قابل للثناء . والاهم من كل شيء ان لا تبكوا علي . بالرغم من ان جسدي سيفارق فان روحي ستعود الى البيت وستبقى معكم الى

الابد • أفكاري وكل احترامي لكم وللاصدقاء وللجوار • وفي نهاية هذه الرسالة فاني أصلي لحسن حال عائلتي الحبيبة » •

ومن رسائل المرشح إتشيزو هاياشي من مواليد فوكوأوكا مـن أعمال شمال كيوشو ١٩٢٢ : وقد دخل في الدين المسيحي • وعنـد تخرجه من الجامعة الامبراطورية في طوكيو انضم الى المجموعة الجوية في جينزان ومنها نقل الى قوة الهجوم الخاص •

« والدتي الحبيبة :

آمل أن تكوني بصحة جيدة •

اني عضو في وحدة شيشيزي من قوة الهجوم الخاص ، لقد أقلع نصف عناصر وحدتنا اليوم الى اوكيناوا للانقضاض على سفن العدو ، والباقون سوف يقلعون خلال يومين أو ثلاثة • من المحتمل أن نقوم بهجومنا في الثامن من نيسان وهو يوم مولد بوذا •

اننا نرتاح في استراحة الضباط التي تقع في مدرسة سابقة قـرب قاعدة كانويا الجوية • ونظرا لعدم توفر الكهرباء فقد قمنا باشعال نار قوية واني أكتب هذه الكلمات على ضوء هذه النار •

المعنويات عالية خاصة ونحن نسـمع النجاحات المجيـدة التي يحققها زملاؤنا الذين سبقونا • وفي الامسيات فاني أتمشى في الحقول متذكرا أيام الماضي •

عند وصولنا الى هذا المكان قادمين من الجزء الشمالي من كوريا فوجئنا اذ وجدنا تساقط أزهار الكرز • ان دفء هذا المناخ الجنوبي مريح •

أرجوك أن لا تحزني علي يا والدتي فمن الفخر أن أموت في القتال، واني شاكر للحصول على فرصة الموت في المعركة حيث أستطيع تقرير مصير وطني • بينما كنا نطير الى كيوشو من كوريا كان طريق الرحلة لا يمر فوق بيتنا ، ومع اقتراب الطائرات من الوطن غنيت الاغنيــات المعروفــة وودعتك •

في طلعتنا الاخيرة سوف نرتدي ثياب طيران عاديــة وعصابة على الرأس تحمــل الشمس المشرقــة • ان رداءنا الابيض الثلجي يعطينا منظرا مريعا •

ســوف اصطحب معي غلاف « الشمس المشرقة » الذي أعطيتنيه وسوف تذكرين أنه يحمل القصيدة : « على الرغم من ان ألف رجــل يسقطون عن يميني ، وألف رجل يسقطون عن يساري » •• سأحتفظ بصورتك في صدري في الطلعة يا أمي وكذلــك صورة ماكيوسان • سأحصل على إصابة مباشرة على سفينة عدوة دون فشل • لن تكون هنالك غيوم شك أو خوف عندما أقوم بغطستي الاخيرة •

صلي لي يا أماه

الوداع إتشيزو

عندما أجلت الطلعة أضاف الطيار الكتابات التالية الى رسالته :

« أتنزه بين الحقول ليلا ، هادئا وصامتا وأنا أســتمع الى نقيق الضفــادع » •

« لم أستطع الا أن أفكر بهذا المقطع وأنا أتمشى ليلة الامس • استلقيت على أرض الحقل ورحت أفكر في البيت • وعند عودتي الى الثكنة قال لي رفاقي ان رائحتي هي من رائحــة الحقول وان هــذه

الرائحة جلبت لهم ذكرى الوطن وأمهاتهم • وقد علق بعضهم قائلا ، انني لا بد وان أكون ابن أمي المدلل • ان هذا لم يزعجني مطلقا بل على العكس لقد سررت من هذه الملاحظة ، انها دليل على ان الناس يحبونني • عندما انزعج من المفيد ان افكر في عدد من الناس كانوا لطفاء معي وعندها اعود لهدوئي •

لقد بدأت زهور الكرز بالتساقط • اغسل وجهي صباح كل يوم في جدول قريب وذلك يذكرني بالجدول المليء بازهار الاشجار قرب بيتنا •

يبدو اننا سنذهب لنهاجم غدا • وهكذا فان ذكرى وفاتي ستكون في العاشر من نيسان • فاذا كان عليك اقامة احتفال ديني لوفاتي أرجو أن تكون وليمة عائلية سعيدة •

انها تمطر الآن • انه المطر نفسه الذي يهطل علينا في اليابان وليست تلك التي خبرتها في كوريا • في استراحتنا اورغن قديم واحدهم يعزف عليه اغاني الصغار بما فيها تلك الاغنية التي تحكي قصة أم تأتي الى المدرسة ومعها مظلة لابنها » •

ومرة أخرى تأجلت طلعة هذا الطيار وأمكنه اضافة بعض الاسطر لرسالته والتي أرسلت بعد أن قام بطلعته الاخيرة :

« اني أفكر أن كل يوم هو آخر يوم ولكن كما هي الامور في كل مواضيع الحياة ، لا يستطيع الانسان ان يكون متأكدا من شيء •

آمل ان يكون وجهي مناسبا للتصوير فقد زارنا اليوم عدد من المصورين وطلبوا مني أن أقف لهم لالتقاط سلسلة من الصور • وبعد ذلك سلم علي القائد العام للاسطول المشترك ، وفي استراحتنا قال لي :

« ارجو ان تعمل كل ما في وسعك » • انه لشرف كبـير لي ان يتكلم هذا القائد مـع شخص متواضـع مثلي • انه قانع ان مصير الوطن يتعلق فينـا •

اليوم اجتمعنا حول الارغن وغنينا قصائد •

غدا سوف أغطس ضد العدو دون فشل » •

والمرشح هي إتشي أوكابي من مواليد عام ١٩٢٣ في فوكوأوكا شمال كيوشي قال في مذكراته :

« أنا الآن عضو فعلي في قوة الهجوم الخاص الكاميكازيه سوف أموت وأنا أشاهد النضال البطولي لأمتي •

لقد حددت الطلعة خلال الايام العشرة القادمة . اني انسان ولن أقول اني قديس أو شرير ولا بطل أو مجنون •• انسان فقط • وكانسان أمضى حياته آملا يبحث ، فاني أموت آملا في أن حياتي سوف تخدم « غاية انسانية » • ان العالم الذي أعيش فيه مليء بعدم الانسجام • وكعضو في مجتمع انساني أرى انه يجب ان يكون تركيـب العـالم أفضل • ان ما ينقصه هو قائد جوقة واحد • فكل حاليا يغني وفـق أهوائه ، فيسببون النشاز بينما يجب ان يسود الاغنية الانسجام •

سوف نخدم الامة بسرور في صراعها المـرير الحـالي • سوف نغطس على سفن العدو مؤكدين الاعتقاد بان اليابان كانت ومـا زالت المكان حيث توجد البيوت الجميلـة والنسوة الشجاعات والصداقات الجميلة •

ما هو واجب اليوم ؟ هو ان نقاتل •

ما هو واجب الغد ؟ هو ان نربح •

ما هو الواجب اليومي ؟ هو ان نموت •

اذا حدث وبصدفة غريبة ان ربحت اليابان فجأة هـذه الحرب فسيكون ذلك حظا تعيسا لمستقبل هذه الامـة • من الافضل لامتنـا وشعبها ان يخضعوا لتجارب قاسية ومريرة تزيد من صلابتهم •

كأزهار الربيع في الربيع

لنسقط نظيفين ومشعين » •

همدت نار « الريح الالهية » في اليابان مع انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، ولكنها ما زالت تعصف بالنفوس الخيرة من أبناء شعوب العالم الثـالث المناضلة ضد الامبرياليـة والاستعمار بكـل اشكاله الحديثة •

نامت أحداثها المشرقة وشمسها الساطعة في عتمة التاريخ نـوما مبدئيا ، ثم هبت فجأة في دورة انسانية جديدةإعصارا إلهيا عربيا مع العمل الفدائي الفلسطيني أولا ، فالعمل الفدائي اللبناني ثانيا ، فالعمل الفدائي السوري ثالثا ، فالعمل الفدائي المصري رابعا ، وبدأ تسـاقط الزهر العربي في الربيع العربي المعاصر •

مرت أربعون سنة ، غطى غبار النسيان فيها كتب المكتبة الانسانية تحمل خلود قوة ابطال الكاميكازيه في اليابان • ولكن كما قـال لافوازييه : لا شيء يولد في الطبيعة ولا شيء يفنى • وظلت تجربة الكاميكازيه حية وشعلة مضيئة •

وكنت واحدة من « الجهلة » في وطننا ، الذين كانوا صغارا زمن الحرب العالمية الثانية، يشربون الشاي الاسود بالسكر الاسمر، ويأكلون العدس بدل اللحم ، ويذهبون الى المدرسة بلا كتب بلا صدرية سوداء ، بلا شمسية •

كبرت لم أقرأ الا بعضا من تفاصيل الحرب ، في روسيا وفي اوروبا وامريكا والشرق العربي والشرق الاقصى •

كان الفضل الاكبر لازالة غشاوة الجهل عن عيني للضابط العربي السوري المثقف والفنان الراحل قبل أوانه العقيد وليد عزت •

كان رائدا بكل معنى الكلمة عندما قام بترجمة كتاب « الـريح الالهية » قبل عام ١٩٧٢ ، عام موته ، الفاجعة الانسانية لكل اصدقائه واسرته •

وكأني به وهو الضابط العامل في الجيش العربي السوري ، يرفع القبعة وينحني احتراما لفكرة الفداء والشهادة في الحرب من أجـل الوطن ، يؤمن بتأثيرها على رفع معنويات الامة وعلى سير الخط البياني للمعركة ايجابا مع الوطن سلبا ضد العدو •

وكأني بوليد عزت في عمق العمق منه قد تنبأ بترجمته لحياة أبطال قوة الهجوم الخاص الكاميكازيه في احداث الحرب العالمية الثانية في الشرق الاقصى ، بأن الولادة الثالثة للريح الالهية سوف تبدأ من الجنوب اللبناني لتحرير الارض العربية من العدو الاسرائيلي المغتصب للحق وللارض •

ويا لعبقرية التنبوء • وعصفت الريح الالهيـة بدم أبناء وبنـات الجنوب اللبناني ، وفار الدم العربي في الشرايين اثر الاحتلال الاسرائيلي

لارض لبنان ، وبدأت أزهار الليمون والياسمين من سـورية ولبنان بالتساقط بعد أن تساقطت أزهار شجر البرتقال في حيفا ويافا على أرض فلسطين ، طليعة للعمل الفدائي العربي المعاصر .

واستيقظنا يوما على صوت « زهرة الليمون » اللبنانية الجنوبية عروس الجنوب اللبناني سناء محيدلي . وعصفت الريح الالهية وهر الزهر العربي كما هر الزهر الياباني منذ أربعين سنة ، وهر زهـر البرتقال والليمون والياسمين في فلسطين ولبنان وسورية ، كما هر زهر كرز الجبال في اليابان ، وبـدأت دورة جديدة للتاريخ هنا في أرضنـا .

وكرت المسبحة المقدسة وتتالى سقوط شهداء المقاومة العربية على خط العدو مع الجنوب اللبناني : الشهداء : سناء محيدلي ، وجـدي الصايغ ، عساف جوزيف فرح ، علي فايز الحلبي ، وفاء نور الدين ، لولا الياس عبود ، مالك وهبي ، أحمد عبادي ، ابتسام حرب ، خالد أزرق ، جمال الساطي ، هشام عباس ، علي غازي طالب ، عبد الله محمد خالد عبد القادر ، فارس مغوار ، مناع عطايا ، عصام أحمد حسـين الخضر ، علي طلبة حسن ، أحمد جمعة ، الياس حرب ، حسام حجازي ، ميشال صليبا ، ناصر عبد القادر خرفان ، عمار الأعسر ، ميلاد أحمد صوفنجي ، محمود مرشد سليمان ، حسن سالم محمد ، حميدة الطاهر ، حتى نهاية عام ١٩٨٥ ، وخط الفداء والشهادة مفتوح ، قضاء وقدرا على العدو ولا راد للارادة الالهية ، وللتصميم العربي ، لاشيء يوقف التيار ، لا قوة تهدىء من سطوة الريح الالهية تلف الزمان والمكان ، لا تكنولوجيا معاصرة تمنع الانسان العربي العاشق للوطن من أن يفتدي وطنه بصدمة جسمه المعبأ بالديناميت ، مباشرة مع هدف معادي .

كان الطيار الياباني كانو هو أول طيار انتحاري اصطدم بحاملة

طائرات امريكية ، وكان عمله وعمل أبطال قوة الكاميكازيه مثارا لدهشة الحلفاء والاعداء •

قال ضابط بحار يخدم في القوة الجوية السوقية الامريكية انه كان على ظهر سفينة أصابتها طائرة كاميكازيه • وقد اعترف انه أخذ بالروح القتالية التي أبداها الطيار المهاجـم •• وأبدت الكاتبة روث بينديكت في كتابها « Chrysauthemum and the Sward » تفهما عميقا • والكاتبة تتبعت أصل « روح الكاميكازيه » بعيدا في عمق التـاريخ الياباني ، وتوصلت الى التعريف التالي : « ان هذه الروح هي ايضاح لتفوق قوة العقل على المادة » •

أتوقع كاتبة أمريكية شـابة معاصرة تتحفز هذه الايام ، تعـد أوراقها وأقلامها تستعد لدراسة « روح الفداء والشهادة » لدى خيرة شابات وشبان الوطن العربي المعاصر ، علها تفهم السر الكامن وراء هذا الوجه العربي الجميل للصبايا سـناء محيدلي ولولا عبود وابتسـام حرب ، وحميدة الطاهر ، الوجه الذي آثر الموت استشهادا بشرف على الحياة أمام المرآة بلا كرامة • كاتبة تدفع حياتها ثمنا كي تفهم كنه هذه البطولة وجوهر الموت غير العادي لشبان وشابات في ربيع العمر من أجل وطنهم •

أقدم لهذه الكاتبة الامريكية أو الاوروبية المتوقعة رسالة عروس الجنوب الى أهل وطنها وأهلها ، ربما بدءا من هذه الرسالة ــ الوصية تبدأ دراسات تحليلية علمية جديدة لجيل الشباب العربي ، وقد خاف جيلنا ، متقدمه ، أن يغرق في زجاجات الكوكاكولا المهدئة للاعصاب المتوترة ، وبناطيل الجينز الجنسية الضيقة ، ناسيا قضية التحرير ، فكان خوفنا ممثلا بشدة في المثل الشعبي الياباني :

« تكلم عن العام القادم وسيضحك الشيطان » • وضحك الشيطان من توقعاتنا ومخاوفنا •.

أيتها الكاتبة الامريكية إبدئي من قراءة وصية « زهرة الليمون » عروس الجنوب اللبناني ، العربية اللبنانية سناء محيدلي • لمعلوماتك الشهيدة سناء محيدلي فجرت نفسها في قافلة اسرائيلية قبل ظهر الثلاثاء ١٩٨٥/٤/٩ في باتر ، مما أدى الى مقتل ضابطين وجرح جنديين باعتراف اسرائيل •

اليك نص الوصية :

« أحبابي ، ان الحياة وقفة عز فقط • أنا لم أمت بل حية بينكم اتنقل ، اغني ، ارقص ، احقق كل آمالي • كم أنا سعيدة وفرحة بهذه الشهادة البطولة التي قدمتها • أرجوكم ، أقبل أياديكم فردا فردا لا تبكوني • لا تحزنوا علي ، بل افرحوا ، اضحكوا للدنيا ما دام فيها أبطال وآمال في التحرير • انني بتلك الصواعق التي طيرت لحومهم وقذاراتهم بطلة •

أنا الآن مزروعة في تراب الجنوب اسقيه من دمي وحبي له • آه لو تعرفون الى أي حد وصلت سعادتي • ليتكم تعرفون لكنتم شجعتم كل الذين يسيرون على خط التحرير من الصهاينة الارهابيين • مهما كانوا أقوياء ارهابيين يهودا قذرين فهم ليسوا مثلنا • انهم جبناء يطعنون من الخلف ويفرون • يلتفتون شمالا ويمينا هربا من الموت •

التحرير يريد أبطالا يضحون بأنفسهم يتقدمون غير مبالين بما حولهم ينفذون • هكذا يكون الابطال • انني ذاهبة الى أكبر مستقبل ، الى سعادة لا توصف • لا تبكوا علي من هذه الشهادة الجريئة ، لا ، لحمي الذي تناثر على الارض سيلتحم في السماء •

آه أمي كم أنا سعيدة ، عندما سيتناثر عظمي عن اللحم ويهدر دمي في تراب الجنوب من أجل أن أقتل هؤلاء الاعداء الصهاينة •

والكتائب نسوا انهم صلبوا مسيحهم . أنا لم أمت ، هذه واحدة والثانية ستأتي أكبر وستليها ثالثة ورابعة ومئات العمليات الجريئة . فضلت الموت بشرف على ان يغدرني انفجار أو قذيفة أو يد عميل قذر ، هكذا أفضل وأشرف أليس كذلك ؟

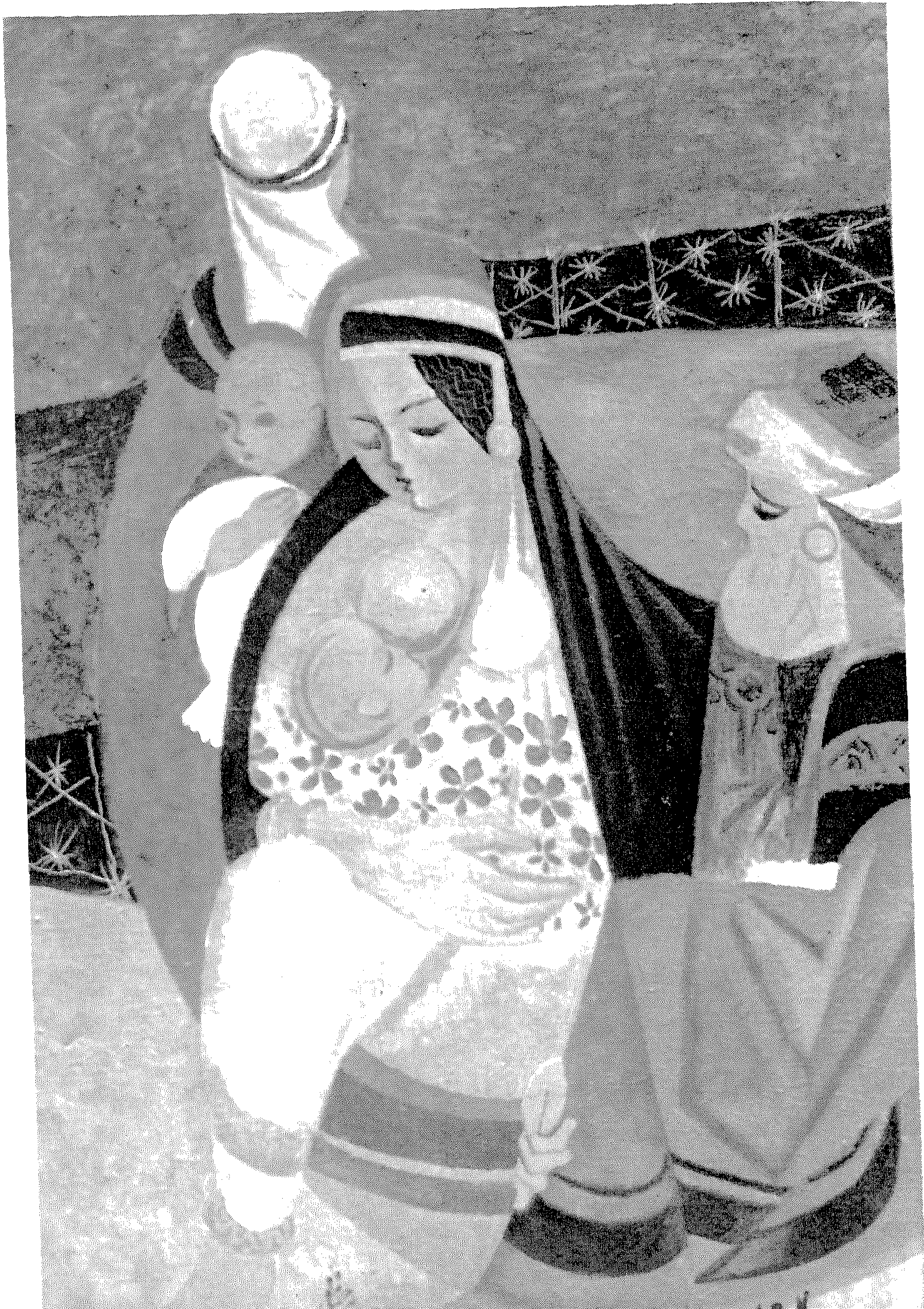
ردوا على أسئلتي سأسمع على رغم أنني لست معكم . سأسمع لان صوتكم وضحككم الجريء سيصل الى كل حبة تراب سقيتها من دمي وسأكون صاغية هادئة لكل حركة ، لكل كلمة تلفظونها . أجل هذا ما أريد ولا تغضبوا علي لانني خرجت من البيت من دون اعلامكم . أنا لم أذهب لكي أتزوج ولا لكي أعيش مع شخص ، بل ذهبت الى الشهادة الشريفة الباسلة السعيدة .

وصيتي هي تسميتي عروس الجنوب سناء » .

أكدت الشهيدة البطلة سناء محيدلي في مقابلة أذاعها التلفزيون العربي السوري مساء ١٩٨٥/٤/٩ سجلت قبل قيامها بالعملية البطولية الانتحارية في جنوب لبنان ، أنها ليست الوحيدة التي قررت أن تكون شهيدة وقالت ان قرارها بالاستشهاد جاء ضمن مجموعة قرارات للاستشهاد في سبيل تحرير شعبنا وأرضنا .

وقالت : لقد رأيت وعايشت بأم عيني مأساة شعبنا في ظل الاحتلال والقهر والظلم وقتل الاطفال والنساء والشيوخ وتهديم المنازل على أهلها وساكنيها .

وردا على سؤال حول شعورها وهي تعرف أنها ستستشهد خلال قيامها بالعملية قالت: انني مرتاحة جدا سأنفذ العملية لأنني أقوم بواجبي تجاه شعبي وأرضي ، وعلى شباب وشابات بلادي ان يلتحقوا بالمقاومة



الفنان نعيم اسماعيل ـ انطاكية

الوطنية على اعتبارها الوسيلة الوحيدة القادرة على طرد العدو المغتصب من بلادنـا •

وأعربت سناء محيدلي عن أملها في أن تكون عمليتها ناجحة وأن تؤدي الى مقتل أكبر عدد ممكن من جيش العدو ، وقالت : « أتمنى أن تعانق روحي أرواح الشهداء الذين سبقونا وتتوحد معهم من جديد لتشكيل قنبلة تتفجر من جديد في وجه العدو » • ووجهت التحية لجميع المناضلين العرب وعلى رأسهم قائد مسيرة التحرير والصمود السـيد الرئيس حافظ الاسد ، كما وجهت تحية لجميـع المناضلين في جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية والى أهلها وأقاربها كلهم ، وطلبت منهم أن يستمروا في مسيرة التضحية والفداء حتى تحرير الارض والشعب •

وتمنت على والدتها ان تترحم عليها وقالت : لقد علمتني أمي أن أحب وأضحي وأحترم ، وها أنا أحب بلادي وأضحي بحياتي من أجل شعبي وبلادي •

وطلبت سناء من والدها أن لا يحزن عليها وأن يقيم لها زفـة واحتفالا لان دمها سيغسـل أرض جنـوب لبنان من دنس المحتلين الصهاينة ، ووجهت تحيـة حب وتقديـر الى الجنوب اللبناني الثائر والمقاوم بكل أشكال وأنواع المقاومة الوطنية للاحتلال ، والى كافـة الشهداء الذين سبقوها في الجنوب •

آخر ما طلبته سناء محيـدلي في وصيتها أن تزف الى الجنوب اللبناني وأن تسمى عروس الجنوب •

أبشري يا عروس الجنوب ، يا زهرة الليمون ، يا من وضع الاله فيك سره • من روحك الخالـدة عصفت « الريح الالهيـة العربية المعـاصرة » •

أشم عبيرك يا زهرة الليمون ربيعا صيفا خريفا شتاء . هرت زهرة الليمون ، لكن الشجرة العربية ما زالت يانعة ، نضرة ، باقية .

الشهيدة العربية سناء محيدلي هي التي أعلنت للعالم أن الريح الالهية قد بدأت دورة حياتية جديدة ومجدا جديدا من هنا من الارض العربية في نهاية القرن العشرين وسوف يكتب تاريخ جديد لوطننا باذن اللـه .

من مدينة حلب في سورية العربية قدم نفسه للفداء الشهيد خالد أزرق وهو طالب جامعي ويحمل شهادة المعهد العلمي في دمشق عمره ٢١ سنة . بدأ نضاله في جبهة المقاومة اللبنانية في ١٥/٤/١٩٨٥ اثر استشهاد عروس الجنوب البطلة الرائدة سناء محيدلي في ٩/٤/١٩٨٥ وقال خالد الازرق في برقيته لعائلته :

« اكتب في اللحظة التي سأنطلق فيها لتنفيذ عمليتي وأنا فخور بكم وبعملي هذا ومقتنع تماما انني سأكون منارة ونبراسا وفكرا لكم ولكل من أحب . في هذه اللحظة تختلط علي المشاعر ولكنني أحمل لكم كل المحبة وذكرياتي تمر أمامي كشريط سينمائي .

الى أبي : لا تحزن مما أقدمت عليه لانني وقفت وقفة العز الذي علمنا اياه سعادة . وأنا ابن لك كما أنني ابن عقيدة ، لك حبي وأرجو أن تفخر بي أمام كل الناس .

الى أمي : أم البطل .. أنـت التي علمتني البطولـة والتضحية وعلمتني الاقدام وبذل الجهد لتحيا أمتي. اطلب منك يا أمي أن تزغردي وتقولي : أنا أم الشهيد البطل .

كما أرجوك يا أمي أن تربي إخوتي على مبـادىء سـعادة وحب التضحية بالدم .

وأكرر يا أبي الحنون والطلب اليك بأن تعلم اخـوتي الفداء ولا تحزن علي لانني البطل الذي أنتمي الى مجموعة قررت الاستشهاد، رجائي لك ولوالدتي أن تضحيا من أجل الوطن الغالي .

وقال الشهيد خالد أزرق : انني مؤمن بهذه الارض وبتحريرها من رجس الاعداء اليهود . لا فرق بين لبنان والشام (سـورية) كما انني مؤمن بقطع كل يد تمتـد الى لبنان ، لبنان أرضي كما الشـام وفلسـطين .

خالد ازرق

الشهيدة ابتسام حرب من مواليد بلدة غريفة ــ الشوف عمرها ٢٨ سنة . طالبة جامعية في قسم علم النفس . التحقت بالعمل النضالي في جبهة المقاومة الوطنية عام ١٩٨٣ .

وفي حديث تلفزيوني قالت الشهيدة ابتسام حرب قبل توجهها لتنفيذ العملية البطولية ضد العدو بكل هدوء واتزان وثقة بالنفس ، ينطق بها وجه في غاية الجمال الذي يبكي الحجر : « ان على الامم التي تعاني من استعمار وحشي كالاحتـلال اليهودي أن تمارس البطـولة والصراع . والشهادة هي البطولة المطلقة .

عندما فكرت بعمل يعطي للمرء معنى ولقضيتي انتصارا ولوطني تحريرا ، لم أر سوى الاستشهاد وقد كان اختياري الاوحد ، ويخالجني شعور بأني سأقوم بعمل يعيد لشعبي حريته . ودعت الشهيدة ابطال المقاومة الوطنية الى تصعيد وتيرة القتال ، ووجهت تحية الى الرئيس حافظ الاسد وجيشه القومي الباسل ، وشكرته لتكريمه شهداء المقاومة اللبنانية ودعمه مسيرة النضال ، وطالبته باسقاط كل المشاريع التقسيمية بكل مظاهرها ليصبح هذا الوطن موحدا .

وقالت :

« هذه الشهادة التي سجلتها بدمي لم أسجلها من أجل فئة ولا طائفة ولا بقعة أرض ولا كائن ، انما من أجل كيان الامة ، وكنت أتمنى تسجيل هذه الشهادة داخل الاراضي المحتلة في فلسطين في القدس لأعمد أرض فلسطين بدمي » .

ابتسام حرب وخالد أزرق بطلان في جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية قاد كل منهما سيارة مفخخة ، وتوجهت ابتسام الى رأس البياضة وخالد الى بوابة الزامرية في الشريط الحدودي المحتل ، وفجرا نفسيهما بعشرات الجنود الاسرائيليين وميليشيات انطوان لحد العميل .

وعند الساعة الرابعة والدقيقة العشرين بعد ظهر يوم ١٩٨٥/٤/٩ قام فتى الشام المناضل خالد أزرق بتنفيذ عملية بطولية استشهادية على الطريق الرئيسية بين مرج الزهور وحاصبيا ، فاقتحم حاجزا مشتركا لقوات العدو الصهيوني وعملائه من جيش لحد الخائن بسيارة بيك آب فولسفاكن مجهزة بعبوة ناسفة تزن الف كغ من مادة الـ « ت. ن. ت. » الشديدة الانفجار . وقد أسفرت العملية عن قتل وجرح جميع عناصر الحاجز وعددهم ثلاثون ، واحتراق وتدمير مجنزرتين للعدو وست سيارات صغيرة تابعة للمخابرات الاسرائيلية مع ثلاث سيارات جيب عسكرية .

وبعد العملية الاولى بخمس دقائق أي في الرابعة والدقيقة الخامسة والعشرين ، قامت فتاة الجبل المناضلة الشهيدة ابتسام حرب بتنفيذ عمليتها البطولية الاستشهادية على جسر الحمرا ــ البياضة ــ الناقورة ، فاقتحمت حاجزا مشتركا للعدو اليهودي وجيش لحد الخائن بسيارة بيجو ٥٠٤ مجهزة بعبوة ناسفة تزن ٢٠٠ كغ من مادة « ت. ن. ت »

الشديدة الانفجار حيث أسفرت العملية عن قتل وجرح جميع عناصر الحاجز وعددهم ثلاثون .

الشهيد عبد الله عبد القادر فارس بعثي من مواليد ١٩٦٨ في القطر العربي السوري من مواليد قرية السحل قضاء النبك وسكان بلدة العين في قضاء بعلبك قال في حديثه التلفزيوني قبل استشهاده :

« ان عدونا شرس ومتغطرس يمارس شتى أنواع الارهاب على شعبنا ، بأحدث أنواع الاسلحة الاميركية الصنع القتالية . وأمام شراسة العدو نرى المستسلمين من العرب يتهافتون للخضوع له ، وقد علمنا حزبنا والقائد الاسد ان الشعوب المناضلة في سبيل حريتها وتقدمها لا بد أن تنتصر .

ان استشهادنا ليس انتحارا ، انما هو فداء لامتنا العربية ، ودفاع عن شعبنا واذلال لاعدائنا وهزيمة لهم . وكما قال الرفيق المناضل حافظ الاسد ان أهم سلاح واجهنا به الاعداء هو الانسان المصمم على الشهادة .

وايمانا مني بقومية المعركة ووحدة الهدف والمصير ، الذي يجمع الامة العربية ، وان كنت من القطر العربي السوري ، لا فرق عندي أن أؤدي واجبي القومي على أية بقعة من الارض العربية سواء في سوريا أو في لبنان أو في فلسطين ، لان العدو لا يستهدف لبنان وحده ، لان مخططاته تهدف الى القضاء على الامة العربية دون استثناء . وما وجود الجيش العربي السوري على أرض لبنان الشقيق الا لهذه الغاية .

أوجه التحية الى رمز المقاومة الوطنية اللبنانية الرفيق المناضل حافظ الاسد ، باعث الامل في النفوس والقلعة التي ترهب الاعداء وتتحطم عليها المؤامرات ، واوجه التحية الى مقاتلي جبهة المقاومة

الوطنية اللبنانية ، وأدعوهم لان يتابعوا المسيرة لتحرير الوطن من رجس الاعداء ، لان الوطن أمانة في أعناقنا ولنحافظ على هذه الامانة نقية طاهرة ولا نبخل عليها بدمائنا وأرواحنا .

أوجه التحية الىأهلي وإخوتي وأطلب منهم أنيفتخروا باستشهادي ويعتزوا بي لان استشهادي مفخرة لهم كما هو مفخرة واعتزاز لكل العرب من المحيط الى الخليج » .

صقر البعث الشهيد البطل عصام عبد الساتر من مواليد ١٩٦١ ومن بلدة ايعات في قضاء بعلبك قال في حديثه التلفزيوني قبل استشهاده ضد موقع لجيش لحد في تلال كفرحونة قضاء جزين بواسطة سيارة مفخخة زنة ١٠٠ كغ من مادة « ت. ن. ت » شديدة الانفجار :

« النضال ضد العدو ، العدو الصهيوني والعملاء يتطلب تضحيات كبيرة ، والشعب المؤمن بتحرير أرضه يستطيع أن يقدم دماء شبابه .

نحن نحب الحرية والعيش بكرامة ، هكذا علمنا حزبنا العريق ، حزب البعث العربي الاشتراكي على التضحية والفداء ، وهكذا يريدنا قائدنا المناضل الرفيق حافظ الاسد .

عمليتي هي قمة عطائي . نريد أن نثبت لكل العالم ان شعبنا مصمم على تحرير أرضه .

وصيتي لرفاقي في منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي وجبهة المقاومة الوطنية ان يتابعوا المسيرة حتى تحرير آخر شبر من أرضنا العربية المغتصبة ، وان يحافظوا على كرامة القرار العربي للرفيق القائد حافظ الاسد وبتصميم على الشهادة في سبيل النصر » .

أيتها الكاتبة الامريكية المحتملة ... هل سمعت بآخر شهيدة عربية سورية سقطت من أجل القضية العربية في أواخر عام ١٩٨٥ وقبل أن يقبل رأس السنة الميلادية الجديدة عام ١٩٨٦ ؟؟

اليك جانبا من قصة الصبية الجميلة الطالعة كالوردة الجورية من بساتين الرقة ، على ضفاف نهر الفرات في الشمال الشرقي من سورية . من الرقة تفتحت الوردة وسافرت في رحلة الاستشهاد الى هناك في الجنوب اللبناني ، على الحد الفاصل بيننا وبين العدو ، لتعلن باستشهادها كما أعلن باستشهاده علي طلبة حسن ، أن العدو الصهيوني لن يأخذ الارض العربية من الفرات الى النيل . ما دام فيه أمثال حميدة وعلي من الشباب العربي المعاصر .

أصدرت جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية ومنظمة حزب البعث العربي الاشتراكي في لبنان البيان التالي عن العملية البطولية :

« مرة أخرى يعيش الجنوب أفراح النصر مع مواكب الشهداء ، وتتعانق بنادق الثوار المناضلين على أرض البطولة والكرامة ، لترتفع راية التحرير وينكفىء ظل الاحتلال البغيض عن وجه الوطن الجريح الذي انهكته حروب الطوائف والقبائل والمعارك التي تخاض في غير مواضعها وبعيدا عن أهداف التحرير والتوحيد .

الجنوب يعود مجددا حضنا يتسع على الدوام لارادة شعبنا العظيم في القتال والمواجهة ويظل كما عهدناه دائما خندقا أماميا يدافع عن كرامة الامة العربية ويتواجه مع مخططات العدوان والتآمر ، وهكذا يبقى الجنوب قبلة المناضلين تمتزج على أرضه الدماء العربية في أجمل عناق للمناضلين الذين آثروا دفء الشهادة على دفء الحياة . وتثبت جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية أنها الرمز والوعد الذي لا ينفك يرفد القضية

الوطنية والقومية بشلال الدماء الطاهر تتردد أصداؤه هادرة لتحمل النصر الذي طال انتظاره • ووعد الثوار لا يخيب •

ففي الساعة الحادية عشرة والثلث من قبل ظهر اليوم الثلاثاء الواقع في ٢٦ تشرين الثاني عام ١٩٨٥ قامت البطلة حميـــدة مصطفى الطاهر باقتحام موقع لجماعة لحد في مزرعة ريمات على طريق جزين ، بسيارة « بيجو ٥٠٤ » كحلية اللون محملة بثلاثمائة كيلو غرام من المواد شديدة الانفجـــار •

وقد استطاعت السيارة ان تصل الى داخل منطقة تجمع العميل لحد المتواجدين في المزرعة حيث ينصبون خمس خيم عسكرية يحيط بهم موقع مدفعية ، ويقدر عددهم بخمسين عميلا يشرف عليهم عدد من ضباط وعناصر المخابرات الاسرائيلية مع ثماني آليات مجنزرة ومصفحة وسيارة جيب كانت في مكان وقوع العملية •

ولم يتم اعتراض الســـيارة من قبل عناصر الحاجز لانها معروفة لديهم وقد تم الاستيلاء عليها وتفخيخها بطريقة أفقدت العدو الاسرائيلي وعملاءه صوابهم •

وأدت هذه العملية البطولية الاستشهادية العظيمة الى تدمير الموقع تدميرا كاملا. واشعال حرائق كبـــيرة في المزرعة امتـــدت الى عشرات الامتار •

وشوهدت سيارات الاسعاف تصل تباعا من مدينة جزين الى مكان العملية ، وقدر عددها بحوالي ٢٠ سيارة ، فيما راحت مدفعية العميل « انطوان لحد » تصب نيرانها على الاماكن المجاورة مستخدمة مدفع عيار (١٠٦) •

والشهيدة حميدة مصطفى الطاهر من مواليد عام ١٩٦٨ في محافظة الرقة في القطر العربي السوري ، وهي من مجموعة الشـــهيد واصف شرارة ، وعضو عامل في منظمة شبيبة الثورة في سورية • انتسبت الى صفوف الحزب عام ١٩٨٢ والى جبهـــة المقاومة الوطنية اللبنانية عام ١٩٨٤ •

قالت الشـــهيدة حميدة مصطفى الطاهر في مقابلة تلفزيونية قبل تنفيذ العمليـــة :

« أنا فتاة عربية سورية من شبيبة حافظ الأسد ، وهويتي بعثية ، ساحتنا الوطن العربي كله ، ولبنان الذي عشت آلامه هو وطني كما هي سورية وطني •

جئت اليوم الى جنوب لبنان لأجسد قول القائد المناضل حافظ الأســد بأننا في سورية نتقاسم معكم الحياة والشهادة ، وأقدر وقفة شباب المقاومة بوجه الصهاينة الأعداء والعملاء ، وأزرع جسدي الى جانب جسد الشهيدة البطلة سناء محيدلي ، وابتسام وعصام ومناع وعبد الله وهشام ووجدي وعلي ، لكي يزيد العطاء ويزهر الحياة الحــرة الكريمة ، وأطلب الشهادة التي تضعني على سطور الحياة دون هوامشها، الشهادة التي قال عنها الأب القائد الرمز حافظ الأسد انها قيمة القيم وذمة الذمم ، ولأؤدي رسالة شبيبة الثورة •

نحن نعرف ان العدو الصهيوني يشيع وسيظل يشيع ان هــذه العمليات الاستشهادية غير مؤثرة عليه ، وبالتالي فان هذه الاشاعات مصدرها العدو الصهيوني نفسه ، وشعبنا ومعه كل شــعوب العالم ، يعرف الحقيقة حيث هزت العمليات الاستشهادية البطولية كيان العدو الصهيوني وأدخــلت الرعب الحقيقي الى نفســه واستنزفت قواه •

والهجرة المعاكسة التي يشهدها الكيان الصهيوني اليوم هي الـدليل الساطع • فهو بهذه الاشاعة يريد أن يشكك بتأثير نفسي على الصهاينة ، ليتخلص من حالة القلق التي يعيشها •

لكننا لن نترك لهم هذه الفرصة أبدا • فرفاقنا على الدرب ينتظرون دورهم الى الاستشهاد • رفاقنا اليوم في سورية وفي كل الاقطار العربية، ينتظرون أن يقدموا مثلما قدم الشهيد البطل علي طلبة حسن من مصر العربيـة • » •

وأدت الشهيدة حميدة مصطفى الطاهر القسم التالي رافعة يدها الى الأمام ــ الأعلى ، ليكون وثيقة تاريخية أمام عصرها :

« أنا الشهيدة الشـبيبية حميدة الطاهر ، ابنـة البعث العربي الاشتراكي ، ابنة المقاومة الوطنية اللبنانية ، ابنة حـافظ الأسـد ، أقسم بالعقيدة والنضال ان أجسد انتمائي الى حزب البعث وللقائـد الرمز حافظ الأسد راعي الشبيبة والمقاومة الوطنية اللبنانيـة وملهمها ومثلها الأعلى ، ورمز انتمائها العقائدي والنضالي ، للشهادة قيمة القيم وذمة الذمم ، فأنا تعلمت ذلك في مدرسة حافظ الأسد ، اتحاد شبيبة الثورة المناضل ، وجسدته في صفوف المقاومة الوطنية • الشهادة أقصر السبل للتعبير عن حب الوطن والحفاظ على عزته وتحرير كل ذرة من ترابه من دنس الصهاينة الغزاة •

والشهادة أقصر السـبل للتعبير عن حب حافظ الأسد ، ووفاء لرعايته ، وهي الطريق الى أن تظل راية البعث العربي الاشتراكي ، راية حافظ الاسد عالية خفاقة كريمة الى الأبد • وليبقى حافظ الأسد القائد والأب والمعلم والقدوة العظيمة رمزا لانتمائنا وملهما لعطائنا راعيا لنا ، ومثلا أعلى لانتمائنا ونضالنا • والخلود لرسالتنا • » •

هبت الريح الالهية العربية الطبع من الجنوب اللبناني في الزمن المعاصر ، تلف الارض وتهز الوجدان الانساني ، وتبعث الشهقة ، حزنا وانبهارا ، في الصدور المحبة ، خوفا وتخلخلاً ، في الصدور المعادية ، وتفجرت على الارض اللبنانية الخضراء الخصبة ذات التربة الحمراء ، ينابيع الدم الطاهر من شرايين الصبايا والشبان العرب المتفتحين على الحياة كالورد الجوري • وزغردت النسـوة العربيات إعلانا للفخر والحداد ، بشهدائهن وعلى شهدائهن ، وغنت الحناجر الذهبية « عصر الشهادة » دفاعا عن الارض ، كلمات عفوية شعبية ، انشق عنها فجر جديد للطرب المرتبط بعشق الشاعر والمطرب والملحن ، للوطن العربي الأم ، فصارت الاغاني على الشفاه كما النشيد الوطني العربي الشعبي من الشعب وإليه ، مرآة حزنه ورفضه وأمله في التحرر • والتوى قلبي بفعل الاغنية اللبنانية اللهجة ، يطلقها صوت مطربتنا العربية اللبنانية الأولى الغالية فيروز ، على مسرح مدرج بصرى الأثري الحضاري في جنوب سورية في صيف ١٩٨٥ ، تغنيها لأول مرة لنا نحن السوريين عشاق فيروز وعشاق لبنان • والتوت مع قلبي ملايين القلوب العربية على امتداد الخارطة العربية الكبرى ، وهي ترى فيروز وتسمعها على شاشات التلفزيونات وعبر الاذاعات العربية ، مما عمق عشقها للوطن ورغبتها للدفاع عن القضية العربية ضد العدو الصهيوني في اسرائيل •

وتفاعل العرب مع عفوية الأغنية الوطنية الجديدة ، مع الكلمات واللحن والصوت الحنون الذي يذيب الحجر ويبكي مدرج بصرى الصرح السوري الحضاري لقلعة بصرى ، وتفاعل مع شعر جوزيف حرب ، مع الحان فيلمون وهبي ، مع صوت فيروزتنا الخالدة ، وغنينا معها « إسوارة العروس » التي سيخلدها التاريخ المعاصر متازمنة مع هبوب « الريح الالهية » مع قوافل الشهداء العرب المعاصرين أحفاد الشهداء العرب الأول الذين سبقوا بمئات السنين ببطولاتهم ، بطولات طياري الكاميكازيه اليابانيين في الحرب العالمية الثانية •

ومال الجنوب السوري طربا للحن الشعبي العاطفي الحزين الحنون ، ومالت الجهات الأربع السورية ، ومالت الجهات الاربع العربية ، تغني مع فيروز حزناً وفرحاً باللهجة الشعبية اللبنانية :

إسوارة العروسْ
مَشغولِةْ بالدَهَبْ
و إنْتْ مَشغولْ بقلوبْ
يا ترابْ الجَنوبْ
رسايل الغياب
مكتوبةْ بالسَّهَرْ
و إنْتْ بالعِزْ مكتوب
يا تراب الجنوبْ
و بتولَعْ حروبْ
و بتِنْطِفي حروبْ
و بتضلّك حَبيبي
يا ترابْ الجَنوبْ



إللي حَامِلْ عَكْتافو
زَيتونْ و سَنابِلْ
قلعةْ بحرْ صُور
صَخْرِة جَبَلْ عامِلْ

اللــلي حــامِــلْ وِراقْ
شــــعَرَا وعِشَــــاقْ
القَمَـــر مخبيلْهـــن
لِعــراسْـــنْ خــواتــمْ
ما بيِقْــدِرْ يْحمّل ظالمْ
و شــو ما إجـا شْــعوبْ
وشــو ماراحْ شعْــوبْ
كلّـــن رَح بيفِلــــو
و بيبْقـــى الجنَــوبْ
لمــا بْغَنّـي إســمَكْ
بْشْـوف صَـوْتي غِنِيْ
إيْــدِي صَـارتْ غَيمِةْ
وجْبينـــي عِـــلِيْ
يـــا جْنـــوبْ
الشـــمْس بتطلعْ سَوْدَا
و بيْبَســـ المَـــوْجْ
اذا بْفَكِـــرْ إنّـــو
دْروبَـــكْ مِشْ إلي
و يــا شَـعْبْ الشــعوبْ
الـ أقـــوى م لحـــروب

بتبقـــى إذا بيقـــى

يـا شَـــعبْ الجَنـوبْ

هاي هاي   هاي هاي

هاي هاي   هاي هاي

إســـوارةْ العَـــروســْ

مَشْـــغوُلِةْ بالـــدهـب

و إنـــتْ مَشْـــغولْ بقلوب

يـــا تـــراب الجنـــوب

رسَـــايِـــلْ الغيِّـــابْ

مكتـــوبـــة بـــالسِّـــهر

و انـــت بالعِـــزْ مكتوبْ

يـــا تـــراب الجنـــوب

و بتـــولـــع حـــروب

و بتِـــنْطِفـــيْ حَـــروبْ

و بتضلّـــكْ حَبيبـــي

يـــا تـْــرابْ الجنـــوب

وفي بيوت وعلى أرصفة شوارع الوطن العربي ، وفي أزقتـه الضيقة وحاراته ، وفي بيوته العربية القديمة وفي بيوته الحديثة ، في خيامه المنتشرة في الصحارى ، وفي فيلاته الانيقة على رؤوس الجبال ، وفي شاليهاته المنتشرة على شواطىء المحيطات والبحار والخلجان ، وفي

عواماته على ضفاف نهري النيل والفرات ، ينتشر صوت الشابة اللبنانية الجنوبية جوليا بطرس ، كما الريح الالهية ، وتطير مع صوتها المؤثر الغاضب ، كلمات نبيل أبو عبدو ، تعانقها الحان شقيقها زياد بطرس ، وتصير أنشودة « يا حبيبي يا جنوب » ، أنشودة الجيل .

الوجدان العربي ، يستيقظ بفعل شهداء وشهيدات الجنوب وباقي أبناء وبنات الوطن العربي ، وترتدي الشهادة العربية عباءة عربية قومية السدى واللحمة ، ونغني مع صوت الشهداء العرب ، نغني عبر حنجرة جوليا بطرس القوي ـ الحزين ، وكأني بجوليا بطرس هي سناء محيدلي تنشد :

غابتْ شمْسْ الحَق
و صار الفجرْ غرُوبْ
و صدر الشرق إنشقْ
تسكّرِتْ لِدروبْ
ْمنرفُضْ نِحْنا نموتْ
قولولن رح نبقى
أرضَكْ و البيوت
و الشعب ال عم يشقى
هَوْ إلْنا يا جْنُوبْ
يا حبيبي يا جْنوبْ
كِلّنْ يا جْنوبْ

بـاعـُـــوكْ الكَــــلامْ
و العَــــدِلْ مَصلـُـوبْ
عَـمْ يِنـْـزُفْ السّلامْ
شـُـــوْ هَمْنَــا لِحروبْ
رَحْ نِبقَــى نِحنــا هَوْنْ
و يفنـى كِــلْ الكَــونْ
و لا يِنقَـــصْ حَبّـــةْ
مـن ترابَكْ يـا جْنـُوبْ
ما تَخـافْ يـا جْنـوبْ
مـن غـَـدْرْ الـزمّــانْ
مـن وَيْـــلْ لحــروبْ
مـن لَــوْعِةِ الحِرْمانْ
ومـع كِـلِ اللـي صـارْ
رَحْ تِبقى إلنـا الـدّارْ
و يـرجَعْ شَـجرْ الغارْ
يِـزْهـّـر كَـرامِــةْ
بـأرضَــكْ يـا جْنـوبْ
غابتْ شـَمْسـْ الحَقْ
و صــار الفجـرْ غـرُوبْ
و صـدر الشـرق إنشـقْ

تســـكّرتْ لِـدروبْ

ْمنرفُضْ نِحْنــا نمــوتْ

قــولــولــن رح نبـــقى

أرضَـــكْ و البيـــوت

و الشــعب ال عــم يشــقى

هَــوْ إلنــا يا جْنُــوبْ

يــا حبيبــي يــا جْنــوبْ

يــا حبيبــي يــا جْنــوبْ

غنى الشهداء أنشودة الشهادة الخالدة • ومشوا دروب الخلود والنصر •ورددت الأمة أناشيد الحرية •

قافلة الشهداء العرب تســير ••• وأزهــار الليمون والبرتقال والياسمين والدفلى في بلاد الشام ، وأزهار اللوتس في مصر على نهر النيل ، وأزهار شجر « الغرب » في سورية على نهر الفرات ، تتساقط ، والشجرة يانعة نضرة باقية ، والوطن العربي نضر أخضر باق •

في الربيع العربي •••

اكتب عن أحداث وأعلام اكمل صورة للتعبير عن عشق الوطن بين زمنين وفي شرقين ، في الشرق الاقصى عام ١٩٤٤ في اليابان ، وفي الشرق الاوسط في جنوب لبنان عام ١٩٨٥ ، وتعترينى الدهشة ويخف وزني وأطـير ريشــة عربيــة ســورية في نيســان عــام ١٩٨٦ ، وأنا أمتطي بساط الريح العربي ، وأنظر في العين السحرية مثل علاء

الدين ، أقبض على الشعرات الثلاث كمن يقبض على مفتاح الكنز ، أشعل الشعرة الأولى ، فأرى في العين السحرية تاريخ العرب والاسلام منذ الفادي العربي الاول السيد المسيح عليه السلام ، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم وقادته من الصحابة ، وشهداء الفتح الاسلامي منذ فجر الاسلام مرورا بالعصر الاموي فالعصر العباسي فالعصر الاندلسي ، فالعصر الحاضر . وأشعل الشعرة الثانية فأرى في العين السحرية أبطال الريح الالهية ـ الكاميكازيه في اليابان . أشعل الشعرة الثالثة فأرى في العين السحرية المعاصرة ما لم تره الاقمار الصناعية وشاشات التلفزيون العالمي ، وأرى أبطال الشهادة العرب يموتون على أرض الجنوب اللبناني ليرفعوا راية حرية فلسطين والوطن العربي وراية الوحدة العربية ، راية واحدة تلوح باتجاه المستقبل وتبشر به في عصر حرب النجوم .

وأطير ريشة عربية من جنح طائر عربي ، ترقص طرباً في سماء العرب ، تلفها الريح العربية ، فترى عبر عين الذاكرة الزمانية والمكانية ، قيمة الوطن الكبرى ، ملحمة شعبية ممتدة عبر الزمان والمكان لتصنع نسيجنا العربي بجدلية تاريخية حتمية ، وتكتشفها سراً كامنا وراء بطولة طياري اليابان الشبان « الكاميكازيه » الذين أطلق عليهم كتاب العصر كلمة « الريح الالهية » اليابانية ، هبت لانقاذ شرف اليابان .

الريشة الطائرة ـ أنا ، تشهد عبر الوعي الكامل لاحداث العصر في القرن العشرين قمة القمم وذمة الذمم ، الشهادة والموت الأقصى والأعظم والأكمل والأسمى لشبان الحياة ، المفتاح السحري العربي لفتح بوابة فلسطين ، مفتاحا فلسطيني المعدن ، لبناني المعدن ، سوري المعدن ، مصري المعدن ، أردني المعدن ، ليبي المعدن ، جزائري المعدن ، وحبات المسبحة العربية في يد الله تكر والتاريخ يسجل ، والمفتاح عربي الطبع عربي المعدن ، تحمله الأيدي العربية الشابة على مثال ما دعى

إليه مناضلنا وشاعرنا القومي العربي السوري ، فخري البارودي رحمه الله ، والمفتاح يطير من الشام لبغدان •• ومن نجد الى يمن •• الى مصر فتطوان ••• من يد الى يد •

ولكن ••!!

ولا بد من لكن هذه ••• !!

أليست لحظة بدء الاستشهاد والموت الأهم من أجل الوطـن اليوم ، هي في الأصل لحظة بدء انتشار الريح الالهية العربية المسيحية ــ المسلمة ، لو جاز لنا تعميم التسمية على العصور !! أليست هي لحظة الشهادة لأبطالنا العرب في عصر النبي المسيح عليه السلام ، وفي عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي عصر الفتوحات الاســلامية الكبرى ومعارك العصور العربية المتتاليــة ، عصورا أموية عباسية أندلسية ، حتى عصر التحرر العربي من الاستعمار الأجنبي ، عثمانيا ، المانيا ، انكليزيا ، إيطاليا ، فرنسيا ، صهيونيا !! ألم يكن استشهاد الشهيد العربي السوري البطل يوسف العظمة وزير الحربية زمن الملك فيصل الأول ، على بوابة الشام عند ميسلون ، إلا حلقة من حلقات سلسلة الشهادة العربية الذهبية ، ملحمة الشهادة !! وكلنا ينحني احتراما أمام الصليب ، وهو رمز الحلقة الذهبية الأولى في سلسلة الشهادة ، وهالة النور تحيط رأس الفادي العربي الاول من أجل فلســطين ، عيسى بن مريم وقد صلبه الاستعمار الروماني الأول لأرض الكنعانيين العرب ، بفعل جاسوسية تلميذه اليهودي الخائن ، الجرثومة الأولى التي بدأت تأكل الحرية والسلام والمحبة وإسم وجسد الوطن العربي الأم منذ ذلك التاريخ !!!

ان كان المسيح عليه السلام هو الفادي العربي الأول للبشر ، وان كان تلامذته ورسله وشهداء المسيحية أمثال يوحنا المعمدان ، قد

قضوا في سبيل إعلان ونشر كلمة الدين المسيحي ، دين المحبة والسلام ، ففداؤه ما هو الا استشهاد رائد على أرضنا العربية المقدسة ، وما شهداء المسيحية عبر تاريخها الطويل ، الا تعبير تاريخي مجسد عن انتشار الريح الالهية المسيحية العربية ، الريح التي هبت أولا وفي البدء من أرض الاجداد والأنبياء والرسل والاولياء والقديسين والقادة وأبطال الفداء • وعن فادينا الأول وعن مسيح العرب مسيحنا نحن ، أخذ الغرب دينه • وبه وباسمه عاد الغرب إلينا ، الى شرقنا العربي ، عبر حصانه الطروادي الصليبي اولاً ، الصهيوني ثانياً ، كي يحتل أرض الفادي العربي الأول • يا للمهزلة !!! يأخذون الأرض باسم الدين ، يا للسخرية !!!

وتثور ثائرة الفداء ، وتفور الدماء العربية الشابة مسيحية ــ مسلمة ، غضبا حتى الشهادة ، وتهب الريح الالهية من الجنوب اللبناني ، وتظل مشكلة الغرب الاستعماري انه يجهل ان أرضنا عربية عربية ، وأن شهيدنا عربي مسيحي ، عربي مسلم ، وربما يتبعه عربي يهودي شرقي ، لن يسكت طويلاً عن مستعمريه في فلسطين ، يهود الغرب ، كي يعيد فلسطين عربية مسلمة مسيحية يهودية ، عربية القومية ، والدين لله ، تماما كما كانت قبل وعد بلفور •

وأمسك السلسلة الذهبية بأنامل تعتريها رعشة الرهبة ، ويقدم لي الحقيقة صافية كالفضة ، كاتبنا ومؤرخنا العسكري العربي السوري القومي المسلم المؤمن المعاصر بسام العسلي ، عبر مؤلفاته التاريخية الهامة ، كي تكشف لنا نحن العرب ، قبل أعدائنا ، أسرار ملحمة البطولة والشهادة في تاريخنا العربي الطويل العميق الخطير الهادر بأمواجه الغضبى ــ الراضية ، البحر الثري الحامل اللآلىء والدرر ، كما الأسماك الملونة والحيتان ، فيضع يدنا على البعد التاريخي والفوهة السماوية التي هبت منها « الريح الالهية » بدءا من العربي الأول

مسيحيا ضد الاستعمار الروماني ، مسلما ضد الاستعمارين الفارسي والرومي البيزنطي •

وأعود الى عصر المسيحية الاول وأعود الى عصر فجر الاسلام ، والسلسلة الذهبية في يدي ، حلقاتها هالات من النور الالهي تحيط رؤوس الشهداء ، أكرم من في الدنيا وأنبل بني البشر ، كل شهيد ، حلقة تتمسك بما قبلها توحي بما بعدها •

وأتعرف بوعي معاصر وأعجب ايما إعجاب ببطولة أبطال اليابان ، أزهار كرز الجبال اليابانية الذين تساقطوا في ربيع عام ١٩٤٤ مع بزوغ الشمس اليابانية الساطعة •

أعود الى الوراء •••

الى حلقات السلسلة الذهبية للاستشهاد الانساني عبر العصور •

أنحدر من زمن الاغريق وحروب طروادة وحروب الرومان ، الى الزمن العربي •

أتعرف على أبطال الشهادة العربية الأول الذين قضوا عندما هبت الريح الالهية العربية ، وأجدهم قد تقدموا أبطال « الكاميكازيه » في الشجاعة وطلب الموت ، بعدة قرون ، في سبيل الله والأرض ودين عيسى ودين محمد •

وما كانت غايتهم الا عودة الارض العربية الأم موطن الحضارة الانسانية الى أصحابها من أيدي المغول والفرس شرقا والاغريق والروم غربا •

وما كانت مسيرتهم الا من أجل هدف حق في كفة الميزان ، والشهادة في كفة الميزان الاخرى • فكانوا المعلمين الأول لأجيالنا الانسانية اللاحقة •

وكان لا بد من العودة الى كنوز التاريخ العربي ، وكان لا بد

من العودة الى الينابيع الكبرى على جسر موضوعي موثوق البنيان هيأه لأجيالنا المعاصرة الكاتب العسكري الاستراتيجي بسام العسلي ، العاشق لتاريخ العرب وأرض العرب وحضارة العرب • وقد ساعدني شخصيا للتخلي عن الرهبة من النزول الى البحر ، وأمدني بمزيد من الشجاعة لأشرب من نبع تاريخ الطبري العظيم دون أن أختنق بشلالات النبع التي تهدر إلى وديان العصور بلا توقف ، تسقي عطشـنا الى الحقيقة المجردة •

خفت الغرق في بحر الطبري ، وبحر تاريخ أعلام الشـهادة في الفتوحات الاسـلامية وفي معارك التحرير العربيـة المعاصرة مرورا بالمجاهدين العرب الافذاذ أمثال : سليمان الحلبي ، وعمر المختـار ، والامير عبد القادر الجزائري ، وأحمد عرابي ، ومحمد عبد الكريم الخطابي ، ويوسف العظمة ، والشيخ عز الدين القسام ، وعبد القادر بن موسى بن كاظم الحسيني ، ومحمد بن أحمد بن السيد عبد الله المهدي ، والأمير عثمان دقنة ، ورشيد عالي الكيلاني ، وغيرهم كثير كثير •

وانقذني طوق العسلي ، ووجدت ضالتي في كتابه القيم « رجال ومواقف تحت راية الاسلام » الذي بدأ بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالقائد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ٥٠ ق•هـ ــ ١٣ هـ = ٥٧٣ ــ ٦٧٤ م ، ثم قدم لنا سبعين رجلاً وموقفاً للبطولة والكرامة والشجاعة وصولا الى قمة الشهادة في سبيل الله والوطن والارض العربية ، الى ان انتهى بنا مع أمير السودان الشرقي وقائد الجهاد فيه ، الأمير عثمان دقنة ١٢٥٦ ــ ١٣٤٥هـ = ١٨٤٠ ــ ١٩٢٦م •

وبدأ البحر الكريم يرسل لي الموجة إثر الموجة ، استقبلها عند شاطىء الذاكرة وقمة جبل الوعي •

يعتلي قمة الموجة تلي الموجة ، علم من أعلام الشهادة في سبيل نشر الدين العربي الاسلامي • ويسعفني الكتاب ان أسجل مرة ثانية في كتابي ، ان شهداء الاسلام في معارك التحرير العربية هم مصابيح أساسية لجيلنا المناضل المعاصر ، تضيء في ليل « الجهل المعاصر » قدرة العربي منذ فجر التاريخ على الموت في سبيل المثل العليا ، الله ، الارض ، الانسان ، وموهبته الفطرية الفريدة في طلب الشهادة • فالشهادة في أرضنا العربية في رأيي هي نبـع الكاميكازيه • شـهداؤنا العرب ، مسيحيون ـ مسلمون ، هم أولا ، أبطال الكاميكازيه ، اليابانيين ، ثانيا ، شهداؤنا العرب المعاصرون ، مسيحيون ـ مسلمون ثالثاً •

فاض بحر البطولة والشهادة ضد العدو الاسرائيلي المحتل لأراضينا العربية ، وصعدت الى منابع التاريخ ، بحثا عن إحدى الحسنيين : الشهادة أو النصر ، وصعد معي كبريائي العربي الى القمة • بمن أبدأ ايها الكاتب الصديق الكريم ؟؟ كلهم مهم ، كلهم بطل ، كل منهم حلقة ذهبية في السلسلة الذهبية الثقيلة في يدي ! أخاف خطأ التقدير أمام عظمـة تاريخ الشـهادة عند العـرب ؟؟ أخاف الغـرق في بحـر المعـرفة •

وكتب لي بسام العسلي بخط يده ما لم اكن أعلمه بدقة عن معنى الشهادة عند شهداء العربية وعن معنى الشجاعة والبطولة ، إعتماداً على نبع العلامة والمؤرخ الطبري :

« كثيرا ما تطالع القارىء في الأوابد التاريخية العربية كلمـة (استقتل) والتي تعني (البحث عن إحدى الحسنيين الشـهادة أو النصر) • وكان القادة كثيراً ما يرددون على مسمع المقاتلين الذيـن

يندفعون للقاء العدو كلمة (لا تستقتل) . بمعنى لا تلقي بنفسك إلى هلكة مؤكدة (تاريخ الطبري ٣/٤٦٢) وأمثلة ذلك :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس ، فحرضهم ــ في موقعة بدر الكبرى ــ وقال : والـذي نفس محمـد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحمام ــ أخو بني سلمه ــ وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ .. فما بيني وبين ان أدخل الجنة إلا ان يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده ، واخذ سـيفه فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

ركضاً الى اللـه بغير زاد   إلا التقى وعمـل المعـاد

والصبر في الله على الجهاد   وكـل زاد عرضه النفـاد

غير التقى والبر والرشاد

(تاريخ الطبري ٢/٤٤٨) . »

إن كلمة « لا تستقتل » التي كان يرددها القادة العرب على مسمع المقاتلين الذين يندفعون للقاء العدو ، تدل على هم القادة العرب لكبح جماح المقاتلين ، حتى لا يذهبوا دون ثمن ، كقولهم : فليغن كل امرىء عن قرنه ، أي لا تنتحر ، ليدافع كل صديق عن رفيقه . هذه الكلمة بما تحمل من معنى حربي كبير تذكرني بجملة الطيار الياباني البطل ناوجي فوكابوري في رسالته الهامة الى قائد المجموعة الجوية ٧٠١ في مطار نيكولس ، التي سجل فيها قبل طلعته الاخيرة مشاهداته وملاحظاته التجريبية كي تفيد رفاقه الطيارين الانتحاريين من بعده :

« اقترح دراسة امكانية القيام بهجمات خاصة عند الفجر باستخدام سيبو كقاعدة للانطلاق بعد توقف ليلي فيها • ففي الفجر هناك احتمال اقل للتعثر بمقاتلات العدو ، كذلك فان فائض البترول في الطائرة يضاف الى القدرة المدمرة للضربة •

وفوق كل شيء لا تفقدوا الصبر • انتظروا الى أن تكون الظروف مواتية للهجوم ، فان فقدان الصبر يقود الطيار للانقضاض على هدف غير ثمين • »

ولما أطلق القادة العرب في الحرب صيحتهم الذكية للمقاتلين : لا تستقتل !! كانوا يريدون لشهدائهم موتا ذكياً من شهيد ينقض على هدف ثمين ، تماما كما فعل أبطال الكاميكازيه مثلهم وبعدهم بمئات السنين ، في الحرب العالمية الثانية في القرن العشرين •

أعود الى النبع الى تاريخ الطبري (٣/٢٩٠) لأنهل مزيداً من المعرفة عن روح الفداء لدى أمتي العربية :

« وقاد خالد بن الوليد جند المسلمين لقتال المرتدين الذين كان يقودهم مسيلمة العنيسي ــ الكذاب حتى اذا ما لاحت بواكير النصر للمسلمين لجأ المرتدون الى الحديقة (حديقة الموت) وأغلقوا الباب دونهم ، فقال البراء بن مالك : ألقوني عليهم في الحديقة • فقال الناس : لا تفعل يا براء • فقال : والله لتطرحنّني عليهم • فهيا ، فاحتُمل ، حتى اذا أشرف على الحديقة من الجدار ، اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة حتى فتحها للمسلمين • ودخل المسلمون عليها ، فاقتتلوا حتى قتل الله مسيلمة • »

« وفي القادسية ، خرج فارس ينادي : من يبارز ؟ فبرز له علباء بن جحش العِجْلي • فنفخه علباء (ضربه) فأسحره (أصاب رئته)

ونفحه الآخر ، فأمعاه ، وخرا ، فأما الفارسي فمات من ساعته ، واما الآخر ، علباء ، فانتثرت أمعاؤه ، فلم يستطع القيام ، فعالج إدخالها فلم يتأت له ، حتى مر به رجل من المسلمين . فقال : يا هذا ، أعني على بطني ، فأدخله له ، فأخذ بصفاقيه ثم زحف نحو صف فارس ، ما يلتفت الى المسلمين ، فادركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً من مصرعه الى صف فارس ، وقال :

أرجو بهـا مـن ربنا ثوابا قد كنت ممن أحسن الضرابا

(الطبري ٣/٥٤٦)

« وفي القادسية ، خرج طليحة ، حتى دخل عسكر الفرس في ليلة مقمرة ، فتوسم فيه ، فهتك أطناب بيت (خيمة) رجل عليه ، واقتاد فرسه ، ثم خرج حتى مر بعسكر ذي الحاجب فهتك على رجل آخر بيته وحل فرسه ، ثم دخل على الجالنوس عسكره ، فهتك على آخر بيته وحل فرسه ، ثم خرج حتى أتى الخرارة ، وخرج الذي كان في النجف والذي كان في عسكر الجالنوس . فكان أولهم لحاقاً به الجالنوس ، ثـم الحاجبي ، ثم النجفي ، فأصاب الأولين ــ قتلهما ــ وأسر الآخر ، وأتى به سَعداً ، فلما انتهى إليه قال ويحك ما وراءك ، قال دخلت عساكرهم ، وجستها منذ الليلة ، وقد أخذت أفضلهم توسماً ، وما أدري أصبت أم أخطأت ، وها هو فاستخبره . فأقيم الترجمان بين سـعد وبين الفارسي . وعرف سعد منه عدد أفراد جيش الفرس وعدتهم وقوتهم الـخ ...

(تاريخ الطبري ــ طبعة ذخائر العرب ٣/٥١٤) .

وماذا يقول تاريخنا أيضاً أيها المؤرخ الموضوعي والابن البـار للوطن وللتاريخ ؟؟ من ترشح لي من الأعلام ــ المصابيح كي أستنير بضوء أعماله الخالدة وأرى في ظل نوره سبل درب المستقبل ؟؟

إنه عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي ٣٨ ق٠هـ ـــ ٣٤ هـ = ٥٨٦ ـــ ٦٥٤ م ، الرجل : هو القائد الصحابي عبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي رضي الله عنه ٠

الموقف : الشجاعة المعنوية الادبية ٠

بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« على ألا يخاف في الله لومة لائم » وثبت عبادة على بيعته ٠

« وشهد عمرو بن العاص في فتح مصر مأزقاً ، فطلب الدعم من أمير المؤمنين عمر ، فأمده بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل مقام ألف : الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بـــن الصامت ، وخارجة بن حذافة ٠

وكتب إلى عمرو بن العاص :

« اني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم مقام ألف » ٠

وصل جيش الدعم إلى مصر ، وطلب حاكم مصر (المقوقس) وفداً للتفاوض معه ، فبعث عمرو عشرة نفر أحدهم عبادة ، وأمره ان يكلم القوم ٠

دخل الوفد الى مجلس المقوقس ، فلما وقعت أنظار المقوقس على عبادة وكان مهيباً ، ضخم الجثة ، أسود اللون ، قال : نحوا عني هذا الأسود ، وقدموا غيره يكلمني ٠

رد افراد الوفد على المقوقس بقولهم إننا نرجع جميعاً الى قوله ورأيـــه ٠

وأسقط في يد المقوقس ، فاضطر للتفاوض مع هذا الذي لم يكن يرغب في رؤيته ، وحاول المقوقس إرهاب عبادة وتخويفه من شدة بأس الروم ، وما يمتلكه من وفرة العدد والعدة ، فرد عبادة : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين •

وحاول المقوقس تقديم الترغيب ، بعد ان فشل الارهاب ، فمزج اللين بالشدة ، ووعد بتقديم الأموال والهدايا ، مقابل عودة المسلمين عن مصر ، وسحب قواتهم منها •

لم يخرج المسلمون ولا جاء عبادة ، من أجل مغنم دنيوي ، او مكسب يصيبونه ، فرفض عبادة الترغيب بمثل ما رفض الترهيب •

ووصفت المفاوضات بنهايتها ، فختمها عبادة بقوله : ليس بيننا وبينك إلا خصلة من ثلاث : الدخول في الاسلام ، او دفع الجزية ، او الحرب • فاختر أيها شئت ، ولا تطع نفسك في الباطل ، بذلك أمرني الأمير ، وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل إلينا •

ورفض المقوقس وقد أخذته الغرة بالاثم ، وخرج الوفد ، ونشب القتال ، وأنزل الله نصره على المسلمين ، ففتح لهم حصن بابليون ، وانهارت المقاومة في مصر بعد طول عناد •

وسار العرب المسلمون شمالا حتى وصلوا الاسكندرية ، وقد اعتصم الروم بها ، واحتموا بأسوارها المنيعة وحصونها ، وكانت حاميتها تتلقى باستمرار إمداداتها من البحر ، فطال القتال •

وتولى في النهاية عبادة قيادة الجهاد ، وعقد له عمرو بن العاص الراية ، وانقض عبادة على الاسكندرية ، فافتتحها ، ودانت الاسكندرية للعرب المسلمين •

عاد عبادة الى الشام ، وفي سنة ثمان وعشرين للهجرة ، ركب معاوية البحر ، ومعه عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت أم ملحان الأنصارية ، وسار معاوية بقواته الى قبرص وفتحها ، وكان لعبادة دوره في الفتح ، وخلف زوجته أم حرام في قبرس اذ ألقتها بغلة فاندقت عنقها فماتت تصديقا للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبرها أنها في أول من يغزو في البحر •

ومضى عبادة بن الصامت في رحلة العمر حتى نهايتها وليس له إلا موقف واحد هو ذاك الذي بايع رسول الله : في ألا يخاف في الله لومة لائم •

مصباح عربي آخر في قمة موجة من أمواج الشجاعة •

الرجل : الصحابي المجاهد عبد الله بن حذافة رضي الله عنه قائد فتح عين شمس في مصر ، ••• ـ نحو ٣٣ هـ = ••• ـ نحو ٦٥٣ م •

الموقف : الايمان الصلب ، الروح المعنوية العالية •

انطلقت جيوش العرب المسلمين لفتح بلاد الشام ، وكان عبد الله بن حذافة في جيش عمرو بن العاص ، بدلالة مرافقته لعمرو بن العاص فيما بعد لفتح مصر ، وقيامه بفتح عين شمس •

وعندما تم الفتح ، امتنعت بعض المدن والحصون ، بحكم وجود حاميات قوية فيها ، مثل أجنادين وإيلياء ، أو بحكم اتصالها بالبحر مثل قيسارية ، وغزة ، حيث كان اسطول الروم يضمن امداد الحاميات المدافعة عن هذه المدن بالمواد التموينية والامدادات وقوات الدعم •

ودارت حول هذه المدن معارك عنيفة واشتباكات قوية ، كان النصر فيها نوباً ، ولم يتمكن العرب المسلمون من إخضاع تلك الحاميات

والاستيلاء على حصونها ومواقعها ومدنها الا بعد جهـود كبيرة ، وتضحيات كثيرة •

ووقع في إحدى هذه الوقائع أسرى من العرب المسلمين في قبضة الروم ، وكان عبد الله بن حذافة في حملة الأسرى الذين أسرتهم الروم في معارك (قيسارية) •

كان ملك الروم في قيسارية يتابع الموقف ، وأراد ان يتعرف على قوة الدين الجديد ، خلال رجاله المؤمنين به ، ووقع اختياره على عبد الله بن حذافة القرشي •

قال ملك الروم لعبد الله : تنصر ، تنج بنفسك ، فأبى ، فأمر به فصلب ، وأمر برميه بالسهام ، فلم يجزع ، ولم يضعف ، فأمر ملك الروم بانزاله •

أمر ملك الروم باحضار قدر نحاسي تعرف بالبقرة النحاسية صب فيه الماء ، وأغلي عليه ، وأمر بالقاء أسير فيها ، فاذا عظامه تلوح ، فأمر بعبد الله لالقائه بالماء الذي يغلي ان لم يتنصر •

كان المشهد رهيبا ، والموقف صعبا ، ومضى عبد الله الى القدر ، وقد غالبته الدموع فبكى •

ظن ملك الروم أنه قد أدرك هدفه ، وصاح الروم : قد جزع ! قد بكى !

وقال ملك الروم : ردوه •

رجع عبد الله أدراجه ، حتى اذا ما وقف بين يدي ملك الروم ، قال لـه :

لا ترى أني بكيت جزعا مما تريد ان تصنع بي ، ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله ! كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة في ، ثم تسلط علي ، فتفعل بي هــذا !!

ذهل ملك الروم ، أي نوع من المخلوقات هؤلاء ؟ هل هم ذاتهم الذين كانوا لسنوات قريبة خلت أذلاء مستعبدون ، تتقاذفهم رماح الفرس والروم والأحباش ؟ هل هؤلاء هم ذاتهم الذين كانت تستباح حرماتهم ، وتوطأ بلادهم ، فلا يدافعون ولا يحاربون إلا في أيام نادرة ؟

لقد فشل الوعد والوعيد ، ولم يفلح أسلوب الارهاب والتهديد ، فلم لا يجرب ملك الروم أسلوبا آخر ؟ فقال لعبد الله وقد أعجب به ورغب في إطلاق سراحه :

قبل رأسي وأطلقك ! !

ماذا ؟ أيقبل عبد الله رأس ملك الروم مقابل حياته ؟ لا ، حياته أغلى من هذا الثمن ، ومن غير تردد ، ومن غير تلكؤ أو تمهل ، قال عبد الله : ما أفعل !

أهذا الاعرابي يرفض تقبيل رأس ملك الروم ؟ ولم يغضب ملك الروم ، بل ذهب شوطاً أبعد على طريق الاغراء والترغيب . فقال لعبد الله : تنصر ، وأزوجك ابنتي ، وأقاسمك ملكي .

وعاد عبد الله وقال للملك : ما أفعل ! وعاد ملك الروم ليلقي سهمه الأخير : قبل رأسي ، وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين .

وقال عبد الله : أما هذه فنعم .

وأقدم عبد الله على تقبيل رأس الملك ، ووفى ملك الروم بما وعد ، فاطلق سراح أسرى المسلمين •

حياة هؤلاء الاخوة في الله ، أثمن من ملك الروم •

غالية هي حياة الانسان المسلم على أخيه المسلم •

ذلك هو الرجل وذلك هو الموقف •

ومصباح آخر ••• هو القعقاع بن عمرو التميمي ••• ـ ٤٠ هـ = ••• ـ ٦٦٠ م •

وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، أعرف الرجال بالرجال • فلما احتاج خالد بن الوليد للدعم ، وهو في العراق ، أرسل إليه القعقاع بن عمرو التميمي ، فقيل لابي بكر : أتمد رجلاً قد ارفض عنه جنوده برجل ؟ فرد أبو بكر بقوله :

لا يهزم جيش فيه مثل هذا الرجل •

ومضى القعقاع فلازم خالد بن الوليد على امتداد عام •

وتأزم الموقف على جبهة العراق ، بعد اليرموك ، وفتح دمشق : فأصدر أمير المؤمنين عمر وكان قد تولى الخلافة ، أمره الى أبي عبيدة بن الجراح ، باعادة جيش العراق الى العراق بقيادة هاشم بن عتبة •

فصل الهاشم قواته ، وغادر دمشق ، ودفع القعقاع على مقدمته ، ومضى الجيش يسابق الزمن للوصول الى القادسية •

قاد القعقاع المجموعة الاولى وانطلق بها الى القادسية ، والمعركة في اشدها •

واندفع القعقاع الى مقدمة الصفوف ونادى من يبارز ، فخرج إليه بهمن جاذويه : ذو الحاجب فصاح به القعقاع يا لثارات أبي عبيدة وسليط وأصحاب يوم الجسر ، وانقض عليه فقتله •

واستمرت خيل القعقاع ترد جماعات ، وما زالت ترد حتى الليل ، فترفع الروح المعنوية للمسلمين •

رأى القعقاع خيول المسلمين تنفر من فيلة الفرس ، فحمل القعقاع بنو عمومته على إبل بجماعات ، كل منها عشرة ، وألبس الابل الأكسية المبرقعة ، فنفرت منها خيول الفرس بأكثر من نفور خيول المسلمين من الفيلة •

حمل القعقاع في يومه ، وهو يوم أغواث ثاني أيام القادسية ، ثلاثين حملة قتل فيها ثلاثين من الفرس •

سحب القعقاع قوته في الليل ، وعاد بها الى النقطة التي انطلق منها صباح وصوله الى القادسية • ورجع فقسمها الى مجموعات ، وأمرها ان تفعل كما فعلت في اليوم السابق ، وفعلت ، فما إن انطلقت آخر مجموعة منها حتى كانت قد وصلت كتلة الجيش بقيادة هاشم بن عتبة ، فقسمها الى مجموعات بالمئات وفعل كما فعل القعقاع ، فاستمرت القوات بالتدفق طوال اليوم الثالث من أيام القادسية •

وأبلى القعقاع أفضل البلاء ، وكان مما فعل هو وأخوه عاصم ، قتل الفيل الابيض كبير الفيلة • وقام القعقاع في أول الليل بمحاولة تطويق قوات الفرس واستمر الصراع طوال الليل : ليلة الهرير •

لما تنفس الصبح ، سار القعقاع في الناس يقول : ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة واحملوا ، فان النصر مع الصبر • وانزل الله نصره على المسلمين ، وانطلق القعقاع لتدمير الفلول الممزقة •

ومن قادة العرب الذين كانوا يطلبون الشهادة القائد عكرمة بن أبي جهل المخزومي رضي الله عنه • ٤٩ ق•هـ — ١٣ هـ = ٧٥٤ — ٦٣٤ م •

أصدر أمير المؤمنين أبو بكر الصديق رضي الله عنه الى عكرمة أمراً بالتوجه بقواته الى بلاد الشام ، لدعم خالد بن سعيد ، فسار عكرمة مُغِذاً السير حتى اذا التقى بخالد بن سعيد ، وجده وقد جابه مأزقاً صعباً في معركة مرج الصفر مما دفعه للفرار وترك قواته تجابه مصيرها •

تصدى عكرمة لمجابهة الموقف بشجاعة ، فنظم انسحاب القوات وأقام درءاً حماية للمسلمين يمنع من يطلبهم • وبذلك استطاع حماية المسلمين من شر مستطير ، وحفظ لهم خطوط عملياتهم •

وأقبل الروم ، يجرون جموعهم الضخمة ، وجاء خالد بن الوليد مدداً لجيوش الشام • وقام بتنظيم المسلمين للمعركة الحاسمة • فكان عكرمة قائداً لأحد الكراديس • وكان هو فيمن أنشب القتال •

حملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقعهم • وثار عكرمة ، فقال : قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل موطن ، وأفر منكم اليوم ؟ ثم نادى : من يبايعني على الموت ؟

لبى نداء عكرمة أربعمئة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، فيهم الحارث بن هشام ، وفيهم ضرار بن الأزور ، فقاتلوا أمام فسطاط خالد بن الوليد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، فمنهم من برأ ، ومنهم من قتل ، ولم يفضل من بقي منهم على من قتل إلا بفقد الشهادة اذ لم تكتب له •

وكان عكرمة أعظم الناس بلاء ، فكان يركب الأسنة حتى جرحت صدره ووجهه ، فقيل له : اتق الله وإرفق بنفسك !

فقال : كنت أجاهد بنفسي عن اللات والعـزى فابذلها لها ، أفأستبقيها الآن عن الله ورسوله ؟ لا والله أبداً •

مضى عكرمة مستقتلاً ، يطلب الشهادة في سبيل الله ، ومضى ابنه عمرو بن عكرمة يستبقه الى الشهادة وينافسه في طلبها •

واشتدت الطعنات والضربات وهي تمزق جسـد هذا الفارس ـ عكرمة ـ حتى زاد ما به على بضع وسبعين ما بين طعنة وضربة ورمية، ولا زال جسده يبحث عن المزيد •

وأصيب عمرو بن عكرمة بطعنات كثيرة وضربات عديدة ، ولا زال جسده يبحث عن المزيد •

وأقبل خالد بن الوليد ، ورأى عكرمة جريحاً وقد شارف على الهلكة ، والى جواره إبنه عمرو ، فوضع رأس عكرمة على فخذه، ووضع رأس عمرو على ساقه ومسح وجوههما وقطر في حلوقهما الماء ، وودعهما وقد لفظا الشهادة •

لم يكن اندفاع عكرمة بحثاً عن الشهادة واستقتاله من أجلها ، هو نوع من الهروب من حياة يائسة ، فعكرمة المخزومي له في قومه شرف الرفعة وسمو المكانة ، وقد شَرُفَ بالاسلام •

ولم يكن اندفاع عكرمة بحثا عن الشهادة ، حتى يثبت براءته مما أدين به أبوه أبو جهل • فالاسلام يَجُبُّ ما قبله • والرسول الاعظم استغفر له • واذن فعلام احتمل عكرمة كره القتال ؟

لعله الوفاء بالعهد ، اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بايعه :

والله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صدٍ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله ولا قتالا الا قاتلت ضعفه ، وأشهدك يا رسـول الله •

الرجل : بطل الثغور عبد الله (البطال) •

الموقف : الجرأة في اقتحام مواطن الخطر •

عبد الله أبو الحسين الانطاكي (البطال) ••• ـ ١٢٢ هـ = ••• ـ ٧٣٩ م ، لمع في زمن انسحب فيه الروم ـ البيزنطيون من بلاد الشام ، غير أنه كان من الصعب عليهم الاستسلام نهائياً لتقلص رقعة امبراطوريتهم ، وحصرها فيما وراء الجبال ، فأخذوا يتحرشون بالثغور ، ويغيرون على بلاد الشام ، في وقت كانت فيه هذه البلاد أحوج ما تكون للامن والاستقرار لبناء المجتمع الاسلامي •

ولم يكن باستطاعة معاوية بن أبي سفيان بعد ان أصبح أميراً لبلاد الشام كلها ، ترك حرية العمل للروم والوقوف موقف السلبية ، كما ان العقيدة القتالية الاسلامية ، بطبيعتها الهجومية لم تكن لتترك مبادأة الهجـوم في قبضة الروم فوضـع معاوية سياسـة الصوائف والشواتي •

أصبحت هجمات الصوائف والشـواتي بمثابة مدرسة للحـرب والقتال وكانت استراتيجيتها مماثلة تماما لما هو معروف اليوم باسم الهجمات الاجهاضية المسبقة • اذ كان هدفها إشغال الروم بأنفسهم ، وحرمانهم من غزو بلاد المسلمين ، أو تنظيم العدوان عليها •

وفي مدرسة الحرب هذه ، برزت أسماء عدد من مشاهير قادة العرب المسلمين لم يكن أقلهم بلاء خلفاء بني أمية وأولادهم وإخوانهم من أمثال مسلمة بن عبد الملك ، ومروان بن محمد •

وكان من مشاهير شهداء حرب الثغور أيام بني أمية ، أبو أيوب الأنصاري وعبد الله البطال •

أصبح اسم البطال رمزا للرعب الشديد في بلاد الروم ، لكثرة غزاة البطال لبلادهم ، وما عرف عنه من الفضائل الحربية ، كالاقدام وشدة البأس واقتحام مواطن الخطر •

مما حفظه التاريخ للبطال ، أنه دخل بلاد الروم في بعض غزاته ، فدخل قرية لهم ليلاً ، وامرأة تقول لصغير لها يبكي : « أتسكت أم أسلمك إلى البطال ؟ » ثم رفعته بيدها ، وقالت : « خذه يا بطال » فتناوله من يدها •

ومما حفظه له التاريخ أيضاً ، أنه سار مرة مع عسكر للمسلمين ، فلما صار بأطراف الروم ، سار وحده ، فدخل بلادهم ، فرأى مبقلة : مزرعة للبقل ، فنزل فأكل من ذلك البقل ، فجاءت جوفه ، وكثر إسهاله ، فخاف ان يضعف عن الركوب ، فامتطى صهوة جواده ومضى موغلاً في بلاد العدو •

اشتد الاسهال على البطال ، وهو على صهوة جواده ، حتى أصابه الضعف ، وأصيب بالاغماء ، فاعتنق رقبة جواده ، وسار عليه ، ولم يفق من غيبوبته إلا عندما وجد نفسه في دير ، وقد أحاطت به نسوة ، اجتمعن اليه ، وقامت احداهن بانزاله ، وغسلته ، وسقته دواء ، فتماثل للشـفاء •

أقام البطال في الدير ثلاثة أيام ، مر أثناءها قائد للروم (بطريق) وخطب تلك المرأة التي ساعدت البطال ، وكانت هذه المرأة قد أخفت البطال ، ومنعت البطريق من معرفة مكانه •

عندما مضى البطريق وجنده مبتعدا عن الدير ، علم البطال بأمره ، وبخطبته للمرأة على كره منها ، فركب البطال وتبعه ، فقتله ومزق جنده ، وعاد الى الدير ، وألقى الرأس الى النساء ، ثم حملهن معه . وتزوج تلك المرأة ، فأصبحت أم أولاد البطال .

عين عبد الملك بن مروان قائده البطال واليا على ثغر المصيصة وقائداً لحربها ، فجعل همه غزو بلاد الروم ، وإرسال السرايا .

أرسل البطال سرية إلى أرض الروم ، فغاب عنه خبرها ، فلم يدر ما صنعوا ، فركب بنفسه وحده على فرس له ، وسار حتى وصل الى عمورية ، فطرق بابها ليلاً . فقال له البواب :

من هذا ؟ فعرفه البطال بنفسه ، وعرفه حارس الباب بنفسه أيضاً فقال له : وأنا سياف الملك ورسوله الى البطريق قائد حامية عمورية .

دخل البطال ، وقابل قائد الحامية ، وجلس معه على سريره ، ثم قال له :

إني قد جئتك في رسالة ، فمر هؤلاء فلينصرفوا .

فلما صرفهم البطريق قائد الحامية وأغلق باب الكنيسة . قام البطال ، فاخترط سيفه ، وقال له : « أنا البطال ، فاصدقني عن السرية التي أرسلتها الى بلادك ، وإلا ضربت عنقك » .

فقال له البطريق : « هم في بلادي ينتهبون ما تهيأ لهم ، وهذه رسالة وصلتني ومنها عرفت أنهم في الوادي ، وذكر اسمه وموقعه (ووالله لقد صدقتك) » .

طلب البطال الأمان من خصمه ، فأمنه ، وطلب طعاما فحمل له ،

ثم قال البطريق لاصحابه : اخرجوا بين يدي رسول الملك ، فخرجوا يتعادون بين يديه لوداعه حتى خارج عمورية •

سار البطال حتى وصل الى الوادي الذي عرف ان سريته قد بلغته فوجدها ، وعاد بها •

وبقي البطال نموذجا من نماذج أبطال الثغور ، إنه مجاهد في سبيل الله ، عرف طريق الجهاد ، فعمل فيه باخلاص حتى استشهد سنة ١٢٢ هـ وانضم الى قافلة شهداء المسلمين •

وممن عرف بالشدة في مواجهة الخطر من قادة العرب جندي مسلم في كمرجة ١١٠ هـ = ٧٢٨ م والجنيد بن عبد الرحمن (المُري) ••• ـ ١١١ هـ = ••• ـ ٧٣٠ م ، والي خراسان وقائد حربها • وكان من شجعان جنده يزيد بن الفضل ، أو المفضل الحداني الذي كان قد عاد من الحج لتوه ، فدخل على أمه وحشية وقال لها : ادعي الله ان يرزقني الشهادة فدعت له وغشي عليها ، فخرج وقاتل حتى استشهد بعد مقدمه من الحج بثلاثة عشر يوما •

وكان منهم النصر بن راشد العبد الذي دخل على امرأته والناس يقتتلون • فقال لها : كيف انه اذا أُتيتِ بأبي ضمرة في لُبَد مضرجاً بالدم ؟ فشقت جيبها ودعت بالويل ثم قالت له : حسبك لو أعولت على كل انثى لعصيتها شوقاً إلى الحور العين • فرجع وقاتل حتى استشهد •

وخاف الجنيد ، اذ بصر بمدد يصل الأعداء • فنادى مناديه : « الأرض ! الأرض ! وليخندق كل قائد فيما حوله » • وهبط الظلام • فانصرف المسلمون لتنظيم مواقعهم •

والرجل ، حسان بن النعمان الأزدي الغساني قائد فتح افريقية ،

الذي امتدت ولايته على حرب افريقية ٧٣ ـــ ٨٦ هـ = ٦٩٢ ـــ ٧٠٥ م ، كان من بقية الغساسنة ـــ ملوك الشام ، الذين ادركهم الاسلام • عرف بنو امية حقه وقدره فاكرموه ، واكرمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولقبه الناس (الشيخ الأمين) • استشهد حسان سنة ٨٦ هـ اثر غزوه بلاد الروم ، وبعد ان تابع تقدمه حتى اخضع افريقية •

أما القائد والقاضي أسد بن الفرات فاتح صقلية ١٤٢ ـــ ٢١٣ هـ = ٧٥٩ ـــ ٨٢٨ م ، فهو رجل عرف عنه إيثار الجهاد في سبيل الله •

جاء من خراسان في أقصى الشرق مع والده ، واستقر في القيروان ، ومنها انتقل الى تونس ثم الى المدينة المنورة ثم الى العراق ثم الى القيروان ، في الفترة التي كانت فيها صقلية قاعدة من قواعد الروم البيزنطيين ، يغيرون منها على ثغور المسلمين ، ويتعرضون لقوافلهم البحرية • فقام المسلمون منذ أيام موسى بن نصير وعقبة بن نافع بمهاجمتها •

وعندما تمكن الاسطول الاسلامي تجاوز المسافة بين سوسة مازرة يوم الاحد ١٤ ربيع الأول و١٧ منه سنة ٢١٢ هـ ١١ حزيران ـــ يونيو ـــ ٨٢٤ م ، لجأت فلول الروم الى سرقوسة فأسرع أسد بن الفرات لاستثمار النصر الذي حققه جيشه ، وقد ولاه أميره زيادة الله ، إمارة الجيش مع القضاء • ففتح أقاليم الجنوب الصقلي بصورة مذهلة وبسرعة غريبة حتى وصل الى أسوار سرقوسة فألقى الحصار عليها • طال أمر الحصار ، واشتد الامر على المسلمين • والتمس القادة من (أسد) رفع الحصار والعودة الى افريقية ، فرد أسد بن الفرات : « ما كنت لاكسر غزوة على المسلمين ، وفي المسلمين خير كثير » • وأنزل العقوبة بدعاة الانسحاب • فارتفعت الروح المعنوية للمسلمين •

لم يعش أسد بن الفرات ليقطف ثمرة جهاده في الدنيا ، فمات

وقد استنزف الجهاد قدرته • ودفن في أسفل أسوار (سرقوسة) وترك لمن بعده أمر الاستيلاء عليها •

وتشع المصابيح العربية زمن البطل العربي الكبير صلاح الدين الايوبي ، ويعتلي قمة الموجة اسم قائد الاسطول المصري أيام صلاح الدين الايوبي ، الحاجب حسام الدين لؤلؤ ، ••• ـ ٥٧٨ هـ = ••• ـ ١١٨٢ م ، وكما وصفته المصادر الاسلامية بقولها :

« كان حسام الدين قائداً مظفراً ، شجاعا كريما » •

خرج حاكم مصر والشام من البلاد المصرية ميمماً شطر بلاد الشام ، لمتابعة الجهد وحشد القوى ، وقيادة الجهاد في سبيل الله ضد الفرنج الصليبيين ، واخذ في الاغارة على أطراف الامارات الصليبية •

وكان صلاح الدين الايوبي قبل مغادرته مصر ، قد أسند ادارة البلاد المصرية الى أخيه الملك العادل ، الذي مضى بدوره لحشد القوى والامكانات لمحاربة أعداء الدين •

وكان يحكم قلعة الكرك وشوبك ، قائد عرف باسم رينالد شاتيون، أورد المؤرخون العرب المسلمين اسمه أرناط ووصفوه بقولهم : « أعظم الفرنج وأخبثهم وأشدهم عداوة للمسلمين ، وأعظمهم ضرراً عليهم » ، وذلك لانه كان يحرض باستمرار للعدوان على المسلمين •

ظن رينالد شاتيون في سنة ٥٧٨ هـ ان الفرصة باتت مؤاتية لتنفيذ مشروع خطط له طويلاً ، وأعد له عدته ، اذ اقتطع خشبا من غابات مؤاب ، وصنع منها سفنا يمكن جمع قطعها بعضها الى بعض بسرعة ، مما يسهل حملها ونقلها ، وقام بتجربتها في مياه البحر الميت •

حمل رينالد قطع اسطوله ، وأنزلها إلى أيْكة الواقعة على رأس خليج العقبة (ايلات حالياً تحت الحكم الاسرائيلي) وقام بهجوم مباغت استولى بواسطته على أيلة • غير أنه فشل في الاستيلاء على الجزيرة المجاورة والقلعة المدافعة عنها • وهي المعروفة عند الفرنج باسم جزيرة غــراي •

ترك رينالد قوة كافية لمحاصرة الجزيرة (حصن أيلة) • ودفع بقية الأسطول نحو عيذاب فسار اسطول الفرنج في البحر الاحمر محاذيا للساحل الافريقي ، وهو يغير على كل ما يصادفه في طريقه من البلدان الصغيرة ، والمراكب الاسلامية حتى وصلوا عيذاب ، فنهبوا ما بها من سفن تجارية زاخرة بالسلع ، قدمت من عدن ومن الهند •

هبطت قوة من هذا الاسطول الى البر ، فهاجمت قافلة ضخمة ، لا مدافع عنها ، كانت قادمة عبر الصحراء من وادي النيل • ثم اجتاز القراصنة البحر الاحمر من عيذاب الى ساحل بلاد العرب • فأشعلوا الحرائق في السفن الراسية بالحوراء وينبع مينائي المدينة المنورة •

تابع قراصنة الفرنج عدوانهم حتى بلغوا غابر من موانىء مكــة المكرمة ذاتها واغرقوا بالقرب منها سفينة كان يستقلها الحجاج ، وتتجه إلى جدة •

ارتاع العالم العربي الاسلامي لهذا العدوان على الاماكن المقدسة ، فقد بقي البحر الاحمر بعيداً عن قبضة الفرنج الصليبيين ونشاطهم ، ولهذا كانت القوافل التجارية تسير آمنة مطمئنة ، وكان الحجاج يذهبون ويجيئون بسلام ، حتى جاء هذا العدوان فاصاب الحجاج والتجارة •

أسرع الملك العادل بتوجيه الاسطول المصري الاسلامي بقيادة حسام الدين لؤلؤ قائد الاسطول •

كان حسام الدين لؤلؤ قد نظم اسطوله ، ودعمه بالبحارة من كل انحاء العالم الاسلامي ، وبصورة خاصة من ابناء المغرب العربي الاسلامي الذي تمرس ابناؤه بالجهاد في البحر .

مضى حسام الدين باسطوله وبحارته ، وكلهم غضب لله وشوق للثأر من هؤلاء الذين تعرضوا للاماكن المقدسة ، واعتدوا على حجاج بيت الله الحرام ، وانتهكوا أمن المسلمين وحرماتهم .

ابتدأ حسام الدين أعماله بالذين على أيلة ، فانقض عليهم انقضاض العقاب على صيده ، فقتل بعضهم ، وأسر الباقي ، وهرب رينالد شاتيون مكتفيا من الهزيمة بالاياب . ثم تابع حسام الدين تحركه بالاسطول حتى طهر الثغور وصولا الى مكة والمدينة .

عندما علم صلاح الدين بما قام به رينالد شاتيون وما انتهت إليه مغامرته الحمقاء ، حمد الله على هزيمة الفرنج . ولم تكن عملية حسام الدين لؤلؤ ضد أعداء العرب هي الوحيدة ، واستمر في تطوير اسطوله وتدعيمه للقيام بدوره في الجهاد في البحر ولم يكن يريد في جهاده سوى وجه الله تعالى واحتسابا لثوابه .

ويهدر البحر العربي على شاطىء الذاكرة الانسانية ليعتلي قمة الموجة أعلى موجة . قائد عربي في غرناطة هو موسى بن أبي الغسان ، وكان جهاده بحثا عن إحدى الحسنيين الشهادة ... ـ ٨٩٧ هـ = ... ـ ١٤٩١ م .

فقد وصلت الحرب الصليبية في أندلس المسلمين حتى نهايتها ، فقد استولى الصليبيون على معظم بلاد الاندلس ولم يبق في قبضة المسلمين إلا مملكة غرناطة مع ريفها حتى سيف البحر ـ منطقة جبل طارق .

وأقبلت جحافل الصليبيين بقيادة فردينانــد وايزابيلا ــ ملكي قشتالة وآراغون ، فنزلت بغرناطة سنة ٨٩٥ هـ = ١٤٨٩ م ، وأحكمت الحصار حولها واخذت في سلبها قوتها •

ولم تتمكن جيوش قشتالة وآراغون وأحلافها من إضعاف صمود المدينة الباسلة او النيل منها ، أو التمكن من اقتحامها ، رغم تطاول الحصار ، وانقطاع الامداد عن المسلمين •

وإذا عجزت القوة عن بلوغ غايتها ، فالحيلة تستطيع بلوغ ما لم تبلغه القوة ، وهكذا بدأت الاتصالات السرية مع ملك غرناطة ــ أبو عبد الله الصغير ، آخر ملوك بني الأحمر •

ذهب وفد يمثل ملك غرناطة ، ضم أبو القاسم عبد الملك والوزير ابن كماشة ، وقابل ملك قشتالة ، فرديناند ، وأجرى معه مفاوضات انتهت باتفاقية استسلام •

عاد الوفد وقد ضمن لأفراده السلامة ، وبعضا من مغانم الدنيا ، واجتمع كبار غرناطة في بهو الحمراء الكبير ، للتوقيع على المعاهدة ، وإصدار الحكم على دولتهم بالذهاب وأمتهم بالفناء •

هنا وقف فارس صغير ، اسمه موسى بن أبي الغسان ، وقد ضجت في عروقه دماء الجهاد ، وثارت في قلبه حمية الايمان ، فخاطب الكبار ، واذا به يكبر ، واذا بالكبار صغاراً •

قال موسى بن أبي الغسان للقوم :

« اتركوا العويل للنساء والاطفال ، فنحن رجال لنا قلوب لم تخلق لارسال الدمع ، ولكن لتقطر الدماء ، إني لأرى روح الشعب قد خبت ، حتى لكأنه بات من المحال علينا انقاذ غرناطة ، ولكن ما زال هناك بديل للنفوس النبيلة ، ذلك هو الموت المجيد ، فلنمت دفاعاً عــن حرياتنا

وانتقاماً لغرناطة ، ولئن لم يظفر أحدنا بقبر يستر رفاته ، إنه لن يعدم سماء تغطيه » •

لقد ماتت النفوس ، وهو شر ما يبتلى به عباد الله ، فلم تهتز المشاعر ولم تتأثر العقول ، ونظر ملك غرناطة فيما حوله ، وغصة تملأ حلقه ، وغشاوة سوداء تغشى بصره •

أخيراً نطق ملك غرناطة فقال :

« الله اكبر ، لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، ولا راد لقضاء الله ، تالله لقد كتب علي أن أكون شـقيا ، وان يـذهب الملك على يـدي ••• » •

صاحت الجماعة ، وتنادى القوم :

« الله أكبر ، ولا راد لقضاء الله •• » •

عاد الفارس موسى بن أبي غسان للتحذير والانذار ، فـخاطب الجماعة وقال لهم :

« تخدعوا أنفسكم ، ولا تظنوا ان فرديناند سيفي بعهده ، إن الموت أقل ما نخشى لقد رأينا نهب مدننا وتدميرها ، وتدنيس مساجدنا ، وهتك نسائنا وبناتنا ، وأمامنا الجور الفاحش والتعصب الوحشي ، والسياط والاغلال ، وأمامنا السجون والأنطاع والمحارق ، هذا ما سوف نعاني منه ، بل هذا ما سوف تراه النفوس الوضيعة التي تخشى الموت الشريف •• أما أنا فوالله لن أراه » •

غادر فارس غرناطة موسى بن أبي الغسان بهو الأسود ، وجاز إلى أبهاء الحمراء الخارجية ، ثم ذهب الى داره ، واقتعد غارب جواده

المحبوب ، واخترق شوارع غرناطة حتى غادرها من باب البيرة ، ومضى نحو غايته •

كانت الشمس تميل الى المغيب ، عندما بوغتت ثلة من جند قشتالة ، وقد جلست للاستراحة ، بفارس مدجج بالسلاح ، من رأسه الى قدمه ، مغلقاً خوذته ، شاهراً رمحه ، يمتطي جواده المدرع برداء من الصلب ، حتى كأن الفارس وجواده جلموداً قد هوى من الجبل •

لم يترك الفارس فرصة لأعدائه ، فمضى يقتل فيهم ، وتكاثر القوم وقد ارتفع صراخهم وضجيجهم فتعادوا حوله يطعنونه ويطعنهم ، ويضربونه ويضربهم •

وتكاثرت الجراح في جسم الفارس ، وغلبت الكثرة الشجاعة ، ونال التعب غايته من الجسد الذي نزفت دماؤه ، غير ان الفارس لا زال يقاتل بعناد ، رافضاً تسليم جثته لأعدائه •

لم يكن نهر شنيل بعيداً ، فاطلق الفارس لجواده العنان ، وقفز به إلى النهر ، وسالت المياه تغسل الجراح ، وتحمل الدماء الحمراء ، وتلف الجسد فتحمله الى قرار مجهول •

ذلك هو فارس غرناطة ، موسى بن أبي الغسان أمثولة البطولة والاباء •

الشهيد العربي الذي أبى الاستسلام لهزيمة العرب في الاندلس في القرن الخامس عشر الميلادي ، المقابل للقرن التاسع الهجري ، وآثر الشهادة على التوقيع على اتفاقية الاستسلام للعدو مقابل الارض والكرامة والحرية ، هو هو نفسه يعود يكرر ذاته العظيمة في كل زمان ومكان عربي ، وتدور دورة التاريخ ، ويعود إعصار الريح الالهية،

ويتساقط الشهداء العرب ، ويكون آخرهم الجندي العربي المصري سليمان خاطر الذي آثر الشهادة على الاستسلام والتوقيع على اتفاقية كامب ديفيد مع العدو الصهيوني .

يستشهد الأبطال العرب ويبقى الوطن العربي .

يستشهد أبطال الجنوب اللبناني وأبطال مصر العربية وأبطال وطني الحبيب العربي السوري ، ويبقى الوطن . وأنظر من نافذة الحياة الى تيار الحياة ونهر العمر .... !! وأحدق بعمق في العين السحرية ، علّها تسعفني وأرى فيها المستقبل العربي الحلم ... !! ؟ وأفتح المندل وأنظر في نقطة الزيت المضيئة في كف الصبي العربي الطاهر ، وأرفع نظري إلى وجه الشيخ العربي لاكشف السر ولأسمع ما لم يسمع ، وأعرف اسم السارق الذي سرق كنزنا العربي ، فلسطين ، وأسأل الشيخ الحل !!؟

ويرد علي الشيخ : الحل ! في الريح الالهية .. لِمَ تسألين وأنت في الساحة المعاصرة !!

تعرفين اللص وتعرفين العقوبة !!

تعرفين قيمة الوطن وتعرفين الثمن !!

لكي تبقى الشجرة يانعة باقية لا بد من التضحية بالزهر ، لا بد من تساقط الأزهار في ربيع الوطن والحياة .

يستشهد الابطال ويبقى الوطن .

وتذهب ذكرى جديدة لحرب رمضان ــ تشرين الاول ١٩٧٣ ، وتأتي ذكرى جديدة ، وأوراق الخريف الذهبية تتساقط على الارض العربية ، إلا ان الشجرة العربية باقية باقية .

ويمر خريف وشتاء وربيع وصيف •••

وتدور الفصول وتدور السنوات وتدور إشارات الاستفهام في فراغ محسوس •

وتدور مع دورات الحياة النضالية ، وتذهب ذكرى لآخر حرب من حروب العرب المعاصرة مع العدو ، وتعود ذكرى ، وعن شجرة حرب تشرين — اكتوبر — رمضان — الكرامة ، تتساقط أزهار الشباب ، وتظل الشجرة يانعة وتظل ذكراها حية ساخنة في الوجدان العربي • وتعطي الحرب بعد الزهر ثمارها الى حد ما ، فالشجرة ما زالت صبية وفي بداية خصوبتها ، وهي تحمل في رحمها الوعد « التوأمين » ، جنين « التحرر » وحرية فلسطين والجولان والقدس والضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء ، كما تحمل جنين « الوحدة » العربية الشاملة ، وستتم ولادتها بعد جنين التحرر بدقيقة واحدة • الحرية والوحدة هما الهدية الثنائية المتلازمة المتكاملة التي يحملها رحم الحاضر العربي بالقـوة ، ويتوقعها حضن المستقبل العربي بالفعل ، فالوحدة العربية قديمة قدم الحرف العربي الأول ، قدم الارض العربية — الحضارة ، وما تمزقها الآني في عمر التاريخ الطويل ، الا لحظة تمحوها جدلية الوحدة والحرية والاشتراكية ، وقد كانت الاشتراكية القومية العربية هي رفاه الأمة الحقيقي والحل الامثـل منذ أبي ذر الغفاري وقبل نشوء المـذاهب الاشتراكية المستوردة من خارج الوطن العربي الاسلامي — المسيحي بمئات السنين • من هنا •• من أرضنا •• من إنساننا •• بـدأ كل شيء •• مـن أرضنا البدء ••• فكيف نسـتورد ثانية مـا كنا قد صدرناه !!؟

قبل أن أمضي •••

أعود الى نقطة البدء •••

بدأت الكتابة عن حرب العرب من أجل فلسطين في نيسان ١٩٥٦ • ومرت الفصول ومرت السنون وفلسطين لم تعـد !! موجة الغضب الساكن تجتاحني !!

هل أنا كاتبة قصيرة النفس !؟

هل أنا مواطنة عربية قصيرة النظر !!؟

هل أنا عربية سورية شامية حادة الطبع ، وهل أنا من يعنيها المثل الشامي : بصلتها محروقة !!؟ وهل تقاس أعمار الدول والامم باعمار الافراد !!؟ وهل يقبلني البطل العربي صلاح الدين الايوبي ، الراقد في عمق الشام بسلام ، بين أحفاده ، رقماً مطاطي البنيان ، بدويا ــ معاصراً ، يطلب الثأر من عدوه ولو بعد أربعين سنة !!؟

أسئلة وأسئلة واشارات استفهام تجتاح الفراغ المحسوس داخل عقلي •

بدأت الكتابات العسكرية ــ الوطنية في عشق الوطن في ربيع ١٩٥٦ ، وبلغت كتاباتي قمة الموجة التي ترتطم بشاطيء الوطن العربي في نيسان ١٩٨٦ ، يحتضنها جبل الشيخ بعباءته العربية ، يباركها بايمانه ، بعمته البيضاء النقية الفاضلة الخالصة لله وحده دون البشر •

ونفسي بعد ثلاثين سنة يا جبل الشيخ ••• يا جبلاً عالياً يرى سورية وفلسطين ولبنان والاردن ، والريح الالهية تلفها من كل جهة ، نفسي بعد ثلاثين سنة من نضالها مع العدو الصهيوني عبر القلم والقلب والورقة ، دفاعاً حياً عن الارض العربية المأخوذة ، ورفضا بحتا صرفا لكل تنازل للعدو او حوار مباشر معه ، نفسي ما زالت هي هي تنتظر وصول المستقبل في زمنها الفردي ، وقبل ان ينتهي عمرها الصغير المحدود • رغم

آلام الأمة العربية كلها ، رغم آلام الشعب العربي في اقطاره ، ورغم كوارث السياسة ورغم آلام الأسر والافراد والامهات والزوجات والأخوات وأبناء وبنات الشهداء ... رغم حزني الفردي العميق ، رغم سفري الى روسيا شرقا وامريكا غربا ، فما زلت عنيدة مع العدو لا ألين ولا أخضع لسياسة القوة المسلحة ، ولا أفهم لم يريد الغرب أن يجعل من نفسه معلماً وأستاذاً لتحضيرنا ومن أنفسنا تلميذا مطيعا ضعيفاً ، وحديداً محمى قابلا للثني والتشكيل والتشكل على مثال حضارة الغرب، وهو ابن مئات السنين ونحن أبناء حضارة انسانية عمرها آلاف السنين!!؟ ان اكون عربية — معاصرة ، تعيش منجزات العصر العلمية والتكنولوجية ، بشكل يخدم طبيعة البيئة العربية ، ويكون داعماً لهويتها ، لا لاغياً لأصالتها ، شيء ، وأن اكون صورة عن الانسان الاجنبي وأتخلى عن لغتي وعن أرضي وعن تاريخي وعن تقاليدي وتراثي ، وعن ديني ، شيء آخر تماماً .

فدخول الطائرة والكومبيوتر وزجاجة البيرة على وطني لا يعني ان ألغي تراثي الانساني بكامله ، واتخلى عن حارتي العربية ، وظلها الرطب، لأفتح شارعاً غربياً عريضا معاصراً تدهس فيه السيارة الاطفال من أبناء أمتي العربية بلا رحمة . باسم ناطحة كرتونية وأوتوبان وكافيتريا وملهى تغني — يغني فيه مايكل جاكسون بكل قلة أدب وفجور ، ويكشف عن ثدي خنثى لا ذكر ولا أنثى ، لن اتخلى عن بيتي العربي وحارتي العربية وسمائي العربية وكنوز أرضي العربية ولساني العربي وطرب التخت الشرقي وأندلسيات العرب ، ولا عن تفرد ذاتي وإنسانيتي ، ولا عن عشقي لوطني وتمسكي بأرضي وعروبتي ورقص السماح ، فعشق الوطن عندي هو قضيتي الأولى والاخيرة . والوجود العربي هو قضيتي الأولى والاخيرة . والمثل العامي العربي يقول لنا :

« البيت الداشر يبعلم الحرامي السرقة » وبيتي العربي ــ خيمتي ، مفتوح على الجهات الأربع ولكل التيارات والحضارات الانسـانية ولكل رياح التطور التكنولوجي الموضوع في خدمة الانسانية • بيتي مفتوح على المستقبل ، لكنه ، بيتي بيت معشوق من سكانه وأصحابه لن يأخذه أحد غدراً ، ولن يدخله اللص ويخرج حياً • عاشقة للوطن أنا لأني من نسل عربي يمتد الى أجداد عرفوا كيف يعيدون للأرض هويتها بعد ان حرروها بدمائهم من الفرس شرقاً والروم غرباً • وعشاق الوطن العربي كثر بعدد سكان الوطن العربي ، لمن يريـد أن يعرف الرقم بالضبـط •

فعشق الوطن عندي عنيد معند مثل عشقي لحبيب العمر ، لا أحد قادر من خارجي على إلغائه ، ولا قوة من داخلي قادرة على خنقه ، فهو حي حر قوي موجود لا نهائي ، مثله مثل جبل الشيخ ، يفرض هيبته ووجوده ، وأراه ويراه العرب معي عن بعد •• من فلسطين ومن الأردن ومن سورية ومن لبنان ومن مصر ومن البحر الابيض المتوسط ومن الرباط ومن بغداد ومن شواطىء المحيط الأطلسـي وشواطىء الخليج العربي • نراه ويرانا ويشهد على أعمالنا بصمت ، يترك لي ــ لنا ، مهمة الكتابة والتعبير والتنبيه في زمن اللامبالاة ، والاستسلام ، والمؤامرات والنضال الحي ، في زمن المتناقضات العربية •

ثلاثون سنة وأنا مواطنة مدنية ــ مجندة غرة من جند هـذه الأمة ، ومقاتلة عنيدة من مقاتلي الجيش العربي السوري ومن مقاتلي الجيوش العربية على الجهات الأربع حول فلسطين ، تارة بالسيف وتارة بالقلم وتارة بالكلمة الثائرة وتارة بالغضب الهادىء ، وتارة بالصمت الخطير ، دون أن أحمل على كتفي نجوما عسكرية •

قلم مدني بحبر عسكري هو قلمي « المجند المتطوع » في الجيش العـربي السـوري •

ذهب شبابي شهيداً على حدود الكلمة • لكنه يذهب ويعود حاراً فتياً ناري الوجود ليعاود النضال عسى ولعل أن أشهد لحظة التحرير قبل الموت ـ لحظة !!! ونيسان ١٩٨٦ هو عيد وجودي وحياتي ، أحتفل به على طريقتي الخاصة ، وهو ذكرى غالية ••• أهداني فيها وطني جبلاً أسمه جبل الشـيخ • ثلاثون سنة وجبل الشـيخ يحمل لنا وعوداً بالتحرير ، ولم أكـن أدري أنه يحمل لي في سفوحه وعند قمته قدراً مغايراً ، ووعداً بولادتي عند عمامته الثلجية الالهية وفي حضنه الناري الانساني ، فكان كتابي الثالث المتواضع في عشـق الوطن العربي ، وصارت لي مع جبل الشيخ الذي يطل بكبرياء على فلسطين وسورية ولبنان والاردن ، علاقة عضوية جدلية ، وكتب لي معه قدر ومجد لأن عشق الوطن بقناعتي مجد وأي مجد •

ثلاثون سنة قبل ان يقول « جبل الشـيخ » كلمته الجريئة في كتابي ، وأنا أعاني وأحارب عبر القلم بصمت متتبعة سير الرحـلة نحو التحرير •

منذ أربعة عشر سنة ، وبالضبط منذ الثامن من كانون الثاني ١٩٧٣ ، وأنا أتجرع بصمت عميق تعلوه ابتسامة حزن ساخرة مـن الحياة ، آلام الحزن على شهيدي وشهداء الوطن العربي • ثم أقلع عن فضيلة الصمت ، وعن فضيلة التفجع والرثاء وأثور واكتب ، وأغضب وأكتب ، وانتفض وأعلن صراحتي ، لا أخاف ، فالحق قوة والصدق شجاعة وكرامة ، والتصالح مع الذات ومع الوطن مثل أعلى وقيمة عليا ، والتخلي عن الازدواجية العربية مطلب حيوي ، والكذب مع الذات ومع الآخرين سقوط في براثن الضعة وفي براثن العدو •

همي الأكبر أن لا أكون إثنتين : واحدة تقول ما لا تؤمن به ، وتفعل ما لا يتناسب مع قناعاتها ، تنام النهار وتطير في الليل ، تعيد مأساة دكتور جيكل ومستر هايد ، تقبل اليد وتدعو عليها بالكسر •

لا ••• هذه هي علة بعض افراد أمتي ، ومن هذه الثغرة يدخل اللص إلى خيمتنا العربية • ولست وحدي أنا صوت الأصوات وضمير الضمائر ومرآة العرب ، الغالبية والحمد لله هي السائدة •

أثور وتثور معي الأقلام ، غالبية الاقلام العربية ، عبر الأجناس الأدبية المختلفة • أغضب وتغضب معي غالبية الاصوات العربية ، وحتى الأجنبية الصديقة ، استشهد على حدود الكلمة ، وأتعرض لنزيف الروح ، وتستشهد آلاف الأقلام ، ويستشهد آلاف الشبان والشابات من جيل العرب المعاصر ، ويتعرضون لنزيف الروح والدم وللموت الكلي ، ويعبر كل منا عن غضبه بطريقته الخاصة ، إما بالموت عشقاً ودفاعا عن وجود الوطن ، واما بالحياة والاستشهاد الفكري ، طلباً للابقاء على وجود الوطن والأمة ونذيراً بنهاية العدو في قلب الوطن وفي رأسه وعلى حدود أطرافه •

وخلال ما مضى من حياتي ، تشهد ذاتي الضعيفة أحداث عصرها وتنعصر ، وتسجل بهدوء ما يقال وما لا يجب ان يقال • وأشهد أكثر من حرب بين العدو وبين وطني العربي ، تصعد نفسي مع النصر وتهبط مع الهزيمة ، تارة ترتفع معنوياتي ، وتارة تنكسر • وأصير خارجاً عن إرادتي فاعلة ومنفعلة ، شهيدة وشاهدة على عصري ، ترتفع عندي قيم ، وتتلاشى قيم • يكبر العدو وتكبر شراسته ويكبر مستودع ذخيرته ، وتتسع أحلامه وأراضيه على حساب أحلامي وأراضي العربية ، وتعلو قهقاته وتفور عنجهيته ، وتعلو شهقاتي ، وتفور كرامتي ، وتكبر خارطة اسرائيل ، وتتقلص خارطة الوطن العربي ، ويكبر غروره ، ويكبر جنوني ، ويتطاول حلمه لامساً ضفتي الفرات والنيل ، ويطول نفسي وتتمطى روحي ويطول شعر رأسي مصدر قوتي على أعدائي فقط هذه المرة لا عليهم وعلي ، ويكبر حجم التفاؤل عندي وحجم

القلق عند عدوي ، فأنا ، وعدد كبير من إخوتي العرب مثلي ، على عكس ما أرى وما نرى من ملامح الملل واليأس والحزن واللامبالاة والاستسلام ، وصور المشاعر السلبية والنقدية المحبطة من بعض العرب ، ضد قدرة بعض العرب الآخر على الصمود في وجه الغرب ، المسلح بالتكنولوجيا المعاصرة المبيدة ، المقنع بقناع الصهيونية ، أرفض فكرة حتمية انتصار وجود اسرائيل في القلب من جسدنا العربي ، وأرفض منطقياً هزيمة ملايين العرب أمام مليون اسرائيلي مسلح ، علما أني على مبدأ من قال : إن الواحد العربي لا يقابل الواحد الاسرائيلي ، وان نظرية تعادل الأرقام مرفوضة في الحروب المعاصرة ، كما أثبتت لا جدواها في الحروب الغابرة . ليست المسألة مسألة مئة مليون عربي مقابل مليون اسرائيلي عسكري مدجج بالعلم العسكري والسلاح الغربي والحقد النازي المعاصر مرتديا بزة عسكرية اسرائيلية . لا يمكن قبول المعادلة دون النظر بعمق الى أهمية تعادل الرقم بالرقم كما وكيفا ، يضاف الى الرقم العربي الواحد قوة الحق العربي داخل المقاتل العربي ابن الارض صاحب البيت الذي تدق بابه بعنف يد مضرجة بالدم والسم . يومها يصير الحوار مختلفاً ، ويصير التفجر مضاعفا ويصير الرد حاسماً ، والسلاح نصراً مؤكداً والمقاتل العربي مقاتلان ضد نصف مقاتل .

شاهدة أنا على عصري ، شاهدة أنا على ملامح الضعف والقوة في وطني العربي ، وفي العدو ، وفي العالم حولي شرقيا غربيا .

في العمق مني نقطة نور مضيئة فتية حارة متمردة على الموت والظلام .

شيخوخة الأحداث لا تلغي أبداً حتمية ولادة أحداث جديدة لصالح العرب ، ولا تقضي على إمكانية حدوث المعجزة ، طالما ان صوت

أطفال العرب يصلني عبر « عربسات » وشاشات التلفزيون العربي أراها من دمشق ، ومن شاشة التلفزيون العربي الاردني بالذات ، أراهم أطفالاً من الوطن العربي بكل أقطاره وأزيائه الشعبية ، يغنون ، يبشرون بالمعجــزة :

« أنا طفل عربي عربي أبي أبي » •

يعدنا النشيد بشكل علمي باقتراب وصول قطار الغد ، تقترن فيه لغة عاطفتنا العربية الوطنية بملامح وجوهنا السمر وعيوننا السود ، بلغة التكنولوجيا العسكرية والعلمية مرصعة بالاباء العربي المستعصي على الفناء • أراهم أطفالا عرباً ينشدون ، يمثلون جامعة عربية مقبلة واعدة ، كما أرى آباءهم رجالا عرب مخلصين يعملون لوحدة العرب عبر الجامعة العربية في تونس •

لن يتحول العرب الى هنود حمر ، ان وعوا الحرب الخفية الغربية ضدهم ، بمحاولة اقناعهم عبر كلمة « العصرنة » MODERNISM للتخلي عن التقاليد العربية الأصيلة وعن هوية « القومية العربية » هاجس اسرائيل الدائم ومشكلتها الأولى ، وللتنصل من تراث مدينتهم العربية ، وحضارة الأوابد التاريخية في أراضيهم •

هي حرب أشد خطراً من الحرب الذرية المعلنة ، وهي تسير معها موازية لها ، تهدم تراث العمارة العربية من المحيط الى الخليج ، وتمحو من ذاكرة أبنائنا الشبان العرب ، صلة الرحم مع الماضي ، فتمسح من ذاكرة الجيل العربي الجديد قيمة الارتباط بالمكان والزمان ، وأهمية الاعتداد بالجذور والأصول ، حتى يختلط الحابل بالنابل ، ويحكم اليهودي الغربي ، اليهودي العربي ، والمسيحي العربي ، والمسلم العربي ، باسم اللاقومية والأخوة العالمية والسلام العالمي • هنا للشبان العرب بكل تواضع ومن هذا المكان العربي القومي الطبع •• من دمشق ،

الشام •• من سوريتي الحبيبة •• وفي هذا الزمان العربي الاثيري النفس من أزمنة سوريتي الحضارية البطلة ، موطن الياسمين والنار ، والحب والفداء ، أشعل الضوء الأحمر ، أحاول منع عربة الغرب المعبأة بالديناميت ، من المرور إلى زماننا العربي ومكاننا العربي ، وما تبقى لنا من زماننا العربي ومكاننا العربي بعد دخول اللص الى ديارنا • أشعل الضوء الأحمر وأنفخ في بوق عربي نحاسي كبير يدوي من المشرق العربي الى المغرب العربي ، وأنبه قائد العربة العربية أمامي أن يسير نحو طريق المستقبل منتبهاً الى خطورة المنحنيات الدولية !!!

شاهدة أنا على عصري ، شهيدة على حدود الكلمة مثل شهدائنا العرب الشبان على حدود فلسطين ، أعشق كما يعشقون الصدق مع الذات ومع الوطن حتى الموت • أكره الكذب في الحب ، أكرهه في النضال ، أكرهه كذبة بيضاء ، أكرهه كذبة نيسان •

أسمح لنفسي أن أذكر بعض من هم حولي وبعض من هم في صفي وبعض من هم بعدي ، على ضرورة الاقلاع عن « ظاهرة الكذب » اولاً ، « وظاهرة اللامبالاة » ثانياً •

أطالبهم عاشقة للوطن لا معلمة للمواطنين ، بالتمسك بفضائل الاخلاق العربية ، مثل الشرف والصدق والعفة والعدل •••• لا عن طريق التباهي اللغوي أو التاريخي ، انما باسلوب يجعل للوطن رجلاً متوحداً ، يعشق ويصدق القول ، دون أن يتنكر بثياب ممثلي مسرح شيكسبير • فالعشق مسؤولية • فان لم تكن قادراً على حملها فلا تحارب بسيف دون كيشوت الخشبي ، لا تقل لحبيبتك أحبك ، وقلبك يهمس كلمة مختلفة ، كم أنا عاجز عن حبك !! قلها علنا ، وسوف تحترمك الحبيبة وتظل في نظرها رجلا متوحداً شريفاً ذا مبدأ وموقف ، حتى أمام العدو اعترف لنفسك بتفوقه العسكري عليك لو حدث ،

وأعد نفسك إعدادا مختلفا يستوعب تفوقه ، يومها تكون في حجم الرجولة والمواجهة ، ويومها يقال عنك : عربي حقيقي ، عشقه الارض ، قد أعطاه الأرض . عشقه الوطن قد حفظ له الوطن .

شاهدة أنا على عصري في زمن تهب فيه ريح الشهادة بعنف من الجنوب اللبناني . فالشهادة من أجل الوطن هي قمة الصدق مع الوطن وينتحر زمن الكاذبين . أنادي أبناء عمومتي وأبناء خؤولتي ، في المشرق العربي وفي المغرب العربي ، فانا نصف سورية لأبي ، ونصف جزائرية لأمي :

« يا ساكن هذا المكان الصعب ، يا ابن هذا الزمن المعقد .. لا تكذب . علتنا المعاصرة هي الكذب . لا تطمر رأسك في رمال الكذب .. وارفعه جيداً الى الأعلى ، وانظر الى الامام كي تواجه الحقيقة . الكذب بؤرة رمال متحركة سوف تبتلعك ببطء تاريخي وتبتلع أمتك الى العدم المطلق .

الأرض العربية تناديك معي وهي الأم الكبرى وهي الحقيقة الأولى ، وأسمع نداءها الشجي :

يا ابن قلبي .. لا تكذب . كن صادقاً مع نفسك أولاً ثم مع الآخر . لا تكن إثنين : واحد في الشمس وواحد في الظل . لا تكذب . لا تكن خارج دائرة الوطن .. لا تكن « لا منتمياً » . لا تكبر العدو اكثر مما هو ، ولا تصغر نفسك أصغر من حجمها الفعلي . لا تصغر العدو أصغر مما هو ، ولا تكبر نفسك اكبر مما هي . المطلوب ان تكون معتداً بقوتك الذاتية مهما كانت صغيرة ، ولا تسخر ولا تهزأ من قوة الآخر مهما كانت محدودة . والوقوف عند حدود الصدق صلاة . » .

الأرض العربية تتكلم العربية كما يغني سيد مكاوي بصوته

العربي الدافىء القوي ـ الحنون ، المتفجر من عمق التراب العربي المعطر بالمطر •

الحجارة العربية تتحرك •• تتكلم ••• !!

نهر الأزمنة العربية يجري يدوي ••• !!

التراث العربي صار له لسان ويسأل أبناءه المعاصرين : أين أتتم من أبنائي يا أبنائي !!؟ أين أعمالكم من أعمالهم ، أين طموحاتكم من طموحاتهم ، أين هويتكم من هويتهم ، أين حريتكم من حريتهم ، أين ايمانكم من ايمانهم ، أين حماستكم من حماستهم ، أين طموحاتكم من طموحاتهم ، أين وجودكم من وجودهم لو محى الغرب المعادي وجودي !! ؟؟

وتقرقع الحجارة داخل الفراغ من رأسي • ويضج المسكين رأسي بالاسئلة وإشارات الاستفهام وتسطع أنوار قناديل ألف « ديوجين » يتوالدون داخلي من آلاف السنين ••• باحثة عن البشر الحقيقيين في عز النهار العربي •

تمتد أصابع التاريخ العربي ، من الناصع من صفحاته الحربية والعلمية واللغوية والانسانية ، تسأل وتتساءل :

« ما هذا الذي يجري !!؟ إلى أين الطريق •• !! ؟؟ » •

وتعلن حجارة الأوابد وأوراق التراث في أسواق الوراقين في العمق من المدن العربية التاريخية العتيقة ، وحدة الانسان ووحدة الأرض ، في قديم الزمان ، تتوقع وحدة المستقبل في مستقبل الزمان والمكان •

وتصير الحجارة والأوراق الصفر في ذاكرة التاريخ شاهد حضارة عربية استقرت في الماضي ، وتبحث عن استقرار العرب وهي تشهد أحداث الحاضر وتتوقع المستقبل !!

تصير حجارة الحضارة وكتب التراث ، قضاة ومحامين ، وتصير المعابد والقلاع والقصور محاكم وقصور عدل تارة ، وتصير سجونا ومشانق تارة ، وأعراس بطولة وأوسمة وأكاليل غار تارة ثالثة •

وأسمع اتهامات ونداءات وأسئلة حجارة وأعمدة الهياكل والمعابد والكنائس والمساجد ، والقلاع والأبراج والبيوت والقصور والسدود ، والممالك والحواضر والمدن والألواح الحجرية أرشيف الأجيال ، والمدرجات والمسارح والتماثيل والمدافن ووديان الأنهار الكبرى ، وظل خضرة البساتين والغابات ، وهجير البوادي والصحاري !!؟

أسمعها تلك النداءات جيداً رغم الحد الانساني الأعلى ـ الأدنى ، من قدرتي على سماع صوت التاريخ ، ورغم محدودية الحواس عندي على التقاط موجات الحقيقة المسموعة على مدى الأثير التاريخي • أسمعها تنتشر في سمعي وفي فراغ الزمن العربي المعاصر • وأتساءل ترى هل يسمعها أحد غيري !!؟ تماما بالطريقة التي أسمعها فيها ، صوتا عبقريا عربيا واحداً ـ متوحداً يأتي من عمق الماضي المتعدد !!؟

نداءات واستغاثات من الجهات العربية الأربع ، أنوار كشافة ومشاعل حقيقية من منارات الشواطىء العربية الأربع •

أسمع أهل الارض العربية ، ينادون من عمق البشر ، أسمع أصوات الانبياء والقديسين والبشر وأصوات الملوك وأفراد الشعب والحكماء والشيوخ والعلماء والشعراء والجنود الفاتحين ـ المدافعين ، والأولياء ، وأصغي لأصوات الحجارة وأوراق التاريخ من هنا ومن هناك :

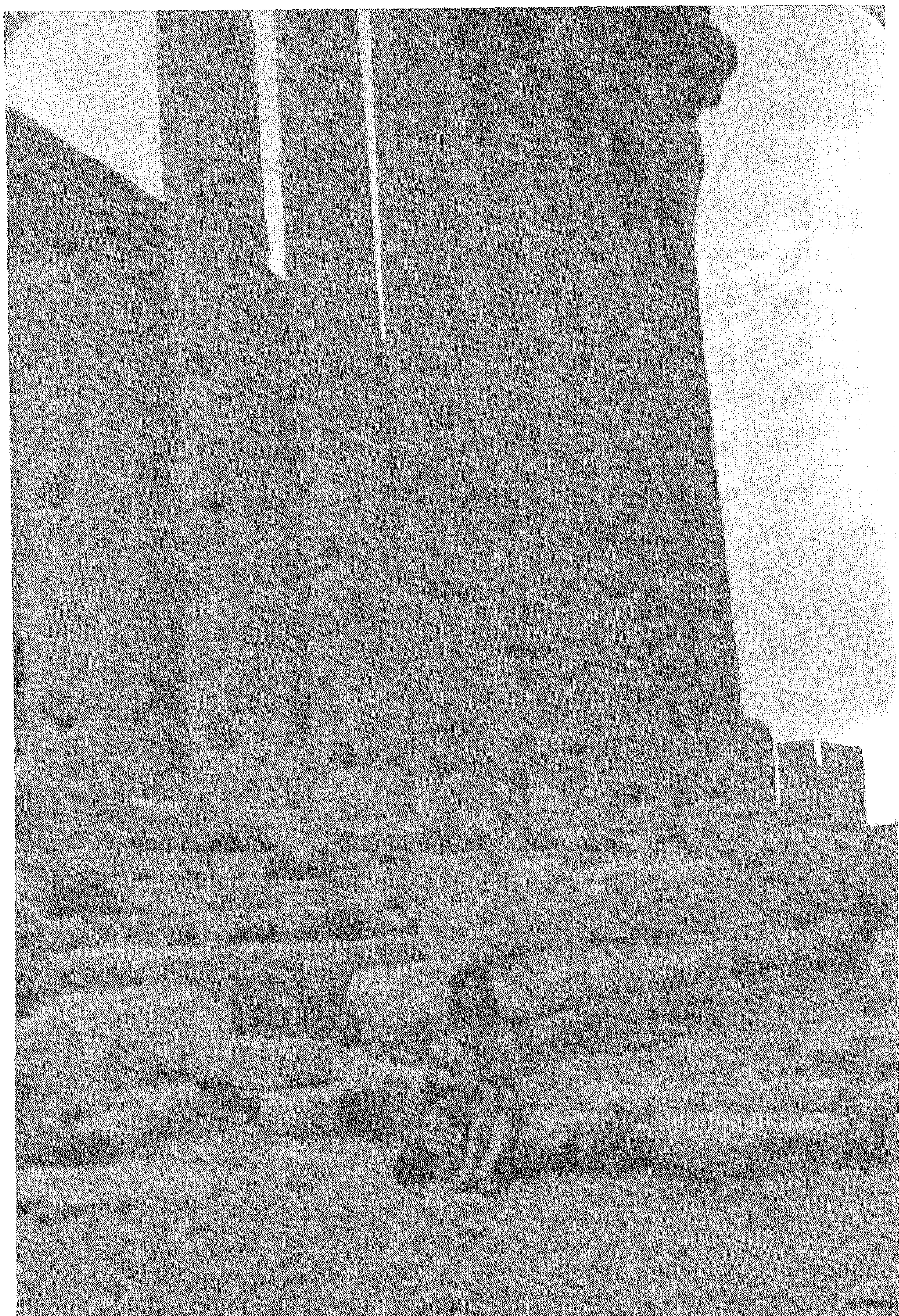
من مملكة تدمر •• من مملكة زنوبيا في سورية الى مملكة بلقيس في اليمن الى مملكة كيلوباترة في مصر • من مملكة الأنباط العرب في بترا في الأردن ، الى ممالك العرب في الاندلس •

من جنائن بابل المعلقة في العراق شرقاً ، الى مدينة الشمس ــ بعلبك في لبنان غرباً ، ومن أبجدية أوغاريت في حضارة الكنعانيين في سورية شمالاً ، إلى الابجدية الهيروغليفية في حضارة الفراعنة في مصر جنوباً ، من ملحمة جلجامش في العراق شــرقاً ، الى ألواح إيبلا في سورية غرباً ، الى الرسوم الجدارية في مدافن المومياءات في الاقصر من النيل غرباً ، حيث تغرب الحياة والشمس •

من آثار ديلمون حيث تشرق الشمس والحياة في البحرين شرقاً ، الى آثار عمون في الأردن غرباً ، ومن آثار بنت جبيل على الشاطىء اللبناني شرقي البحر الابيض المتوسط ، الى آثار صبراته ولبدة في ليبيا • ومن حاضرة « قرطاج » في تونس ، إلى معبد « الكرنك » في جنوب مصر ، الى حاضرة « تمقاد » في الجزائر ، وحاضرة « وليلي » في المغرب ، جنوبي البحر الأبيض المتوسط •

تتداخل من وإلى ••• في لغتي وفي قناعتي •••

تتداخل الجهات الأربع فوق الارض العربية حتى تكاد تصبح جهة واحدة ••• ويصبح الوطن العربي كله قبلتي وكعبتي أنا ، وجنوبي وشمالي وشرقي وغربي أنا ، ومن أنا إلا وعي عربي مضيء • وتتداخل العصور في عقلي ويجتاحني نهر العرب من البدء إلى الأبد ، وأسبح بسعادة كالسمكة ، أسافر دون أن أحمل جواز سفر ولا بوصلة ، من نهري دجلة والفرات في سورية والعراق شمالاً الى وادي النيل في السودان ومصر جنوباً !! من كنيسة المهد والمسجد الاقصى في فلسطين ، الى البيت العتيق ــ مكة المكرمة في المملكة العربية السعودية ، ومن



الكاتبة وعشق العمارة والحضارة العربية في تدمر .
كاميرا سوسن الشريف ـــ دمشق

الجامع الأموي في دمشق الى الجامع الأزهر في القاهرة ، الى جامع أحمد باشا في طرابلس ، الى جامع الزيتونة في تونس • ومن ضريح النبي عليه السلام في المدينة المنورة ، الى ضريح ومسجد الامام علي رضي الله عنه في النجف الأشرف في العراق ، الى ضريح السيدة زينب في سورية ، الى ضريح سيدي عقبة بن نافع رضي الله عنه ، على حدود الصحراء الجزائرية في « بسكرة » ، ومن ضريح « يوسف بن تاشفين » في مراكش الى ضريح صلاح الدين الايوبي في دمشق • ومن جامعة القرويين في فاس وجامعة القيروان في تونس الى القلعة في جنوب الجزائر في صحراء النجود اول مكان كتب فيه ابن خلدون « مقدمته » لتكون « مقدمة » لحياة العرب المعاصرين • النداءات تترى من جامعة ــ جامع الكتبية في مراكش الى المكتبة الظاهرية في دمشق •

بحر الذاكرة المكانية والزمانيــة في عقلي يثور يدفــع الموجة إثر الموجة لترتطم على شاطىء الوعي الصخري ، وتشكل صوتاً عنيفا ــ أليفا يتطلب من قلمي ، ومن قلوب العرب اليقظة الدائمة •

تتقافز الأماكن وتتقافز الذكريات وتتلاحم العصور والحضارات التي مرت على أرض العرب • يعجبني هذا التراث الضخم وهــذا التزاوج بين الانسان العربي والمعرفــة الانسانية ، وتعجبني هزيمــة العربي في معارك التاريخ ، وتعجبني بعدها صحوتــه ويعجبني ثأره ويعجبني نصره • يعجبني استشــهاده وموته ، وتعجبني ديمومتــه ويعجبني وجوده ، رغم تلك الشهوة العارمة من أولئك الــغرباء في الشرق وفي الغرب ، تضج في شرايينهم وهم أبناء الشــعوب الطامعة بأرض العرب منذ فجر التاريخ ، شهوة لامتلاك ذلك الجسد العربي البكر الغض الخصب • وتموت أجيال وتولد أجيال من رحم الصحراء العربية ، وتهدم وتنهب وتنتهك مدن وحضارات ومعارف وعلوم عربية وتشاد مدن وحضارات وجوامع وجامعات ، وتبنى سدود ، ويغزل

حرير طبيعي ، ويغنى شعر ، ويولد أطفال ويرفع آذان مآذن ، وتدق أجراس كنائس ، وتزدهر حدائق ، ويزدهر لسان عربي ، ويخضر وطن عربي من العمق ، وترتفع حدود من الشوك ، وتطير طيور الوطن بحرية عبر السماء العربية الواحدة •

الجذور •• ما أخصب الجذور •

التراث ••• ما أخصب التراث •• ما أقوى صوت التراث •• وما أخطر زوال التراث باسم العصرنة والحداثة !! هل تصدقون ان هاجس الغرب هو زوال التراث العربي والتقاليد العربية !!؟ هل من يصدق !!؟ هل من ينتبه بعمق قبل أن يحمل معول الهدم !!؟

زوال التراث هو زوالك أنت •• وزوالك انت هو زوال للارض وللوجود العربي •• ودخولك عصر الفضاء لا يعني تخليك عن هويتك العربية • وهويتك لسانك ، ولسانك هو فكرك •• وفكرك لو فكرت بالعربية هو وجودك ، وفكرك لو فكرت بالانكليزية ، هو وجـود اسرائيل ، وزوال وجودك وتحولك الى هندي أحمر يشرب الويسكي لكي ينسى !!

التراث هو تشكل الحقيقة ، هو نهر العرب الحقيقي ، وسرير النهر يحتضن النهر الى ما لا نهاية لو عرف النهر كيف يعمق مجراه من النبع الى المصب ، من الولادة الى الشهادة ، من المطر الى البحر •

موجات الذاكرة ترتطم بجدار الوعي ، تتطلب مني أن أسـجل استغاثات الضمائر والحجارة والأوراق الصفر في حي الوراقين العربي ، حتى لا نسمح لناطحة السـحاب وآلة الحاسـب الاليكتروني والسيارة وزجاجة الويسكي وشـقراء الغرب الفاتنة وفيلم الفيديو الجنسي ، وبطاقة الهجرة المغرية الخضراء ، باغرائنا لمغادرة الحـارة العربية الى

اوتوستراد غُربي منظم مدهش نتمتع به ، ولم نسهم في صنعه ولا يمتد على خارطتنا ، تماما مثل الهنود الحمر المساكين ، فنسهم بلا وعي منا ، بأن تتحول أرضنا البكر الخصبة الى عالم جديد ثان ، ترسمه أقلام ومساطر وبيكارات مهندسي الغرب بشكل منظم وأنيق ومثمر ومفيد . يستوعب الغرباء كل الغرباء ، إلاّنا نحن •

المطلوب أن نهجر المدينة العربية قهراً وسخطاً ويأساً الى الغرب المتحضر •

المطلوب أن نهاجر إلى الغرب الجميل الجاهز الحر الديمقراطي ، كي يستوطن أرضنا غربيون متحضـرون ! ويالها من لعبة مكشـوفة خطيرة !!

هل يسمع أحد من بني قومي معي صوت التاريخ يوجه الاسئلة الى أجيالنا المعاصرة يطرحها بشكل نهائي وحازم قضاة التاريخ ، وبلا رحمة من نفوسنا الحساسة المدللة العاشقة للحياة سلماً الخائفة من الموت حرباً !!؟

اكتب في زمن الريح الالهية العربية • أسجل كلماتي واسـئلتي وتساؤلاتي في زمن الشهادة والشهداء الشبان الذيـن يؤكدون لي باستشهادهم منذ عصر الفادي العربي الاول المسيح عليه السلام ، وعصر بلال الحبشي وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعقبة بن نافع رضي الله عنهم ومعهم آلاف الشهداء العرب المسـلمين والمسيحيين ، أذكر وربما تنفـع الذكرى ، بأن النهر العربي يجري متسـارعاً •

السؤال الكبير الأهم يدوي في الفراغ العربي المحسوس المعاصر : ما هذا الذي يجري !!؟ إلى أين الطريق أيها العرب •• أين يغور النهر يا عرب !!؟ هل ستنقلب السـلام عليكم الى شالوم يا لسان الضاد العربية !؟

ممن نأخذ الجواب !!؟

من هو صلاح الدين الأيوبي المعاصر ، ذلك الذي سيعيد لنـا القدس عربية محضة !؟؟ من أية نقطـة في موقعنا من جدلية التاريخ العالمي سوف نبدأ !!؟

وهل سيكون التحرير الكامل على أيدي الشهداء ، ام سيأتي بفعل حركة ملايين العرب المتوحدين المنظمين ، أم بتأثير ظاهرة تفرق ملايين العرب بفعل تنافر الانظمة السياسية ، وتفجر بركان الغضـب الشعبي ناراً سائلة تحرق أشواك الحدود وجوازات السفر ، وتعيد الارض العربية مطهرة من رجس الاعداء !!؟

هل الريح الالهية التي هبت من شرايين الشابات والشبان العرب ناراً حارقة تلف العدو وترسم قدرا جديدا مغايرا للعرب ، هل هـي الجواب على السؤال الكبير : إلى أين الطريق !!؟؟ ما زلت أتساءل : أي طريق نسلك الى القدس العربية ياصلاح الدين !!؟

تدور اشارات الاستفهام فوق رؤوسنا وأقدارنا !!


وتدور دورة السنين ...!!

وتدور دورة الفصول العربية ...!!

ويمر خريف وشتاء وصيف وربيع ... وعن شجرة حرب تشرين ـ رمضان تتساقط أزهار الشباب ، وتعطي الحرب ثمارها ، وتأكل الأجيال التي ستكتب لها الحياة الحرة ، الثمار الناضجة ، ويطل علينا ربيع ونيسان عام ١٩٨٦ ، والوطن ينتظر . وتهب الريح الالهية في دورة جديدة من سماء أرضنا العربية ، وتزلزل كيان العدو .

وخارطة الوطن العربي ، في يد الله ، في رعاية الريح الالهية .

دمشق ـ ٢٤ نيسان / ١٩٨٦



المسجد الأقصى في القدس ــ الفنان د . روبرتس ١٨٣٩
هدية دار فلسطين ــ دمشق

نهر من الحضارة

نهر من الحضارة يجري في وطني منذ آلاف السنين •

ونهر من الفلاسفة والعلماء والمعلمين والمثقفين والفنانين والكتاب ومهندسي الحياة الفكرية والروحية والمادية والاجتماعية ، نهر معاصر يسقي عطش الأرض والروح ويغذي ويرفد سرير النهر العظيم الاكبر للحضارة العربية ، ليصب في محيط المستقبل العربي الواحد الموحد •

اكثر من انسان عاشق للوطن واكثرمن ساقية كريمة ترفد نهـر الحضارة في وطني بفعل عشقها للوطن •

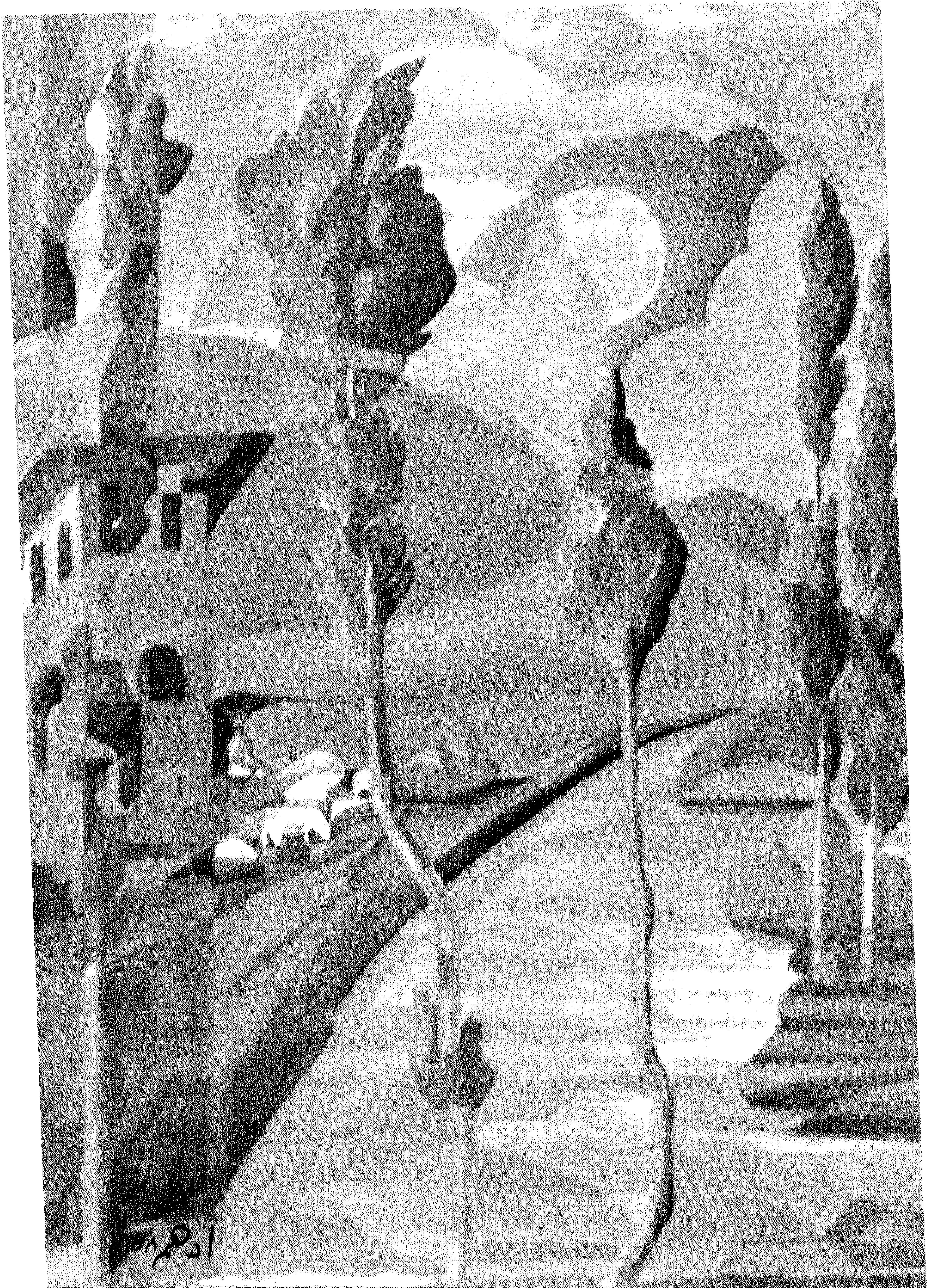
واكثر من انسان عاشق للوطن واكثر من فنان متألق على الساحة العربية قد رفد كتابي عن الوطن ، وعملي المتواضع ، بعظيم فنه وعطائه ، ورش على وجهه القومي العربي من الغلاف الى الغلاف ، ماء الورد وماء الزهر العربي ، وغمس ريشته بالوان قوس قزح وهو يعانـق سماءنا العربية بكبرياء وحنان ، ولون الصور الحقيقية لأفكاري ، فصار كتابي كتابه ، وانتقل جبل الشيخ من بيتي الى بيته •

فحق علي أن أسجل اعترافي بالجميل وأخط بحروف من ذهب امتناني الكبير الى أهلي في الادارة السياسية ، وقد غمروني بالتشجيع الطيب ، وأحاطوني بالرعاية الكاملة ، واحتملوا تقصيري في أداء واجبي

بصبر طويل ، ودعموا تفرغي الكامل لانجاز المخطوط وإعداد فكرة الاخراج ووضع افكار اللوحات والصور باسلوبي الخاص ، وقلق النزعة إلى الدقة والكمال والجودة والاناقة يسكنني منذ أكثر من سنة من العمل الدؤوب ، اضافة الى أربعة عشر عاما من الكتابة حول الوطن والجلاء وقضية فلسطين وحرب تشرين التحريرية والحرية ، مما ساعدني على تحقيق أمنيتي بطباعة كتابي الثالث في عشق الوطن : « جبل الشيخ في بيتي » في مطابع إدارة المساحة العسكرية ، وفي مطابع الادارة السياسية ، ادارتي الغالية على قلبي وبيتي الكبير الكريم ، مما أعتبره شرفا وسعادة وتكريما لي وللقلم الذي ولد فيها ونما وشب وترعرع وكبر وتقوم ليربط قدره ، فرداً ضعيفاً ، بالوطن وأهل الوطن والقضية العربية ، فصار الوطن عشقه وذاته وقوته ، وصارت قضية الأمة قضيته وهمه ، وصارت الدعوة لحرية الانسان العربي والانسانية هاجسه وحلمه •

ويسعدني جداً أن أسجل آيات الشكر من أعماق القلب بماء الذهب تحية لمدير مطابع المساحة العسكرية العميد مروان ديب ، الفنان الأول في فن الطباعة في سورية ، وتحياتي للفنان القدير محمد وحيد الدقاق « أبو وحيد » والعاملين الفنيين ، على ما بذلوه من جهد فني رفيع المستوى بالغ الدقة لطباعة الغلافين واللوحات والصور الملونة ، مما يجعلني أشعر بالفخر للمستوى العالي الذي بلغته إدارة المساحة العسكرية في جيشنا العربي السوري •

ويسعدني جداً أن أسجل بماء الذهب آيات الشكر والعرفان بالجميل من أعماق القلب الوفي للأوفياء من أهلي وإخوتي الطيبين العاملين في مطابع الادارة السياسية ، زملاء رحلتي مع الحرف وعلى رأسهم مدير المطابع المقدم شريح طيارة ، كما أشكر بشكل خاص الفنان القدير محمد العقاد « أبو بسام » رئيس ورشة التنضيد ، والفنيين



الفنان أدهم اسماعيل ـــ أنطاكية

المهرة في ورشات الطباعة والتصوير والمونتاج والتجليد ، لشدة إخلاصهم وتفانيهم لرسم ملامح الجودة في فن الطباعة لاخراج هذا الكتاب في مستوى طموحاتهم وطموحي ونزعتي الى الكمال في طباعة كتبي ، وليخرج الكتاب الى النور كما أحب ويحبون ، وكما يحب قرائي الأحبة من أبناء الشعب العربي في سورية وفي الوطن العربي .

حق كبير علي أن أرفع أعلى آيات الشكر العميق الى الفنان العربي السوري الكبير الاستاذ عزيز اسماعيل ابن لواء اسكندرون ، على الجهد الفني الرفيع الذي بذله تلبية لرغبتي لرسم لوحة الغلاف الأول « جبل الشيخ في بيتي » ، والجزء الأكبر من لوحات الكتاب ذات النفس القومي ، بالألوان والفحم ، تماما كما كنت أحلم وأتصور وأخطط بصمت منذ سنوات طوال ، كي يأخذ كتابي الى جانب المضمون القومي والوطني والتاريخي والفكري والأدبي والصحفي ، بعدا وشكلا فنيا فكريا عميقا يتعادل فيه قلمي مع ريشة هذا الفنان الانسان الوطني المثقف المرهف الحس الصامت المتواضع ، عزيز اسماعيل الذي ينتمي الى أسرة عربية سورية فذة أنجبت العباقرة المتواضعين : أدهم اسماعيل وصدقي اسماعيل ونعيم اسماعيل ، أصدقائي وزملائي الاعزاء الراحلين ـ الخالدين ، وقد نبعوا مع عزيز اسماعيل ، أطال الله عمره ، من لواء اسكندرون السليب نهراً من الكنوز والآثار الفنية والأدبية تخلد وتمجد الروح العربية القومية وتبعثها من جديد بصور ورؤى معاصرة .

وعلى متن « الريح الالهية » أرسل التحية المعطرة الملونة بزهر البنفسج ، لروح الصديق الكبير الراحل العقيد الفنان الكبير وليد عزت الذي كان أول فنان عربي سوري خلد بريشته اللوحة الأولى في كتابي ، لوحة الرئيس الفريق حافظ الأسد طياراً ونسراً في قواتنا الجوية

العربية السورية ، وأجد نفسي أسيرة فكرة نشرها وفاء لذكراه وتمجيداً لعمله الهام في ترجمة كتاب أبطال اليابان طياري الكاميكازيه ، الريح الالهية ، منذ خمسة عشر عاماً •

والشكر العميق الطيب أهديه الى السيد كاتيوشي هياشي ، السكرتير الأول الملحق الثقافي في السفارة اليابانية في دمشق ، كما أهدي الشكر إلى الآنسة سلمى أنيس الحلبي الموظفة في السفارة ، على ما قدماه لي من مساعدة كبيرة للتأكد من صحة الأشعار والأسماء اليابانية الواردة في كتابي عن ترجمة كتاب « الريح الالهية » من الانكليزية الى العربية لوليد عزت •

والشكر كل الشكر أرسله الى الفنانين الكبار في وطني الذين قدموا لي لوحاتهم هدية وسمحوا لي بتزيين كتابي بأعمالهم وساعدوني على تحقيق أمنيتي ، أذكر على رأسهم الفنان الكبير عبد القادر النائب والمصور الفنان الكبير الدكتور مروان مسلماني • وحق علي أن أسجل فضل السيد عدنان الأبرش مدير المتحف الحربي ، والفنان غازي الخالدي ، والفنان الدكتور حيدر اليازجي ، والناقد التشكيلي طارق الشريف ، وحرم الفنان المرحوم نعيم اسماعيل السيدة نزهة بغجاتي ، والخطاط القدير الفنان رمزي حج مصطفى ، والموسيقي الكبير الفنان أمين الخياط قائد فرقة الفجر الموسيقية ، لاسهامه في إعداد النوتات الموسيقية للاناشيد الوطنية ، ولن أنسى أبداً الفضل الكبير الذي غمرني به استاذي الكبير في فن الاذاعة وفي فن الكتابة الأمير يحيى الشهابي ، وهو رمز الحس الوطني الأدبي العالي ، واللغة العربية الأم النقية العذبة المنسابة ، وهو الصوت الشعري الذهبي في وطني منذ الاستقلال حتى اليوم ، والمذيع العربي السوري الأول الذي افتتح إذاعة دمشق عند تأسيسها بعد الجلاء ، ولم يتركها الا مديرا عاما للاذاعة والتلفزيون •

شكري العميق أسجله للاساتذة الكبار الشاعر والكاتب الكبير عدنان مردم بيك ، والمربي الكبير الاستاذ نخلة كلاس ، والاعلامي الكبير الاستاذ أسعد كامل الياس ، والكاتب العسكري الكبير الاستاذ بسام العسلي ، على كل ما قدموه لي من نصح الرأي السديد ، ومن المعلومات القيمة التاريخية الدقيقة •

وأهدي الشكر الطيب الى الشاعـر الفلسطيني الاستاذ يوسف الخطيب مدير دار فلسطين ، على هديته القيمة من اللوحات التاريخية عن فلسطين العزيزة •

وكلمات المحبة والمودة أسـجلها لزملائي المصورين والفنانين ، مروان بطش وعلي مارديني وحسن مرشد وعبد الكريم الأصفر ومصباح سراج ومنذر قلعجي الذي صور آثار الغارة الأولى على دمشق يوم ٦ تشرين الاول ١٩٧٣ • وأنا وفية لا أنسى أفضالهم • ووطني وفي لن ينسى أيضا ولا التاريخ •

والشكر اللطيف أهديه الى الزميلة الطيبة في الادارة السياسية ، الطالبة في كلية الحقوق الشابة المثقفة الآنسة مريم الغاوي التي أصرت على طبع وإعداد المخطوط على الآلة الكاتبة بروح من المسؤولية العالية والتفاعل مع النص ، كهدية من جيلها لجيلي الذي عاش الحرب وعمل على تخليد نتائجها الايجابية ، فكانت مريم وهي في الثانية والعشرين من عمرها القارئة رقم واحد لكتاب « جبل الشيخ في بيتي » • ومن فرط حماستها لفكرة الكتاب ، ولشدة ذكائها المشع وحسها النقدي المتوازن ، وعفويتها المرحة المنظمة ، ودهشتها الطفولية ، وفرحها الناضج بالأبعاد والمعلومات التي لم تكـن تعيها وهي طفلة صغيرة عـن حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ ، تشجعت ، أنا المؤلفة القلقة ، وسعدت وقفز قلبي فرحا بطفولة تعادل فرح طفولتها وشبابها ، وتوقعت أثر الكتاب الايجابي على جيلها العربي الصاعد الى غد أفضل باذن الله • وجيلها والاجيال

التي سوف تليــه ، هي هدفي وغايتي ، وحرية هذه الأجيــال وأمنها وسلامها ، هي حلمي وأمنيتي ، والنجاح من رضى الله والوالدين •

وريشتي أغمســها بماء الذهب العربي لاكتب كلمة شــكر الى الصديق الكاتب المثقف الكبير الاستاذ صميم الشريف على تشجيعه الرائع لي ، ونشر روح الثقة في ذاتي الضعيفة ، عن أهميــة مضمون المخطوط تاريخيا ووطنيا وأدبيا ، قائلا لي على الهاتف ذات صباح باكر بصوت نشيط ، أيقظني يقظة مختلفة لكاتبة تنام بقلق :

« اهنئك يا سهام على كتابك الثالث في عشق الوطن •• إنه بدرجة الامتياز ••!! »

فصار صباحي مشرقاً •• وصار نهاري سعيداً •• وصار يومي فرحاً طفولياً غامراً كمن يصحو على مدافع العيد ، وأسعدني « إمتياز » المراقب الصارم في اتحاد الكتاب العرب وفي وزارة الاعلام ، وأشعلت قلبي بالفرح « مرحى » المعلم • ولا أحلى على قلبي ، من الكلمة الطيبة ، مكافأة •

لقد حرمني حرصي الشديد وشعوري العالي بالمسؤولية تجاه هذا الكتاب الوطني الأبعاد ، الذي ألزمني بضرورة الاشراف الشخصي على الاخراج وتصحيح الملازم بنفسي كلمة كلمة ، سطراً سطراً ، وتكبير وتصغير اللوحات والصور والعناوين صورة صورة ، لوحة لوحة ، عنوانا عنوانا ، أقول : لقد حرمني هذا كله من فرصة قضاء إجازتي السنوية في شهر كانون الأول من عام ١٩٨٥ ، لأستقبل عيد الميلاد ورأس السنة الجديدة عند ومع شقيقيّ الغاليين المغتربين عاشقي الوطن مثلي وأكثر ، أخي صلاح الدين في باريز على ضفاف نهر السين ، وأخي محمد علي في فرانكفورت ــ باڤاريا ، على ضفاف نهر الماين ، بعيداً جداً عن حبيب قلبي وعمري نهر بردى • تلك الاجازة الشتوية التي صارت تقليداً في حياتي الوظيفية • وكان العمــل المرهق لاصــدار الكتاب راحتي

القصوى وإجازتي الروحية السامية فوق ثلوج الرضى عن الذات وتحت أمطار الراحة الداخلية ، وفي ظل غيوم كريمة واعدة قد تحمل في سماء الأدب احتمال اعجاب قرائي •

واذا ما كتب الله الاغتراب على إخوتي أبناء وبنات أمي وأبي ، وعلى أبناء وبنات وطني ، الوطن العربي الأم ، على سطح الكرة الأرضية شرقاً وغرباً ، فانهم يعيشون ، حتما في قلب الوطن العربي ، ويعيش الوطن العربي في قلوبهم ، يحمل همهم ويشتاق لهم ، ويحملون همه ويشتاقون له ، ويرفعون رؤوسهم بانتصاراته وإنجازاته • يتذكرهم فتدمع عينه ، ويتذكرونه فتدمع عيونهم •

فان اشتعلت في رأسي فكرة ربط العلم العربي بالنوتة الموسيقية لنشيد الوحدة العربية ، بلاد العرب أوطاني ، وربط العلم السوري بالنوتة الموسيقية للنشيد العربي السوري، وربط خارطة سورية حبيبتي، بالنوتة الموسيقية لنشيد سوريا يا حبيبتي ، فأنا سعيدة بدفء نارها وإشراقة نورها ، لأنها لاقت صدى جيداً في قاع وسماء روح الفنان عزيز اسماعيل • طلبت من فناننا أن يحقق لي فكرتي لا لشيء الا لكي تطير الفكرة القومية البعد المصورة الملونة الى الوطن العربي أولا والى بلاد العالم ثانيا ، وكأنها تغني ، أملي ان يحفظها أطفال أبنائنا المغتربين ويرددها الشبان والشابات منهم ، يعزفون اللحن ويغنون كلمات النشيد ، ويرفعون التحية لعلم الوطن الأم ، وهم في المغترب ، فيزداد التصاقهم الروحي برموز الوطن والوطن • من يدري ربما يعلقون صور الأعلام والخرائط على جدران بيوتهم في أطر من ذهب !!

وكم ستغمرني سعادة الفكرة وقيمة اللوحة الفنية تشكيلياً ــ موسيقياً ــ أدبياً ، لو سمعت يوما ان أبناء الجالية العربية في الأمريكيتين وفي أوروبا وفي افريقيا وفي آسيا وفي أستراليا ، ينشدون كلهم معاً بفخر وانتماء ، وبلغة عربية سليمة نشيد الوحدة العربية •

وكم ستكون كبيرة مكافأة لروحي العاشقة للوطن ، ساكنة فيه ، مسافرة بعيداً عنه ، لو سمعت يوماً أن أهلي أهل الوطن العربي الذين اغتربوا عن الوطن التماساً للرزق والمعرفة والتفاعل مع حضارات الشعوب في الشرق والغرب ، قد قرأوا كتابي ، فزادهم حبا على حب ، وانتماء على انتماء ، وعطاء على عطاء لقضية الوطن •

كم ستكون كبيرة وغنية فرحتي لو سمعت يوماً أن إبنة أخي صلاح الدين الطفلة هدى وابنه عمر ترجمان ، يتقنان عزف موسيقى النشيد العربي السوري على البيانو رغم غربتهما عن دمشق في باريز ، ولو سمعت أن ابنيّ أخي محمد علي باسل وكريم ترجمان ، يتقنان عزف موسيقى نشيد سوريا يا حبيبتي والنشيد الوطني ، على الغيتار وعلى الفلوت ـ الناي، في نيوندورف ـ كيرشبرغ ، رغم لغتهما الالمانية الغالبة ونشأتهما بعيداً عن سورية • وكم سأتفجر بالفرح لو سمعت يوما ان شادي وريم ابنيّ صديقي العربيين السوريين المغتربين عن سورية في لوس انجلوس من ولاية كاليفورنيا ، في الولايات المتحدة الامريكية ، الدكتور الياس عكل وحرمه السيدة ماري صودير عكل ، وكم سأفرح لو سمعت أن شيرين ونادر إبنيّ صديقي العربيين المصريين المهندس عزت ميخائيل وحرمه السيدة الدكتورة سلمى ميخائيل ، المغتربين عن مصر العربية في مينيابوليس من ولاية مينيسوتا شمال الولايات المتحدة الامريكية ، على ضفاف نهر الميسيسبي ، بعيداً عن ضفاف نهر النيل ، وكم سأفرح لو سمعت أن عادلة وأكرم وأشرف أبناء صديقي العربيين الجزائريين المغتربين أبداً وبعيداً عن الجزائر بفعل الواجب الديبلوماسي ، السفير أحمد العايدي سفير الجزائر في لندن ، وحرمه الكاتبة السيدة عائشة لمسين صاحبة كتاب « حكم الاصوات » عن الوطن العربي ، أقول : كم سأفرح وأفرح وأفرح لو سمعت أن

أبناءهم وبناتهم ومعهم أبناء الجالية العربية في العالم كله ، ينشدون ويعزفون ألحان موسيقى كلمات الشاعر العربي السوري فخري البارودي :

بلاد العرب أوطاني　　من الشام لبغدان
ومن نجد الى يمن　　الى مصر فتطوان

لن أغترب عن الوطن •

لا أستطيع أن أغترب ، ولا ألوم المغتربين ، فعشقهم للوطن مضاعف عن عشقي •

سوف أظل أبداً في وطني •

سوف أموت في وطني •

لن أسافر من وطني هذا العام •

وسوف أقضي شتائي بين عامي ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ فوق ثلوج « جبل الشيخ العظيم » ، وسوف أستقبله في ليلة رأس السنة الجديدة في بيتي الحديث في دمشق الجديدة ، ونعيد معاً ، ونشرب كأس الوطن •

سهام ترجمان

دمشق ١ كانون الأول ١٩٨٥

★ ★ ★

الفهرس

الاهـــــداء ٧
كلمـــة شكـــر وحب ٨
أنـــا بنـــت أبـــي ١٠

الفصـــل الاول ٣١

نشيـــد بلاد العرب اوطاني ٣٢
نشيـــد حمـــاة الديـــار ٣٤

الفصـــل الثـــاني ٣٥

هل نحن على ابواب حرب جديدة ٣٦

الفصـــل الثالـــث ٤٣

يوميات فتاة دمشقية حزيران ١٩٦٧ .... ٤٤
حوار حضاري بين امرأة ورجل ٦٨

الفصـــل الرابـــع ٧٣

فـــارس ومهـــرة ٧٤
أبـــو فهـــد مـــع الحكومة ٧٨
رسالة الى الطيار الاسرائيلي الذي قتل زوجي ٨٢
شكـــر علـــى تعزيـــة ٩٥
قصيدة خاصة جداً . . .
استقراء لنفس امرأة يسكنها الاسى ٩٦
العودة مـــن جزيرة الصمت ٩٨

الفصـــل الخامـــس ١٠٧

ساعـــة الصفـــر ١٠٨
بيـــان القائـــد الأســـد ١١٠
كلمـــة القائـــد للتاريـــخ ١١٤

رسالتي الى قائد معارك تشرين ١٢٢
الأميرة خولة أرسلان عند خط النار السوري ١٣٠
نشيد سوريا يا حبيبتي ١٣٨

الفصل السادس ١٤١

أنا في جبهة سيناء وعند خط بارليف ١٤٢
محمد أفندي رفعنا العلم ١٦٤

الفصل السابع ١٧٣

دعوة الى الحب ١٧٤

الفصل الثامن ١٨٣

جبل الشيخ في بيتي ١٨٤

الفصل التاسع ٢١٩

حماة الديار عليكم سلام ٢٢٠
عاد آخيل . . وعاد القائد ٢٢٨
ساعة الصفر العربية ٢٣٤
المارد العربي ينطلق من قمقم الصبر ٢٤٠

الفصل العاشر ٢٤٥

اقبضوا على الخطأ في زمن الحركة التصحيحية ٢٤٦
عصفور ضاحك ونسر غاضب ٢٧٤
الشام على ضوء شمعة ٢٧٨
أحمل الوطن في ضلوعي وأمضي ٢٩٤
حبيبي هو وطني ٣٠٨
الريح الالهية ٣١٤
نهر من الحضارة ٤٠٥

الفهرس ٤١٤

للمؤلفة ٤١٦

للمؤلفة

● يــا مــال الشــام ...	ـ الطبعة الاولى ١٩٦٩ .
● يــا مــال الشــام ...	ـ الطبعة الثانية المعدلة ١٩٧٨ .
● يــا مــال الشــام بالانكليزية ..	ـ قامت بالترجمة ووضع المقدمــة المستشرقة الامريكيــة الدكتورة اندريا رو استاذة علم الاجناس والاجتماع في جامعة سيراكيوز ـ نيويورك . سيتم الطبع والنشر في الولايات المتحدة الامريكية .
● ... يــا الــ[illegible]	ـ الطبعة الاولى ١٩٨٥ . منشورات دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر .
● جبــل الشــيخ في بيتــي	ـ الطبعة الاولى ١٩٨٦ .
● بقلــم صاحبــة الجلالــة	ـ يعــد للطبــع .
● فنجــان قهــوة	ـ يعــد للطبــع .
● ســوق الخجــا بيكــي	ـ يعــد للطبــع .
● يــا مــال الشــام	ـ يعــد للطبــع . ((طبعة ثالثة معدلة))
● عادلــة بيهــم الجزائــري الرائدة العربية الأولى	ـ يعــد للطبــع .



كاميرا الفنان زياد الجندي ــ دمشق

الكاتبة العربية السورية الشامية سهام ترجمان تطل من الشام على الوطن العربي في كتابها الثالث في عشق الوطن «جبل الشيخ في بيتي» لتسلط الاضواء الكشافة على أهمية حرب ٦ تشرين الأول عام ١٩٧٣، وعلى حاضر ومستقبل الوطن العربي.

«جبل الشيخ في بيتي» حصاد أربعة عشر عاماً من الكتابات الوجدانية في عشق الوطن، زمني السلم والحرب. هو كتاب يعكس فترة هامة من حياة الوطن، وحياة الكاتبة التي تحيا الوطن بكل تفاصيله، وتمجد حرية الوطن بكل أبعادها، فتعلن بغضب وحرية، بوعي وعفوية، انها تعشق في الوطن أهمية ديمومة التراث العربي، كما ازدهار المعاصرة والتكنولوجيا.

تعشق الأنسان والحيوان والنبات والجماد والجهات الأربع، الشهيد والبطل، الورد والشوك، الجبل والنهر، الشجرة والبحر، القطة والطفل. تعشق الوطن حراً جميلاً، تعشقه أرضاً محتلة تتطلب التحرير والعودة الى حضن الوطن. الوطن في وجدانها حياة كاملة وكلّ لايتجزأ. فتصير «الوردة الشامية» عندها رمز حرية الوطن، وتصير بينهما علاقة جدلية، فلا وردة بلا حرية، ولا حرية بلا أحرار، ولا وردة بلا أرض، ولا أرض بلا إنسان حر يعشق الوطن حتى الموت والشهادة.

من خط الحرية الأول، من دمشق، تنادي صلاحاً أيوبياً جديداً يحمل مفتاح تحرير بوابة القدس العربية !!

السعر ١٥٠ ل.س